

منشورات اتحاد



القاهرة

# مجلة المؤرخ العربى

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

## المحتويات

٧	كلمة الافتتاح .....
٩	كلمة التحرير .....
	د. عبدالغني علي الأتجري
	سفارتان بين دولة الأئمة الزيدية ودولتي الطاهريين والمماليك الجراكسة
١١	على عهد الإمام الزيدي المتوكل يحيى شرف الدين الحسني .....
	د. كرم حلمي فرحات أحمد
	الجوانب السياسية والحضارية لبلاد الحجاز كما تصورها رحلة ابن بطوطة
٤٥	كما تصورها رحلة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري .....
	د. خلف دبلان خضر الوذيناني
	سياسة السلطان با يزيد الأول الجديدة في الفتح العثماني
٩٣	نهاية طموحاته وتفكك دولته في موقعة أنقرة ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م .....
	د. محمد قائد حسن الوجيه
	المطرفية الزيدية في اليمن ظهورها في القرن الخامس الهجري
١٤١	ومعتقداتها وقضاء الإمام عبد الله بن حمزة عليها .....
	د. رضوان أحمد الليث
١٩١	المسلمون وأهل الذمة في بلاد الشام في عصر الخلافة الراشدة .....
	د. أسعد لهاللي
	الشيخ محمد خير الدين وجهوده في مجال
٢٣٣	التربية والتعليم في الجزائر ( ١٩٢٨ - ١٩٥٤ م) .....

د . هيا بنت على النعيمي

حركة الردة في البحرين

عقب وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى عهد عمر بن الخطاب ..... ٢٤٥

د . محمود إبراهيم السعدني

«نقش أماسيس المصري (!!)»

(قراءة تاريخية حضارية في نص باليونانية) ..... ٢٧٩

د . سيد محمود محمد عبد العال

نقابة الأشراف في مصر عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠-١٥١٧ م) ..... ٢٨٧

د . حاتم عبدالرحمن الطحاوي

العثمانيون و المغول في مذكرات أسير الحرب

يوهان شيلنجر ١٣٩٦-١٤٢٧ م ..... ٣٣٣

د . لمياء بنت أحمد عبد الله شافعي

كتب التراجم في المدرسة التاريخية المكية

القرن العاشر الهجري (١٦م) نموذجاً ..... ٣٧٩

د . ثريا حامد الدمنهوري

التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل

العماني (من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى ستينيات القرن العشرين) ..... ٤١٣

د . سحر علي حنفي

أضواء على الصحة العقلية في القاهرة العثمانية

٩٢٣ - ١٢١٦ هـ / ١٥١٧ - ١٨٠١ م ..... ٤٣٥

## سفارتان بين دولة الأئمة الزيدية ودولتي الطاهريين والمماليك الجراكسة

على عهد الإمام الزيدي المتوكل يحيى شرف الدين الحسني

تظل السفارات واحدة من أهم مجالات العلاقات المتشابكة بين القوى السياسية مهما تباينت طبيعة هذه العلاقات ما بين السلم والحرب، التحالف والتنافر، التقارب والتخاخم، وتعدّ الوثائق المنقولة بين أطراف السفارات - سواء نقلت شفاهة أو كتابياً - واحداً من أهم مصادر المادة التاريخية الأصلية وأكثرها صدقاً، فكاتبو تلك الوثائق ليسوا بشهود عيان فحسب، بل هم الأطراف التي صنعت الأحداث التي حُرِّرت الوثائق حولها ومن أجلها، مع افتراضنا وجود مراعاة لاعتبارات المجاملات ومراسم التقرب وألغاز التودد بين الأطراف أثناء صياغتها، فهي تلقي الضوء - من خلال مضامينها الصريحة أو الضمنية - على جوانب مهمة من تاريخ تلك القوى السياسية في فضاءات لا يتطرق المؤرخون - غالباً - إلى تغطيتها، كما أن دراسة السفارات إجمالاً يساعد في تسليط الضوء على جوانب غالباً ما تكون هامشية في ثنايا الحديث عن الجوانب المختلفة للتاريخ، وخاصة بعض حوادث التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والعسكري.

وفي مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي يفلّ وجود القدر الكافي من نصوص الوثائق السياسية التي قامت بنقلها السفارات بين القوى السياسية اليمنية أو بينها وبين أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بقسم التاريخ في كلية التربية - جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية .

غيرها من القوى غير اليمنية، ولعل سبب إغفال كثير من المؤرخين اليمنيين لتضمن تلك النصوص في مؤلفاتهم هو نظرهم إليها على أنها من ضروب الاستطراد غير المحمود في تفاصيل الأحداث التي أروها لها .

في هذا البحث نقف مع الثنتين من أهم وثائق السفارات التي تضمنتها المصادر التاريخية اليمنية، تم تحريرهما في العقدَيْن الثاني والثالث من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ولم ينقل إلينا نصهما كاملاً إلا واحداً فقط من المؤرخين اليمنيين، هو المؤرخ الحسن ابن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبدالقادر شرف الدين الحسني (ت ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م)<sup>(١)</sup> في كتابه القيم (المواهب السنية بما من به الله تعالى من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية)، وهذا المؤرخ من أحفاد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين، ذلك الإمام الزيدي الذي يعد الطرف الرئيس في هاتين السفارتين، ويبدو أن هذا المؤرخ قد وجد نص الوثيقتين كاملاً ونقلهما، إما لاطلاعه على بعض المصادر الخاصة بالإمام المتوكل شرف الدين نفسه مما لم يطلع عليها غيره من المؤرخين، أو أن محتوي الوثيقتين كان متاحاً لغيره من المؤرخين السابقين غير أنهم لم يقدروا أهمية تضمين النصين كامليْن في مصادرهم، واكتفوا بالتطرق إلى ذكر حصول تلكم السفارتين .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الوثيقة الأولى هي الخاصة بالسفارة التي بعثها الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين (ت ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م) - رأس الدولة الزيدية باليمن في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وكانت وجهتها بلاط السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب الظاهر (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، أقوى سلاطين الدولة الطاهرية باليمن وأكثرهم قوة ونشاطاً عسكرياً، وتنوع محتواها ما بين الوعظ والتحذير والتهديد، وقد جاءت السفارة في سياق الصراع الدموي الكبير بين الدولتين حول مناطق النفوذ على الساحة اليمنية والذي كانت فيه الكفة راجحة لصالح الدولة الطاهرية .

أما الوثيقة الثانية فقد حملتها السفارة التي بعثها الإمام المتوكل شرف الدين نفسه إلى الأمير حسين الكردي، قائد الحملة التي جردتها دولة المماليك الجراكسة على عهد السلطان قانصوه الغوري (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) لمواجهة النفوذ البرتغالي المتزايد في السواحل الهندية وصياها المحيط الهندي وبحر العرب والخليج العربي، الذي مثل بؤرة نزيف كبير للمقدرات الاقتصادية

لدول المنطقة بشكل عام، إضافة إلى كونه تهديداً دينياً لوضعه استهداف الأراضي المقدسة بالحجاز ضمن مخططاته الاستعمارية .

السفارة الثانية في أصلها هي نتيجة طبيعية لفشل السفارة الأولى، فقد كانت الغاية منها الاستنجاد بالحملة المملوكية وطلب النصرة والعون من قائدها إزاء العنت الذي واجهه الإمام الزيدي أمام القوات الطاهرية، ومحاولة منه لإيقاف حملة الإبادة التي قادها السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب لأفراد الشريحة العلوية الشيعية الزيدية والفاعلة سياسياً وعسكرياً آنذاك .

وما يزيد من أهمية هاتين السفارتين هي النتائج المترتبة عليهما، فقد تمخضتا عن أحداث كبيرة بلغت حد تحول الحملة المملوكية عن مسارها المرسوم، واقتحام الأراضي اليمنية، والدخول في صراع مسلح دموي مع الدولة الطاهرية، كانت فيه الدائرة على الدولة الطاهرية، قتل في آخر أحداثها السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري عند أسوار صنعاء، هو وأخيه الأمير عبد الملك بن عبد الوهاب وذلك سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م)، وهو ما مثل "نجياراً" شبه كامل للدولة الطاهرية، واستيلاء القوات المملوكية على مساحة واسعة من أراضي اليمن، ولم يوقف استمرار زحفها على المناطق المتبقية سوى هزيمة الدولة الأم - دولة المماليك المجراسة في مصر - في موقعة مرج دابق الشهيرة في السنة نفسها، ومقتل السلطان قانصوه الغوري على أيدي القوات العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول .

ويجمل بنا في البداية إيراد إشارة تعريفية - بلا إسهاب ولا إخلال- بالشخصيات الثلاث الأهم، التي مثلت المحاور الرئيسة لهاتين السفارتين، وهذه الشخصيات هي: السلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب، والأمير المملوكي حسين الكردي، والإمام الزيدي المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين.

السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري (٨٩٤-٩٢٣هـ/١٤٨٩-١٥١٧م) :

هو السلطان الظاهر الثاني صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب بن داود الطاهري، الأسوي القرشي نسباً، الشافعي الأشعري مذهباً وعقيدة، رابع سلاطين الدولة الطاهرية باليمن، وأكثرهم

شهرة وسطوة وقوة وهيبة، وأطولهم حكماً، يُشار إلى مدة حكمه بالبنان، وتسترعي انتباه الباحثين في تاريخ اليمن - والمُطَّلِعِينَ عليه - فيتوقفون عندها، فهي في نظرهم جذيرة بالدراسة لأمر عدة، أهمها : أنها أطول مدة حَكَمَ فيها مَلِكٌ ظاهري<sup>(١)</sup>، ولما عُرفَ به هذا السلطان من الصفات المتميزة حكماً وإدارةً وعلماً وعمراً<sup>(٢)</sup>، وكذلك لما تميز به عهده من شدة الصراع وقوة احتدامه بين القوى السياسية الداخلية الكثيرة، كالصراع في إطار التنافس على العرش بين السلطان نفسه والأمراء الظاهريين من أخواله أبناء السلطان الظاهر الأول عامر بن طاهر<sup>(٣)</sup>، والصراع الكبير بين الدولة الظاهرية والأئمة الزيدية على مناطق النفوذ والتوسع<sup>(٤)</sup> - وإن أعطى كل طرف منهما تأصيلاً شرعياً يبرر صراعه مع الآخر - والصراع الشديد بين الأئمة الزيدية أنفسهم - مع بعضهم بعضاً - بعد أن تعدد الداعون إلى أنفسهم بالإمامة منهم، والصراع - شبه الدائم - مع أغلب القوى القَبَلِيَّة في تهامة وبافج<sup>(٥)</sup> وبيَّحان<sup>(٦)</sup> وغيرها من المناطق .

ومما يجعل مدة حكم السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب الظاهري مميزة عن غيرها - أيضاً - أنها تُعد من أخطر المراحل التاريخية التي مر بها اليمن، وخاصة العشرين سنة الأخيرة منها، فقد ظهر على المسرح الدولي - ثم الإقليمي - قوة بحرية استعمارية غاتية - بمقياس ذلك العصر - ألا وهي قوة البرتغاليين، وكانت اليمن واحدة من أكثر الأطراف تضرراً من هذا التحول الكبير، ذلك التحول الذي أحدث هزة عنيفة غيرت موازين القوى على مستوى العالم القديم، وهذا التحول بدوره أدى إلى دخول اليمن في صراع مع بعض القوى الخارجية، في مقدمتها قوة الماليك الجراكسة الحاكمين لمصر في هذه الفترة، ونتج عنه - في آخر مراحل هذا الصراع - القضاء على السلطان الظاهر الثاني ؛ وتعريض الدولة الظاهرية عموماً إلى الانهيار .

### الأمير حسين الكردي (ت ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م) :

الأمير حسين الكردي هو أحد القواد البارزين في الأسطول البحري المملوكي، أوكلت إليه مهمة القيام بالتصدي للبرتغاليين في الخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي، وخاصة أمام الشواطئ الهندية التي تمثل المصدر الأم لتجارة التوابل، التجارة الأهم والأثمن على مدار قرون طويلة في العصرين القديم والوسيط، بل حتى مشارف العصر الحديث، وقد قاد الأمير حسين الكردي حملتين في هذا الصدد، وتكللت مساعي الحملة الأولى في سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م)

بالنجاح فيما تغير مسار الحملة الثانية عندما اتجهت صوب عمق الأراضي اليمنية لتدخل في صراع مرير مع الدولة الطاهرية، والذي أسفر عن تمكن القوة المملوكية من القضاء على معظم قوة الطاهريين وقتل آخر سلاطينهم السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب السابق ذكره .

الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين<sup>(١٨)</sup> (٩١٢هـ-٩٦٥هـ/١٥٠٦م - ١٥٥٧م) :

هو الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين<sup>(١٩)</sup> بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسيني العلوي نسباً، الزيدي المعتزلي مذهباً وعقيدة، حفيد الإمام الزيدي الشهير المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت. ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) الذي أعلن نفسه إماماً عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م إثر وفاة الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين محمد بن علي الحسيني، كما أنه سيطر الإمام الزيدي المتوكل على الله المظهر بن محمد بن سليمان الحمزي الحسيني (ت. ٨٧٩هـ/١٤٧٤م) .

أعلن المتوكل على الله يحيى شرف الدين إمامته الزيدية في ظرف من أحلك ظروف تاريخها باليمن، فقد تمكن السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري من كسر شوكتها، وقهر قوتها، وتشتيت جموعها، وزرع الإحباط في نفوس قادتها وأتباعها، إذ انتزع منها أعز حصونها وقلاعها وأمنعها، وفرق كثيراً من رجالها ما بين قتل أو أسير أو هائم على وجهه في البلاد، ولم يبقَ من متصديري الإمامة الزيدية سوى الإمام الناصر الحسن بن عزالدين بن الحسن الحسيني (ت. ٩٢٩هـ/١٥٢٣م)<sup>(٢٠)</sup>، الذي كان منطوياً على ذاته في أقصى شمال اليمن، ولم يكن بيده من مفاتيح تحريك الأمور ما يجعله يخطو الخطوة الأولى لإقالة العثرة الزيدية أو تحريك ما ركذ من مائتها .

لما أعلن الإمام المتوكل شرف الدين إمامته سنة (٩١٢هـ/١٥٠٦م) بعث رسلاً منطلقاً من حصن الظفير<sup>(٢١)</sup> طالباً البيعة من خاصة الزيدية وعامتها<sup>(٢٢)</sup>، ولم تكن الاستجابة له كبيرة في بداية أمره نظراً للسلطة التي كانت للدولة الطاهرية وشدها في التعامل مع العناصر الزيدية ومن تعاون معها، إضافةً إلى أنه لم يكن قد عُرف لديهم كشخصية يعلق عليها الآمال في إحداث الفرق في الوضع القائم يومئذ .



كانت السنوات التالية لإعلان إمامة المتوكل يحيى شرف الدين تشهد بلوغ القوات الطاهرية إلى ما لم تكن قد وصلت إليه من المناطق في عمق الرقعة الجغرافية الزيدية بشمال صنعاء وغربها، كدخولها حصن ثلا وقلعة كوكبان سنة (٩١٧هـ/١٥١١م) مع حصنين آخرين بجوارهما، وفي سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م) أرسل السلطان الظافر الثاني عامر نائباً عنه إلى صعدة مشفوعاً بحامية صغيرة، غير أنه فشل في بلوغ مرامه، ثم وضع يده على مناطق أخرى إضافية لتبلغ الدولة الطاهرية عندئذ أقصى امتداد لها على الأرض اليمنية .

كانت الأساطيل البرتغالية في هذه الأثناء قد رفعت من وتيرة نشاطها العدواني على السفن التجارية العربية في المحيط الهندي بما لا يسع القوى المتضررة السكوت عليه، وكانت مصر المملوكية هي المتضرر الأكبر؛ لذلك أرسلت حملتين بحريتين لمواجهة البرتغاليين، انطلقت الحملة الثانية منهما سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م) ورسّت في جزيرة كمران، وقد رأى الإمام المتوكل شرف الدين في وجود هذه القوة فرصة لكسب موقفها وتوظيفه في دعم جهوده في مواجهة الطاهريين، لذلك قام بإرساله أمير الحملة، الأمير حسين الكردي، حاكماً إليه السلطان الظافر الثاني، معهداً مظاهر اضطهاده لآل البيت النبوي ومساوئ حكمه، ومطالباً بإياه بالنصرة<sup>(١٣)</sup>، وكان الأمير حسين الكردي في حاجة إلى استجلاء موقف السلطان الظافر الثاني من حملته، فلما بلغه موقعه المتخاذل منها، واستعداده لمواجهة بدلاً عن دعمها وتوفير كل أشكال التعاون معها، رد على الإمام المتوكل شرف الدين بما يؤكد دعمه له.

ولما وقع الصراع بين الحملة المملوكية وبين الدولة الطاهرية سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وتحققت الهزيمة الكبيرة للطاهريين في السنة التالية، ومقتل السلطان الطاهري في هذا الصراع، وسيطرة الماليك على كثير من المناطق اليمنية بما فيها صنعاء، كان موقف الإمام المتوكل شرف الدين سلبياً من الطرفين، وذلك في انتظار ما سيسفر عنه الصراع الدائر، ولكنه أحس بأن الماليك عازمون على مواصلة التوسع في اليمن، وهو ما دعاه إلى رفض هذا التوجه والقيام بأولى خطوات الصدام معهم بدخوله حصن ثلا في السنة ذاتها (٩٢٣هـ/١٥١٧م)؛ فضرب عليه الماليك حصاراً لم يرفعه إلا عندما بلغهم خبر مقتل سلطانهم قانصوه الغوري ثم سقوط دولتهم على أيدي الجيوش العثمانية<sup>(١٤)</sup>.

## الخلفية الفكرية والسياسية للصراع في اليمن عصريته :

من المعروف أن الزيدية هي أحد فرقتي الشيعة الرئيسيتين<sup>(١١)</sup>، والحضور التاريخي الحقيقي للزيدية في اليمن - من الناحية الفكرية والفقهية - قديم، تعود بداياته الأولى إلى أواخر القرن الثالث الهجري ، ومن أهم أركان الفكر الشيعي الزيدي القول بالإمامة، فقد تضمنت رسائل المؤسسين والمنظرين للفكر السياسي والعقائدي الزيدي الأوائل إشارات صريحة بأن الإمامة أصل من أصول الدين التي لا يصح إسلام المرء بدونها، ومفهوم الإمامة في الفكر السياسي الزيدي يمكن إجماله في حصر أحقية الفاطميين من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب في الحكم دون غيرهم من أبناء الأمة الإسلامية، وقد زال إحساس العلويين بكونهم ضيوفاً على اليمن منذ السنوات الأولى لوصولهم إليها، إذ اتخذوا من أتباع الفكر الزيدي وخصمته ركيزة للتوسع السياسي على حساب القوى اليمنية الأخرى، واستمر هذا الفكر وقوداً لمعظم أوجه الصراع الدموي بين اليمنيين من أتباع الفرقة الزيدية وغيرهم طوال فترات تاريخ اليمن حتى مطلع التاريخ المعاصر .

كان العامل الفكري هذا مُدْكِياً إضافياً لمسببات الصراع الأخرى - الجغرافية والقبليّة والاقتصادية - التي كانت تدفع اليمنيين للاشتباك مع بعضهم منذ مراحل ما قبل اعتناقهم جيمعاً للدين الإسلامي، ومن ضمن الدوافع الفكرية العقائدية أيضاً التي أسهمت - دائماً - في إشكالات الصراع بين اليمنيين اتهام الأئمة الزيدية وعلماؤها لبقية اليمنيين بأنهم يقولون بعقيدة الجبر، وبالتالي وجب جهادهم وقتالهم، أو دفعهم - على الأقل - عن المساحات الجغرافية التي يقطنها أتباع الفرقة الزيدية، وقد اتضح ذلك بجملاء في مراسلاتهم الثنائية الأدبية، الشعرية والنثرية، منها تلك القصيدة التي نظمها - في المدة ذاتها - الإمام الزيدي المنصور بالله محمد بن علي الوُثَلِي السراجي (ت ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)<sup>(١٢)</sup> يهدد فيها السلطان الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) في غمرة صراعهما على صنعاء، فقال الإمام الوُثَلِي:

عَدِمْنَا حَيَلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا      وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَيْدِينَا نَعَامُ  
وَتَجَزِيكُمْ بِفِعْلِكُمْ قَدِيحاً      جَزَاءُ لَا حَفَاءَ وَلَا انكِتَامُ  
سَيُهْزَمُ جَمْعُكُمْ يَوْمَ التَّلَاقِي      وَلَا يُغْنِي عَنِ الْقَتْلِ انْهَازُ

وَلَكِنَّا سَنَقْتُلُ مَنْ أَرَدَتْ      وَتَأْسِرُ مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضَامُ  
وَتُشْرِقُ أَرْضُنَا بِالْعَدْلِ<sup>(١٧)</sup>      وَتُنْفِي الظُّلُمَ إِذَا حَصَلَ الْمَرَامُ  
وَنَحْمَدُ رِثْنَا وَنَقُولُ بُعْدًا      لِأَهْلِ الظُّلُمِ إِذَا حَصَلَ الْمَرَامُ  
كَفَا بَعْدَتْ ثَمُودُ وَقَوْمُ عَادٍ      وَأَهْلُ الْأَيْكَةِ الْقَوْمَ اللَّئَامُ<sup>(١٨)</sup>

ومنه كذلك تحريضه واستنفاره لإمامين زيديين معاصرين له كان أحدهما يحكم منطقة صعدة وما حولها - هو الإمام الهادي عز الدين بن الحسن (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م)، بينما تركز الآخر في صنعاء - وهو الإمام المؤيد بالله محمد بن الناصر بن محمد (ت ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) - لكي يقوما بصد السلطان الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب الظاهري، وجعل مدخله لاستشارة حقيقتهمما التركيز على (الجبرية) باعتبارها معتقد يقول به السلطان، من وجهة نظره، وهي في حد ذاتها لدى الزيدية مسوخ كافٍ لقتاله، وسبب مقنع لحربه، وخاصة إذا ما كان قد أصبح خطراً محدقاً بالمذهب الزيدي نفسه ومهدداً إياه بالإزالة، ولذلك قبل الإمام المنصور الوشلي في تحريضهما :

وَصَغْفُ الْمَدِينَةِ فِي بِلَاءٍ      أَجَابَهُ بِسُرْبِهِ الْقَوْمُ الطُّغَامُ  
ذُو الْجَبْرِ الَّذِينَ لَهُمْ قِتَالُ      بِلَازِمُهُ الشَّاعَةِ وَالْمَلَامُ  
إِلَى الْهَارِيِّ أَحَاقُوا كُلَّ فِعْلٍ      فَبَيَّحَ لَا حَيَاءَ وَلَا احْتِشَامُ<sup>(١٩)</sup>  
وَأَنْ زَعَيْنَهُمْ رَجُلٌ عَشُومٌ      عَلَى صَنْعَاءَ يَبْتُهُ الْمَقَامُ<sup>(٢٠)</sup>

وقال أيضاً في السياق نفسه :

فَبِ مَلِكِي صَنْعَا وَصَغْدَةَ أَتْنَا      لِفُلْكِ نَحَاءَ فِي يَمَارِ تَفَرَّقُ  
وَبِ مَلِكِي آلِ الرُّسُولِ تَذَارِكَا      هَدَى كَادَ فِي بَحْرِ الصَّلَاةِ يَتَفَرَّقُ  
هُوَ الْمَذْهَبُ الزُّيْدِيُّ مَذْهَبُ جَدُّكُمْ      بِطَلْعَتِهِ نُورُ الْهِدَايَةِ يَبْتَرِّقُ  
حَمُّوا عَلَيْهِ بِالصُّوَارِمِ وَالْقِصَا      وَأَرَوْوا ضَمَاحَا مِنْ دَمِ الْقَوْمِ يَشْرِقُ<sup>(٢١)</sup>

وفيما يتعلق بالمدة التي نتناولها في هذا البحث أضيف عاملان آخران إلى قائمة العوامل السابقة، زادا من حدة الصراع بين الدولة الطاهرية والأئمة الزيدية، أما العامل الأول فهو رغبة السلاطين الطاهريين في الأخذ بالتأثر من الأئمة الزيدية الذين قامت قواتهم بقتل السلطان الطاهري المؤسس الظاهر الأول عامر بن طاهر سنة (٨٧٠هـ/١٤٦٦م)، وأما العامل الثاني فهو اجترار الطرفين للماضي المتمثل في استحضار عقدة الصراع الجاهلي بين الأمويين الهاشميين في مكة إضافة إلى ما وقع ضمن أحداث الفتنة الكبرى وفي مدة حكم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، إذ أن السلاطين الطاهريين كلهم ينتسبون إلى بني أمية في حين أن الأئمة الزيدية جميعاً من بني هاشم .

ويقتضي الإنصاف أن نذكر أن اليمنيين من غير أتباع الفرقة الزيدية - من جانبهم - قد بادلوا الزيديين نظرة عدم الرضا بملثلها، فقد نظروا إلى الريدية على أنها إحدى الفرق الضالة، أو على الأقل المبتدعة<sup>(١٧)</sup>، وذلك لعدد من الاعتبارات الفكرية العقائدية والاحتلالات الفقهية المذهبية، إذ أن بعض كبار علماء الزيدية وأنتمتها قد خاضوا في مسألة الصحبة والصحابة وقدموا في بعض أعالهم، إضافة إلى تبني الزيدية للعقيدة الاعتزالية بينما كان بقية اليمنيين متبنيين إما للعقيدة السلفية الحنبلية أو الأشعرية، وكلاهما حصصان تاريخيان للمعتزلة؛ فانعكس ذلك على موقفهم السياسي من الإمامة الزيدية نفسها، وكان موقفهم متسماً بدعوة الرفض وعدم القبول، وقد غدّت هذه القناعة أفراد الجيوش التي قادها السلاطين - والطاهريين منهم - في صراعهم مع القوة الزيدية، ومن المعروف بداهة أن أشرس المعارك هي تلك التي تدور بين طرفين كلاهما يزعم أنه يقاتل باسم الله تعالى وجهاداً في سبيله .

السفارة الأولى : أرسلها الإمام شرف الدين إلى السلطان الظاهر الثاني عامر الطاهري :

هناك أهمية كبيرة لمعرفة المناسبة التي تم بعث هذه السفارة في أجوائها، وقد سبقَت الإشارة إلى أن الزيدية قد واجهت ظروفًا قاسية لم تمر بملثلها طوال تاريخ وجودها في اليمن، إذ تمكن السلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب من كسر شوكتها، وقهر قواتها، وتشتيت جموعها، فزرع الإحباط في نفوس قادتها وأتباعها، وذلك لأنه حقق ضدها انتصارات كبيرة جداً، تمكن على إثرها من استزاع أعر حصونها وأمنق قلاعها، ومد نفوذه إلى معظم الرقعة الجغرافية التي مثلت عمقاً لدولة الأئمة الزيدية، وفرق كثيراً من رجالها ما بين قتيل أو أسير أو هائم على

وجهه في البلاد ، ولما فشل الإمام المتوكل شرف الدين في استعادة - ولو بعض - ما فقدته الدولة الزيدية ، قام بتحرير هذه الوثيقة وعيها إلى لسلطان الطاهري المذكور وذلك في سنة (٩١٤هـ / ١٥٠٨م) .

### تعليق على وثيقة السفارة الأولى :

تعد وثيقة هذه السفارة - مقارنة مع غيرها من الوثائق السياسية التي تضمنتها المصادر التاريخية اليمنية - هي الوثيقة السياسية الأطول ، والأكثر تفصيلاً في موضوعها ، ويمكننا أن نجعل أهم ملامح هذه الوثيقة في النقاط الآتية:

(١) تعد هذه الوثيقة واحدة من وثائق الفكر السياسي الزيدي المهمة؛ ذلك لأنها تضمنت تمسكاً بفكر الإمامة الذي أرسى دعائمه قديماً منظري الزيدية ومؤسسو دولتها في اليمن، وفي الوقت نفسه ألمحت بشكل واضح إلى قبول الزيدية - بمثدين بإمامهم يحيى شرف الدين - التفاوض حول حلول وسطى يمكن القبول بها في غمرة حالة الضعف التي أصابت الزيدية تحت وطأة السطوة الطاهرية، وهي نعمة لم تؤثر عن غره من الأئمة الزيديين السابقين .

(٢) في ثنايا المحتوى الفكري لهذه الوثيقة ثمة موضوع مناسب لدراسته من قِبَل المتخصصين في الفكر السياسي والسياسة الشرعية، لعلهم يجدون فيها دليل تجديد تقدمي اضطرابي في فكر الإمامة عند الزيدية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، خاصة أنها صادرة عن واحد من أشهر أئمة الزيدية باليمن على الإطلاق.

(٣) استخدم الإمام شرف الدين في كتابة هذه الوثيقة أسلوباً هو أقرب لطريقة الوعظ الديني والترويج الفكري منه للخطاب السياسي، لذلك ضمنها عدداً كبيراً من الآيات القرآنية الداعمة لوجهته الفكرية وقناعاته السياسية، بلغ عددها ستة وعشرين آية قرآنية، معللاً ذلك بقوله : " ... بل ندعوكم إلى تأمل آيات القرآن المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ ولهذا استكثرتنا في رسالتك من آيات القرآن للقطع بحفظه من الخلل والزيادة والنقصان، ولم نستكثر من إيراد أحاديث الرسول صلى الله عليه وعلى أولاد فاطمة البتول وسلم؛ لقلة المتأثر منه والمتلقى بالقبول، واحتياج الأحاديث منه إلى معرفة الرجال العدول، والمعروف منهم والمجهول، الذي لا يخطئ فيه إلا العلماء الفحول ... " (١٣) .

(٤) قام محرر الرسالة بتكرار التذكير بشواهد التقارب بين المذهب الزيدي والمذاهب السنية الأخرى الشافعية والحنفية والمالكية، ناصحاً السلطان الطاهري الظافر الثاني بمراجعة أقوال العلماء المتقدمين من علماء المذاهب المشار إليها، والدالة على التزامهم الولاء والمودة لآل البيت النبوي، يتضح ذلك في مثل الفقرة التي يقول فيها: " وإذا كنت من أهل التقليد، لمن لم يعرف حكم الشرائع المفيد، فإن عليك فرضاً واجباً، وحتماً لازماً، وهو التزام من تركن على فضله ووعده، وعدم طمعه في الدنيا وعلفه، أن يتلو عليك نصوص العلماء المتقدمين من الشافعية والحنفية والمالكية، إذ لم يكونوا ليميلوا عن علماء أهل البيت الطاهرين ... " (١٧٤) إلى أن قال: "... فلا تظن أن بين المذهب الزيدي وبين مذاهب الفقهاء الأقدمين عداوة، وكل منهم يصوب الآخر في اجتهاده، ولا يخطئه في مذهبه واعتقاده، وإنما فرق بينهم علماء السوء المتأخرون ... " (١٧٥) .

(٥) تضمنت هذه الوثيقة معلومات تاريخية لم تُشر إليها أي من المصادر التاريخية البهنية المعروفة والمتداولة إطلاقاً، وهي الإشارة إلى أن بعض من أقرب الإمام يحيى شرف الدين قد انضم إلى البلاط الطاهري، منادياً قومه وأهل مذهبه، ومتمحداً معهم موقف الضد السياسي، ولعله كان يلعب دور الدليل والمستشار للسلطان الطاهري الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب في حربه ضد الزيدية وأئمتها، وأشارت الوثيقة إلى أنه كان متولياً بعض المهام لدى الإمام شرف الدين ثم حدث ما جعله ينقم عليه فاتخذ جانب الطاهريين وأخذ في تحريضهم ضده، تقول الوثيقة: "... وكأني بمن عندك من أهل مذهبنا - بل من بعض قرابتنا - يقول: لقد فعلت هذا الوجه بمن هو عنده، وذلك قول غير صحيح، صادر من غير نصيح، فإنه يعلم - وأنت تعلم - أنك غير فاعل لذلك، لأحد من أهل الممالك، ولعلك تعلم - ونحن نعلم - مما تقمنا على المشار إليه، عدم صلاحه لما عوّل فيه عليه ... " (١٧٦) .

(٦) تصوّر محرر الوثيقة ما يمكن أن تكون حُججاً للسلطان الطاهري في هجومه الكاسح على الزيدية، فكان يفترضها ثم يقوم بالرد عليها، وهي من أساليب المعتزلة الفلاسفة، والمتضلعين بعلم المنطق وطرائق الجدال، لذلك نجد تكرراً لعبارة أمثال قوله: فإن قلت ... فلماذا لم ...

(٧) من ملامح البناء اللغوي في هذه الوثيقة حفاظ محررها على ما كان متعارفاً عليه من الإكثار من المحسنات البديعية كالسجع وغيره، واستخدامه التناص واستعارة الألفاظ المشهورة المتداولة، كان أكثر استعارته من ألفاظ الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية .

(٨) عندما أراد محرر الرسالة الاستشهاد بموقف الإمام أبي حنيفة النعمان المؤيد - أو على الأقل المتعاطف - مع ثورة العلويين الزيديين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة (١٤٥هـ/762م)، وقع في خلط بين الزعيمين العلويين الشقيقين: إبراهيم بن عبدالله الثائر في البصرة بالعراق<sup>(١٢٧)</sup> وبين أخيه يحيى بن عبدالله الذي أعلن ثورته بعد وفاة الإمام أبي حنيفة النعمان<sup>(١٢٨)</sup>، وهو خطأ تاريخي واضح، إذ يقول: "... وقد كان من تلامذة زيد بن علي عليه السلام أبو حنيفة، ونال بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله ما هو معروف في السير، وكذلك نال الشافعي رحمه الله بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله إلى حد الضرب بالسياط، ..."<sup>(١٢٩)</sup>، ولعله غاب عن محرر الرسالة أن البعد الزمني بين وفاة الإمامين الشافعي وأبي حنيفة النعمان قريباً من مائة سنة، فكيف يقفان سوياً موقف الموالاته من العلوي الثائر يحيى بن عبدالله؟!

(٩) لم تتضمن هذه الوثيقة أية إشارة إلى كون كاتبها هو أحد رجال حاشية الإمام المتوكل يحيى شرف الدين أم هو نفسه، وهو ما أرجحه، فهو معروف بعلمه الواسع ومعرفته الثامة باللغة العربية وآدابها، ويكفي لمعرفة مدى سعة علمه الالتفات إلى أنه يبيع بالإمامة الزيدية التي تشترط بلوغ درجة الاجتهاد في متصدي إمامتها، كما لم تتضمن هذه الوثيقة - من جهة أخرى - اسم السفير الذي قام بإبصالها إلى السلطان الظاهري الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب .

السفارة الثانية: أرسلها الإمام المتوكل شرف الدين إلى الأمير حسين الكردي؛

كانت الأساطيل البرتغالية في مطلع القرن الهجري العاشر/ السادس عشر الميلادي قد رفعت من وتيرة نشاطها العدواني على السفن التجارية العربية في المحيط الهندي وامتداداته حتى توقفت الحركة التجارية فيه بشكل كامل - أو كادت- ولم تكن اليمن ومصر والقوى السياسية والعسكرية الفاعلة فيهما بمنأى عن الأحداث الدائرة في المحيط الهندي لما له من أهمية قصوى بالنسبة إليهما<sup>(١٣٠)</sup>، وكان لموقع اليمن الجغرافي المتوسط بين المجالين الحيويين للصاليك من جهة والبرتغاليين من جهة أخرى دوره في إجبار اليمنيين على التأثير والتأثر بمحمل ما يدور في المنطقة حتى لو افترضنا - جداً - وجود الرغبة لديهم في السكون وعدم الولوج في حلبة الصراع، إذ أنه من المستحيل أن يقوم الماليك بأي نشاط عسكري مصاد للبرتغاليين في المحيط الهندي والبحر الأحمر دون الدعم المادي والمعنوي للسلطات القائمة في اليمن، كما أن الاستحالة قائمة في وجه البرتغاليين إذا ما عزموا على سد البوابة الجنوبية للبحر الأحمر في وجه التجار المصريين والشاميين

وبعض الأفارقة، وكذلك الوصول إلى تحقيق الشق الصليبي من أهداف حملاتهم ببلوغ الأراضي المقدسة بالحجاز، الاستحالة قائمة في وجههم إذا لم يؤكدوا سيطرتهم على الموانئ اليمنية المهمة وجزرها الكبيرة سواءً في البحرين العربي أو الأحمر، أي : إن اليمن كانت نقطة الارتكاز الجغرافية في أحداث هذه المرحلة من تاريخ المنطقة .

ومن الواضح بجملة أنه لم يكن هناك ثمة مطامع مملوكية في اليمن، سواءً قبل هذه المرحلة المصرية من تاريخ المنطقة أو قبلها، وكان هذا الأمر - من خلال اضطراد المسيرة التاريخية للعلاقات الودية القائمة بين القوى والدول الحاكمة في المنطقتين - راسخاً لدى الجميع، فلم تشهد مؤشرات لانعدام الثقة أو حلول الشك على هذه العلاقات، وهو ما انعكس الهدايا المتبادلة بين العروش الحاكمة، وما استغاثه الطاهريين بالسلطان قانصوة الغوري ضد القرصنة البرتغالية ثم الموقف المُشترَك لحاكم عدن - مرجان الظافري - من الحملة المملوكية الأولى التي قادها الأمير حسين الكردي إلى الهند سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م)<sup>(٣٣١)</sup> إلا أدلة إضافية على صفاء العلاقات الثنائية بين الطرفين الطاهري والمملوكي عصرئذ .

يَبْدُ أن سوء الفهم الذي صاحب مسير الحملة للمملوكية الثانية سنة (٩٢١هـ / ١٥١٥م) يُعدُّ استثناءً في علاقة اليمن بمصر سياسياً، فقد وصلت الحملة المكونة من حوالي عشرين سفينة - محملة بما يقرب من ستة آلاف جندي معهم كثير من مؤنهم الحربية والحياتية اللازمة - إلى جزيرة كَمُرَان، " وكان هدفها النهائي هو الهند وتأمين التحصينات العسكرية في البحر الأحمر وطرق الهند ضد الأسطول البرتغالي، وخوفاً من معاودة البرتغاليين الهجوم على البحر الأحمر وجدة على شاكلة ما فعلوا عام (٩١٩هـ / ١٥١٣م) " (٣٣٢) .

ما أن سمع الإمام الزيدي المتوكل يحيى شرف الدين بنزول الحملة في جزيرة كمران حتى حاول استمالة أميرها - حسين الكردي - وإقحامه في الصراع الدائر بينه وبين السلطان الظافر الثاني عامر الطاهري، فأرسل إليه السفارة التي تناولها هنا<sup>(٣٣٣)</sup>، وقد أرحأ الأمير الكردي الرد عليه لأنه لم يضع في حساباته أن يُخْرِجَ الحملة عما جُرِّدَتْ من أجله، ولعله لم يزل الرد عليه إلا تحسباً للظنون التي تمكن الإمام شرف الدين من إثارتها عنده بخصوص السلطان الطاهري<sup>(٣٣٤)</sup> .

بعث الأمير حسين الكردي رسالته الثانية إلى السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب - مشغوعاً بهدايا جلييلة من السلطان الغوري - يستعجله في إرسال ما يحتاجه جد الحملة من الزاد



وغيره، فاستشار السلطان بطانته فاختلّفوا ما بين مؤيد ومعارض، وكانت حجة المعارضين أن دعوى خروج الحملة إلى الهند وجهاد البرتغاليين ما هي إلا ستارٌ لبسط النفوذ على اليمن<sup>(٣٦)</sup>، وأن هذه المساعدة إذا ما بُذلت فإنها ستصبح حقاً مكتسباً يصعب رفض بذلها لاحقاً، وقد مال السلطان الظاهر الثاني إلى هذا الرأي، فأغلظ الرد لمبعوثي الأمير الكردي، وأرسل إلى ابنه عبدالوهاب - حاكم زيد - بمنع السفن من التوجه في البحر الأحمر نحو الشمال<sup>(٣٧)</sup>، قاصداً بذلك حرمان الحملة من مصادر غذائها، فصدقت الظنون التي كان الإمام شرف الدين قد أثارها لدى الأمير حسين الكردي، فرد عليه رداً يعرب له عن تضامنه معه .

في مثل هذا الوضع أصبح استمرار الحملة المملوكية في مواصلة طريقها بالغ الصعوبة، خاصةً أن المسافة المتبقية بينها وبين وجهتها النهائية مازالت بعيدة جداً، وأنها إذا كانت غير قادرة على الحصول على ما يكفيها من المؤن وهي مازالت في النطاق الحيوي لها فإنها ستكون أعجز في مواجهة قوة عظمى بحجم البرتغاليين وإمكاناتهم، ولعل الأمير حسين الكردي رأى في موقف الطاهريين هذا ممالأةً للبرتغاليين ووقوفاً إلى صفهم، فوجد نفسه مضطراً إلى معاقبتهم، ولما كنا على علم بمدى قوة شخصية السلطان قانصوه الغوري فإننا نذكر أن تغيير مسار الحملة - كما سنراه - كان عن مشورة منه، وليس محض اجتهاد شخصي من قائد الحملة .

تحوّلت الحملة بقوامها كاملاً إلى السواحل اليمنية، وتقاطرت القوى المعارضة للحكم الطاهري، من القبائل وغيرهم، إلى الأمير حسين الكردي باذلين له المساعدة والعون، مقدمين أنفسهم جنوداً في حملته، فصعّب ذلك الأمر على الطاهريين<sup>(٣٨)</sup>، الذين انهزموا أمام الماليك في أول اختبار لهم معهم، ف وقعت زيد تحت السيطرة المملوكية سنة (٩٢٢هـ / ١٥١٦م)، وسقط الأمير عبدالوهاب بن السلطان الظاهر الثاني جريحاً ليموت بعدها بأيام في تعز، وكان لبنادق الماليك الحديثة التي لم يعهدها اليمنيون دور الفصل في هذه المعارك<sup>(٣٩)</sup>، وتتابعت هزائم الطاهريين أما الماليك، بما فيهم السلطان الظاهر الثاني نفسه الذي خسر أول معركة يقودها أمامهم سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) في منطقة الثرثينة<sup>(٤٠)</sup>، فانسحب إلى مدينة تعز، ثم غادرها إلى إب أمام زحفهم، فأقاموا الخطبة للسلطان الغوري على منابرهما<sup>(٤١)</sup> .

واصلت القوات المملوكية تقدمها حتى دخلت المقرنة - مركز الحكم الطاهري، وتقهقر السلطان الظاهر عامر الثاني حتى وقعت بين الطرفين المعركة الفاصلة عند أسوار صنعاء، في ربيع الآخر من

سنة ٩٢٢ هـ الموافق مايو ١٥١٧ م، وانجبت المعركة عن مقتل السلطان الطاهري وأخيه عبدالملك<sup>(١١)</sup>، وذلك استحكمت قبضة المماليك على أهم المناطق في اليمن، في تهامة والجبال، ولم تستعص عليهم من المناطق التي قصدها سوى عدن .

### تعليق على وثيقة السفارة الثانية :

اختلفت وثيقة هذه السفارة عن وثيقة السفارة الأولى من نواح عدة، منها أن هذه الوثيقة تضمنت التصريح باسم السفير الذي تصدر للسفارة وحمل الرسالة بيده من الرُّسُل إلى الرُّسُل إليه، فهو الفقيه العالم العامل صلاح الدين بقية المجاهدين- كما وصفته الوثيقة - صلاح بن سراج الله، وما يؤسف له أن مصادر تراجم علماء اليمن التي صفها مؤرخو الزيدية أو خصومهم لم تتضمن ترجمة لهذا الفقيه، ومن جانب آخر اختلفت هذه الوثيقة عن سابقتها بأنها صرحت بأن ما تم تدوينه في حق الرسالة ليس كل ما أراد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين تحريره فيها، وأن السفير مفوض في تبين ما لم يتسع مقام كتابة الرسالة له، فقد قال الإمام شرف الدين في آخر عباراتها : " ... والفقيه الصالح صلاح يحق لكم ما لا يتسع له الكتاب، ولا يقوم به إلا المشافهة والمخاطب، وصلاة الله على سيدنا محمد وآله وسلم<sup>(١٢)</sup> بينما نجد وثيقة السفارة الأولى لا تصرح بفتح الباب أمام السفير لإضافة شيء إلى ما تم التطرق إليه من الحجج فيها، وآخر وجو الاختلاف بين السفارتين أن الأولى كانت بين قوتين يمنيتين في حين أن أحد طرفي الثانية كانت قوة إقليمية غير يمنية .

من ناحية أخرى نجد عدداً من أوجه التشابه في البناء اللغوي لوثيقتي السفارتين ومحتواهما الدلالي، فمُحرَّر كلا الوثيقتين قد حافظ على قدر كبير من زخرفة ألفاظهما بالسجع وأخواته من المحسنات البديعية الأخرى، وذلك ما يدعوننا إلى ترجيح أن كاتب الوثيقتين هو الشخص نفسه، وربما يكون الإمام المتوكل يحيى شرف الدين شخصياً، كما أن وثيقة السفارة الثانية أكدت على المعلومات التاريخية التي تضمنتها وثيقة السفارة الأولى عن وجود أحد أقارب الإمام شرف الدين من الزيدية العلويين بين صفوف الطاهريين، بعضهم وينصرهم على أهل مذهبه، وهي المعلومة التي لم تتضمنها المصادر التاريخية اليمنية، تقول الوثيقة الثانية : " ... وأعانه على ذلك رجل منا أهل البيت، ادعى ما ليس له بحق، فأنكر عليه الإمام الوشلي، فلم يزل صاحب بعض هذا الطغية، وينصر فرقته الباغية، حتى تمكن من الإمام الوشلي محمد بن علي . " <sup>(١٣)</sup>.

هناك مجموعة من النقاط المهمة الجديرة بالإبراز في ثنايا ملامح وثيقة السفارة الثانية، يمكن التطرق إلى أهمها في النقاط الآتية:

(١) مع أن الخلفية الفكرية العقائدية والمذهبية التي يدين بها حكام الدولة الطاهرية بمن فيهم السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب هي نفسها الخلفية العقائدية والمذهبية التي يدين بها المالِك الحراكسة بمن فيهم الأمير حسين الكردي ، التي سبقت الإشارة إلى أنهما من دوافع الصراع بين الزيدية وغيرهم من أبناء اليمن ، إلا أن الإمام المتوكل يحيى شرف الدين لم يجد بأساً في الاستعانة بالأخير ضد الأول ، وهو ما يعزز القناعة بأن القوى اليمنية وظفت الخلاقات الفكرية والمذهبية في صراعها مع بعضها كونها حافزاً كبيراً لأفراد جيوشها للإتخاط في صراع تلك القوى على المصالح السياسية والاقتصادية بحماسة كبيرة ، فقد كان الطاهريون - حكاماً ومحكومين - شافعبي المذهب أشعري العقيدة ، وذلك بالضبط ما ينطبق على الأمير حسين الكردي ورؤسائه ومرؤوسيه .

(٢) ألمحت هذه الوثيقة بشكل شبه صريح إلى النسب الأموي للطاهريين وسلطانهم الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب ، وهو ما غاب تماماً في ثنايا وثيقة السفارة الأولى ، تقول الوثيقة في معرض مدحها للأمير حسين الكردي : " .. أمير الأمراء الإسلامية ، مفرج كرب العترة الطاهرة الزكية ، الناقم بثأر الحسين من الفرقة القوية ، الظالمة العامرية ، المتحلي من أجل ذلك بكل زين ، المتخلي عن كل شين ، الوافي بحق سيد الشهداء الحسين ، الأمير الجليل النبيل حسين ، حياه الله من السلام بأسنائه ، ومن الإكرام بأزكاه وأعنده ... " (١٤) ، وفي ذلك قرينة واضحة تدل على أن إرث الماضي السحيق من الفتنة الكبرى والصراع بين معاوية بن أبي سفيان والإمام علي بن أبي طالب وما تلاه إبان الحكم الأموي كان ماثلاً بين عيني الإمام يحيى شرف الدين ومستحضراً إياه في صراعه مع الطاهريين .

(٣) ربما يتبادر إلى الذهن أن الإمام المتوكل يحيى شرف الدين لم يتطرق إلى التسليم إلى ما جرى للحسين بن علي على أيدي الأمويين إلا ليستجيش عاطفة الأمير حسين الكردي كونه يحمل الاسم نفسه ولِيحمله على التعاطف مع الزيدية المنتسبين إلى حفيد الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما .

(٤) استطاع الإمام المتوكل يحيى شرف الدين في رسالته أن يوجز بعبارة غير مخلة ما أوقعه السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب في رجال الزيدية وقادتها ، وذلك من مهارته اللفظية ومعرفته القوية بها ، إذ يقول في ذلك : " ... بأننا لم نزل إلى الله مبتهلين ، ولما لديه من الفرج منتظرين ، وبالتجرد لما بدت من عدو الله الجائر عامر ، والقيام بالدعاء إلى دفاعه وجهاده امتثالاً لأوامر الله ملك القادر ، ولكن منع من ذلك عدم المعين والناصر ، وحذلان من أهل الزمان المشؤم القصر ، وميل من الناس إلى الأطماع الحقيرة ، وانخداع بزخارف الأباطيل الفاضحة المبيرة ، حتى

تمكن منهم هذا الظالم الغشوم، وأوقعهم من الحزني والوبال والهوان في أقصى التخوم، وشمل شره البرئ والغري، والضعيف والقوي، والشجي والخلي، وتبع بمعظم جيشه ومكره أهل بيت النبي، ولم يبق في سلطانه لأهل البيت باقية، ولا أجيب لهم بإجابة نافعة واعية، حتى يدمهم الظالم في البلاد، وفرق بين الآباء منهم والأولاد، ومات الأكثر منهم في تخوم اليمن مطرودين متبدين، يتمنى الولد أن يحضر موت أبيه، والوالد أن يشاهد أحوال بنيهِ، وفعله في آل المصطفى ما حرم الله في ملك البحرين، بل في سبي الكفار الخارجين عن الدين... ولقد هَمُّ - أخزاه الله - بقصد الحرمين، وإخراج من فيه من ولد الحسين... " (٤٤) .

(٥) أراد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين أن يستحث دواعي الفخر لدى الماليك القادمين من مصر لعله ينجح في تحويلها إلى رد إيجابي على استنجاهه بهم، وذلك من خلال التذكير بسلطان مصر قانصوه الغوري، وما لمصر من ذكر معروف في سيرة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول: "... فرجعنا ... إلى الله سبحانه وتعالى، وسألناه تعجيل الفرج، وإطفاء وهج المهج، على يد من هو أهل للحامد المبرورة، والمقاصد المشهورة، في حياة الدين والرعاية لحق رسول رب العالمين، وما ذاك إلا لسريرة صالحة، وتجارة رابحة، من السلطان الأكرم، والمستطيل الأعظم، قانصوه أظال الله بقاء وتوفيقه، وأوضح إلى كل مقصود مبرور طريقه، ولقد رعا لسر الله العظيم في أهل البيت والنسب الكريم، الذي جعله الله في مصر لحليلة إبراهيم، وخاتم أنبيائه محمد عديهما وعلى آلهما أفضل الصلاة والتسليم، ونرجو أن الله تعالى قد وفقكم، أيها الغزاة الأعلام، لمشابهة من قال فيهم الملك العلام : " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في الله ولا يحافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم... " (٤٥) .

(٦) جعل محرر هذه الوثيقة الشاهد من هذه السفارة وبيت القصيد في هذه الوثيقة الاستنجادية صريحاً واضحاً، إذ هو طَلَبُ المدد من الرجال والعدة لكي يستخلص الزيدية أرضهم من أيدي الدولة الظاهرية، ولم يترك المحرر الاحتمال قائماً في ألا يتضح المطلب الرئيس من السفارة والسفير، تقول الوثيقة : "... وهذا كتابنا يحتوي على التهنة السنية، بما فتح الله به من الفتوحات الهية، والحث لكم على استدراك هذه البقية، من عثرة نبهكم الظاهرة الزكية، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغى وأعوانه وأنصاره، وقد بقيت لنا بلاد مجاورة لبلادنا، ونحن نفتقر إلى الإعانة منكم، بما أمكن من الرجال والعدة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والله خير الناصرين... " (٤٦) .

## الملاحق

- الملحق الأول : النص الكامل لوثيقة السفارة الأولى التي بعثها الإمام المتوكل يحيى شرب الدين إلى السلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) (سورة الحشر)، أما بعد : حمداً لله حق حمده، وشهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خائف وواعيد، راج لوعده، والصلاة والسلام على سيدنا رسولنا وعبيده، وعلى الناجين بنحوه، والقاصدين بقصده، فهذا كتاب بمن هو لجميع أمة محمد كالوالد الشفيق، باعتبار النصيحة التي هي الدين، بنص سيد المرسلين، للخاص والعام والقريب والسعيد، كيف يحى بقبوله للنصيحة صلاح عامة المسلمين، وسداد كافة المؤمنين، ودفع البلية عن أهل بيت الأمين، وسكون واعتيمهم المحاصلة بما نالهم من التمحيص والتمحيص، وحتى دمائهم ودما الناس أجمعين. ( وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ) (سورة الذاريات)، لا حرم من كان القصد الحس التصدير بهذا [ص: ٢٢] البلاغ الأنور إلى ملك اليمن، فأقول ولست مركب نفسي من العيوب ومقارفة الذنوب، ولكن أفعال بالخبر المشهور، والأثر المأثور، مرؤا بالمعروف وإن لم تعلموه كله، واجتنبوا المنكر وإن لم تحجبوه كله<sup>(١)</sup>، واعتصم بالله من أن أكون من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وأسأله أن يكون لي حيث قصدي.

أيها الملك الذي تزيت له دنياه، فظن أن رضى مولاه في فعله ما يطابق هواه، وغره قول جهال أوليائه : إن الله أكرمهم بالقهر لأعدائه، سلام عليك، والله وسيلتي إليك، في أن تتبع كلامي في كتابي هذا تتبع طالب للمرشاد، مفرغ قلبه من الأحقاد، منصف من نفسه، ذاكراً قرب حلول رسمه، وحيداً لا مؤنس له ولا وزز ولا مهرب ولا مفر إلا ما اكتسب من صدق اليقين، واستصحاب تقوى المتقين، ولا يصدتك أنفة المتكبر عن تأمل ما أتى به مذكروه، فنصيحة في تخشين، خير من خديعة في لين، إياك أن تتبع هواك فيضلك عن سبيل الله. ( إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ) (سورة ص)، فإن دعاءك من جلساتك عبيد هواهم إلى ما فيه بقاء التناذهم...<sup>(٢)</sup> ( قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ) (سورة الأنعام)، وتيقظ عن سبب الغفلة قبل أن تسترعى للرحلة بموقف قول نحن إليه صائرون: ( إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ) (سورة الأعراف). وتفكر تفكر الذي إذا

علموا هم يعملون، وفي معنى تهديد (ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَشْتَبِعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (سورة الحجر). (نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (سورة المؤمنون)، واطفأ تأجيج نار الكبر بقوله تعالى: (نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (سورة البقرة)، ولا يفرك قول المجلس والخليل: إن الذي أنت عليه جميل مقبل، (يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (سورة الفرقان)، وقال - وهو أصدق القائلين - (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (سورة الزخرف)، وهيهات أن يأتي أمتاً من يخطئ في ذنبه خبط العشوى، ويضرب بأسباب الهوى إلى غير سبيل التقوى، (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (سورة النازعات)، هذا وإننا لا نلتبس منكم اتباعنا، والانقياد لمجرد قولنا، بل ندعوكم إلى تأمل آيات القرآن المجيد، الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (سورة فصلت)؛ ولهذا استكثرتنا في رسالتنا من آيات القرآن للقطع بحفظه من الخلل والزبداء والقصان، ولم نستكثر من إبراد أحاديث الرسول صلى الله عليه وعلى أولاد فاطمة السؤل وسلم؛ لقلعة المتواتر منه والمتلقى بالقبول، واحتياج الأحادي منه إلى معرفة الرجال السؤل، والمعروف منهم والمجهول، لذي لا يخطئ فيه إلا العلماء الفحول، قال الله تعالى: (تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْثًا مِنَ دُوبِ اللَّهِ) (سورة آل عمران)، فاحتاج إلى معرفة حقيقة العبادة، ولا تُعرف حقائقها إلا بالنظر في أوامر الباري ونواهيه، ثم تتبع أحوالك وأحوال من تعاديه وتناويه، فما وافق الشرع اتبع، وما بعد عنه احتز من وامتنع، عملاً بما ندب إليه قول من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون: (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (سورة الأعراف).

وإذا كنت من أهل التقليد، لمن لم يعرف حكم الشرائع المفيد، فإن عليك فوضاً واجباً، وحتماً لازماً، وهو التزام من تركن على فصله ووعده، وعدم طمعه في الدنيا ولهعه، أن يتلو عليك نصوص العلماء المتقدمين من الشافعية والحنفية والمالكية، إذ لم يكونوا ليميلون عن علماء أهل البيت الطاهرين، ثم تنظر هل أنت في أفعالك وأقوالك أحق بالأمر أم مَنْ يتأهل لهذا الأمر من أهل البيت الجامع لشروط الزعامة، وأسباب الإمامة، التي هي كلها أمور دينية ومصالح كلية، وإن قلت: إنك لم تحارب من أهل البيت إلا من ظهر ظلمه وجار حكمه، فما سبيلك إلى من لم يظهر منه ذلك ولا سلك في مثل تلك المسالك، بل ما سلطانك على من دأبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتمتزه عن المعاصي في صغره والكبر، ولا يفعل فعلاً إلا وقد نظر في موافقته

للشرع الشريف، ومطابقته للدين الخنيف، ثم انظر في فعالك، هل أنت تحري فيها مطابقة ذلك؟ وانظر في أتباعك وأهل مذهبك في زمانك، هل معهم من الزهد والورع مثل أتباع حصومك حتى تأخذ لنفسك؟ فإن قلت: إني ما أحرمت العدل في أهل البيت إلا لقيامه مقام الجاهل، فهلا قمت مع العادل منهم على الجائر حتى يستقيم على الحق وينحط الباطل، ثم انظر إلى أعوانك الذين يتعلقون بالأمر... " على مثل مال الذي أجزيتهم عليه، من فعل المنكر والجور، والفعل بما لم يطابق الشرح المطهر، فبجري لك في هذا أن قصّد نفسك وقصّد من معك ليس إلا رفعة الدنيا لا غير، وكثير من علماء مذهبك يقول: إنك غير جاز على شريعة الرسول .

هذه نبذة من أمور ظاهرة، يفهمها العالم وغير العالم، ولا تسأل في علماء مذهبك إلا من ليس يأخذه في الله لومة لائم، ويخاف عقاب ما أشدّت إليه هذه الآيات التي قال الله فيها: ( وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُقْبِلَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَقَلًا قَلِيلًا فَيَتَّبِعُونَ مَا يَشْتَرُونَ، (سورة آل عمران)، ( لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَقْلُمُونَ ) (سورة آل عمران)، ( يَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَرْزَاكُمْ مِنَ النُّبِيِّاتِ وَالْهَدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّائِعُونَ ) (سورة البقرة) ولا تقبل منهم من غير نظر منك لنفسك، واقتكار فيما ألقوه إليك من الإخبار، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: استفتت نفسك وإن افتتاك المفتون<sup>١</sup> ، فإن محرر التقليد ليس طريقاً إلى السلامة، ولا سبيلاً إلى الأمان عند الندامة، في هذه الأمور القطعية، والعوائد الكلية، بل لا بد فيها من البيان حتى (ص: ٤٢) يسكن الخاطر والجنان، وإلى هذا المعنى أشار الملك الرحمن: ( اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَهَبَانَهُمْ أَرْثَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ) (سورة التوبة)، قال ابن عباس: ما عبدوهم، بل قالوا لاتبعوهم من غير برهان، وقال الله تعالى حاكياً عن المقلدين: ( إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَمَا كُنَّا مُتَّبَعِينَ أَنْتُمْ مُغْلَبُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ) (سورة غافر)، ( وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ ) (سورة الأحراب)، وذم المقلدين حيث قال: ( قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْلَهُونَ شَيْئًا وَلَا يُمْتَقِنُونَ ) (سورة المائدة)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من أخذ دينه عن أفواه الرجال ذهب به الرجال من بين إلى شمال، وكان في دين الله على أعظم روال<sup>٢</sup>...<sup>٣</sup> .

وليت شعري هل بقي عند علماء مذهبك شرع الإمام كما هو نص الشافعي وغيره من العلماء الأعلام، فإن كان ذلك عندهم باقياً فهل تعتقد في نفسك أنك إمام المسلمين؟ فإن قلت: لا، فما طريقك إلي فعل أفعال الأئمة؟ وما سلطانك على من توليت عليهم من هذه الأمة؟ وكيف حالك

عند خالفك؟ وإن قلت : نعم، قلت لهم: هلأ لها شروط معتبرة، وقواعد محررة، فلا بد أن يقولوا: نعم، فانظر هل قد أدركت شروطها وحقاتها؟ واستكملت أسبابها وطرانقها؟ فلا شك أن الإمام خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها هذا، وتعلم أنك في هذا الزمان قد جردت لعداوة أولاد نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وتفرقتهم، وتبديدهم في البلدان، وقد جرى عليهم منك هذا التمهيص، وما خرجوا من الشام إلى اليمن إلا من مثل هذا الهلاء والتغيص، وليس عليهم في هذا حرج عند الله وعند من يعرف ويعقل سنن الأنبياء والصالحين، وإغا الحرج والمصيبة في الدين والدنيا على من تصدى لمناواتهم، وتعنى بمعاداتهم، وانظر الذين فعلوا مثل فعلك عن قد تمكّن أكثر من تمكّنتك من الأموية والعباسية وغيرهم من الملوك، هل كان لهم بذلك في دينهم ودنياهم أثر صالح؟ أم قد أهلكوا أنفسهم، وبطل أمرهم واضمححل، إلا بكل سوء ذكرهم، ولم يعرف لأحد منهم باقية، وكل لسان عليهم بالذم ناعية، وأولاد علي عليه السلام لا يزال يتجدد أمرهم، ولا يبلى على وجه الأرض ذكرهم، وذلك مصداق قول حدهم صلى الله عليه وآله وسلم: إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبياني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ المحرض<sup>٤٠</sup>، قاله الله في نفسه، حذر أن يكون خصمك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفرقتك أولاد بنته في البلاد، وقصدت لهم بالهلاك والفساد، فإن قلت: إنك لم تقصد إلا من كان منهم ظالماً لنفسه، وغير عامل لحلول رمسه، فلا ننكر أن منهم من قد كان كذلك، ولو لم يكن منهم ذلك ما وقعوا في المهالك، لكن مالك لا تعين الصالح منهم على الطالح حتى يكون من أهل النظر في المصالح، بل صرت تجعل همك في نكاية أفضلهم وخيارهم، وتقصد بالسوء علما هم.

هذا ونحن ندعوك إلى أمور: إما إخلاصك إلى صاحب الإمامة، [ص: ٥٢] من أهل الرئاسة بالحق والزعامة، من أولاد بنت نبيك المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار، وعسلك على رأيه في الإيراد والإصدار، حتى تكون من جملة أتباعه وأعوانه وأنصاره، فتفوز بخير الدنيا والآخرة، وتظفر بالسعادة التامة، ولا أراك لهذا فاعلاً، والأمر الثاني: أن تعين صاحب هذا الأمر من أولاد بنت نبيك بشئ من المال والبلاد، تقرب بذلك إلى رب العباد، وتقتصر على ما قد صار في يدك من الممالك، ولا تضيق على أولاد بنت نبيك المسالك، وتجمع شملهم في أوطانهم، وتقرب إلى الله باجتماعهم في أعطانهم<sup>٤١</sup>، والذي تخافه في اجتماعهم لا يضرك مع علم الله بقا، مملكته، ولا ينفعك حذرك مع علم الله زوالها، (وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصْرَ فَلَا تَكْشِفْ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ



يَخْتِيرُ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ) (سورة يونس)، مع أن الموت قريب عاجل، والزوال من الدنيا - وإن مُلِكْتَ كلها - لا يشك فيه عاقل، فليست الدنيا تسوى هذا الاحتفال، ولا تقابل بهذا الالتفات إليها والإقبال، ولو كانت الدنيا عند الله تسوى جناح بعوضة ما سقى فيها كافر شرية ماء<sup>(١٦٦)</sup>، فلا تغتر بما ملكت فيها من الملك الزائل، والمال الطافل، فقد غلّكه كافرون في كثير من الأرض، ذات الطول والعرض، وكأنني بمن عندك من أهل مذهبنا- بل من بعض قرابتنا - يقول: لقد فعلت هذا الوجه بمن هو عنده، وذلك قول غير صحيح، صادر من غير نصيب، فإنه يعلم - وأنت تعلم - أنك غير فاعل لذلك، لأحد من أهل الممالك، ولعلك تعلم - ونحن نعلم - مما نعمنا على المشار إليه، عدم صلاحه لما عُوِّلَ فيه عليه، وهذا الوجه قد جعله الشيخ علي بن طاهر لحي والدنا الإمام المظهر بن محمد عليه السلام، فإنه أعانته على أخذ ذمار، واستصفى ما حولها من الأقطار، وكان عوناً له على أمره، حتى قيل أنه أخذ منه ولاية فيما يقدم فيه ويحجم، ويقطع ويحجم، فإن صح ذلك فهو إذاً من الموفقين، السعداء في الدنيا والدين، ولعل أسرار زيارته الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وروايته التي تُذكر قد أدركته حتى فاز بجزيل الثواب، ونجى من وبيل العذاب .

وإن لم يحصل منك لا هذا ولا هذا، فأمرُ ثالث، وهو المهادنة لمن بقي من الزيدية في هذه البلاد الحقيرة، والقرى البسيطة، فإنها لا تزيد في ملكك إن علم الله بقاء، ولا تمنع من هلاكك إن أراد الله انتفاء، وقد صرت في أمهات بلاد اليمن، والله أعلم ما يكون في حرب من بقي، هل لك أم عليك، ( كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ) (سورة يونس) .

وقد عجبنا من قصدك لنا بالعداوة من غير أن تعرفوا ما عندنا، ولا تتيقنوا قصدنا، وما تنقمون منا إلا أن قلنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآن ما قد جرى بيننا وبينكم ما يهرج الصدور، وقد طلبنا منكم أخذ هذه الأمور، والصلاح فيها لكم ولسائر الجمهور، هذا ولا بد أن يكون من عندكم من الناس في رسالتنا هذه على أنصاف:

- منهم من يقول: هذا رجل مغفل يطلب ما لا يتقدر، ويحاول ما لا يتصور .
- ومنهم من يقول: هذا يجزّ العرض إلى (ص: ٦٢) نفسه .
- ومنهم من يقول غير ذلك .

فعليك أن تنتظر في القول لا في القائل، فقد قال سبحانه في حق سيد البشر حين جرى في حقه مثل هذه الأقوال من كان في زمنه: (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ) (سورة غافر)، (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ) (سورة محمد) .

واعلم - هداك الله - أنه إذا حصل جمع شمل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على يدك كنت أسعد الملوك والسلاطين، وأرفع مشايخ الأولين والآخرين، فتعلم أن زيد بن علي وأبا حنيفة والشافعي ومالكاً رضي الله عنهم أجمعين على شريعة واحدة. وطريقة غير متباعدة، وقد كان من تلامذة زيد بن علي عليه السلام أبو حنيفة، ونال بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله ما هو معروف في السير. وكذلك نال الشافعي رحمه الله بسبب موالات الإمام يحيى بن عبدالله إلى حد الضرب بالسياط، فلا تظن أن بين المذهب الزيدي وبين مذاهب الفقهاء الأقدمين عداوة، وكلا منهم يصوب الآخر في اجتهداده، ولا يخطئه في مذهبه واعتقاده، وإنا فرق بينهم علماء السوء المتأخرون.

ولنختم كتابنا هذا بما ختم الله كتابه الكريم، حيث قال: ( وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) (سورة البقرة)، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم<sup>(٥٧)</sup>.

- الملحق الثاني : النص الكامل لوثيقة السفارة الثانية التي بعثها الإمام المتوكل يحيى شرف الدين مستنحداً بالأمير المملوكي حسين الكردي قائد الحملة المملوكية إلى الهند :

« بسم الله الرحمن الرحيم، نعمة سبقت وشملت، ومنحة تمت وكملت، بلغت من لدن حكيم خبير، على أهل بيت نبيه البشير النذير، أجزاه على يد ملك السيف الأمير، الهمام الخطير، أمير الأمراء الإسلامية، مفرج كرب العترة الطاهرة الزكية، الناقم بشار الحسين من الفرقة الغوية، الظالمة العامرية، المتخلي من أجل ذلك بكل زين، المتخلي عن كل شين، الوافي بحق سيد الشهداء الحسين، الأمير الجليل النبيل حسين، حياه الله من السلام بأسنائه، ومن الإكرام بأزكاه وأهنائه، والله المسؤول أن يوفقنا وإياه لإصابتها مراده، وهداية عبادته، وإجراء أحكام شريعته الطاهرة في بلاده، وتطهيرها من آثار الجائر وتنويرها من ظلمات جرأته وعناده، وبعد : فإني كتابنا هذا لتعريف خاطر الأمير، وفقه الملك القدير، بأننا لم نزل إلى الله مبتهلين، ولما لديه من الفرج منتظرين، وبالتجربة لما بدت من عدو الله الجائر عامر، والقيام بالدعاء إلى دفاعه وجهاده امتثالاً لأوامر الله الملك القادر، ولكن منع من ذلك عدم المعين والناصر، وخذلان من أهل الزمان المشؤم القاصر، وميل من الناس إلى الأطماع الحقيرة، وانخداع بزحارف الأباطيل الفاضحة المبيرة، حتى تمكن منهم هذا الظالم الغشوم، وأوقعهم من الخزي والويل والهوان في أقصى التخوم، وشمل شره البرى

والغوي، والضعيف والقوي، والشجي والخلي، وتتبّع بعظم جيشه ومكره أهل بيت النبي، ولم يبق في سلطانه لأهل البيت باقية، ولا أجيب لهم بإجابة نافعة وإعية، حتى يدهم الظالم في البلاد، وفرق بين الآباء منهم والأولاد، ومات الأكثر منهم في تخوم اليمن مطرودين متبدين، يتعنى الولد أن يحضر موت أبيه، والوالد أن يشاهد أحوال بنيّه، وفعله في آل المصطفى ما حرم الله في ملكه اليمين، بل في سبي الكفار الخارجين عن الدين، وأعانته على ذلك رجل منا أهل البيت، ادعى ما ليس له بحق، فأنكر عليه الإمام الوشلي، فلم يزل صاحبنا يعضد هذا الطاغية، وينصر فرقته الباغية، حتى تمكن من الإمام الوشلي، محمد بن علي، ولم يعذرنا أهل زماننا عن القيام في مقامه الجلي، ولقد همّ - أخواه الله - بقصد الحرمين، وإخراج من فيه من ولد الحسين، فرجعنا - مع بذل ما بقي معنا من جهد في دفاع مجهود المذاكرة له كثير من الحدود - إلى الله سبحانه وتعالى، وسألناه تعجيل الفرج، وإطفاء وهج المهج، على يد من هو أهل للمحامد المبرورة، والمقاصد المشهورة، في حياطة الدين والرعاية لحق رسول رب العالمين، وما ذاك إلا لسرية صالحة، ونجارة رابحة، من السلطان الأكبر، والمستطيل الأعظم. فأنصوه أطال الله بقاءه وتوفيقه، وأوضح إلى كل مقصود مرور طريقه، ولقد رعا لسر الله العظيم في أهل البيت والنسب الكريم، الذي جعله الله في مصر لحنبلة إبراهيم، وختم أنبيائه محمد عليهما وعلى آلهما أفضل الصلاة والتسليم، ونرجو أن الله تعالى قد وفقكم، أيها الغزاة الأعلام، لمشابهة من قال فيهم الملك العلام: ( فَسَوَّكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَقُومُ يُجِبُّهُمْ وَيُجِيبُونَهُ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ قَوْمًا لَا تَمْلِكُ لَهُمْ أَرْسَالُهُمْ يُفْزِلُ اللَّهُ يُزِيلُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) (سورة البقرة) .

وقد رجعنا إرسال هذه الرسالة بيد صاحبنا الفقيه العالم العامل صلاح الدين، بقية المجاهدين صلاح بن سراج الله، كتب الله هدايته، وأحسن رعايته، وهذا كتابنا يحتوي على التهنئة السنية، بما فتح الله به من الفتوحات الهنيئة، والحث لكم على استدراك هذه البقية، من عترة نبيكم الطاهرة الزكية، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغى وأعوانه وأنصاره، وقد بقيت لنا بلاد مجاورة لبلاد، ونحن نعتقر إلى الإعانة منكم، بما أمكن من الرجال والعدة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والله خير الناصرين، والفقيه الصالح صلاح يحق لكم ما لا يتسع له الكتاب، ولا يقوم به إلا المشافهة والخطاب، وصلاة الله على سيدنا محمد وآله وسلم « (١٥٨) » .

## الهوامش

- ١- أديب آل الإمام المتوكل يحيى شرف الدين في عصره، ومؤرخ أخبارهم، توكّياتي المولد والنشأة، أخذ عن مشاهير علماء اليمن في زمنه، وكانت له مطارحات ومناقشات ومساجلات مع عدد من علماء وأدباء اليمن، وأشهرهم إبراهيم بن الإمام الشهير محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وقد ترك ديواني شعر، أحدهما عامي والآخر بالفصحى، كما اشتهر كتابه المشار إليه (المراهب السنية)، أنظر زيارة: محمد بن محمد بن يحيى (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)، نبيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ودار العودة، بيروت، (د، ت)، ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٦، الوجهة عبدالسلام عباس، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عُمان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٣٢٢، ٣٢٣.
- ٢- قامت هذه الدولة سنة (٨٥٨هـ / ١٤٥٤م)، وحكمها الملكان الأخوان الظاهر الأول عامر بن طاهر والمجاهد علي بن طاهر مدة ٢٥ سنة، ثم حكمها الملك المنصور عبدالوهاب بن داود مدة ١١ عاماً، وامتدت فترة حكم الملك الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب إلى حوالي ٢٩ عاماً، وبقي الأمراء الظاهريون في نزاع دائم حتى انتهت أمرهم بعد وفاة الملك لظاهر الثاني عامر بعشرين سنة تقريباً، أي أن ظهورها استمر حوالي ٨٥ عاماً، فتكون مدة حكم الملك الظاهر عامر ثلث المدة تماماً، بل تزيد قليلاً.
- ٣- للاطلاع على جهود هذا السلطان وإنجازاته العمرانية والعسكرية والعلمية ينظر المدخلي، د. محمد ربيع هادي عمير، الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الظاهري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ٤- ابن الديبع، أبو الضياء عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد علي الأكرع، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، (د، ن)، ص ٤٣١ - ٤٤٦، بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق عبدالله محمد الحيشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩م، ص ١٨٥-١٩٨، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق د يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٤١-٢٥٧، الكندي، تاريخ حضرموت السياسي [العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة]، تحقيق عبدالله الحيشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ج ١ ص ١٥٤، محمد ربيع المدخلي، الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية، ص ٧٦ - ٨٨.
- ٥- يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر البهائي، تحقيق د سعيد عبدالفتاح عاشور دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٦١٨ - ٦٢٥، الكبسي، محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م)، اللطائف السبية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٢٦، ١٢٧، أحمد، د. محمد عبدالعال، بنو رسول وبو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٣٢٣، ٣٢٤، زيارة، محمد بن محمد بن يحيى

(ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)، أئمة اليمن، مطبعة النصر الناصرية، تعز، ١٩٥٢م، ص ٣٦٠، ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٤٤٢، ٤٤٥، الفضل المزيد، ص ٢٣٤ - ٢٤٧.

٦- يافع اسم لقبيلة جُثَيْرِيَّة كبيرة، وأطلق اسمها على المنطقة التي يسكنها أفرادها، وتقع منازلها بين الضالع والحج، وهي أرض جبلية صخرية شديدة الوعورة، ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٢٢٠٠ قدم، ويبلغ ارتفاع بعض جبالها إلى ٢٥٠٠ قدم، وهي أعلى المناطق في المحافظات الجنوبية من اليمن وأكثرها ارتفاعاً، ويقدّر ما أسهمت هذه الطبيعة الصعبة جداً في عزلة أهلها أسهمت أيضاً في إكسابهم قدراً عالياً من الشجاعة والإقدام، وجعلتهم مغرمين بالسفر والهجرة إلى سواج يمنية مجاورة أو أقطار أخرى، بامخرمة، الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)، النسبة إلى المواضع والبلدان، نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، تحت رقم (٢٥٦٩)، ق ٤٠٢، الحجري، محمد بن أحمد (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكرع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ج ٤ ص ٧٧٣، ٧٧٤، المقحفى، إبراهيم بن أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ج ٢ ص ١٨٩٤ - ١٨٩٦.

٧- يَبْحَن حقلٌ أثيري واسعٌ في قِيعٍ فسيحٍ يمتد باستطالةٍ ابتداءً من سفوح الجبال الواقعة شمال مدينة البيضاء، إلى أطراف واحة السبعين التي تعد أحد أكثر أقسام صحراء البرع الخالي، ويَبْحَن أحد منازل قبيلة مُراد المُذَجِجِيَّة الشهيرة، التي ينتمي إليها قائد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الخارجي الشهير عبدالرحمن بن مدح المرادي، وأرض يَبْحَن زراعية خصبة، غنية بالمياه المنحدرة إليها من جبال البيضاء، ومياهها الجوفية متوافرة على أصصاق قريبة، لذلك تكثر فيها مزارعات الحبوب وبعض الفواكه والخضروات، وتكثر فيها المناحل، ويَبْحَن تقع على أطلال مدينة قَنَع الأثرية القديمة، التي كانت عاصمة لدولة قَنَبان اليمنية في فترة ما قبل الميلاد، وهي تشكل واحدة من مديريات محافظة شَبْوَة المتاخمة لصحراء الربع الخالي، بامخرمة، المصدر السابق، ق ٧٥، الحجري، المصدر السابق، ج ١ ص ١٣٢، ١٣٣، المقحفى، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٠٨، ٢٠٩.

٨- تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام، ابن داعر، صلاح بن داعر المرهبي (ت في القرن العاشر الهجري)، سيرة الإمام يحيى شرف الدين، صورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة زيد الحوثي، صنعاء، ق ٤ وما بعده، ريانة، أئمة اليمن، ص ٣٦٩ وما بعده، تحالف المهتمين بذكر الأئمة المجتدين، مطبعة المقام الشريف، صنعاء، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، ص ٧٤، خلاصة المتن في أنباء ونيلاء اليس الميمون، تحقيق أحمد محمد ربرة، مركز التراث والبحوث اليمني، ساري، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ج ٣ ص ٥٥ وما بعدها، شرف الدين، المحسن بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدين (ت ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م)، المواقب لسيرة محمد بن عبد الله تعالى من العواكف الجبلية من أعصان أشجار المتوكيلة، مخطوط، صورة عن نسخة إبراهيم عبد الكريم شرف الدين، كوكبان، ص ١٦ وما بعده، شرف الدين، محمد بن إبراهيم بن الفضل بن إبراهيم (ت ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م)، السموت لذهبية في خلاصة السيرة المتوكيلة، (د، ت، ر

١. ص ١ وما بعدها، المؤنثي، داود بن الهادي بن أحمد (ت ١٠٣٥هـ/١٦٢٥م). ذيل البسامة، (ملحق بكتاب مآثر الأبرار) تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عَمَّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ١٣٩٠، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص ٦٣٥ وما بعدها.

٩- حمل الاسمين معاً - يحيى وشرف الدين، أي أن شرف الدين ليس لقباً له، وقد اشتهر باسمه شرف الدين أكثر من شهرته باسم يحيى، انظر مصادر سيرته .

١٠- هو الإمام الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن (ت ٩٢٩هـ/١٥٢٣م)، أعلن دعوته وإمامته فور وفاة أبيه، وبعث رسائله إلى كثير من الجهات، وقبِلَ أمير صعدة محمد بن الحسين الحمزي البهال إمامته، وأقام الدعوة له على منابرهما بالرغم من أنه كان معارضاً لأبيه، ورفض إمامته عدد من كبار أهل بيته، وقد وقعت المناظرة بينه وبين معارضة الإمام المنصور بالله محمد بن علي الوثئلي السراجي في السودة حول مسوغات الخروج والتعارض، ولم يُسَلِّمْ أحد منهما لصاحبه، ولم يذكر في عهد الإمام الناصر بعد ذلك ما يشتهر سوى تحالفه مع الشريف محمد بن عبدالله الشوبع - أحد أشراف المنطقة الشمالية الشرقية لليمن - ضد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين سنة (٩٢٤هـ/١٥١٨م)، انظر زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٥٧، انحال المهتدين، ص ٧٣، خلاصة المتون، ج ٣ ص ٤٢، الكبسي، اللطائف السنية، ص ١١٧، المؤنثي، ذيل البسامة، ص ١٣٧٤ وما بعدها، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص ٦٢١ وما بعدها .

١١- أحد أشهر معاقل العلم والحضرة الشهيرة في تاريخ اليمن، به كهوف عديدة وعميقة، يقع في قمة جبل إلى الشمال من مدينة حجة، ويبعد عنها بمسافة ١٥ كيلومتراً تقريباً، وتنتشر على جوانبه الكثير من المدرجات الزراعية، وهو اليوم مركز إداري من مديرية تبتين بمحافظة حجة، الحبري، مجسوع بلدان اليمن وقبائلها، ج ٣ ص ٥٦٧، المقضي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج ١ ص ٩٧٥، ٩٧٦ .

١٢- زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٧٢، خلاصة المتون، ج ٣ ص ٥٨، شرف الدين، المواهب السنية، ص ١٧، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ١٩، ٢١، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص ٦٣٥ .

١٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦- ٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص ٦٤٢، خطاب، عبدالعظيم، قاتصوه الغوري ونهاية الدولة الملوكية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣م، ص ٢٠٩ .

١٤- زيارة، خلاصة المتون، ج ٣ ص ٧٦، شرف الدين، المواهب السنية، ص ٣١، أئمة اليمن، ص ٣٨٨ .

١٥- الفرقة الأخرى هي الشيعة الإمامية، وكل فرق الشيعة - وإن كَثُرَتْ - ما هي إلا من فروع هاتين الفرقتين الرئيسيتين (الرديعية والإمامية)، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج ٤ ص ٢١١، الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٢٣٣هـ/٩٤١م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م،

ج ١ ص ٨٨، البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ/ ٣٧٠م)، الفرق بين الفرق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص ٣٨.

١٦- هو الإمام المنصور بالله محمد بن علي بن محمد بن أحمد الوشلي السراجي الحسيني (ت ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، أحد أعلام الزيدية، علمياً وسياسياً وعسكرياً، كان معروفاً بالفضل وسعة العلم والشجاعة والإقدام، لهذا كان رأس حرية الزيدية في صراعها المرير مع الدولة الطاهرية على عهد السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب قبل تمكنه من اكتساح مناطق نفوذ الزيدية، وكان الإمام المنصور محمد الوشلي يستخدم مهارته العالية في البلاغة وجودة نظم الشعر في تحريض جموع الزيدية وأتباعها المتصارعين على منصب الإمامة ليقوموا بمواجهة خطر الطاهريين الناهم، وقد وقع في أسر السلطان الطاهري الظاهر الثاني فألقاه في السجن حتى توفي فيه سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، الرفيع، محمد بن علي بن يونس (ت ٩١٦هـ/ ١٥١٠م)، مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، تحقيق عبدالسلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عتشن، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ج ٣ ص ١٢٦٩، زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٥٨-٣٦٦، الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص ٩٦٩.

١٧- المقصود بالعدل والظلم في هذا البيت - في تقديري - ليس المدلول 'الذي يهدي لهاتين اللفظتين الذي يتبادر إلى ذهن القارئ، بل فيها تصمين لاصطلاح عقائدي، فالقائل هـ يشير إلى العقيدة الزيدية الاعتزالية، الشهيرة بـ (عقيدة العدل والتوحيد)، والظلم لمشار إليه فيه بتصحيح إلى وصف الزيدية للعقيدة الجبرية التي اتهموا بها أهل السنة في الجُزْن

١٨- إسماعيل بن محمد، سبط الدّاء في شعر آل، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، تحت رقم (١٨٤١ أدب)، ص ٣٣٢.

١٩- ذلك أن الزيدية - كثيرهم من القائدين بالعقيدة الاعتزالية - يقولون بأن الإنسان يخلق أفعاله بنفسه، ومن لا يقول بقولهم - في نظرهم - فهو يصيب كل فعل إلى الله سبحانه وتعالى.

٢٠- المصدر السابق، ص ٣٢٩.

٢١- المصدر السابق، ص ٣٣٥.

٢٢- الثريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي (ت ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م)، طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، النطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص ١١٣.

٢٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٣.

٢٤- المصدر السابق، ص ٢٤.

٢٥- المصدر السابق، ص ٢٩.

٢٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٢٢١هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ج ٧ ص ٥٥٢، الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن بن أحمد (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، مقاتل الطالبين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٢٢٢-٣١٥ .

٢٨- الطبري، المصدر السابق، ج ٨ ص ٢٣٥، الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٤٦٥-٤٧٠، ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص ١٥٦، ١٥٧ .

٢٩- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦ .

٣٠- السلطان، محمد حميد، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة من ١٥٠٧ - ١٥٢٥م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٤م، ص ٢٨١ .

٣١- ابن الدبيع، بغية المستفيد، ص ٣٠٤، ٣٠٥، خطاب، قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، ص ٢٠٤ .

٣٢- السلطان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، ص ٢٨٢، سليم، محمود رزق، الأشرف قانصوه الغوري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د، ت)، ص ١١٨ .

٣٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦- ٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص ٦٤٢، خطاب، قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، ص ٢٠٩ .

٣٤- يبدو أن البطانة السيئة كان لها الدور الكبير في إبعاد صدر السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري على الحملة التي بلغته أخبارها وعنما وصلت إلى جازان، فقد أرسل أميرها -حسين الكردي- رسلاً منه إليه يخبره بطورخ الحملة جازان، وأن وجهتها الهند بغرض جهاد البرتغاليين، ويستحثه إلى بحث معونته المالية والعينية، انظر شهاب، محمد صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، ١٩٧٧م، ١٤٧، شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الطبعة الخامسة، ص ٢٣٣، ٢٣٤، ويحكى المؤرخ بالقبية، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١٠٦: أن السلطان انزعج للخبر وأعرض عن الجواب، وإذا أخذنا بهذه المعلومة فإنها ستكون التفسير القوي لإرجاء الأمير حسين الكردي الرد على الإمام شرف الدين، وكأنه لم يكن قد استوثق بعد من موقف البلاط الطاهري من حملته .



- ٣٥- سالم، د. سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن، معهد البحوث والدراسات العربية وجامعة صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م، ص ٩٩ .
- ٣٦- ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٤٦٠، الفضل المزيّد، ص ٣٥٨، باغقيه، تاريخ الشعر وأخبار القرن العاشر، ص ١٠٦، ١٠٧، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٤٢، ٦٤٣، خطاب، قانسوه القوري ونهاية الدولة المملوكية، ص ٢٠٥، ٢٠٦ .
- ٣٧- باغقيه، المصدر السابق، ص ١١٤، يحيى بن الحسين، المصدر السابق، ص ٦٤٤، ٦٤٥، ابن الديبع، المصدر السابق، ص ٤٦٤، ٤٦٥، الفضل المزيّد، ص ٣٦١ .
- ٣٨- المصدر السابق، ص ٣٦١، ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٤٦٤، النهروالي، محمد بن أحمد (ت. ١٥٨٢/١٩٩٠م)، البرق اليمني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ٢١ .
- ٣٩- تصغير تربة، قرية كبيرة إلى الجنوب الشرقي من مدينة زيد. وليست بعيدة عنها، وهي اليوم إحدى مراكز مديرية زيد الإدارية بمحافظة الحديدة، المقعبي، معجم البلدان والقبايل اليمنية، ج ١، ٢٢٧، ٢٢٨ .
- ٤٠- شهبان، أحمد سالم، الوجود المملوكي في اليمن ٩٢١-٩٤٥هـ/١٥١٥-١٥٣٨م، دار الثقافة العربية، الشارقة وجامعة عدن، الطبعة الأولى، (د. ت)، ص ١٦٥، باغقيه، تاريخ الشعر وأخبار القرن العاشر، ص ١٢٥، النهروالي، البرق اليمني في الفتح العثماني، ص ٢٩، ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٤٦٨، الفضل المزيّد، ص ٣٦٩ .
- ٤١- المصدر السابق، ص ٣٧٠، ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٤٦٩، ٤٧٠، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٥١، شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٢٣٥، Smith, G Rex, The Tshund Sultan of the Yemen, in Studies in the Medieval history of the Yemen and South Arabia, Variorum, 1997, p141
- ٤٢- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٧ .
- ٤٣- المصدر السابق، والصفحة نفسها .
- ٤٤- المصدر السابق، ص ٢٦ .
- ٤٥- المصدر السابق، ص ٢٧ .
- ٤٦- المصدر السابق، والصفحة نفسها .
- ٤٧- المصدر السابق، ص ٢٧، ٢٨ .

٤٨-الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، عناية إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، أمريكا، (د، ت)، ج ١ ص ٢٤٧ - برقم (٥٥٢٢)

٤٩-في أصل المخطوطة هنا كلمة لم أستطع تَبَيَّنْهَا فتركت مكانها

٥٠-وهنا أيضاً كلمة لم أستطع تَبَيَّنْهَا فتركت مكانها .

٥١-الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ١ ص ١٠٣٨ - برقم (٢٩٣٣٩)، أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٩٤٣/٩٥١م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الفكر، بيروت، (د، ت)، ج ٩ ص ٤٤، ونحوه البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، كتاب التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج ١ ص ١٤٥، برقم (٤٣٢).

٥٢-لم أجد هذا الحديث - لا نصاً ولا معنى - في أي من كتب الحديث المطبوعة المشهورة التي توافرت لي.

٥٣-هنا أيضاً كلمة لم أستطع تَبَيَّنْهَا فتركت مكانها

٥٤-الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن صبرة (ت ٢٧٩هـ/٩٨٩م)، جامع الترمذي، تحقيق عادل مرشد، مكتبة دار البيان الحديثة، الطائف، ودار الأعلام، غُضَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٨٢٥، برقم (٣٧٨٨)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي، مكتب التربة العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٣ ص ٢٧٧ .

٥٥-أعطن، جمع غُطِنَ، والعطن للإبل كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض، انظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ت ٧١١هـ/١٣٣١م)، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د، ت)، ج ٧ ص ٤٤٢، وأراد الإمام شرف الدين هنا معناها المجازي لا الحقيقي.

٥٦-الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج ٢ ص ٣٠٥، برقم (٦٨٦)، الترمذي، جامع الترمذي، ص ٥٢٠، برقم (٢٣٢٠)، أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٣ ص ٢٥٣ .

٥٧-شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢١ - ٢٦، وأشار إليه شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ بإقتضاب.

٥٨-شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦ - ٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩ .

## قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .  
• أحمد: محمد عبدالعال (الدكتور)
٢. بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠ م .  
• إسماعيل بن محمد:
٣. سبط اللاك في شعر الأكل، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، تحت رقم ( ١٨٤١ أدب ) .  
• الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م)
٤. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحمد، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م .  
• الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسن بن أحمد (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٧م)
٥. مقاتل الطالبين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م .  
• الألباني، محمد ناصر الدين
٦. صحيح سان الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م
٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .  
• البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)
٨. كتاب التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م .  
• البرهبي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن (سكنكي) (ت ٤٩٨هـ / ١٤٩٨م)
٩. طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحشيش، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٤ م  
• البغدادي: عبدالقاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)
١٠. الفرق بين الفرق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م .  
• الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ / ٩٨٩ م)
١١. جامع الترمذي، تحقيق عادل مرشد، مكتبة دار البيان الحديثة، الطائف، ودار الأعلام، عُمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م .  
• الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م)
١٢. رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م .  
• الهجري: محمد بن أحمد (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)
١٣. مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكرع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثالثة، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤ م .  
• خطاب: عبدالعظيم
١٤. قاصص الغوري ونهاية الدولة المملوكية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣ م  
• داعر: صلاح بن داعر المرهبي (ت في القرن العاشر الهجري)
١٥. سيرة الإمام يحيى شرف الدين، صورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة زيد الحوشي، صنعاء .  
• ابن النديم: أبو الضياء عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)
١٦. بعية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق عبدالله محمد الحشيش، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩ م .
١٧. الفضل المزيدي على بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق د. يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٨٣ م .
١٨. قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد علي الأكرع، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨ م .  
( د. ) .

- زيارة: محمد بن محمد بن يحيى (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)
- ١٩. أئمة اليمن، مطبعة النصر الناصرية، تمز، ١٩٥٢م.
- ٢٠. الخفاف المتهدين يذكر الأئمة المجدين، مطبعة المقام الشريف، صنعاء، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م.
- ٢١. خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن للميخون، تحقيق أحمد محمد زيارة، مركز التراث والبحوث اليمنى، ساري، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- الرحيف: محمد بن علي بن يونس المعروف بابن غند (ت ٩٦٦هـ / ١٥١٠م)
- ٢٢. مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى [اللوحي الندية بالحدائق الوردية]، تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- سالم: سيد مصطفى (الدكتور)
- ٢٣. الفتح العثماني الأول لليمن، معهد البحوث والدراسات العربية وجامعة صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.
- السلطان: محمد حميد
- ٢٤. الغزو البرتغالي للجبوب العربي والخليج في الفترة من ١٥٠٧ - ١٥٢٥م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٤م.
- سليم: محمود رزق
- ٢٥. الأشرف قانصوه القوري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د. ت)
- شرف الدين: أحمد حسين
- ٢٦. اليمن عبر التاريخ، مطبع الفرزوقي، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- شرف الدين: الحسن بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدس (ت ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م)
- ٢٧. المواهب السنية عما به الله تعالى من الفواكه الجنية من أعصار الشجرة المتوكلية، مخطوط، صورة عن نسخة إبراهيم عبدالكريم شرف الدين، كوكبان.
- شرف الدين: محمد بن إبراهيم بن الفضل بن إبراهيم (ت ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م)
- ٢٨. سيرة الإمام شرف الدين المسمى [السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية]، (د. ت، ر).
- شهاب: حسن صالح
- ٢٩. أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، ١٩٧٧م.
- شيبان: أحمد سالم
- ٣٠. الوجود المملوكي في اليمن ٩٢١-٩٤٥هـ / ١٥١٥-١٥٣٨م، دار الثقافة العربية، الشارقة وجامعة عدن، الطبعة الأولى، (د. ت).
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)
- ٣١. تاريخ الأمم والملوك، تحقّق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- بن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)
- ٣٢. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.
- باقيه: محمد بن عمر الطيب
- ٣٣. تاريخ الشعر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

- الكبسي: محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م).
٣٤. اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الكتبني: سالم بن محمد (ت ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م).
٣٥. تاريخ حضرموت السياسي [العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة]، تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- باخرمة: الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م).
٣٦. النسبة إلى المواضع والبلدان، نسخة مصورة عن مخطوطة، مكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، تحت رقم ٢٥٦٩.
- المدخلي: محمد ربيع هادي عمير (الدكتور).
٣٧. الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الطهري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- المقحلي: إبراهيم أحمد
٣٨. معجم البلدان والقبائل البسي، دار الكلمة، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ت ٧١١هـ / ١٣٣١م).
٣٩. لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكسر وآخرين، دار المعرف، القاهرة، (د.ت.).
- المؤيدي: داود بن الهادي بن أحمد (ت ٣٥٥هـ / ١٦٢٥م).
٤٠. ذيل السامية، (ملحق بكتاب مآثر الأبرار) تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، قُتّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- أبو نجيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ / ٩٥١م).
٤١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الفكر، بيروت، (د.ت.).
- النهروالي: محمد بن أحمد (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م).
٤٢. المبرق البعاني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م).
٤٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، عناية إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، أمريكا، (د.ت).
- الوجيه: عبدالسلام عباس
٤٤. أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، قُتّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- يحيى بن الحسين: يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م).
٤٥. غيبة الأماسي في أخبار القطر البعاني تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
46. Smith, G Rex, The Tahirid Sutan of the Yemen, in Studies in the Medieval history of the Yemen and South Arabia, Variorum, 1997

## الجوانب السياسية والحضارية لبلاد الحجاز

### كما تصورها رحلة ابن بطوطة

في القرن الثامن الهجري

#### المقدمة :

جاء هذا البحث شاملاً في موضوعه ، حيث رصد لنا الجوانب السياسية والحضارية لبلاد الحجاز كما تصورها رحلة ابن بطوطة، مما يثبت لنا أن كتب الرحالة تعد من أهم المصادر التاريخية لرصد تاريخ الحجاز.

وهذا البحث يسهم في إلقاء الضوء على أهمية دراسة كتب الرحلات خاصة رحلة ابن بطوطة، ومدى أهميتها، وأسلوب ابن بطوطة ومنهجه في تدوين رحلته، وتسجيل انطباعاته لا سيما وأن كتب الرحلات عموماً تعدّ من أصدق المصادر التاريخية وأكثرها عناية بما يتعلق بالحجاز سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعلمياً وجغرافياً، مما تفتقر إليه المصادر الأخرى، إذ اتصف الرحالة - ولو بدرجات متفاوتة - بدقة الملاحظة، والوصف والتقصي وتسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق.

١ - أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة قناة السويس

ولعل هذا البحث يكشف لنا القيمة العلمية لرحلة ابن بطوطة بوصفها مصدراً مهماً من مصادر تاريخ بلاد الحجاز.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتهييد وخمسة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فقد بيّنت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومدى أهمية كتب الرحلات كمصدر من مصادر تاريخ الحجاز.

التهييد: حياة ومكانة ابن بطوطة الاجتماعية والعلمية ثم خصائص ومميزات رحلته والهدف منها.

المبحث الأول: المشاهدات الجغرافية والعمرانية لبلاد الحجاز.

المبحث الثاني: الجوانب السياسية والإدارية لبلاد الحجاز.

المبحث الثالث: الجوانب الاجتماعية لبلاد الحجاز

المبحث الرابع: الجوانب الاقتصادية لبلاد الحجاز.

المبحث الخامس: الجوانب العلمية لبلاد الحجاز.

الخاتمة: وقد تضمنت أهم النتائج التي تمخض عنها البحث.

## التمهيد

نال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الشهير بابن بطوطة (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م)، لقب أعظم الرحالة المسلمين على الإطلاق، وكشفت روايات رحلته عن الإنسان المسلم وعن طبيعة الأمة الإسلامية في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، حيث أبرزت لنا الجانب المشرق من الحضارة الإسلامية، وإن مما يزيد أهمية الرحلات أنها تكشف لنا النقاب عن الإنسان في فكره وسلوكه وتنظيمه الاجتماعي عبر التاريخ.

لذا فمن الواجب أن نتناول مقتطفات من حياة الرحالة ابن بطوطة ومكانته الاجتماعية والعلمية والهدف من رحلته وخصائصها ومميزاتها. وابن بطوطة هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن<sup>(١)</sup> بن يوسف اللواتي الطنجي، أبو عبد الله بن بطوطة (٧٠٣-٧٧٠هـ/١٣٠٣-١٣٦٨م)<sup>(٢)</sup> الملقب بشمس الدين<sup>(٣)</sup> رحالة مغربي، يرجع نسبه إلى «لواته»<sup>(٤)</sup> إحدى القبائل البربرية، ولد سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م) يوم الإثنين السابع عشر من رجب بمدينة طنجة.<sup>(٥)</sup>

ينسب ابن بطوطة لأسرة علم، فسمها القضاة والعلماء، وهو ما ذكره الملك الهند عندما خيره بين الوظائف التي يرغبها، فقال: أما الوزارة والكتابة فليست شغلي، وأما القضاء والمشيمة فشغلي وشغل أبائي.<sup>(٦)</sup> درس ابن بطوطة بطنجة، وكان يعد نفسه لتولي لقضاء مثل كثير من أفراد عائلته، ويؤيد ذلك حديثه عن نفسه بعد وصوله إلى تونس: «وبعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف عند خروجه من تونس قاصداً الحجاز»<sup>(٧)</sup> وهذا دليل علمه بالفقه، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ أنه لقي العديد من العلماء.<sup>(٨)</sup> كان ابن بطوطة سريع الاندماج والتأقلم مع أهل المدن والبلدان التي زارها، وألف عاداتها نظراً لطول مدة سفره، وكان شديد الحرص على التمسك بتعاليم الدين الإسلامي<sup>(٩)</sup>، فلا يكاد يسمع برجل صالح أو عالم إلا وسارع إلى لقائه والتبرك بدعائه وهو كثير الزواج، كما عُرف عنه شدة الاعتزاز بوطنه والحنين لأهله طوال غيابه عنهم، ولاشك أن ابن بطوطة حقق فنون الفروسية والقتال، ففي رحلته هذه ما يشهد على اشتراكه في بعض المعارك التي حدثت أثناء تنقلاته.

وما أن بلغ ابن بطوطة الثانية والعشرين حتى تاقته نعمة إلى الرحلة، وعن هذه الرحلة يقول عبد الرحمن بن جلدون ت ٨٠٨ هـ: كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥هـ وانتهائها سنة ٧٥٤هـ<sup>(١٠)</sup> وقد حدد ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ خروجه للرحلة في رجب سنة ٧٢٥هـ<sup>(١١)</sup>،



وهذا تكون الرحلة قد استغرقت تسعاً وعشرين سنة، جاب فيها جميع الأقطار التي تسنى له الوصول إليها في ذلك الوقت فانتهى به الأمر إلى ترحال وراء آخر وسفر إثر سفر، ورحلة تعقبها رحلة أخرى، ومثله كثير من الرحالة والتجار المسلمين، وقد قدم زكي حسن مسحاً وتصنيفاً جيداً لكتباتهم، وقد تصدر لكتابه هذه الرحلة محمد بن محمد بن عبدالله بن جزى الكلبي (٦٩٣-٧٥٨هـ/١٢٩٤-١٣٥٧م)، وهو كاتب السلطان أبي عنان فارس المروزي حاكم المغرب حينذاك في الفترة (٧٩٤-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) ويتوجيه من هذا السلطان أُملى ابن بطوطة تفاصيل رحلته علي ابن جزى، وكانت مهمة ابن جزى أن يسمع الحديث ويدونه ويرتبه وينقحه ويوضح ما أغمض منه، وقد حافظ ابن جزى علي تدوين كل المعلومات التي أُملاها صاحب الرحلة ولم يسقط منها شيئاً ولم يتعرض ابن جزى لتحقيق ما أورده ابن بطوطة لأنه كان واقفاً من صحة ما أورده علي وجه العموم، وقد عني ابن بطوطة بالشكل والنقطة لكل ما أشكل أو غمض لئلا يلبس علي القارئ وكان يوضح معاني الكلمات الأعجمية، وقد انتهى ابن جزى من كتابتها في عام (٧٥٧هـ/١٣٥٦م).<sup>(١٢٢)</sup> كان هدف ابن بطوطة من الرحلة والباعث له علي السفر، ومفارقة الأهل هو حج بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أدى فريضة الحج سبع مرات الأولى سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م) والثانية سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) والثالثة سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) والرابعة سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م)، والخامسة سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، والسادسة سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م)، والسابعة سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م).<sup>(١٢٣)</sup> ولم يشر ابن بطوطة إلى طلبه العلم في البلدان التي زارها، واكتفى بالإشارة إلى سماعه علي بعض الكبار من العلماء والوعاظ، ولقائه للعديد من العلماء.<sup>(١٢٤)</sup> من أبرز صفات ابن بطوطة التي تمتع بها قوة المشاعر الدينية، حيث كان الباعث الأول له علي الرحلة والسفر هو حج بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر ابن بطوطة رسول الله إلا ويقرن ذكره بالصلاة عليه والتسليم، ويبدو هذا الشعور الديني العميق في أحاديثه عن المسجد الحرام والطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة، وما مائل ذلك، يقول في حديثه عن الرحلة وهو متجه إلى مكة: «ثم أدلجنا من هذا الوادي المبارك، والنفوس مستبشرة ببلوغ آمالها مسرورة بحالها ومآلها»<sup>(١٢٥)</sup>، وقد قطع في تجواله أكثر من مائة وخمسة وسبعين ألف ميل، واستطاع ابن بطوطة أن يحتفظ بكل مشاهداته في ذهنه دون تمحيص، يدفعه لذلك حب الاستطلاع والتعرف علي غرائب وعجائب البلدان.<sup>(١٢٦)</sup>

كان ابن بطوطة مثقفاً ثقافة دسيسة، ودرس في المغرب قبل حروجه إلى الرحلة، ثم درس علي مشهورى العلماء في البلاد التي زارها وأحازه كثير من العلماء، يقول عن نفسه «سمعت بجامع

بنى أمية جميع صحيح الإمام البخارى على الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم المعروف بابن الشحنة الحجار، ويقول: ومن أجزنى من أهل دمشق الشيخ أبو العباس الحجازي<sup>(١٧١)</sup> وأكثر ما يلفت الانتباه مدى اهتمامه بالناس بمختلف طبقاتهم وعلى الأخص العلماء والصالحين، فهو بذلك يعد مؤرخاً من الناحية الاجتماعية للمسلمين في عصره<sup>(١٧٢)</sup>، خاصة وأن رحلته تحتوي الكثير من الموضوعات في مختلف النواحي، مما دفع كثير من المترجمين ترجمة هذه الرحلة إلى الإنجليزية والفرنسية. وقد تناولها بالدراسة والترجمة المستشرق الفرنسي «بلاش ترابيه» في كتابه «الرحالة العرب في العصر الوسيط»<sup>(١٧٣)</sup>.

كان ابن بطوطة سخيّاً كثير الإنفاق يستدين بلا حدود وينفق كما يشتهي، يعطى الفقراء ويعطى الأصدقاء، ويهدى إلى الرؤساء، وعُرف عنه أنه طاهر السريرة طيب القلب حسن الظن بالناس، يمدح الناس ويشيد بشرف النساء ويحب الصالحين ويلزم المرضى حتى يمن الله عليهم بالشفاء، ويشكر الله ويشكر للناس أياديهم.

وكان فارساً يقاتل، وقد حكى مواقف عديدة تدل على شجاعته. يقول: «ثم خرجنا ونحن ثلثا وعشرون فارساً وخرج في تلك الصحراء ثمانون رجلاً من الكفار وفرسان، وكان أصحابي ذوى نجدة فقاتلناهم أشد القتال فقتلنا أحد الفارسين منهم وغننا فرسه وقتلنا من رجالهم نحو اثنتي عشر رجلاً، واصابتنى نصابة، وأصبحت فرسى نصابة ثانية، ومن الله بالسلامة منها»<sup>(١٧٤)</sup> وأول منصب تقلده ابن بطوطة كان قاضى لركب الحجازى الخارج من تونس، ثم تولى القضاء بالهند وجزيرة المهل<sup>(١٧٥)</sup> وعقب عودته إلى وطنه ولي قضاء بعض المدن<sup>(١٧٦)</sup> امتازت رحلة ابن بطوطة بطولها، وحفلت بتنوع حوادثها فجمعت الكثير من الغرائب، وحوت الكثير من المعلومات عن أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان حريصاً على الاتصال بالملوك لينال أعطيائهم، ويتمكن من مواصلة رحلته مما يدل على علو مكانتها الاجتماعية.

ومن الملاحظ اهتمام ابن بطوطة بالجانب الاجتماعى من حيث حالة العلماء والملوك وعادات الناس في البلاد التي زارها، وقد تمتع بذاكرة قوية خاصة في سرد بعض المعلومات الخاصة بوصف المساجد وأبعادها، وحفلت رحلته بالحكايات والروايات دون تححيص فيها ولا تدقيق، لقد جاءت رحلته حافلة بأوصاف دقيقة مع اهتمامه بذكر القصص الغريبة والنادرة في رحلته، مما أكسبه حبرة كبيرة في هذا المجال، وقد قيل عن السفر: «إن السفر تعليم للصغير وخبرة للكبير»<sup>(١٧٧)</sup>

## المبحث الأول

### المشاهد الجغرافية والعمرانية في بلاد الحجاز

رصد ابن بطوطة مشاهداته الجغرافية والعمرانية في رحلته بدقة وصدق وأمانة، وحفظ لنا هذه المشاهد كتاريخ لبلاد الحجاز في وقت فعل عن حفظها كثير من المؤرخين.

١- المشاهد الجغرافية في الطريق إلى الحجاز: تبوك: طريق الحاج الشامي يبدأ من تبوك، وأرضها خصبة ويكثر به النخيل، ويرى بها سقاؤون حول عين ماء غزيرة، بنيت على هيئة صهريج كبير، أقيمت لهم حولها أحواض كبيرة، يسقون منها الجمال ويعلّون منها القرب.<sup>(١)</sup>

\*- العلا: وهي موضع من ناحية وادي القري بينها وبين تبوك ثمانية أيام وبها أحساء بين الرمال - وهو ماء - تنشفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلالة أمسكته، فأتاح لأهلها زراعة النخيل وبعض المزروعات الأخرى، فأصبحت قرية كبيرة جسيمة المنظر انتشرت فيها العديد من الدور، واشتهر أهلها بفضولهم وأدبهم في دفع الكثير من الخجاج إلى ترك الفاتح من حاجتهم من الأرواد بها إلى حين قفولهم من الحج وهي أيضاً سوق كبير حيث يقصده تجار الشام النصارى للبيع والشراء مع الحجاج.<sup>(٢)</sup>

\*- حجر ثمود: وتعرف اليوم بمدائن صالح بينها وبين تبوك خمسة أيام وقد أطلق عليه ابن بطوطة بئر الحجر أو حجر ثمود، وأشار إلى كثرة الماء بها، وحدد مكان مبرك ناقة صالح عليه السلام، بأنه بين جبلين، بجانبه أثر مسجد يصلى الناس فيه.<sup>(٣)</sup>

\*- هدية: آخر وادي العباس، ماؤها أحسن، وصف بمراته، يستخرج بواسطة الحفر، ويتشتر قطاع الطرق حولها، مما يضطر الحجاج لقتالهم هناك، وبعدها تظهر أعلام المدينة المنورة.<sup>(٤)</sup>

٢- المشاهد الجغرافية بالمدينة المنورة: هي مدينة مشرفة جميلة، أرضها سيخة مشرفة على وادٍ مليء بالنخيل، ولم يتطرق ابن بطوطة لوصفها العام

\*- جدة: قال عنها ابن بطوطة هي بلدة قديمة على ساحل البحر، يُقال إنها من عمارة الفرس وبخارجها مصانع قديمة، وبها حجاب للماء منقورة في الحجر الصلد، يتصل بعضها ببعض وهي كثيرة.<sup>(٥)</sup>

\*- جبل الطويل: يشرف هذا الجبل على موضع معركة بدر، وقد شبهه ابن بطوطة بكثيب رمل ممتد، وذكر أيضاً جبل الرحمة على يسار مدخل بدر، يُقال إن الملائكة نزلت عليه يوم بدر.<sup>(٦)</sup>

### ٣- المشاهد الجغرافية في الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة:

\*- ذو الحليفة : تبعد عن المدينة ستة أو سبعة أميال، وقيل إنها تعرف ببئر علي، وأرض ذي الحليفة بطحاً - سهلة تشرف على وادي العقيق.<sup>(٧)</sup>

\*- صحراء البرواء: صحراء واسعة مسيرتها ثلاثة أيام، مجهولة المسالك عدية المعالم.<sup>(٨)</sup>

\*- وادي رابغ: آخر البرواء، يوجد به الكثير من مستنقعات الماء الجارية، تحت الرمال، يحفر الحجاج لاستخراج الماء النقي منها وفي بعض الطريق عقبة محجرة، وتتكون غدران فيها فترة طويلة خاصة بعد هطول المطر.<sup>(٩)</sup>

\*- عقبة السوق: على مسافة نصف يوم من خليص، كثيرة الرمل بقصدها الحجاج لشرب السوق بها.<sup>(١٠)</sup>

\*- عصفان: منزل آخر في أرض مُنْسَطَّة تحف بها الجبال متوفر بها آبار عذبة، وبها الكثير من أشجار المقل وبها حصن خرب.<sup>(١١)</sup>

\*- خليص: تقع بين جبلين يكثر بهما النخل، وبها عين دائنة الجريان، أحدثت في الأرض أخاديد تبدو على هيئة الآبار، ويوجد به بئر تنسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.<sup>(١٢)</sup>

\*- بطن مرّ أو مرّ الظهران: هو وادٍ خصب يضم قرى كثيرة يزرع بها النخيل والفواكه التي تجلب إلى مكة المكرمة وبها عين ماء كبيرة.<sup>(١٣)</sup>

### ٤- المشاهد الجغرافية بمكة المكرمة:

\* نظراً لمكانة مكة المكرمة الدينية والعلمية في نفوس المسلمين، فقد وصفها ابن بطوطة وصفاً جغرافياً كوادٍ مجدب ليس فيه زرع، تحيط به الجبال بحيث لا يراها قاصدها إلا عند اقترابه منها، وعلى الرغم من تكوينها الجغرافي إلا أنها عامرة بالسكان وامتدادها آخذ في الاستطالة.<sup>(١٤)</sup>

\*- جبل أبي قبيس: أشار ابن بطوطة إلى أنه أقرب الجبال للمسجد الحرام يحيط به الجنوب والشرق، يشرف على الحجر الأسود ويقع في أصله ويرقى إليه من ثلاثة مواضع، من شعب عمر وشعب علي وشعب أجياد الصغير، وبه قبر آدم عليه السلام، وعلى هذا الجبل كان اشطار القصر للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد الأخشين.<sup>(١٥)</sup>

\*- جبل قعيقعان: يسمى الأحمر ويسمى هو وأبو قبيس الأخشبان والحبحيان، ويقع جبل قعيقعان شمال مكة. <sup>(١٦٦)</sup>

\*- جبل الخندمة <sup>(١٦٧)</sup>: وهو المشرف على شعبي أجياد الأكبر وأجياد الأصغر. <sup>(١٦٨)</sup>

\*- جبل ثور <sup>(١٦٩)</sup>: وهو على بعد فرسخ من مكة المكرمة على طريق اليمن، وهو الجبل المشهور الذي أوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه عند هجرتهما إلى المدينة المنورة. <sup>(١٧٠)</sup>

\*- جبال التنعيم: وهي أربعة جبال تقع على طريق التنعيم، اثنان من الجهة اليمنى واثنان من الجهة اليسرى، وعليها أربعة أعلام من الحجارة، يقال إنها الجبال التي وضع عليها سيدنا إبراهيم عليه السلام أجزاء الطير. <sup>(١٧١)</sup>

\*- المزدلفة: وصفها ابن بطوطة بأنها أرض منبسطة فسيحة تقع بين جبليْن، وقدرُوا المسافة بينها وبين عرفات بمثل المسافة بين منى ومكة المكرمة. <sup>(١٧٢)</sup> - عرفات: وقد قُيزت بانسباط أرضها، وإحاطة الجبال بها، حيث يقع جبل الرحمة في طريقها بعيداً عن الجبال الأخرى، فهو عبارة عن حجارة منقطعة بعضها عن بعض، وأسفل الجبل وعلى مكان غير بعيد منه مكان وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو عبارة عن جبل قليل الارتفاع، وحول جبل الرحمة جبال وصهاريج للماء، وعلى يسار العلمين اللذين وضعاً للمستقبل أيضاً وادي الأراك، وبه أراك أخضر يمتد في الأرض امتداداً طويلاً. <sup>(١٧٣)</sup>

## ٥- المشاهد العمرانية:

تناول ابن بطوطة المشاهد العمرانية في بلاد الحجاز وشمل هذا التناول المساجد والأربطة والمباني والحصون والآبار وأماكن الوضوء.

\* الحصون الموجودة بطريق الحجاز: شاهد ابن بطوطة حصن بعسفان وهو حصن قديم ذو أبراج، وشاهد أيضاً بخليص حصنين، أحدهما ذو عمارة جديدة مبنية على ريو، والآخر متهدم يقع أسفل منه. <sup>(١٧٤)</sup>

\* الآبار وأماكن الوضوء بالمدينة المنورة: من هذه الآبار بئر أريس، تقع بالقرب من مسجد قباء، وكذلك بئر رومة وهي في جهة الغرب من حصن العزاة بالقرب من الخندق <sup>(١٧٥)</sup> كما أشار

ابن بطوطة إلى وجود دار للوضوء عند باب السلام، أمر الملك المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ) ببنائها. <sup>(٣٦١)</sup>

\*- المساجد الموجودة في المدينة المنورة: وفي مقدمتها المسجد النبوي الشريف، وروسته الشريفة، والحديث عن المنبر الكريم. <sup>(٣٦٢)</sup> ووصف ابن بطوطة مسجد قباء بأنه مسجد مربع الشكل له متذنة طويلة بيضاء، وفي وسطه روضة صغيرة هي مكان مبرك الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، واحتوت قبلة هذا المسجد على عدة محاريب، وله باب واحد. <sup>(٣٦٣)</sup> ومسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه <sup>(٣٦٤)</sup>، ومسجد سلمان الفارسي رضي الله عنه <sup>(٣٦٥)</sup> ومسجد الفتح الذي نزل فيه سورة الفتح على النبي صلى الله عليه وسلم. <sup>(٣٦٦)</sup>

\*- الحصون بالمدينة المنورة: شاهد ابن بطوطة حصن العزاب وقد نسب هذا الحصن إلى عمر بن الخطاب الذي قام بإسكان عزاب المدينة فيه. <sup>(٣٦٧)</sup>

المساجد في مكة المكرمة: تناول ابن بطوطة المساجد في مكة المكرمة وفي مقدمتها المسجد الحرام، فوصفه ووصف أبوابه، والصف والمروة، وشتر زمزم والمقام والكعبة المشرفة. وتناول في حديثه الكلام على مآذن هذا المسجد. <sup>(٣٦٨)</sup> ومسجد فوق جبل أبي قبيس: وسطحه مشرف على مكة المكرمة. وقد أراد الملك الظاهر عمارته. <sup>(٣٦٩)</sup> مسجد الجن: ويقع على عين المستقبل لمقبرة المعلدة، في وادي بين جبلين. ويبدو أن المسجد كان مهتماً في زمن رحلة ابن بطوطة لإشارته إلى خرابه. <sup>(٣٧٠)</sup> ومسجد على طريق التنعيم: يبعد عن مكة المكرمة بنحو ميل، ويقال إن موضع المسجد هو موضع جلوس النبي صلى الله عليه وسلم عند عودته من العمرة مستريحاً، وقد أطلق عليه المتكأ. <sup>(٣٧١)</sup> مسجد المزدلفة: ويقع بوسط المزدلفة وعليه قبة، وتظهر أنواره ليلاً من بُعد. <sup>(٣٧٢)</sup> مسجد إبراهيم عليه السلام: يقع هذا المسجد قرب آبار الشبيكة بوادي طوى، والظاهر أن المسجد غير معروف الآن. <sup>(٣٧٣)</sup> مساجد التنعيم: وهي عدة مساجد مبنية بالحجارة وتنسب إلى السيدة عائشة رضي الله عنها. <sup>(٣٧٤)</sup>

\*- الأريطة في مكة المكرمة: أورد ابن بطوطة أسماء عدد من الأريطة بمكة المكرمة منها: رباط الصوفية، وقيل رباط السدرة وبابه يفتح على المسجد الحرام بجانب باب بني شيبه وسماه باب الرباط <sup>(٣٧٥)</sup> ورباط بأعلى جبل أبي قبيس: وقد أشار ابن بطوطة إلى عزم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري على تعميره. <sup>(٣٧٦)</sup> ورباط الموفق: بالقرب من باب إبراهيم وأنه من أفضل الأريطة. <sup>(٣٧٧)</sup> ورباط العباسي: وقد خصص لسكنى المجاورين، وقد شيده الملك الناصر ناصر الدين

محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١ هـ)، وهو بين الصفا والمروة في سنة (٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م.<sup>١٤٣</sup>) ورباط الشرايبي يقع عند باب بنى شيبه وقد جعله رميشة بن أبي غني مجعد بن أبي سعد (٧٤٦ هـ/١٣٤٥ م) أمير مكة داراً له.<sup>١٤٤</sup> ورباط ربيع وهو من أحسن الأربطة بمكة، ويدخله بنر عذب ورباط كلالة الذي كان شيخه الشيخ سعيد الهندي.<sup>١٤٥</sup>

\* المباني بمكة المكرمة: وصف ابن بطوطة المباني بمكة المكرمة وخاصة القريبة من الحرم، وقد حرص على مشاهدة العديد من الدور بها منها: دار خديجة رضى الله عنها ودار مولد النبي صلى الله عليه وسلم ودار أبي بكر الصديق رضى الله عنه وموضع صلب عبد الله بن الزبير<sup>١٤٦</sup> كما تناول وصف أسوار مكة المكرمة وأبواب هذه الأسوار<sup>١٤٧</sup>.

\* الحصون بمكة المكرمة: تم تشييد حصن فوق جبل أبي قبيس لكنه هُدم قبل دخول ابن بطوطة إلى مكة المكرمة بزمان.<sup>١٤٨</sup>

\* الآبار وأماكن الوضوء بمكة المكرمة: تحدث ابن بطوطة عن آبار عذبة تسمى آبار الشبيكة على طريق التنعيم، وقد أكد ابن بطوطة على وجود بساتين عند في منطقة الزاهر مما يؤكد على وجود آبار لسقيها.

كما أشار ابن بطوطة إلى وجود بنر عند باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام، وبئر آخر بداخل رباط ربيع. كما أشار إلى وجود دار للوضوء بجوار رباط العباسي، والذي بناه هو الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م).<sup>١٤٩</sup>

## المبحث الثاني

### الجوانب السياسية والإدارية لبلاد الحجاز

استطاع ابن بطوطة أن يصور لنا العالم الإسلامي من خلال رحلته، وأوضح لنا أنه دول مفككة متناحرة، خلال القرن الثامن الهجري، ولم يقتصر الأمر على أن يستقل كل قطر بكيانه، فقد تفككت بعض الأقطار إلى دويلات متعددة، وكان الحكام يغيرون على جيرانهم ويسلبونهم سلطانهم، ويستولون على مدنهم، ويكون مصير المهزوم القتل أو اللجوء السياسي.<sup>(١)</sup> كما يوضح لنا ابن بطوطة أن الحياة السياسية لم تخل من المظالم والمؤمرات ولم تكن بلاد الحجاز بمعزل عن هذه السياسة التي كانت موجودة في العالم الإسلامي آنذاك.

لقد صور لنا ابن بطوطة الجوانب السياسية من خلال بيان إمارة مكة والمدينة وبيان مدة علاقتهما مع سلاطين الدول الإسلامية ومدى سياستهم مع أفراد رعييتهم، ثم أشار إلى مدن بلاد الحجاز التي تعتبر وحدات إدارية، وتناول التنظيمات المالية، والموارد المالية، كما تحدث عن التنظيمات القضائية، وكذلك الحسبة ومالها من دور مهم في الحياة العامة في بلاد الحجاز.

إمارة مكة المكرمة: عاصر ابن بطوطة أثناء رحلته إلى مكة المكرمة الأميرين الشريفين الأجلين الأخوين أسد الدين رميثة<sup>(٢)</sup> وسيف الدين عطيفة<sup>(٣)</sup> ابني الأمير أبي غني بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسيني.

وقد أشار ابن بطوطة أن مكة المكرمة كانت تتبع السلطان يوسف بن رسول (٦٤٧-٦٩٤ هـ / ١٢٥١-١٢٩٦ م) ملك اليمن المعروف بالمظفر، فيقول: «مقره من باب العمرة مدرسة عمرها السلطان المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن، وكان يكسر الكعبة إلى أن غلبه على ذلك الملك المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩ هـ) / (٧٧٢١-٨٨٢١ م).<sup>(٤)</sup> وجاء في كتاب غاية المرام، أن بني رسول وصلوا اليمن بصحبة الملك المعظم توران شاه بن أيوب المتوفي سنة (٥٧٦ هـ / ١١٨١ م). وحظي المنصور نورالدين عمر بن علي بن رسول (٦٢٦-٦٤٧ هـ / ١٢٢٥-١٢٤٦ م) بمكانة كبيرة لدى الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل الأيوبي حتى أنبه بمكة المكرمة مرة واستنابه نيابة عمه باليمن مرتين، وأوصى له بالملك من بعده



ملك اليمن<sup>(١٦)</sup>. وكان للملك المنصور عمر بن علي بن رسول (٦٢٦-٦٤٧هـ) نفوذ سياسي وأدبي ببلاد الحجاز، كان كثير الاهتمام بالحرمين الشريفين وتقديم الخدمات للحجاج، وتقديم الجمال التي تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء، وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشي، ولا يقل عنه في الاهتمام بالحجاج الناصر محمد بن قلاوون، بل يزيد، فيتحدث ابن بطوطة عن زايته بناها هذا الملك الناصر بسرياقوس خارج القاهرة لخدمة الحجاج المسافرين. وكان هذا الملك يبحث إلى مكة المكرمة مرتبات القاضي والخطيب والأئمة والمؤذنين والقراشين وكل ما يحتاج إليه الحرم الشريف، ومن قول ابن بطوطة متحدث عن صلاة الجمعة في الحرم: «فإذا خرج الخطيب أقبل لابساً ثوب سواد معتماً بعمامة سوداء، وعليه طيلسان أسود، كل ذلك من كسوة الملك الناصر محمد بن قلاوون»<sup>(١٧)</sup>.

كما عمر الناصر محمد بن قلاوون رباطاً ونهى داراً للوضوء داخل الحرم، يقول ابن بطوطة: «وبين الصفا والمروة دار العباس رضى الله عنه، وهو الآن رباط يقطنه محاررون، وقد عمره الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله، وبني أبيض دار وضوء فيما بين الصفا والمروة سنة ثمان وعشرين، وجعل لها بابين أحدهما في السوق والآخر في العطارين، وعليه ريع يسكنه خدامهما»<sup>(١٨)</sup>.

إن ما ذكره ابن بطوطة عن سلطان اليمن المنصور عمر بن علي بن رسول والملك الناصر محمد بن قلاوون يدل على مدى العلاقة بين أشرف مكة المكرمة وسلاطين مصر واليمن، ولم تقتصر العلاقة على هذين القطرين بل تعدتها إلى بلاد البجة<sup>(١٩)</sup> حيث إن الشريف أبي نعيم أمير مكة المكرمة قد تزوج بنت ملك البجة، وأنجب منها ولداً يسمى زيد المعروف بابن السواكنية صاحب جزيرة سوكن<sup>(٢٠)</sup>، فعندما وصل ابن بطوطة إلى سواكن قال: «إن سلطانها الشريف زيد بن أبي نعيم وأبوه أمير مكة المكرمة»<sup>(٢١)</sup>.

كما امتدت علاقة أمراء مكة المكرمة إلى العراق أيضاً، فقد تم الدعاء على قبة زمزم في سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) لسلطان العراق أبي سعيد بن خريز بن أرغون الذي حكم العراق قرابة عشرين عاماً، وتوفي سنة (٧٣٦هـ/٥٣٣١م)<sup>(٢٢)</sup>، في عهد الشريفين رميثة وعطفة أمير مكة المكرمة، ويبدو أن سبب الدعاء لسلطان العراق في ذلك العام عائده إلى كثير صدقات أهل العراق وسلطانها المبعوث إلى مكة المكرمة. فقد ذكر ابن بطوطة وقت وجوده بمكة المكرمة في سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م و٧٢٩هـ/١٣٢٨م. وصول الأمير أحمد بن الأمير رميثة، ومبارت بن

الأمير عطيفة من العراق حاملين صدقات عظيمة للمجاورين وأهل مكة المكرمة من قبل السلطان أبي سعيد ملك العراق، ثم يذكر ابن بطوطة أن الدعاء لصاحب العراق لم يتكرر عقب تلك السنة<sup>(١٤٦)</sup>

لقد انفرد ابن بطوطة عن غيره من المؤرخين الرحالة بإلقاء الضوء على علاقات أخرى كجانب من الجوانب السياسية لبلاد الحجاز، وقد أفاض في وصف هذه العلاقة، وهي علاقة أشرف مكة بسلطان مصر الملك الناصر حلوها ومَرَّها، وقد امتدت هذه العلاقة إلى قضاء مكة المكرمة الذين ارتبطوا معه بصلات جيدة، حيث كانت صدقاته وصدقات أمرائه تصل إلى يد قاضي مكة المكرمة نجم الدين محمد بن الإمام محيي الدين الطبري، والذي تولى توزيع أعطياته على أشرف مكة المكرمة وكبرائها، وخدمة الحرم الشريف وجميع المجاورين، وعلي الرغم من قوة الصلة بين سلاطين المالكي في مصر وأمراء مكة المكرمة، فإن صلتهم بملوك اليمن كانت قوية أيضاً وقد أشار ابن بطوطة إلى الدعاء لسلطان بنى رسول وذكر اسمه بعد الدعاء للسلطان المملوكي الملك الناصر في مصر.<sup>(١٤٧)</sup> مما يدل على سياسة الموازنة التي اتبعها أمراء مكة المكرمة للمحافظة على علاقتهم ببنى رسول باليمن وسلاطين مصر، إلا أنه يبدو أن علاقتهم بسلطان مصر الملك الناصر قد شابها نوع من الفتور عقب فتنة أشار إليها ابن بطوطة في حديثه عن علاقة الملك الناصر بأمراء مكة المكرمة، إذ حدث في سنة ٧٣٠ هـ/ ١٣٢٩ م. أثناء موسم الحج خلاف بين أمير مكة «عطيفة» وبين «أيدمور» أحد الأمراء بالقاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون<sup>(١٤٨)</sup>، بسبب قيام تجار من أهل اليمن بالسرقة، فرفع الأمر إلى أيدمور الذي أوعز لمبارك ابن الأمير عطيفة باحضار اللصوص، فاعتذر عن ذلك لعدم معرفته بهم، ولعل في هذا إشارة إلى عدم رضى أمير مكة المكرمة عن تدخل أيدمور في شئون مكة المكرمة، وخاصة الحاجج اليمنيين حفاظاً على علاقة مكة المكرمة وأهل اليمن، وعندما حدث سرقة لأهل مصر والشام، تكفل أمير مكة المكرمة بحل الأمر فلم يرض عن ذلك أيدمور نظراً لما حدث من قبل فتناول علي أمير مكة المكرمة بما أثار غضب الناس عليه، ثم ركب أيدمور متوجها نحو عسكره فلحقه أمير مكة وأتباعه فقتلوه هو وولده، فوقعت الفتنة بالحرم، واشتدت وحاول القاضي وأهل مكة المكرمة إيقاف ماحدث وعقد الصلح ودخل الحاجج مكة المكرمة، فأخذوا أمتعتهم ورحلوا إلى مصر، وبلغ الخبر الملك الناصر فاستاء لذلك، وسير عساكره إلى مكة المكرمة، ففر الأمراء عطيفة وابنه مبارك، ورميته وأولاده إلى وادي نخلة، فلما وصلت عساكر الناصر إلى مكة المكرمة بعث أمير مكة ابنه له بطلب الأمان فأعطوه الأمان، ثم خلع عليه مبعوث الناصر وأعادته إلى الحكم.<sup>(١٤٩)</sup>

لم تفتقر همة أمراء مكة المكرمة عن توطيد أواصر المحبة وحسن العلاقات مع سلاطين الممالك الإسلامية، حيث ارتبط هؤلاء الأمراء بعلاقات ودية مع سلطان كلوة<sup>(١٨)</sup> وهو أبو المظفر حسن بن سليمان<sup>(١٩)</sup> حيث كانوا يقدون عليه لنبل أعطياته، كما أشار إلى ذلك ابن بطوطة.<sup>(٢٠)</sup>

ومن الملاحظ التي ذكرها ابن بطوطة ظلم الحكام لرعاياهم، حيث بين أن مكة المكرمة لم تنج من ظلم الحكام لبعض أفرادها، فيقول: ومنهم الشيخ سعيد الهندي شيخ رباط كلاله، وكان هذا الشيخ قد قصد ملك الهند محمد شاه فأعطاه مالا عظيما قدم به مكة المكرمة فسجنه الأمير عطيفة أمير مكة وطالبه بأداء المال فامتنع فعذب حتى أعطى خمسة وعشرين ألف درهم وعاد إلى بلاد الهند.<sup>(٢١)</sup> كما تطرق ابن بطوطة في رحلته إلى معرفة بعض المدن والقرى التي تتبع مكة المكرمة فذكر لنا جُدة حيث كانت تتبع شريف مكة المكرمة وعليها عامل من قبله مهمته تحصيل المكوس والضرائب.<sup>(٢٢)</sup> ويتبين لنا أن نفوة أشرف مكة المكرمة قد شمل وادي الصفراء<sup>(٢٣)</sup> وذكر أيضا أن فيها حصناً يسكنه الحسينيون.<sup>(٢٤)</sup>

إمارة المدينة المنورة: عاصر ابن بطوطة أثناء رحلته إلى المدينة المنورة أميرين هم طفيل بن منصور بن جواز الحسني<sup>(٢٥)</sup> وكبيش بن منصور بن جواز.<sup>(٢٦)</sup> ولم يكن للمدينة المنورة الحظ الأوفر مثل مكة المكرمة من اهتمام ابن بطوطة، بل إن المدينة المنورة لم تحظ إلا بالقليل من الاهتمام، وبالتالي فالمعلومات السياسية عنها قليلة إذا ما قورنت بما كتبه وما ذكره ابن بطوطة عن مكة المكرمة. كما تحدث ابن بطوطة عن كيفية تولي طفيل بن منصور الإمارة فقال: تولى إمرة المدينة المنورة كبيش بن منصور بن جواز عقب قتله لعمه مقبل بن جواز<sup>(٢٧)</sup> وقيل عوضاً بدمه، ثم إن كبيشاً بن منصور خرج سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) إلى القلعة في شدة الحر ومعه أصحابه فأخذوا إلى الراحة وتفرقوا تحت ظلال الأشجار فما راعهم إلا وأبناء مقبل بن جواز في جماعة من عبيدهم يدونون بالثارات مقبل. فقتلوا كبيش بن منصور صبراً ولعقوا دمه وتولى بعده أخوه طفيل بن منصور.<sup>(٢٨)</sup> وجاء في رواية القلقشندي: أن مقبلاً بن جواز اشترك في إمرة المدينة المنورة مع أخيه منصور على إثر طلبه من الظاهر بيبرس بمصر لذلك، وعندما قام منصور بالإيعاز لابنه في تدبير شؤون المدينة المنورة خلال غيابه فعتبر مقبل ذلك تعدياً على حقوقه في الإمارة فهجم على ابن أخيه وانتزعها منه، مما دفع بكبيش إلى الخروج من المدينة المنورة واللحاق بأحباء العرب طالباً مساعدتهم واستعاد المدينة وقتل عمه مقبل في سنة ٧٠٩هـ وعاد منصور إلى إمارته ثم مات

سنة ٧٢٥هـ فولى ابنه كبيش قتلته عسكر ابن عمه ودى بن جواز الذي حكم المدينة من قبل الملك الناصر بن قلاوون وعقب وفاته تولاهما طفيل بن منصور وانفرد بإمارتها.<sup>(١٩١)</sup>

أورد ابن بطوطة بعض الملامح السياسية حول أمراء المدينة المنورة مثلهم كغيرهم من أمراء العالم الإسلامي، فكما فيهم عدل وانصاف فيهم أيضا سياسة الإغتيال والمؤمرات، فقد عرفت في المدينة المنورة وسيلة القتل في سبيل الإمارة، بل إنها شملت حتى من يتناول على شخص الشريف ولو خطأ، فيقتل جزاء ذلك، وذكر ابن بطوطة أن أحد فقهاء ومدرسي المالكية بالمدينة المنورة ويدعى أبو العباس الفاسي، تحدث يوما مع الناس فانتهى به الكلام إلى القول أن الحسين بن علي بن أبي طالب لم يعقب، فبلغ ذلك أمير المدينة طفيل بن منصور بن جواز الحسيني فأنكر كلامه واستعظمه وأراد قتله، ثم عدل عنه ونفاه من المدينة، وقيل بل بحث إليه من قام بقتله، واختفى أثره.<sup>(١٩٠)</sup>

إن ما ذكره ابن بطوطة عن أحوال **المدينة المنورة السياسية** قليل جداً، لكنه أدرى مدى الصراع على الإمارة والسلطة، كما نجد أن ما يسطق على مكة المكرمة ينطبق أيضاً على المدينة المنورة من حيث علاقتها بمصر في بعض الأحيان وانقطاعها أحياناً أخرى.

فالعلاقة والارتباط بمصر قائم على أساس الوضع الاقتصادي والاستقرار الداخلي، فمتى توفر الاستقرار وعم الرخاء الاقتصادي أصبحت إمارة مستقلة، ومتى تززع الوضع الداخلي نجح الأشراف الحسينيين يسارعون إلى الاستنجاد بملوك مصر ضد بعضهم بعضاً فتعود العلاقة مرة أخرى، وبالمقابل حرصت تلك الدول على إقامة علاقة ودية مع أشراف الحجاز وإرضائهم في سبيل الدعا لهم على منابر الحرمين الشريفين.<sup>(١٩١)</sup>، ولذلك فعلوك مصر تكتفي عند ذكر نواب الحجاز بإظهار الطاعة<sup>(١٩٢)</sup>، وأقصى عقاب ينزل بأشراف الحجاز في حالة خروجهم عن الطاعة أو مخالفة ما يصدر إليهم من أوامر هو الاعتقال مدة من الزمن في القاهرة، وإسناد الأمر لمن عليه الدور في تولي السلطة.<sup>(١٩٣)</sup> أما الجوانب الإدارية لبلاد الحجاز: فقد أشار ابن بطوطة<sup>(١٩٤)</sup> إلى أن من مدن الحجاز التي تعتبر كوحدات إدارية ينبع، والوجه، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة وجدة ورايغ ووادي الصفراء وخليص.<sup>(١٩٥)</sup>، وبجانب الحديث عن هذه الوحدات الإدارية نتناول الحديث عن أمراء تلك البلاد ونظام ولاية العهد ونظام الوزارة، وعندما وصل ابن بطوطة إلى جدة أشار إلى أن متولى أمرها كان من قبل أمير مكة، ولقبه بالأمير وهو أبو يعقوب بن عبد الرزاق<sup>(١٩٦)</sup>

وحمل حاكم ينبع لقب أمير، وكان أحياناً يلجأ إلى الاستبداد وارتباطه بمصر. كما تبعت مر الظهران<sup>(٣٧)</sup> والصفراء مدينة مكة المكرمة كناحية إدارية ونظام إداري يختص بالمدن التابعة لبلاط الحجاز.<sup>(٣٨)</sup> نلاحظ من خلال ما ذكره ابن بطوطة أن الأمراء ببلاط الحجاز كانوا أئمة من الأشراف وقد تولوا حكم البلاد وهم من ذرية الحسن والحسين ابني الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنهم جميعاً، فهي إمارة عربية في تقاليدها<sup>(٣٩)</sup>، وقد أشار ابن بطوطة وغيره من الرحالة الذين نزّلوا بلاد الحجاز إلى بعض حكام مكة فذكروا على سبيل المثال: قتادة بن إدريس، وحسن بن قتادة<sup>(٤٠)</sup>، وأبو سعد الحسن، ثم خلفه ابنه أبو نعي، ثم رميثة وحميصة<sup>(٤١)</sup>، أما المدينة المنورة فخضعت لأسرة من الأشراف من ذرية الحسين بن علي رضى الله عنهما، وأشار ابن بطوطة إلى بعض حكامها منهم: طفيل بن منصور بن جمار، وكبيش بن منصور.<sup>(٤٢)</sup>

كما لم تغفل كتب الرحالة ومن بينهم ابن بطوطة الإشارة إلى الصراع القائم بين الأمراء والأشراف في بلاد الحجاز على السلطة ومحاولتهم الوصول إليها بمختلف الوسائل إلى جانب اشتراك اثنين في إدارة شؤون البلاد. ومثال ذلك الصراع على السلطة، ودور الشريف أبي نعي فيها، وما حدث بين رميثة وحميصة.<sup>(٤٣)</sup> والملاحظ أن الأمر لم يكن مقصوراً على مكة المكرمة، بل لمجده واضحاً في المدينة المنورة في عهد طفيل بن منصور وكبيش بن منصور، واشتراك مقبل في الإدارة مع أخيه منصور عقب مقتل كبيش.<sup>(٤٤)</sup>

أما نظام ولاية العهد كجانب من التنظيمات الإدارية في بلاد الحجاز، فإنها لم تكن موجودة في تقاليد الأشراف، ولكن يعدّ ولي العهد للحكم عن طريق المشاركة أثناء عهد والده أو أخيه فتتاح له الفرصة لإثبات مدة أهليته لهذا المنصب.<sup>(٤٥)</sup> وأحياناً يعهد الأمير لأحد أبنائه صراحةً مثلما فعل أمير أبي سعد الحسن لابنه أبي نعي.<sup>(٤٦)</sup> وغالباً ما يكون الفصل في هذا الأمر إما للحليفة ببغداد أو لسلطين المالك بمصر، فقد فصل السلطان الناصر في أمر رميثة وحميصة عندما اشتد الخلاف بينهما وبين إخوانهم.<sup>(٤٧)</sup>

أما نظام الوزارة في بلاد الحجاز فقد أظهرت بعض كتب الرحالة الذين عاشوا في القرن السابع والثامن الهجريين وجود الوزراء في بلاد الحجاز غير أن ابن بطوطة أغفل ذلك، فربما كان الوزير ينوب عن أمير مكة المكرمة في حضور بعض المناسبات مثل إنابة الوزير عن الشريف أبي نعي في حضور ختم القرآن في المسجد الحرام ليلة السابع والعشرين من رمضان.<sup>(٤٨)</sup>

أما من ناحية التنظيمات المالية، فكل ما أشار إليه ابن بطوطة كان يتعلق بالأعطيات والأوقاف في زمن رحلته، حيث كانت الأعطيات والهدايا والهباء تصل إلى أشرف مكة المكرمة مثل التي وصلت من مصر إلى قاضي مكة المكرمة نجم الدين محمد بن الإمام محيي الدين الطبري وكيل السلطان الناصر في مصر، حيث تولى توزيعها على كافة أهل مكة المكرمة.<sup>(٤٩)</sup> وتلك التي أهداها وزير الشريف أبي نعي للخطيب في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان<sup>(٥٠)</sup>

وهناك الصدقات والأعطيات التي تصل من العراق لأهل مكة المكرمة. ومنها أيضا التي يأخذها الأشرف من سلطان كلوة.<sup>(٥١)</sup> أما الأوقاف فقد قُسمت في المساكن التي أسهم الأغنياء في إنشائها من أموالهم الخاصة، سواء من أهل البلاد أو من القادمين عليها، وأوقفت على المجاورين، إلى جانب الأموال المبذولة لهم.<sup>(٥٢)</sup>

كما أشار ابن بطوطة إلى التنظيمات القضائية في بلاد الحجاز باعتبار أن القضاء أدى دوراً مهماً في الحياة العامة، وهو من أحل المناصب<sup>(٥٣)</sup>، إذ تقوم مهامه على الفصل في الخصومات ومشكلات الأفراد والجماعات، ويُنَّ ابن بطوطة أن تعيين القاضي يتم في مكة المكرمة من قبل الخلافة العباسية قبل سقوط بغداد. وهذا انتقالها إلى مصر أصبح مرسوم تعيين القاضي يصدر منها كما يوجد لهؤلاء القضاة نواب يلتزمون بأداء أعمالهم في حالة غيابهم.<sup>(٥٤)</sup>

وكذلك الأمر في المدينة المنورة فهناك القاضي ونائبه، يقول ابن بطوطة: إن سراج الدين عمر المصري أقام في خطة القضاء بالمدينة المنورة نحو أربعين سنة، وكان ينوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون، فكان القاضي يقوم بإمامة الناس في صلاة الاستسقاء وعند ثبوت هلال شهر ذي الحجة يقوم القاضي بالقاء خطبة شاملة وخاصة بأحكام الحج لكافة الحجاج، موضوعاً لهم الطريق السليم لأداء الفريضة<sup>(٥٥)</sup>

ومن مهام القاضي إلقاء خطبة الجمعة المشتملة على الوعظ والتذكير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه والدعاء لعمى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة والعباس رضى الله عنهم، وكذلك الحسن والحسين رضى الله عنهما، وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة الزهراء، ثم الدعاء للخليفة العباسي وأمير مكة المكرمة ثم حاكم مصر وولى عهده.<sup>(٥٦)</sup> وأشار ابن بطوطة إلى الحسنة ومالها من دور مهم في الحياة العامة في بلاد الحجاز، وهي تسهم مع القاضي

في تنفيذ القوانين المتصلة بالمصالح والآداب العامة في الغش والاحتيال، وقد أورد ابن بطوطة اسم أحد الأشخاص الذين تولوا منصب المحتسب وهو إمام الحنابلة محمد بن عثمان، وإلى جانب قيامه بالحسبة فهو نائب في القضاء أيضاً، ويبدو أن أمير مكة المكرمة يقوم بحماية المحتسب ويعطى عمارة في حضور عدد كبير من الناس ضماناً لعدم التعرض له بسوء.<sup>(١٧١)</sup> أما التنظيمات الحربية، فالواقع أن الرحالة معلوم تهم عنها قليلة، وعلى الرغم من ذلك فقد ألقى ابن بطوطة بعض الضوء على أسماء بعض القادة، فمنهم: محمد بن إبراهيم، وعلي وأحمد أبناء صبيح، وعلي بن يوسف، وشداد بن عمر، وعامر الشرق ومنصور بن عمر، وموسى المرزوق.<sup>(١٧٢)</sup> وقد سبق التجيبي في رحلته ابن بطوطة حيث أخبر أن أمر القادة لم يقتصر على أبناء الأسرة الحاكمة في أن يكون منهم قادة الجيش، بل تعداه إلى الموالي حيث برز منهم أحد القادة من ذوي الكفاءة والشجاعة في عهد الشريف أبي نفي حيث نزل التجيبي أثناء رحلته في داره ويدعى محمد بن الحسن.<sup>(١٧٣)</sup>



## المبحث الثالث

### الجوانب الاجتماعية لبلاد الحجاز

أشار ابن بطوطة في رحلته إلى الجوانب الاجتماعية في المجتمع الحجازي، فتحدث عن طبقات هذا المجتمع وعاداته وتقاليده والاحتفالات التي يقيمها، والملابس التي يرتديها.

١- طبقات المجتمع: استطاع ابن بطوطة أن يوضح لنا صورة المجتمع الحجازي المقسم إلى طبقات بحسب مراتبها الاجتماعية، وظهر من كلامه أن الحياة الاجتماعية في بلاد الحجاز قد تنوعت وأخذت مظاهر عدة، ولاغربة في ذلك، فالتفاوت الطبقي كان له أثره الكبير في بلاد الحجاز، وأهم هذه الطبقات:

\* الطبقة الحاكمة: تولى حكم الحجاز الأشراف من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما في مكة المكرمة، ومن ذرية الحسين بن علي رضي الله عنهما في المدينة المنورة واتسم حكمهم بطابع الإمارة فقط.<sup>(١)</sup> وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة، فذكر أن من حكام مكة المكرمة الأشراف من نسل الشريف أبي غنم عطيفة ورميثة، ومقرهما مكة المكرمة.<sup>(٢)</sup> ودارهم قرب المسجد الحرام وأقام رميثة أحياناً في حصن الجديد.<sup>(٣)</sup> وقد عُرف عن رميثة حُسْن السيرة في أهل مكة المكرمة بينما كان الناس يخشون أخاه حميضة لقسوته<sup>(٤)</sup>، وتولى الحكم من أولاد رميثة عجلان<sup>(٥)</sup>، وثقبة.<sup>(٦)</sup>

أما المدينة المنورة فقد أشار ابن بطوطة إلى حكامها وهما كبيش بن منصور بن جمار، وطفيل بن منصور بن جمار من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما، واعتمد الأشراف على حرس يعرفون بالحرابة، وهم يحفون بالأمير وبين يديه وهم يحملون الخراب باعتبارهم حرس أمير البلد.<sup>(٧)</sup>

\* طبقة القواد: وهي من الطبقات التي لها أهميتها الكبرى، وتتبع الشريف، ويتم اختيار أفرادها من أكابر الأشراف، وكانوا يخرجون مع موكب الأمراء مثل موكب الأمير رميثة والأمير عطيفة في المناسبات. من هؤلاء القواد: محمد بن الحسن مولى الشريف أبي غنم في مكة<sup>(٨)</sup>، وأحياناً قد يكون القائد لايمت للأسرة الحاكمة بصفة، وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة من خلال ما أورده من أسمائهم مثل محمد بن إبراهيم، وعلي وأحمد ابني صبيح، وعلي بن يوسف وشداد بن عمر وعامر الشرق، ومنصور بن عمر، وموسى المزرق وغيرهم.<sup>(٩)</sup>



\* طبقة العلماء: حظى العلماء بأهمية كبيرة لدى الناس، وحظيت بلاد الحجاز بزيارة العديد منهم، وجلسوا لإلقاء الدروس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن علماء مكة المكرمة الشيخ الفقيه العالم الصالح إمام المالكية أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الإمام الصالح الورع أبي زيد عبد الرحمن. وإمام الشافعية شهاب الدين بن البرهان، وإمام الحنفية المحدث الفاضل محمد بن عثمان البغدادي الأصل المكي المولد، ومن علماء المدينة المنورة بها الدين بن سلامة، وعز الدين الواسطي، وسراج الدين عمر المصري والفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون، والإمام المحدث جمال الدين المطري، وأبو عبد الله الغرناطي.<sup>(١٠١)</sup>

\* طبقة القضاة: تُختار طبقة القضاة من رجال العلم، فهم يلحقون بفئة العلماء، يقومون بتنفيذ الأحكام الدينية على سائر الناس، وفي بلاد الحجاز أشار ابن بطوطة إلى وجود هذه الطبقة، ووجود قضاة لجميع المذاهب، فكل طائفة تتبع إمامها وقاضيه، ولكل إمام مكان محدد في المسجد، يصلى فيه مع أتباعه، ومن قضاة مكة المكرمة العالم الصالح العبد نجم الدين محمد بن الإمام العالم محيي الدين الطبري. والعالم شهاب الدين فاضل بن نجم الدين محمد، ومن قضاة المدينة المنورة القاضي سراج الدين عمر لمصرى، وبهذه جمال لدين الأسبوطي.<sup>(١٠٢)</sup>

\* طبقة أصحاب المهن: ومنها طبقة التجار، الذين كانوا أصحاب دور كبير في بلاد الحجاز، التي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على التجارة، وكانت حوانيت التجارة مصفوفة على جانبي الصفا والمروة، وهناك الفلاحون المشتغلون في بساتين مكة المكرمة المتناثرة في "الزاهر" الذي هو مبني على جانبي الطريق خارج مكة المكرمة يحتوي على ديار وبساتين، والمتناثرة أيضا في "المسقلة" وهو موضع خارج مكة المكرمة بالإضافة إلى مهن أخرى كالتسقين والحجازين، وصنع الحلوى والرعاة<sup>(١٠٣)</sup>، والأغوات وهم خدم المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة<sup>(١٠٤)</sup>، ويعملون على العناية بالمسجد خلال ساعات الليل والنهار ونظافته وإشعال وإطفاء قناديله<sup>(١٠٥)</sup>، ومن المهن أيضاً صناعة الثياب، إذ يطلق على أحد أبواب المسجد الحرام باب الخياطين<sup>(١٠٦)</sup>، إلى جانب مهنة الطوافة حيث يقوم سدنة البيت بالطواف بالحجج مقبل أجر على ذلك<sup>(١٠٧)</sup>، بالإضافة إلى مهنة الحصادة والجزرة والبيا والتنجيد وصناعة الدهن<sup>(١٠٨)</sup>، الذين لهم أجرة معلومة، وهذه مجمل المهن التي أشار إليها ابن بطوطة، واستطعت تتبعها، ولا يعني هذا اقتصار أهل الحجاز على هذه المهن فقط، فربما وجدت غيرها ولكن ابن بطوطة أغفل ذكرها

\* طبقة الفقراء والمجاورين: كان بعض فقراء الحجاز يفرغ نفسه للعبادة، وبعضهم يعيش على الصدقات، يقول ابن بطوطة: ومن المجاورين بمكة المكرمة الإمام الصوفي عفيف الدين عبد الله بن أسعد، كثير الطواف أنا، الليل وأطراف النهار وغيره من المجاورين الكثير والكثير. (١٨)

٢- العادات والتقاليد: تحدث ابن بطوطة عن العادات والتقاليد الحسنة والمكارم الجميلة لأهل مكة المكرمة واصفاً إياها بأنها من الأفعال الجميلة، والأخلاق الحسنة، كالإتيان إلى الضعفاء والمحتاجين وحسن الجوار للفقراء ودلل على ذلك بأنه متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنتقطعين المجاورين، ويستدعيهم بتلطف ورفق وحسن خلق، ثم يطعمهم، وأكثر المساكين المنتقطعين يكونون بالأفران، حيث يطبخ الناس أخبازهم، فإذا أطبخ أحدهم خبزه واحتمله إلى منزله يتبعه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له، ولا يرددهم خائبين، ولو كانت له خبزة واحدة فإنها تعطى ثلثها أو نصفها عن طيب نفس، ومن عادات المكيين الاحتفاء بالضيوف وإقامة الولائم، كما أدرجوا على إعداد مياه زمزم للشرب في الحرم حيث توصع في دوارق بعد تنظيفها وتوضع حولها الكيزان (١٩)، البيض، وتسمى الغراريب. (٢٠)

ومن عاداتهم الحسنة أيضاً الاعتناء بالأيام وصبر عديدهم على تعلم طرق الكسب الحلال، حيث اعتاد الأيتام الصغار الجلوس في السوق ومع كل واحد منهم قفطان، إحداها كبيرة والأخرى صغيرة، ويسمون القففة مكتملاً، فباتى الرجل من أهل مكة إلى السوق فيشتري الحبوب واللحم والخضر، ويعطى ذلك للصبي يجعل الحبوب في إحدى قففتيه واللحم والخضر في الأخرى، ويحمل الصبي ذلك إلى دار الرجل ليتهمأ له طعام منها مقابل أجر معلوم، في حين يتجه الرجل لقضاء أعماله. (٢١)

كما أشار ابن بطوطة أن من عادات أهل مكة المكرمة كثرة استعمالهم الطيب والكحل والسواك، وحرص النساء على الطواف في ليلة الجمعة. (٢٢)

ومن عادات أهل المدينة المنورة ما شهده ابن بطوطة في مسجد الفتح حيث يقول: وكانت إقامتنا بالمدينة الشريفة في هذه الوجهة أربعة أيام وفي كل ليلة بيتت بالمسجد الكريم والناس قد حلقوا في صحنه حلقاً، وأوقدوا الشمع الكثير، وبينهم ربعات القرآن الكريم يتلونهم وبعضهم يذكرون الله، وبعضهم في مشاهدة التربة الطاهرة، والحداة بكل حاسب ينترغون بمدح رسول الله صلى

الله عليه وسلم، وهكذا دأب الناس في تلك الليالي المباركة، ويوزعون الصدقات الكثيرة على المجاورين والضعفاء والمحترجين.<sup>(١٢٣)</sup>

وإذا كان ابن بطوطة قد أشار إلى العادات والتقاليد الحسنة لأهل مكة المكرمة والمدينة المنورة، فقد أشار أيضاً إلى العادات والتقاليد غير الحسنة والتي تنطرق إلى البدع والشائعات مثل اعتقاد بعض أهل مكة في زيادة ما - زمزم في ليلة النصف من شعبان، وقد ذكرها من قبله ابن جبير في رحلته والعبدري أيضاً.<sup>(١٢٤)</sup>، وأشيع أيضاً أن حمام الكعبة لا يهبط على الكعبة أو فوقها، وإذا هبط شفى من علته أو مات لحينه.<sup>(١٢٥)</sup>

ومن الشائعات ما أثير حول جبل ثور، وقولهم من لم يستطع دخول الغار من الفتحة التي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فهو ابن زنا.<sup>(١٢٦)</sup> ومن البدع "أنه في حالة وجود قحط يخرجون مصحف زيد بن ثابت الصحابي الجليل رضى الله عنه ويصعوه في القبة مع المقام بعد فتح باب الكعبة ثم يجتمع الناس وهم حاسرو الرؤوس داعين الله ومتضرعين إليه حتى يتداركهم برحمته.<sup>(١٢٧)</sup>

ومن العادات غير الحسنة المنتشرة بين بعض أهل المدينة المنورة التي أشار إليها ابن بطوطة، أن هناك قطعة من الجذع الذي حنّ للنبي صلى الله عليه وسلم يقبلها الناس، ويبادرون للتبرك بلمسها ومسح الخدود فيها.<sup>(١٢٨)</sup>

من الشائعات التي سجلها ابن بطوطة أثناء طريقه إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، عادة الركب المار بتيوك إعداد الجيش بأسلحته ويتقدم الرجالة والفرسان وخلفهم الركب، في حين يقوم بعضهم بتحميل أكوام الحطب على الدواب نقلته بأرض تيوك، ويقبلون على المدينة بهذه الهيئة زاعمين أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخلها بتلك الطريقة.<sup>(١٢٩)</sup>

٣- الاحتفالات: درج أهل مكة المكرمة على الاحتفال بمناسبات معينة منها: احتفالهم يوم الجمعة وخروج الخطيب المؤذن، واحتفالهم بشهر رجب والعمرة وغيرها من العبادات، واحتفالهم في شهر شعبان بإيقاد المصابيح والمشاعل، والصلاة والطواف والخرج للاعتبار.<sup>(١٣٠)</sup>

كما يحتفلون في رمضان بضرب الطبول عند باب الأمير، وتفرق الأئمة السنيين استعداداً

لإقامة التراويح، وتحديد فرش المسجد، والإكثار من الشمع والمشاعل، واستمرار عادة ختم القرآن الكريم في الوتر من العشر الأخير لشهر رمضان، وكذلك الاحتفال ببداية شهر شوال، وتزيين الحرم المكي بالمصابيح والشموع الموقدة في جميع أنحاء الحرم وسطحه، وسطح المسجد الموجود بأعلى جبل أبي قبيس، والاحتفال بشهر ذي الحجة، وضرب الطبول في أوقات الصلاة إلى يوم الصعود إلى عرفات، ويقوم الخطيب يوم السابع من ذي الحجة أثر صلاة الظهر بإلقاء خطبة في الناس يرشدتهم إلى الطرق الصحيحة في أداء الفريضة، وكان هذا الاحتفال موجوداً وقت زيارة ابن بطوطة لمكة المكرمة.<sup>(١٣١)</sup>

٤- الملابس: حرص أهل الحجاز على لبس الملابس النظيفة الحسنة، وقد أشار ابن بطوطة إلى أمير مكة المكرمة وهو يلبس ثوباً أبيض وعمامة بيضاء، متقلداً سيقه، ويلبس القاضي الخطيب في صلاة الجمعة ملبسه السوداء المزينة بخيوط الذهب وعلى رأسه عمامة سوداء مزينة أيضاً، وعليه طيلسان شرب وقيق، كما يرتدي رئيس المؤذنين وقت صلاة الجمعة ملابس سوداء، ويحمل على عاتقه سيفه، وساد اللور الأبيض ثياب أهل مكة المكرمة، وقيام الأمير باللباس المحتسب عمامة تكون له جوازاً، فلا يجرؤ أحد على التعرض له، ولكنها تصبح عديمة النفع عند رحيل صاحبها عن مكة المكرمة.<sup>(١٣٢)</sup>

## المبحث الرابع

### الجوانب الاقتصادية لبلاد الحجاز

سجل ابن بطوطة في رحلته العديد من الجوانب الاقتصادية لبلاد الحجاز سواء على المسار الزراعي أو الصناعي أو التجاري وذلك على النحو التالي:

١- الزراعة: نلاحظ أن بلاد الحجاز قد اعتمدت في الزراعة على المياه، ومن ناحية توفر المياه نجد في القرين بئر مياه عذبة، وفي مكة المكرمة هناك سقاية للماء، وفي بطن مرّ وخليص ويدر والصفراء وقباء مياه آبار عذبة، وبذلك اتسعت الرقعة الزراعية في مختلف مدن بلاد الحجاز، وقد أشار ابن بطوطة إلى المحاصيل الزراعية في بلاد الحجاز فيقول: ولقد أكلت بها من الفواكه والعنب والتين والخوخ والرطب ولا نظير له في الدس، وكذلك الطيب المجلوب إليها لا يماثله سواء طيباً وحلاوة، حيث تجلب لها لعمركه والمحضر من الطائف وودي رحلة، وبطن مرّ.<sup>(١)</sup>

ونلاحظ أن الأراضي الزراعية كانت قريبة من مكة المكرمة وب حولها من القرى والأودية، يقول ابن بطوطة: ثم رحلنا من عسفان، ونزل بطن مرّ، ويسمى أبض مرّ الظهران، وهو وادي خصب كثير النخل ذو عين فوارة سيالة تسقى تلك الناحية، ومن ههنا لؤدي تجلب الفواكه والمحضر إلى مكة المكرمة.<sup>(٢)</sup>

كما اشتهرت الطائف بخصوبة تربتها الزراعية، حيث تحوي الفواكه وتضم بساكنها النخيل والعنب والخوخ والتين، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك عند حديثه عن رباط ربيع بمكة المكرمة عندما يأتي أهل الطائف بالفواكه بأنهم يخرجون العشر من الناتج من النخيل والعنب والخوخ والتين.<sup>(٣)</sup>

٢- الصناعة: ساهمت الأحجار الكريمة كالجواهر والياقوت وغيرها المحلوبة إلى بلاد الحجاز في ازدهار صناعات رائجة ومعروفة، وهي صناعة الحلي والمجوهرات وغيرها من صناعات الفضة استخدمت في تزيين المسجد الحرام، حيث كانت هذه المادة من الفضة تجلب إلى البلاد، وقد أشار ابن بطوطة أيضاً إلى توفر الفضة والذهب في بلاد الحجاز ورخص أسعارها.<sup>(٤)</sup>

٣- التجارة: اعتمدت بلاد الحجاز على التجارة لإقبال الكثير على العمل في مجالها، ويبدو أن طبيعة البلاد قد دفعت السكان إليها ونجد ذلك واضحاً في القرآن الكريم في دعوة سيدنا إبراهيم الخليل لأهلها: "فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" سورة إبراهيم (آية ٣٧) وقال تعالى: "أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجيب إليه ثمرات كل شيء القصص (آية ٥٧). فالآيات تشير إلى المكان وماخصه الله به من مميزات دينية، وهي اتجاه القلوب إليه، ثم الناحية الاقتصادية المتمثلة فيما ساقه الله لهم من رزق ليكونوا شاكرين لنعمه، ومحافظين عليها، أما الآية الثانية فأشارت إلى قدسية المكان، وإلى الأرزاق والخيرات المحسولة إليه من كل مكان، وقد أشار ابن بطوطة إلى المراكز التجارية في بلاد الحجاز مثل، جدة وهو ميناء بحري، ومكة المكرمة، وينبع وتبوك والملا والدحنا ورابغ وعسفان وغيرها من الموانئ.<sup>(١)</sup>

كما أشار ابن بطوطة إلى أن الوردات التجارية تحصل من داخل بلاد الحجاز إلى مكة المكرمة فيحمل إليها الخضار والفواكه من الأودية القريبة مثل وادي نخلة وبطن مر ومن الطائف<sup>(٢)</sup>

وقد تعددت الأسواق التجارية في بلاد الحجاز وتنوعت مبيعاتها وأوقاتها، وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة فذكر أن في مكة المكرمة يوجد سوق تجاري ما بين الصفا والمروة، تباع فيه الأطعمة، وسوق للثياب والأمتعة، وسوق للعطارين عند باب بنى شيبه وسوق الدقاقين أي التوابل في أجباد، يقول ابن بطوطة: وبين الصفا والمروة سوق عظيمة، تباع فيها الحبوب واللحم والتبر والسمن وسواها من الفواكه.<sup>(٣)</sup>

## المبحث الخامس

### الجوانب العلمية لبلاد الحجاز

حفلت رحلة ابن بطوطة بالجوانب العلمية لبلاد الحجاز، متضمنة المذاهب الإسلامية وبعض المدارس العلمية، وأشهر العلماء الكبار، وذلك على النحو التالي:

١- المذاهب الإسلامية في بلاد الحجاز : تعددت المذاهب الإسلامية في بلاد الحجاز، وقد أشار ابن بطوطة إلى تعدد الأئمة في الحرم المكي تبعاً لتعدد المذاهب، فكان هناك المذهب المالكي، والشافعي والحنفي والحنبلي، ويمثل كل مذهب من هذه المذاهب إمام كبير فهناك الفقيه العالم إمام المالكية أبو عبد الله محمد بن أبي زيد عبد الرحمن. وشهاب الدين بن البرهان إمام الشافعية، وشهاب الدين أحمد بن علي إمام الحنفية، والمحدث محمد بن عثمان البغدادي الأصلي المكي المولد إمام الحنابلة. <sup>١</sup> ولفت انتباه الرحالة الذين سبقوا ابن بطوطة وزاد استنكارهم من وجود الفرقة الزيدية حيث كان الإمام الزيدي موجوداً زمن رحلة ابن حبيب عام ٥٧٩هـ (١١٨٣م). واستمر وجود الزيدية في وقت رحلة التيجيبي إلى مكة سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٦م). ولكن هذه الفرقة اختفت واختفى وجود إمامهم في وقت رحلة ابن بطوطة الذي رآه مكة سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م). وبالرغم من تعدد الأئمة والمذاهب بالحرم الشريف إلا أنه لم يحدث اصطهاد أو تحيز لمذهب على آخر، بل سار أئمة وعلماء المذاهب جنباً إلى جنب لنشر العلم، وري يحدث تفقه العلماء على أكثر من مذهب. <sup>٢</sup>

٢- المدارس العلمية في بلاد الحجاز: سارت المدارس العلمية بمكة المكرمة جنباً إلى جنب مع المسجد الحرام في نشر العلم، وقد أشار ابن بطوطة إلى مدرسة واحدة فقط وهي لمدرسة المظفرية، (التي بناها ملك اليمن المظفر نور الدين عمر بن رسول. <sup>٣</sup>) غير أن المسجد الحرام يعد مدرسة علمية وركزاً لنشر العلم والتعليم من أعظم لمراكز العلمية، حيث تعقد فيه حلقات العلم المتنوعة، ليس وفق منهج محدد بل كن الأمر متروكاً لكل عالم في تدريس المفيد. <sup>٤</sup>

وقد أشار ابن بطوطة إلى أن الكثير من طلاب العلم قد حرصوا على طلب العلم بالمسجد الحرام، وليس بالمدرسة المنتشرة بمكة وحدها <sup>٥</sup> ولم يشير ابن بطوطة في رحلته إلى وجود مدارس علمية بالمدينة المنورة بسبب ما كن عليه المسجد النبوي والمسجد الحرام من نشاط علمي بسبب وفرة العلماء ولكتب لعلمية، وكأنما مكة والمدينة كانت مقراً لتعلم والعلم.

ويأتي المسجد النبوي مركزاً ثانياً من المراكز العلمية بالحجاز، وظلت المدينة المنورة مقصداً لطلبة العلم، وكان العلماء المجاورون يحتفظون بكتبهم داخل المسجد النبوي في أماكن خاصة بهم، كما ضم المسجد النبوي مكتبة كبيرة وبعض المصاحف الموقوفة على المسجد.<sup>(١٧)</sup>

وقد شاهد ابن بطوطة وغيره من الرحالة الذين نزلوا بلاد الحجاز خزان للكتب في المسجد الحرام، وهي كتب وقفت على المسجد الحرام إلى جانب الكتب الخاصة بكل عالم يتولى التدريس، إلى جانب الكتب الموقوفة من قبل علماء مكة المكرمة مما يعطى انطباعاً واضحاً عن وجود اتصال حضاري بين المسلمين في بلاد الحجاز وشعوب الدول الأخرى، مما أعطى بلاد الحجاز بعض الخصوصيات الثقافية التي تنفرد بها عن باقي المنطقة العربية.<sup>(١٨)</sup>

٣- أشهر العلماء الكبار بمكة المكرمة : ضمت مكة المكرمة جمعاً غفيراً من العلماء، سواء كانوا مقيمين بها أو مجاورين للمسجد الحرام، في زمن ابن بطوطة وقد أورد ابن بطوطة عدداً من هؤلاء العلماء مثل: نجم الدين محمد بن محيي الدين الطبري، المولود في سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، تفقه وأفتى وتولى القضاء حتى مات في سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م، لقيه ابن بطوطة وأثنى عليه لفضله وكثرة صدقاته ومواساته للمجاورين وحسن خلقه، وكثرة عبادته وإطالة مكوثه في المسجد الحرام وقيامه بإطعام الأشراف والأعيان والفقراء، وخدم الحرم الشريف والمجاورين، وحظي بمكانة كبيرة لدى الملك الناصر ملك مصر، إذا يعتبر وكيلاً عنه في توزيع صدقاته وصدقات أمرائه على سكان مكة المكرمة.<sup>(١٩)</sup>

والعالم الفاضل جلال الدين محمد الأفشهري، جاور بالحرمين وسمع بها الكثير، وله عناية كبيرة بالحدیث الشريف، ولد سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)، ومات بالمدينة المنورة سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م). وقد لقيه ابن بطوطة وأشار إلى جلوسه عند باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام<sup>(٢٠)</sup>

وأمام الحنابلة محمد بن عثمان البغدادي، سمع وحديث وناب في القضاء بمكة المكرمة عن القاضي نجم الدين الطبري، وتوفي سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م). ولقيه ابن بطوطة وبيّن أنه بغدادي الأصل مكّي المولد، وكان المحتسب بعد قتل تقي الدين المصري، وله عند الناس هيبه وسطورة<sup>(٢١)</sup>

ومحمد بن عبد الله بن أحمد الطبري المكي الشافعي، ولد سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) بمكة المكرمة وتوفي سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣١م). وقد مدحه ابن بطوطة كثيراً لبلاغته وحسن بيانه، وكان يكتب لكل جمعة خطبة خاصة بها.<sup>(٢٢)</sup>



والعالم عز الدين الحسن بن علي الواسطي، ولد سنة (٦٥٣ هـ/١٢٥٥ م) ومات في شعبان سنة (٧٤١ هـ/١٣٤٠ م)، ذكره ابن بطوطة من مكة المكرمة والمدينة المنورة وقال عنه: إنه من أصحاب الأموال الطائلة، يحمل إليه من بلده المال الكثير في كل سنة فيبتاع الحبوب والتمر ويفرقها على الضعفاء والمساكين، ويتولى حملها إلى بيوتهم بنفسه ولم يزل ذلك دأبه إلى أن توفي.<sup>(١٣)</sup>

والعالم أحمد بن محمد بن أحمد زين الدين الطبري المكي، ولد سنة (٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م)، وتوفي بمكة المكرمة سنة (٧٤٢ هـ/١٣٤١ م) قال عنه ابن بطوطة: إنه الفقيه الصالح زين الدين الطبري شقيق نجم الدين من أهل الفضل والإحسان للمجاورين.<sup>(١٤)</sup>

والعالم أحمد بن علي بن يوسف شهاب الدين الحنفي المكي إمام الحنفية بالحرم الشريف، ولد بمكة المكرمة سنة (٦٧٣ هـ/١٢٧٤ م) وتوفي بها سنة (٧٦٣ هـ/١٢٧٤ م)، قال عنه ابن بطوطة: إنه من كبار أئمة مكة المكرمة وفضلائها وكرمائها، قام في كل عام باستدانة أربعين أو خمسين ألف درهم لإطعام المجاورين وأبناء السبيل.<sup>(١٥)</sup>

٤- أشهر العلماء الكبار بالمدينة المنورة. حفلت مدينة المنورة بالعديد من العلماء القائمين على التعليم ونشر العلم، إضافة إلى العلماء القادمين إليها، ورج حاور بعضهم واستقر بها ذلك في زمن ابن بطوطة من بين هؤلاء العلماء: العالم الجليل سراج الدين عمر بن أبي العباس الأنصاري، ولد سنة (٦٣٥ هـ/١٢٣٧ م) وتوفي سنة (٧٢٦ هـ/١٣٢٥ م)، أشار إليه ابن بطوطة بقوله: قاضي وخطيب المدينة المنورة، ظل قاضي وخطيب المدينة نحو أربعين سنة.<sup>(١٦)</sup>

والعالم جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد العبادي السعدي الشافعي رئيس المؤذنين بالحرم النبوي الشريف، ونائب القاضي والخطيب والإمام في المدينة المنورة، ولد سنة (٦٧١ هـ/١٢٧٢ م) وتوفي سنة (٧٤١ هـ/١٢٤٣ م) وقال عنه ابن بطوطة: هو الإمام المحدث الفاضل.<sup>(١٧)</sup>

والعالم محمد بن محمد بن أحمد كمال الدين المصري، نبغ في الفقه، وسمع الحديث، تولى القضاء والخطبة والإمامة بالمدينة المنورة، ولد سنة (٦٧٤ هـ/١٢٧٥ م) في القاهرة، وتوفي سنة (٧٤٥ هـ/١٣٤٤ م)، ولقبه ابن بطوطة قائلاً عنه: إنه من مصر وأشار إلى توليه الخطابة والقضاء بالمدينة المنورة.<sup>(١٨)</sup>

والعالم أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي، جاور بالمدينة وأخذ الحديث وأتقن الفرائض والحساب، توفي سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) ولقيه ابن بطوطة وأثنى عليه ونعته بالشيخ المجاور المعروف بالتراس وأصبح فيما بعد أحد القائمين على خدمة المسجد النبوي الشريف.<sup>(١٢٩)</sup>

والعالم محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون التونسي المولد والمنشأ، أشار ابن بطوطة إلى عمله نائباً للقاضي سراج الدين، وله العديد من الأبناء بالمدينة المنورة، ومات سنة (٧٢١هـ/١٣٢٠م) وقد برع في علم الميقات.<sup>(١٣٠)</sup>

والعالم عبد الله بن محمد بن فرحون قاضي المالكية ومؤرخ المدينة المنورة، ولد سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، أخذ العلم على يد علماء عصره، واستوطن المدينة المنورة، وعمل نائباً للقاضي مدة أربع وعشرين سنة، ثم انفرد بقضاء المالكية، وكان عالماً بالحديث ومعانيه والقرآن الكريم وتفسيره، وله العديد من المؤلفات، قال عنه ابن بطوطة: أبو محمد عبد الله مدرس المالكية ونائب الحكم.<sup>(١٣١)</sup>

والعالم البيهقي بن سلامة المصري الذي قام بالخطابة، والإمامة بالمدينة المنورة، أشار ابن بطوطة إلى إمامته للمسجد النبوي الشريف وقت قدومه إلى المدينة المنورة، وكان من أكابر المصريين.<sup>(١٣٢)</sup>

لقد تمتعت مكة المكرمة والمدينة المنورة بمكانة علمية عظيمة في نفوس المسلمين جميعاً، وهما من أهم المراكز التي تشد إليها الرجال وتضرب إليها أكباد الإبل في سبيل طلب العلم والعبادة، وقام علماؤها بدور كبير في النهوض بالحركة العلمية وازدهارها.

## الخاتمة

لقد اعتمدت في هذا البحث على كتاب رحلة ابن بطوطة لإظهار أهميته، والتأكيد على أن هذه الرحلة من المصادر المهمة لتاريخ الحجاز، وقد قمنا بخص هذا البحث عن عدد من النتائج تتعلق بالجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، ومن هذه النتائج نتائج الجوانب السياسية: حيث ظهر من خلال الدراسة أنه قد حدث اضطراب سياسي في بلاد الحجاز نتيجة تصارع أمراء الأشراف فيما بينهم على الإمارة، وقد استعان الأمراء الأشراف بملوك مصر تارة وملوك اليمن تارة أخرى في سبيل الحصول على الحكم، وقد ارتبط أشراف الحجاز ارتباطاً وثيقاً في القرن الثامن الهجري بالمماليك بمصر، الذين تدخلوا في شئون الحجاز الداخلية، وامتد ليشمل الأمراء أنفسهم من ناحية توليتهم وعزلهم، وامتدت سيطرت أمراء مكة المكرمة على مناطق شاسعة خارج الحجاز ليشمل مملكة سواكن وبلاد الحبشة.

أما الجوانب الاجتماعية: فقد تعددت الطبقات في المجتمع الحجازي، واختلاف تركيبته السكانية، وظهرت عادات وتقاليد انفرادية أهل الحجاز عن سائر الأمصار الإسلامية، وكذلك الاحتفالات المرتبطة بأكثر الشهور العربية.

أما الجوانب الاقتصادية: فقد ظهر من خلال الدراسة استقرار الأحوال السياسية بالممالك الإسلامية المجاورة للحجاز يعقبه استقرار سياسي واقتصادي بالحجاز بسبب ما يصلها من أعطيات منها بانتظام، وأن أهل الحجاز لديهم معرفة بأساليب المعاملات التجارية يختلف أنواعها، وأن للأسواق وانتشارها وجود كبير.

ومن حيث الجوانب العلمية: كانت رحلة ابن بطوطة مشاهدات في بلاد الحجاز بمثابة موسوعة علمية مصفرة عن هذه البلاد لما حوته من معلومات مهمة لكافة أحوال المسلمين في القرن الثامن الهجري.

وتضمنت هذه الرحلة العديد من أسماء العلماء البارزين في مكة والمدينة، كما ضمت مكة المكرمة والمدينة المنورة المذاهب الإسلامية الأربعة وسار علماء هذه المذاهب جنباً إلى جنب لدفع الحركة العلمية والنهوض بها ويزور دور المسجد الحرام العلمي، وكذلك دور المسجد النبوي فكان كل منهما بمثابة جامعة مفتوحة يتوافد إليها طلاب العلم المسلمون من جميع أنحاء العالم الإسلامي.

كما أبرزت الدراسة دور العلماء المجاورين في رواج الحركة العلمية بمكة المكرمة والمدينة المنورة، واطلعت الدراسة من خلال رحلة ابن بطوطة على كثير من المشاهد الجغرافية والعمرانية في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

## هوامش البحث

### هوامش التمهيد

- ١- حسين محمد فهم، أدب الرحلات، طبعة عالم المعرفة العدد ١٣٨، الكويت ١٩٨٩ م. ص ٢٧. وانظر ابن الخطيب ذو الوزارتين لسان الدين ص ٧٧٦هـ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عتار، طبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٤ م، ٢٧٣/٣.
- ٢- ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة دار الجليل - بيروت بدون تاريخ ٤٨٠/٣.
- ٣- ابن بطوطة، الرحلة، طبعة دار صادر بيروت ١٩٨٥ ص ٥.
- ٤- ولواته بن من بطون البربر ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زهيك. انظر عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ، تاريخ ابن خلدون، طبعة مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٩ م. ١١٦/٦.
- ٥- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤. **وهـ طـبـجـة** : بلد على ساحل بحر المغرب، وهي مدينة قديمة، آثارها ظاهرة، بناؤها بالحجارة قائمة على البحر، وهي على ظهر جبل، وهي آخر حدود أفريقيا، انظر ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان طبعة دار صادر - بيروت بدون تاريخ ٤٣/٥.
- ٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ٥١١.
- ٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٨.
- ٨- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤٨٠/٣.
- ٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤.
- ١٠- ابن خلدون عبد الرحمن ت ٨٠٨هـ، المقدمة طبعة دار نهضة مصر، الطبعة الثالثة بدون تاريخ، ٣٢٢/١.
- ١١- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة بدون تاريخ، ١٠/٤.
- ١٢- انظر مقدمة ابن جزي برحلة ابن بطوطة ص ٩-١٣، وانظر ابن الخطيب، الإحاطة ٢٥٦/٢-٢٥٧، ٢٦٥.
- وانظر زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٩١ م، وانظر:
- M Zakz: Arab Accounts of India (During The Fourteenth century) dell, Delhi, 1981
- ١٣- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤، ١٧٠، ٢٤٠-٢٤٢، ٢٨٠، ٦٥٤.
- ١٤- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤٨٠/٣.

١٥- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤ ، ١٣٠.

١٦- كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان، طبعة جامعة الدول العربية ١٩٥٧ م ٤٢١/١. ونقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب ط ٣، طبعة المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع- بيروت ١٩٨٢ م ص ١٨٠.

١٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٠٨ - ١١٠.

١٨- نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب ص ١٨٢.

١٩- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب ص ٤١، والبستاني، دائرة المعارف ٣٩٩/١

وانظر :

- Blanche Tropicu : Les Voyageurs Arabes au Mogen Age Gallimard. 8 eme edition. 1937.

٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ٤١٠ ، ٥١٥ - ٥١٦.

٢١- جزيرة المهل، وهي ما تعرف اليوم بجزائر المالديف، انظر محمد محمود الصادق، رحلة ابن بطوطة، طبعة دار المعارف للطباعة، والنشر والتوزيع تونس ١٩٨٥ م ، ص ٤٩ وشوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، طبعة عدم المعرفة - العدد ١٥١١، الكويت ١٩٩٠، ص ١٩٣

٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٨ ، ٥١١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٨، وانظر ابن حجر العسقلاني، لدرر الكامنة ٤٨٠ / ٣.

٣٢- انظر مقدمة هذا المرجع :

- C H.Lockitt, theadventure of Travel Longman : 15th edition 1960 .

### هوامش المبحث الأول

١- ابن رشيد، ملء العيبة، ط دارالفكر الإسلامي- بيروت ١٩٨٨ م ٧/٥، ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٢.

٢- ابن رشيد، ملء العيبة ١١/٥ - ١٢ ، ١٥ - ١٦، وابن بطوطة، الرحلة ١١٢ - ١١٣.

٣- البهليوي، تاج المفرق تحقيق لحسن السائح - ط بيروت (د ت) ٢٧٨/١، وابن بطوطة، الرحلة، ١١٢ - ١١٣، وابن رشيد، ملء العيبة ١٤/٥ - ١٥.

٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٣، والبهليوي، تاج المفرق ٢٧٩/١.

٥- التميمي، مستفاد الرحلة ص ٢١٨ - ٢١٩، وابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

٦- العبدري، الرحلة امعربية ص ١٦٣ - ١٦٤، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨ - ١٢٩.

- ٧- البلوي، تاج المعرق ٢٧٩/١، وابن بطوطة، الرحلة، ص ١٢٨.
- ٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨-١٢٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٦٣ - ١٦٤.
- ٩- العبدي، الرحلة المغربية ص ١٦٤ - ١٦٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩.
- ١٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٦٦.
- ١١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩.
- ١٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩-١٣٠.
- ١٣- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٠.
- ١٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣١، وأبو عبدالله العبدي: الرحلة المغربية - تحقيق محمد الفاسي - طبعة الرياض المغرب ١٩٦٨ م، ص ١٧٢ - ١٧٣، التجيبي القاسم بن يوسف ت ٧٣٠ هـ: مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، طبعة الدار العربية للكتاب - ليبيا- تونس ١٩٧٥ م، ص ٢٣٠.
- ١٥- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣١-١٤٤، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٧٣، والتجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٥١.
- ١٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٧٣، والتجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٥٠.
- ١٧- جبل الهندية: الحندمة جبال مكة الشرقية التي تبدأ من أبي قبيس متجهة شرقا إلى المفجر الذي يفصل بين جبال منى وجبال مكة وتعد جنوبها حتى تشرف على المفجر الغربي الذي يفصلها عن جبل ثور، انظر البلاذري عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، طبعة مطبوعات نادي الطائف الأدبي - السعودية ١٩٧٨ م، ٣/ ١٦٠.
- ١٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٧٣.
- ١٩- وهو الآن يقع داخل عمران مكة، ويشرف على حى الهجرة.
- ٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٥، والتجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٥٥، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٨٦.
- ٢١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤-١٤٥، والتجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٦١.
- ٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٨٣ - ١٨٤، والحري، المناسك وأماكن طرق الحج تحقيق حامد الجاسر ط ٢ - الرياض ١٩٨١ م ص ٥٠٦ - ٥٠٨، والفاسي، شفاء الغرام ١/ ٤٩١ - ٤٩٢، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٤ - ٥٠٦.
- ٢٣- العبدي، الرحلة المغربية ص ١٨٤ - ١٨٥، والفاسي، شفاء الغرام ١/ ٤٨٢ - ٤٨٨، وابن بطوطة، الرحلة

ص ١٦٩ - ١٧٠.

٢٤-التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٢٢، وابن رشيد، مل- العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة - تحقيق محمد الحبيب ج ٢ طبعة الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٢ م، ج ٢ طبعة ١٩٨١ م وجه طبعة دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٨ م ١٥/٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩ - ١٣٠.

٢٥-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٦، عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة ط ٤، طبعة المطبعة العربية الحديثة - بيروت ١٩٨٥ م ص ٢٣٩، ٢٤٦، والشنتبطي، الدر الثمين ط ٣، طبعة دار القلم - مكة ١٩٩١ م ص ١٦٧.

٢٦-ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٨ - ١١٩.

٢٧-ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٤ - ١١٩.

٢٨-البليوي، تاج المشرق ١/ ٢٨٧ - ٢٨٨. وابن بطوطة الرحلة ص ١٢٥

٢٩-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٥، والبليوي، تاج المشرق ١/ ٢٨٨

٣٠-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٥، والبليوي، تاج المشرق ١/ ٢٨٨.

٣١-البليوي، تاج المشرق ١/ ٢٨٨. وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٥

٣٢-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٦.

٣٣-البليوي خالد بن عيسى ت ٧٨٠ هـ، تاج المشرق في تحليلة علماء المشرق، تحقيق ومقدمة الحسن السائح، طبعة بيروت (د. ت)، ١/ ٣٠٥ - ٣٠٧، والفاسي محمد بن أحمد الحسيني ت ٨٣٢ هـ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م، ١/ ٣٦٩، ٣٨٥ - ٣٨٧، ٣٣٠ - ٣٣١، ٣٤٦، التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٤٣ - ٤٤٦، ٢٢٧ - ٢٢٨، ٣٠٣ - ٣٠٤، ٢٧٩ - ٢٨٠، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٦، ١٣٩ - ١٤٠.

٣٤-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٢ - ١٤٤، والبليوي، تاج المشرق ١/ ٣١٢

٣٥-البليوي، تاج المشرق ١/ ٣٨٠، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٢، وسيد عبد المجيد بكر، أشهر المساحد في الإسلام ط دار القلم - مكة ١٩٨٤ م ص ١٠٢ - ١٠٤.

٣٦-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٣، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٤٩، والبليوي، تاج المشرق ١/ ٣٩٠.

٣٧-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٩.

- ٢٨- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٤٩، والبلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية ط دار مكة السعودية ١٩٨٠ م. ص ٢٧٢، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٩ - ١٧٠.
- ٣٩- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ١٤٣، والبلوي، تاج المفرق ١/ ٣١٠، والفاسي، شفاء الغرام ١/ ٤٢٩، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف ص ٢١٠، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٣.
- ٤٠- الفاسي، شفاء الغرام ١/ ٥٢٧، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٩، والتجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٤٥.
- ٤١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤، والفاسي، شفاء الغرام ١/ ٥٢٧.
- ٤٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٠، والتجيبي، مستفاد الرحلة ص ٤٥٦، والفاسي، العقد الثمين ١/ ١٢٢.
- ٤٣- الفاسي محمد بن أحمد الحسيني ٨٣٢ هـ - والعقد الثمين في أخبار البلد الأمين، تحقيق عمر عبد السلام التدمري طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م، ١/ ١٢٠، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤١.
- ٤٤- ابن فهد، إتحاف الوري ٣/ ٦٠، والفاسي، شفاء الغرام ١/ ٥٢٨، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨.
- ٤٥- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٤، والفاسي، شفاء الغرام ١/ ٥٣٢ - ٥٣٥، والفاسي، العقد الثمين ١/ ١٢٠ - ١٢٢، وابن فهد، إتحاف الوري ٢/ ٥٦٤، ٣/ ٦٤.
- ٤٦- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٢٣، ٢٣٦، ٣٣٩، والبلوي، تاج المفرق ١/ ٣١١ - ٣١٣، والفاسي، شفاء الغرام ١/ ٤٣٨، ٤٣٩، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٠، ١٤٢.
- ٤٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٩.
- ٤٨- ابن فهد، إتحاف الوري ٢/ ٥٣٦ - ٥٣٨، والتجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٥٢، وابن الجوزي، المنتظم ١/ ٢٦٠.
- ٤٩- البلوي، تاج المفرق ١/ ٣٠٩، والتجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٣٣، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، والفاسي، شفاء الغرام ١/ ٥٥٩، ٥٣٢، ٥٤٦، ٥٥٢، والفاسي، العقد الثمين ١/ ١٢٠، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤١ - ١٤٣، ١٥٤.

### هوامش المبحث الثاني

- ١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤، ٢٢.
- ٢- ربيعة بن أبي غي محمد بن أبي سعد حسن بن أبي علي أمير مكة، وليها نحو ثلاثين سنة، توفي ثامن ذي القعدة ٧٤٦ هـ/ ١٣٤٥ م. انظر ابن تقي بري، الدلائل الشافعي على المسهل الصافي، بتحقيق فهم شلتوت، طبعة مكتبة الخانجي القاهرة (د - ت) ١/ ٣٠٦.
- ٣- عطيفة بن أبي غي محمد بن أبي سعد حسن بن أبي علي أمير مكة، وليها إحدى عشرة سنة ونصف، وقتل سنة ٧١٠ هـ. انظر ابن تقي بري، الدلائل الشافعي ١/ ٢٧٩.



- ٤- السلطان يوسف بن عمر بن علي بن رسول أحد سلاطين الدولة الرسولية ، الذين حكموا اليمن أكثر من قرنين واتسع ملكهم فشمعل أكثر بقاع اليمن ، وتبرجع تسمية الدولة بهذا الاسم إلي أن تسبهم ينتهي إلي محمد بن هارون الغساني ، وكان أثيراً عند الخليفة العباسي ، فأرسله عدة مرات إلي سلاطين الأيوبيين بمصر فأطلق عليه لقب رسول ، واعتبر المؤرخون أن دولة بني رسول دولة هيمية وليست دخيلة ولذلك يعتبرون محمد بن هارون من حفدة جيلة بني الأيهم آخر ملوك العباسية . انظر أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ٣٥١/٧ . وانظر ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٣٩ ، ١٤٨ .
- ٥- أحمد بن إبراهيم الحسيني ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب تحقيق ناظم رشدي ، ط بيروت ( د ت ) ص ٥٠ - ٥٥ ، والزركلي ، الأعلام طبعة دار العلم لملايين - بيروت ١٩٨٦ م ٩٠ / ٢ .
- ٦- العز بن فهد ، غابة لمرام تحقيق فهد شلتوت - طبعة دار المدني السعودية ١٩٨٦ م ٥٩٦ / ١ - ٥٩٨ .
- ٧- ابن بطوطة ، الرحلة ص ٤٣ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ .
- ٨- ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٤١ .
- ٩- الهجة : أرض أسفل مصر والبيعة هـ حش من الحبش ، وبلادهم بين البحر الأحمر ونبيل مصر ، والهجة من مدن الحبشة ، انظر ابن حوقل أبو القاسم التنصيني ت ٣٦٧ هـ ، صورة الأرض ، طبعة دار مكتبة الـحبة ، بيروت ١٩٧٩ ص ١٥١ . وياقوت الحموي ، معجم البلدان ١ / ٣٤ .
- ١٠- سواكن ، ميناء سوداني على ساحل بحر لجار قرب عيذب ترفأ إليه السفن لشي تقدم من جدة ، وأهل بجاة سود نصاري ، انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ / ٢٧٦ .
- ١١- زيد بن أبي عمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، انظر العاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني ت ٨٣٢ هـ ، العقد الثمين في أخبار البلاد الآمين تحقيق عمر عبد السلام لتدمري ، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م ، ٤٨٣ / ٤ - ٤٨٤ .
- ١٢- ابن بطوطة ، الرحلة ص ٢٤٥ .
- ١٣- أبو سعيد بن حريد بن أرغون بقا ملك التتار وصاحب العراق والجزيرة وخرسان والروم ، كان مسلماً حسن الإسلام ، أقام في الملك عشرين سنة ، ومات سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ، انظر ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ١ / ٥٠١ ، ١٣٧ / ٢ .
- ١٤- ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٧٢ ، ٢٤١ .
- ١٥- ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٤٩ ، ١٦١ .
- ١٦- أبدمور أحد الأمراء بالقاهرة في أيام الملك الناصر ، كان أمير حصاره وحج بالناس ، انظر ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ١ / ٤٠٧ .

١٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٢ .

١٨- كِلوة: موضع بأرض الزنج وعلى بعد نحو ٢٤٠ كم، إلى الجنوب من مدينة دار السلام عاصمة تنزانيا حالياً .  
انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤/٤٧٨ .

١٩- هو أبو المظفر حسن بن سليمان، كان كثير الغزو إلى أرض الزنوج والإغارة عليهم، فكثرت غنائمه، وعمل على صرفها وفق تعاليم الشريعة الإسلامية في كتاب الله عز وجل، وقد حكم ٢٤ سنة ومات دون عقب.  
انظر ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٥٨ ، والمالكي سليمان عبد الغني، سلطنة كلوة الإسلامية، طبعة دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦، م، ص ٤٣ .

٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٥٨ .

٢١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٥ .

٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٣ .

٢٣- وادي الصفراء من ناحية المدينة المنورة، وهي فوق سبع م يفي المدينة المنورة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤/٤١٢ .

٢٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٢٨

٢٥- هو طفيل بن منصور بن جدار الحسيني استقر في إمرة المدينة المنورة بعد قتل أخيه كبش بن منصور بن جدار الحسيني في رجب ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٧ م. وكان أميراً كبيراً كامل السؤدد وعالي الهمة صاحب جود، محسباً لاسيما إلى المجاورين، استمر حاكماً إلى سنة ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م. انظر السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ، التحفة اللطيفة في تاريخ مدينة الشريفة، عن بطبعه ونشره أسعد طرا يزوني الحسيني. (٥، ت) ٢/٢٥٨-٢٥٩ .

٢٦- كبش بن منصور بن جدار الحسيني، ولي إمرة المدينة المنورة بعد قتل أبيه في رمضان سنة ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٤ م. فأقام سنة ونحو خمسة أشهر، وقتل على يد أولاد عمه مقبل بن جدار في رجب ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٧ م. انظر السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٤٢٦-٤٢٧ .

٢٧- مقبل بن جدار بن شحبة بن هشام الحسيني، طرق المدينة المنورة في شعبان سنة ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م. فتغيب منه كبش بن منصور بن جدار وهو ابن أخيه، وكان إذ ذاك يخالف أباه على الإمرة فدهمهم مقبل بن جدار ليلاً ونصب مسلماً حبشياً كان معه وصعد معه على السور واستيقظ له كبش وتقاتلا إلى أن قتل مقبل وقتل معه عدد من أقاربه، انظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤/٤٢٦ .

٢٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٤ .

٢٩- (القلقشندي، صبح الأعشى شرح وتعليق نبيهل الخطيب ط دار الفكر ودار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧ م.  
٣٠٤/٤ - ٣٠٥، وأحمد بن محمد بن صالح الحسيني، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي ط بيروت  
١٩٧٢ م. ص ١١٨ - ١٢١).

٣٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٣-١٢٤.

٣١- عز الدين بن قهد، غاية المرام ٤١/٢.

٣٢- المصدر السابق ١٨/٢.

٣٣- المخرجي، العقود الثلوثية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح محمد الأكوخ ط صنعاء ١٩٨٣ م ٢٨٠/١.  
والقلقشندي، صبح الأعشى ٢٧٨/٤، والعز بن قهد، غاية المرام ٨٠/٢.

٣٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨-١٢٩.

٣٥- بنيع - مكان بين مكة والمدينة، وتسمى بذلك لكثرة سابغها، ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤٥٠/٥.

- رابع : واد يقطعه الحاج بين البراء والحفة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ١١/٣.

- وادي الصفراء، من ناحية المدينة كثير الحبل والزرع والخبر سنة وبين بدر مرحلة، وماء هذا الوادي كله عيون،  
وهي فوق بنيع محلى المدينة. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤١٢/٣.

- خليص: مكان بين مكة والمدينة، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ٢٨٧/٢.

٣٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٣.

٣٧- مر الظهران موضع على مرحلة من مكة، وهو الوادي وبه عيون كثيرة، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان  
١٠٤/٥.

٣٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨-١٢٩.

٣٩- (القلقشندي، صبح الأعشى ٢٨١/٤).

٤٠- (التنجيبي، مستفاد الرحلة تحقيق عبد الحفيظ مصور، ط الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس ١٩٧٥ م  
ص ٣٠٥، والقلقشندي، صبح الأعشى ٢٧٧/٤).

٤١- (التنجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٠٥ - ٣٠٦).

٤٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٣ - ١٢٤.

٤٣- (التنجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٠٥ - ٣٠٧).

٤٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٤.

٤٥-التجبيي، مستفاد الرحلة ص ٣٠٧، وأحمد بن عمر الزيلعي، نظام المشاركة في الحكم لدى أشرف مكة مجلة النذرة العدد (٣) الرياض ١٤٠٩هـ ص ٧٤ - ٧٥.

٤٦-العصامي، سمط التجوم ٤/ ٢٢٥.

٤٧-المصدر السابق ٤/ ٢٢٧.

٤٨-التجبيي، مستفاد الرحلة ص ٤٦٣.

٤٩-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٩٤، ١٦٠، وانظر ابن فهد، إتحاف الوري ٢/ ٥٤٦.

٥٠-التجبيي، مستفاد الرحلة ص ٤٦٣.

٥١-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٧٢، ٢٤١، ٢٥٨.

٥٢-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩، ١٧١.

٥٣-الفلقشتدي، صبح الأعشى ١٢/ ٢٣٦.

٥٤-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩، ١٥١، ١٦١، والتجبيي، مستفاد الرحلة ص ٤١٥، والفلقشتدي، صبح الأعشى ١٢/ ٢٣٦ - ٢٣٧.

٥٥-التجبيي، مستفاد الرحلة ص ٤٦٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢، ١٢١، ١٦٩.

٥٦-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٠.

٥٧-الماوردي، الأحكام السلطانية، ط دار الكتب العلمية بيروت (د. ت) ص ٢٩٩، وابن الأثير، معالم القرية تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م ص ٥١، والسناي، نصاب الاحتساب تحقيق مونت يوسف ط دار العلوم القاهرة ١٩٨٣م ص ١٢ - ١٣، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٥١ - ١٥٢، والفاسي، العقد الثمين ٢/ ١٣٤ - ١٣٥.

٥٨-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٢.

٥٩-التجبيي، مستفاد الرحلة ص ٢٢٩، والفلقشتدي، صبح الأعشى ٤/ ٢٨١.

### هوامش المبحث الثالث

١- الفلقشتدي، صبح الأعشى ٤/ ٢٨١.

٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٨٤.

٣- الفاسي، العقد الثمين ٤/ ٤١٥.

٤- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

٥- عجلائ بن وعيشة ولي مكة لعدة مرات وتوفى سنة ٧٧٧هـ، انظر ابن تغري بردي، الدليل الشافي ١/ ٤٤٢.

٦- ثقيف بن ربيعة من أسرة قتادة ولي إمارة مكة شريكاً لأخيه، ثم استقل بها إلى أن مات سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م، انظر ابن تغري بردي، الدليل الشافي ١/ ٢٣١، وانظر القاسي، العقد الثمين ٤/ ٥٩ - ٦٠.

٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٢-١٦٣.

٨- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٢٩، وسليمان المالكي، بلاد الحجاز ط دار الملك عبد العزيز - الرياض ١٩٨٣م ص ١١٠.

٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٢.

١٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٠ - ١٥١، ١٢٠ - ١٢١.

١١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩، ١٢٠ - ١٢١.

١٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨ - ١٤٩، وجميل حرب، الحجاز والبس في العصر الأيوبي - ط تهامة السعودية ١٩٨٥م ص ٢٣ وانظر ابن حجر، الرحلة ص ١٢٨، ١٢٧، ١٢٥.

١٣- الأغوات، جمع الأغا، انظر عبد الرحيم عبد الكريم الأنصاري، تلمذة المحبين تحقيق محمد العروس ط تونس ١٩٧٠م ص ٥٣.

١٤- السخاوي، التلحة اللطيفة ١/ ٦١ - ٦٣.

١٥- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٤٧.

١٦- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٦٤.

١٧- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤/ ٣٣٦، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨ - ١٤٩.

١٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٢ - ١٥٣.

١٩- الكور، نوع من الأواني ذو عروة وفي حالة عدم وجودها يسمى كوباً. انظر ابن منظور، لسان العرب (ك، و، ز).

٢- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٢٣، ٤٦٣، والمفرقة ما يقر بها وهي على قدر مل - اليد، ابن منظور، لسان العرب (غ، ر، ف).

٢١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨ - ١٤٩.

٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩، وابن المجاور، تاريخ المستنصر ضبط وتصحيح أوسكر لونغرين - ط بريل -  
لندن ١٩٥١ م ص ٩.

٢٣- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٦-١٢٧.

٢٤- ابن جبير، الرحلة ص ١١٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٧٥ - ١٧٦، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٧.

٢٥- الفاسي، شفاء الغرام ص ٣٠، وابن شهر، الجامع اللطيف ص ٢٩، والتجيب، مستفاد الرحلة ص ٢٨٩.

٢٦- التجيب، مستفاد الرحلة ص ٣٥٣ - ٣٥٦، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٥.

٢٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٨.

٢٨- ذكر هذه البدعة ابن جبير في رحلته ص ١٧٠، والعبدي في الرحلة المغربية ص ٢١٩، وابن بطوطة، الرحلة  
ص ١١٣.

٢٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٢.

٣٠- ذكرها الأزرق في أخبار مكة لمحقق رشدي الصالح - ط دار اشقافة بيروت ١٩٧٨ م. ٢١٠/١، وابن  
بطوطة في الرحلة ص ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨.

٣١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٦-١٦٩، وابن حيدر، الرحلة ص ١٤٩.

٣٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥١-١٥٢.

### هوامش المبحث الرابع

١- لقريش : مكان بالقرب من جدة ، وهو محل الحجاج يحرمون منه . وطن مر : موضع من نواحي مكة ، عنده  
يجتمع وادي النخلتين فيصيران وادي واحد . وخلص : هو حصن بين مكة والمدينة . والصفراء : واد  
كثير النحل والدرع من ناحية المدينة المنورة . انظر باقوت الحموي . معجم البلدان ١/٤٩٩، ٢/٣٨٧،  
٣/٤١٢، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٢، وقد ذكرها ابن جبير في الرحلة ص ٨٨ - ٨٩، ٩٣، والتجيب،  
مستفاد الرحلة ص ٢٢٣.

٢- ابن المجاور<sup>١</sup> تاريخ المستنصر ص ٤١، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٠.

٣- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٤، والقلقشندي، صبح الأعشى ٤/٢٥٣ - ٢٥٤، وابن المجاور، تاريخ المستنصر  
ص ٩.

٤- العلاء : اسم لموضع من ناحية وادي القري يسها وبي الشام - اللع - منزل بطريق مكة من البصرة رابع  
: واد يقطع الحاج بين البراءة والمهجة . انظر باقوت الحموي . معجم البلدان ٢/٤٩٣، ٣/١١.

١٤٤/٤، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٧١-١٧٢، ومؤلف مجهول، الاستبصار ص ١١.

٥- انظر العبدري، الرحلة المغربية ص ١٦٥ - ١٦٦، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٢٣، وابن بطوطة، الرحلة ص ١١٣، ١٢٨، ١٢٩.

٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٢، ١٥٤.

٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٩، ١٤١، وابن المجاور، تاريخ المستنصر ص ١٢ - ١٣، وجميل حرب، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ص ٢٣١، والفاسي، العقد الثمين ٤٤٦/٣، ١٦١، ١٦٦.

### هوامش المبحث الخاص

١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٠ - ١٥١.

٢- ابن جبير، الرحلة ص ٧٨، ٨٠، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

٣- الفاسي، العقد الثمين ١٩٦/٥ - ١٩٩، والسحري، التحفة للطبعة ٢٢/٢.

٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٩، والفاسي، العقد الثمين ٤٨٩/٧.

٥- علي حسني الخروبلي، الحضارة العربية الإسلامية طبعة مكتبة الخارجي - القاهرة (د. ت) ص ٢٢٩، وعبد الرحمن بن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة طبعة دار الشروق - القاهرة ١٩٨٢ م. ص ٤١، ومحمد الحسيني، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية طبعة الكويت ١٩٧٣ م. ص ٣٧ - ٣٨.

٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٠.

٧- التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٩٦ - ٢٩٧، والسخاوي، التحفة للطبعة ٢٣١/٣.

٨- التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٣٠٦، ٣٧٦، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٨، والفاسي، العقد الثمين ١٠٢/٥، وانظر :

- Kary Campbell, contemporary Tales from Eastern Arabia, in The Ilood Nights: critical Essay and Annotated Bibliography, Dar Mahjar Publishing and Distribution Cambridge. Mass P.84-85 . 1985 .

٩- الفاسي، العقد الثمين، ٢٧١/٢ - ٢٧٢، وابن شهية الدمشقي، طبقات الشافعية، ط عالم الكتب - بيروت ١٩٨٧ م. ٢٩٣/٢ - ٢٩٤، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ط دار الفكر - بيروت (د. ت) ٩٤/٦ - ٩٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩.

١٠- الفاسي، العقد الثمين ٢٨٦/١ - ٢٨٧، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٣/٢٠٩، والسخاوي، التحفة للطبعة ٤٦٠/٣ - ٤٦٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٠.

١١- الفاسي، العقد الثمين ١٣٤/٢ - ١٣٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٥١.

١٢- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤٦٦/٣، والفاسي، العقد الثمين ٤٦/٢ - ٤٩، وابن بطوطة، الرحلة ١٤٩ - ١٥٠.

١٣- السخاوي، التحفة اللطيفة ٤٨٢/١ - ٤٨٣، وابن بطوطة، الرحلة ١٥٣، ١٢٠.

١٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٢، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٢٤٣/١ - ٢٤٤، الفاسي، العقد الثمين ١١٩/٣.

١٥- الفاسي، العقد الثمين ١١١/٢ - ١١٣، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٥١.

١٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٣١٢/٣ - ٣١٧.

١٧- الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ للنهجي ط دار إحياء التراث العربي - بيروت (د. ت) ص ١١٠، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٤٦٦/٣، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢١.

١٨- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ١٥٩/٤ - ١٦٠، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢١.

١٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢١ - ١٢٢، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٣٣٦/٤.

٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٠ - ١٢١، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٧٠٦/٣ - ٧١٠.

٢١- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٣/٢، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٤٠١/٢ - ٤٠٩، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٠ - ١٢١.

٢٢- السخاوي، التحفة اللطيفة ٥٤/١، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢.



## المصادر والمراجع

- ١- أحمد بن إبراهيم الخليلي ت ٨٧٦هـ: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب - تحقيق ناظم رشدي. ط بيروت (د . ت).
- ٢- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٥ م.
- ٣- أحمد بن عمر الزيلعي: نظام المشاركة في الحكم لذا الأشراف بمكة المكرمة. مجلة الدارة العدد الثالث. ط. الرياض ١٤٠٩هـ.
- ٤- أحمد بن محمد بن صالح الحسيني: المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، طبعة بيروت ١٩٧٢.
- ٥- ابن الأخوة محمد بن محمد القرشي ت ٧٢٩هـ: معالم القرية في أحكام الحسبة - تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م.
- ٦- الأزرقي أبو الوليد محمد بن عبد الله ت ٢٥٠هـ: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - تحقيق رشدي الصالح الطبعة الثالثة، دار الثقافة - بيروت ١٩٧٨ م.
- ٧- البستاني المعلم بطرس: دائرة المعارف - طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- ٨- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ت ٧٧٩هـ: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٨٥ م.
- ٩- البلادي، عاتق بن غيث: معالم مكة التاريخية والأثرية. طبعة دار مكة - السعودية ١٩٨٠ م.
- معجم معالم الحجاز. ضعة نادي الطائف الأدبي، السعودية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م.
- ١٠- السديري حمد بن عيسى ت ٧٨٠هـ: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحس السائح، طبعة بيروت (د . ت).
- ١١- التجيبي القاسم بن يوسف ت ٧٣٠هـ: مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ مصور، طبعة الدار العربية للكتاب - ليبيا- تونس ١٩٧٥ م.
- ١٢- ابن تغري بردي ت ٨٧٤هـ: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهم شلتوت، ط مكتبة الخانجي- القاهرة (د . ت).

- ١٣- ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد البلسني ت٦١٤هـ: الرحلة، طبعة دار صادر - بيروت ١٩٨٠م.
- ١٤- جميل حرب محمود: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، طبعة تهامة - السعودية ١٩٨٥م.
- ١٥- ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـ: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة حيدر آباد - الدكن - مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧هـ.
- ١٦- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ت٨٥٢هـ: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة دار الجيل بيروت بدون تاريخ، وطبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة (د.ت).
- ١٧- الحربي الإمام أبو إسحاق ت٢٨٥هـ: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة - تحقيق حمد الجاسر الطبعة الثانية - الرياض ١٩٨١م.
- ١٨- حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، الطبعة الثانية - دار الأندلس سنة ١٩٨٣م.
- ١٩- حسين محمد فهم: أدب الرحلات، طبعة عالم المعرفة العدد ١٣٨ - الكويت ١٩٨٩م.
- ٢٠- الحسيني أبو المعاسن محمد بن علي ت٧٦٥هـ: ذيل تذكرة الحافظ الذهبي. ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- ٢١- ابن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل النصبى ت٣٦٧هـ: صورة الأرض، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م.
- ٢٢- الخزرجي علي بن الحسن ت٨١٢هـ: العقود للؤلؤة في تاريخ الدولة الرسولية - تصحيح محمد بن علي الأكوخ الطبعة الثانية - صنعاء - اليمن ١٩٨٣م.
- ٢٣- ابن الخطيب ذو الوزارتين لسان الدين ت٧٧٦هـ: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، طبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٤م.
- ٢٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت٨٠٨هـ: تاريخ ابن خلدون، طبعة مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٩م. ومقدمة ابن خلدون، طبعة دار نهضة مصر - الطبعة الثالثة - القاهرة بدون تاريخ.
- ٢٥- ابن رشيد أبو عبد الله محمد بن عمر ت٧٢١هـ: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في

الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة - تحقيق محمد الحبيب ج ٢ طبعة الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٢ م. ج ٣ طبعة ١٩٨١ م. وج ٥ طبعة دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٨ م.

٢٦- الزركلي خير الدين ت ١٣٩٧ هـ: الأعلام، طبعة دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٨٦ م.

٢٧- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه ونشره أسعد طرا بزوني الحسيني. د.ت.

٢٨- سليمان عبد الغني المالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، طبعة دار الملك عبد العزيز الرياض ١٩٨٣ م.

٢٩- السناوي عُمر بن محمد ت ٦٩٦ هـ: نصاب الاحتساب، تحقيق موئل يوسف، طبعة دار العلوم - القاهرة ١٩٨٣ م.

٣٠- سيد عبد المجيد بكر، أشهر المساجد في الإسلام طبعة دار القبة - مكة ١٩٨٤ م.

٣١- الشنقيطي غالي محمد الأمين: الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين، الطبعة الثالثة، طبعة دار القبة الثقافية الإسلامية - مكة ١٩٩١ م.

٣٢- ابن شهبة الدمشقي أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عُمر ت ٨٨٥ هـ: طبقات الشافعية، صححه وعلق عليه المحافظ عبد العليم خان - طبعة عالم الكتب - بيروت ١٩٨٧ م.

٣٣- شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، طبعة عالم المعرفة - الكويت، العدد ٥١ لسنة ١٩٩٠ م.

٣٤- ابن ظهيرة محمد جاد الله بن محمد ت ٩٨٦ هـ: الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف - الطبعة (٤) الكتبة الشعبية - بيروت ١٩٧٣ م.

٣٥- عبد الرحمن بن صالح بن عبد الله: تاريخ التعليم في مكة، طبعة دار الشروق - مصر ١٩٨٢ م.

٣٦- عبد الرحيم عبد الكريم الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب - تحقيق محمد العروس، طبعة تونس ١٩٧٠ م.

٣٧- العبدري أبو عبد الله بن العبدري ت ٦٨٨ هـ: الرحلة المغربية - تحقيق محمد الفاسي - طبعة الرباط - المغرب ١٩٦٨ م.

٣٨- عبد القدوس الأنصاري: آثار المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، طبعة المطبعة العربية الحديثة بيروت ١٩٨٥ م.

٣٩- العز بن فهد بن عز الدين عبد العزيز بن محمد بن فهد ت ٩٢٢ هـ: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام - تحقيق فهم شلتوت، طبعة دار المدني - السعودية ١٩٨٦ م.

٤٠- العصامي عبد الملك بن حسين ت ١١١١ هـ: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. طبعة المطبعة السلفية - مصر (د . ت).

٤١- علي حسني الخروبلي: الحضارة العربية الإسلامية، طبعة مكتبة الخانجي - مصر (د، ت).

٤٢- ابن العماد الحنبلي ت ٨٩٠ هـ: شذرات الذهب، طبعة دار الفكر - بيروت (د . ت).

٤٣- الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني ت ٨٣٢ هـ - لعقد الثمين في أخبار البلد الأمين، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥ م. - وشفاء العرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م.

٤٤- ابن فهد النجم عمر بن محمد بن محمد بن فهد ت ٨٨٥ هـ: التحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهم شلتوت، ط، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م.

٤٥- القلقشندي أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق نبيل الخطيب طبعة دار الفكر - ودار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧ م.

٤٦- كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليا نوفش: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان، وراجعه أيغور يلباين، طبعة جامعة الدول العربية ١٩٥٧ م.

٤٧- المالكي سليمان بن عبد الغنى: سلطنة كلوة الإسلامية، طبعة دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦ م.

٤٨- الماوري علي بن محمد. الأحكام السلطانية والولايات الدينية - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت (د . ت).

٤٩- بن المجاور يوسف بن يعقوب ت ٦٩٠هـ: تاريخ المستنصر، ضبط وتصحيح أوسكر لونفريز  
طبعة بريل - ليندن. ١٩٥١ م

٥٠- محمد الحسيني : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، طبعة الكويت ١٩٧٣ م.

٥١- محمد محمود الصباد: رحلة ابن بطوطة، طبعة دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع تونس  
١٩٨٥ م.

٥٢- ابن منظور محمد بن مكرم ت ٧١١هـ: لسان العرب. طبعة دار صادر - بيروت (د . ت)  
وطبعة دار المعارف -  
مصر (د . ت).

٥٣- نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، الطبعة الثالثة، طبعة المطبعة الأهلية للنشر  
والتوزيع، بيروت ١٩٨٢.

٥٤- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي  
ت ٦٢٦هـ: معجم البلدان، طبعة دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

### المراجع الأجنبية :

55- Blanche Trapieu : Les voyageurs Arabes au Mogen Age Gallimari. 8eme edition .  
1937 .

56- C.H Lockitt Theadventure of Travel Longman: 15 th edition 1960

57- Kary Compbell , contem Porary Toles From Eastern Arabia , in The Lool Nights,  
Critical Essays and An nota ted Bibliog rapraphy, Dar Mahjar Publishing and Distribution ,  
cambridge Mass p. 84-85 1985

58- M Zaki Arab Accownts of India (During The Fourteenth century) dello, Delhi,  
1981

## سياسة السلطان با يزيد الأول الجديدة في الفتح العثماني

نهاية طموحاته وتفكك دولته في موقعة أنقرة ٨٠٤ هـ / ١٤٠٢ م

### قبل تولي السلطان بايزيد الأول الحكم

في سنة ٧٦٦ هـ الموافق ١٣٦٠ م توفي السلطان أوردخا بن أرطغرل بن عثمان، وخلفه ابنه السلطان مراد الأول، ليواجه في بداية حكمه أعداء دولته في التحاليف خطرهم.

أولاً : كان في المشرق إمارة القرمان السلجوقية التي بدأت تنظر بعين الخوف الشديد في غزو الإمارة العثمانية، واستطاع السلطان مراد الأول أن يوجه لها ضربات أقعدتها عن التحرك ضده طوال حكمه كما سيأتي الحديث عنها مفصلاً في البحث.

ثانياً : في أوروبا كان الإمبراطور البيزنطي يسعى إلى الانقضاض عليه، ولكن السلطان مراد الأول استولى على أدرنة ١٣٦٦ م، واتخذها عاصمة لبلاده، الأمر الذي كان له صدى في مختلف العواصم الأوروبية، وخاصة لدى البابا في روما، وقد دعا إلى حملة صليبية دون جدوى، بينما تابع العثمانيون توسعهم واستولوا على سالونيك<sup>٢</sup>.

فكان غزو الدولة العثمانية نحو أوروبا سبباً في قيام التحالف من القوى الصليبية البلقانية لصد الغزو العثماني، ولكن السلطان مراد الأول خاض ضد أعدائه الصليبيين معركة قوصوه

١ / مشارك - بمس التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - بجامعة أم

القرى - مكة المكرمة

الكرى في ١٥ يونيو ١٣٨٩م، سقط فيها السلطان مراد الأول شهيداً بعد أن أسر فيها ملك الصرب، والذي أعنمه السلطان با يزيد الأول في ساحة المعركة<sup>(١٢)</sup>.

### السلطان بايزيد الأول يعتلى عرش الدولة العثمانية :

فتولى السلطان با يزيد الأول عرش الدولة العثمانية بعد موقعة قوصوه المشهورة، وقت بيعته في ميدان المعركة بعد استشهاد والده السلطان مراد الأول (٧٩٢هـ / ١٣٨٩م)، وكان السلطان با يزيد الأول أكثر من أبيه كرهاً للمسيحية، وأقل تعصباً للإسلام، ولكنه خطأ خطو والده في الفتح والجهاد في أول الأمر<sup>(١٣)</sup>.

حين وأصل حربه وتقدم بجيوشه داخل بلاد الصرب<sup>(١٤)</sup>، حتى انتصر على ملكها استيفن بن لازار وأخذه أسيراً<sup>(١٥)</sup> ولكن استيفن بن لازار ملك الصرب عرض على السلطان الصلح فوافق على ذلك<sup>(١٦)</sup>.

فاستهل السلطان با يزيد الأول أعماله بأن عين استيفن ابن ملك الصرب [لازار] حاكماً على بلاد الصرب، وتزوج من أخته<sup>(١٧)</sup> مبيحة<sup>(١٨)</sup>، وترك له حكم بلاده على حسب قوانينهم وأنظمتهم وأعزاهم دون التدخل في شئونهم الداخلية على شرط دفع جزية سنوية للدولة العثمانية على أن يدين له بالولاء، مع تقديم عدد معين من الجيوش المصرية للاتضمام إلى الجيوش العثمانية وقت الحرب خدمة حربية للدولة على أن يقوم ملك الصرب نفسه بقيادتهم عند الحاجة تحت قيادة السلطان العثماني<sup>(١٩)</sup>، كما تعهد ملك الصرب أيضاً للسلطان با يزيد الأول ببناء المساجد والمدارس والمحاكم للمسلمين في بلاد الصرب<sup>(٢٠)</sup>، وبذلك فقدت الصرب استقلالها منذ ذلك الوقت حتى القرن التاسع عشر الميلادي حين نالت استقلالها في تلك الفترة<sup>(٢١)</sup>، فأصبح بعد هذا الفتح والتوسع العثماني في البلقان، وجهاً لوجه مع أكبر الشعوب البلقانية عداً للعثمانيين (البلغار والمجر)<sup>(٢٢)</sup>.

عندئذ أقام السلطان با يزيد الأول علاقات ودية مع ملك الصرب استيفن بن لازار، وكان هدف السلطان من إقامة هذه العلاقات أن يتخذ من دولة الصرب حليفاً له في حروبه في آسيا الصغرى، كما أراد من هذه الدولة أن تكون دولة حاجزة بين أملاكه في البلقان وبين دولة المجر، التي كان يخشى من انتهازها عند غيابها للحرب في آسب الصغرى فتغير على أملاكه العثمانية بها<sup>(٢٣)</sup>.

وكان من مظاهر هذه الصداقة بين استيفن والسلطان با يزيد الأول أن رد السلطان إلى استيفن كل الميراث والحقوق التي كان يتمتع بها أبيه لازار كملك على بلاد الصرب، كما وعده بمنح

الصر ب نصف الغنيمة التي تخرج بها كل من الدولتين في حروبها المنتظرة في آسيا الصغرى، وقد اتبع السلطان با يزيد الأول هذه السياسة، وهو عدم ضم بلاد الصرب إلى أملاكه، بل منحهم الاستقلال الذاتي، ليسكن بدل الصربيين حتى لا يكونوا شغلاً شاعلاً له نظراً لشهامتهم وجيهم للاستقلال<sup>(١٤)</sup>، وخاصة أن ملك الصرب استيفن قد وافق على دفع الجزية للسلطان سنوياً، لذلك تمت معاملتهم معاملة أهل الذمة<sup>(١٥)</sup>.

وقد استفاد با يزيد الأول من هذا التحالف مع استيفن ملك الصرب حين برهن هذا الصليبي وقومه الصربيون على إخلاصهم لبايزيد في حروبه مع المجر<sup>(١٦)</sup>، على الرغم من أن السلطان اشتهر بحدة الطبع والقسوة، حيث اتسمت تصرفاته بالاندفاع والتسرع<sup>(١٧)</sup>.

وعلى أية حال فإنه بعد هذا التحالف مع الصرب اطمان با يزيد الأول على حدوده الغربية، فاتجه لعزو آسيا الصغرى لتوحيد الإمارات السلجوقية المسلمة في الأناضول لضمها لأملاكه العثمانية<sup>(١٨)</sup>، وكان في نيته أيضاً القضاء على بيزنطة، وحصر ص حين ساد الأمن في أوروبا، فأخذ يتدخل في سياسة القسطنطينية مستغلاً أوضاعها المضطربة الداخلية، لأن المدينة تمر بفترة ضعف، فانتهاز السلطان هذه الفرصة وسار بسفحه إلى قلعة « الأشهر » المعروفة باسم « فيلادلفيا »<sup>(١٩)</sup>، عند الأزربيين، ففتحها ٧٩٥هـ / ١٣٩١م، وكانت آخر مدينة مهمة بقيت للقسطنطينية في آسيا الصغرى بالأناضول<sup>(٢٠)</sup>.

### السلطان بايزيد الأول يتطلع لضم الإمارات السلجوقية :

لذلك بدأ السلطان با يزيد الأول يتطلع لضم الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى، وكانت سياسة السلطان با يزيد شرقية، بمعنى أنه فضل الاتجاه بفتوحاته نحو آسيا الصغرى من أجل تحقيق وحدة الأناضول لتكون تحت راية الدولة العثمانية بعد أن أمن حدود بلاده الغربية<sup>(٢١)</sup>، وكان يتميز هذه السلطان بالنموح في سياسته، فقد بذل جهداً في توحيد منطقة الأناضول ليقود العالم الإسلامي تحت إمرته<sup>(٢٢)</sup>، وليس معنى ذلك أنه لم يحدث احتكاك بين الدولة العثمانية والإمارات السلجوقية التركية الإسلامية الواقعة في آسيا الصغرى.

وقد ظهر هذا الاحتكاك قبل حكم السلطان با يزيد الأول في الستينات من القرن الرابع عشر الميلادي بين السلطان مراد الأول والد السلطان با يزيد الأول وبين أمير القرمات كما سبق ذكره، عندما أدرك الأخير أنه لا يستطيع المجازفة بالحرب مع الدولة العثمانية القوية، ولكي يحتفظ باستقلاله وكبريائه، فقد وافق على أن يزوج ابنته لها يزيد بن مراد الأول.



وبذلك حصل السلطان مراد الأول نتيجة زواج ابنه على أجزاء من إمارة القرمين دون قتال، وكان من هذه الأجزاء، مدينة كوتاهية، ذات الموقع الاستراتيجي الفريد، وكان احتلال العثمانيين لهذه المدينة ضربة قوية لإمارتي تكه وحديد.

وعندما أدرك أمير إمارة حميد ضعفه أمام مقاومة الدولة العثمانية، قدم ببيع بعض أجزاء من دولته المطلة على ولاية تكه وكريمين، والقرمين إلى السلطان مراد الأول، وكان أهمها مدينة عك شهر التي تقع على حدود إمارة القرمين، وتم ضم هذه الأجزاء المهمة إلى أملاك الدولة العثمانية.

ويجب أن نلاحظ ملاحظة مهمة أن السلطان مراد الأول لم يقض على كل الإمارات السابقة، بل كان هناك ثلاث إمارات أخرى في آسيا الصغرى وهي (آيدين، وصاروخان، ومنتشا) ظلت هذه الإمارات المسلمة على استقلالها لم يمسهما السلطان العثماني آنذاك، وكانت دولة القرمين من أقوى الدول السلجوقية التركية في الأناضول التي عجز السلطان مراد الأول عن إخضاعها، وكانت تربطه بأميرها علاء الدين أوصر، بمصاهرة<sup>(١٢٣)</sup>.

هذا هو الموقف في آسيا الصغرى حين تولى السلطان ب يزيد الأول إمارة الدولة العثمانية، حين عزم على توجيه فتوحاته نحو الأناضول بآسيا الصغرى، ذلك التوجه الذي أدى في النهاية إلى سقوطه في معركة أنقرة ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م<sup>(١٢٤)</sup>.

وكان زعماء الإمارات السلجوقية التركية الإسلامية في الأناضول آيدين<sup>(١٢٥)</sup>، وصاروخان<sup>(١٢٦)</sup>، ومنتشا<sup>(١٢٧)</sup>، الذين احتفظوا باستقلالهم منذ قيام الدولة العثمانية، هي أولى الإمارات التي غزاها السلطان ب يزيد الأول، وقد قبلوا في بداية الأمر بحكمه، نتيجة لخوفهم منه، لإيجازاته وفتوحاته العظيمة في أوروبا<sup>(١٢٨)</sup>.

وكانت هذه الإمارات تطل على بحر إيجة، وكانت في نزاع دائم مع العناصر التجارية اللاتينية ولا سيما منها جنوة، وتتميز هذه الإمارات التركية بطابع تجاري أكثر منه حربي مثل إمارة القرمين وكريمين، وكان نزاعها الدائم مع العناصر اللاتينية قد أضعفها، مما سهل للسلطان ب يزيد الأول استسلامها وبالتالي احتلالها<sup>(١٢٩)</sup>، ولمفس السبب ترك أمير آيدين للسلطان أملاكه، وخرج منها ليعيش مطمئن البال في إحدى المدن الخارجة عن النفوذ العثماني.

وتلا ذلك قيام كل من أميرى منتشا وصاروخان بترك ولايتهما للسلطان با يزيد الأول واحتماهما لدى أمير قسطنطيني<sup>(١٣١)</sup>، وخوفاً من السلطان قام حاكم إمارة القرماني الأمير علاء الدين وتنازل للسلطان عن جزء كبير من أملاكه ليؤمن له ما تبقى من أملاك<sup>(١٣٢)</sup>، وباستيلاء السلطان با يزيد الأول على تلك الإمارات فقد حاز على أهم الموانئ وأعظمها والواقعة على بحر إيجه، (آيدين ومنتشا) وبذلك أصبحت الدولة العثمانية تطل على بحر إيجه، كما حازت أيضاً على أسطول إمارة صاروخان، وقد نفذ به العثمانيون من سواحل منتشا إلى البحر الأبيض المتوسط<sup>(١٣٣)</sup>، وهذا الموقع خلق نقطة جديدة للاحتكاك بين الدولة العثمانية من ناحية، وبين البندقية وجنوة من ناحية أخرى.

استدعى هذا الموقف ظهور العثمانيين على بحر إيجه بتكوين بحرية عثمانية، ولو أن البحرية العثمانية لم تتم وتكبر خلال عهد السلطان با يزيد الأول، إلا أن عهد السلطان با يزيد الأول، كان بداية تفكير الدولة العثمانية بالحاجة المذحة إلى بناء أسطول بحري يعتد به لمواجهة المعارك البحرية<sup>(١٣٤)</sup>، ولكن هذه الإمارات ما لبث أهلها أن استأموا من اتحاد السلطان با يزيد الأول لعطفه على العناصر المسيحية، بل والاعتماد عليهم كمستشارين له دون المسلمين<sup>(١٣٥)</sup>.

وعلى أية حال فبعد هذه الفترات التي كان أغلبها بدون حرب، عاد السلطان با يزيد الأول إلى أوروبا، وحاصر ملك الروم في القسطنطينية مانويل باليولوج، وبعد أن ضيق عليها الحصار، ترك حولها جيشاً كبيراً لمحاولة فتحها، وغادرها لغزو بلاد الأفلاق، فاستطاع قهر أميرها (دوك مانيس) والتغلب عليه، وأرغمه على التوقيع على معاهدة يعترف فيها بسيادة الدولة العثمانية على بلاده، ويتعهد للسلطان فيها بدفع الجزية سنوياً مع بقاء بلاده له يحكمها بمقتضى عوائد وقوانين أهلها، وتم ذلك في سنة ١٣٩٣ م<sup>(١٣٦)</sup>.

وفي أثناء حرب السلطان با يزيد الأول مع الأفلاق في أوروبا أراد علاء الدين أمير القرماني استرداد ما تنازل عنه للسلطان، مستغلاً انشغاله في الحرب، وقد اتحدت معه الإمارات السلجوقية الواقعة في جنوب غربي الأناضول، كما اتحد معه القاضي برهان الدين الذي كان يسيطر على مساحات واسعة وسط الأناضول، ويتمتع بنفوذ كبير في أواسط رعاة التركمان في الشرق في حلف ضد السلطان با يزيد الأول لاسترجاع ما أمكنهم استرجاعه من مساحات كبيرة من المدن والأراضي التي ضمها با يزيد الأول إلى أملاك الدولة العثمانية بالقوة.

وقاد علاء الدين جيشاً قوياً وسار به لمهاجمة أنقرة، فاستطاع الانتصار على حاكمها تيمور طاش باشا، وأخذه أسيراً معه، وزحف على بقية المدن الواقعة في الأناضول<sup>(٣٦)</sup>.

ولما بلغ السلطان بايزيد الأول الهجوم الذي شنه أمير القرمات على أملاكه في الأناضول، عاد مسرعاً بنفسه لإنقاذ الموقف إلى آسيا الصغرى، فتقابل الجيشان حول أنقرة، فكانت الهزيمة على علاء الدين أمام السلطان ثم أسره<sup>(٣٧)</sup>، واكتسح السلطان إمارات آسيا الصغرى، وأعاد ضم صاروخان وآيدين ومنتشا التي اتحدت مع إمارة القرمات من جديد للطاعة العثمانية، وعاد العثمانيون إلى بحر إيجه وأرسوا قواعد قوتهم البحرية، وفي الجنوب استولوا على (أضاليا) آخر مدن أمير تكة، وكانت هذه المدينة أول ميناء عثماني على البحر الأبيض المتوسط<sup>(٣٨)</sup>.

ولكن السلطان بايزيد الأول كان قلقاً بسبب الأحداث والتطورات في أوروبا التي كانت تحاك ضد الدولة، فلابد له من العودة بسرعة إلى عاصمة بلاده أدريه وذلك للاستعداد لهذه المؤامرة والقضاء عليها، كما كان هناك بعض الإشكالات في خطوط مواصلاته الطويلة التي كانت لا تبشر بالخير ولا بالانتصار والهيمنة على الإمارات السلجوقية، لذلك نراه يوافق بمبادرة منه على عقد الصلح مع علاء الدين أمير القرمات مضطراً على أن يتسحب السلطان من قونية على أن يحتفظ بمدينتي (عك شهر، وعك سيرا) الواقعة في الشمال الغربي من إمارة القرمات<sup>(٣٩)</sup>.

وعلى هذا الأساس عاد بايزيد الأول إلى بلغارب وذلك عندما وقع أول نزاع بينه وبين ملك المجر (سجموند)، ولكن علاء الدين لم يعتبر من المعركة السابقة، بل انتهز انشغال بايزيد في حربه مع بلغاريا، ووطد العزم على طرد العثمانيين من إمارته، للسيطرة على أملاكهم في الأناضول، وقد اتحدت معه الإمارات السلجوقية مرة أخرى، وتمكن بالفعل من استرداد (عك شهر)، واتجه نحو مدينة أنقرة واستطاع الفوز على تيمور طاش باشا في أحد المعارك، وأخذه معه أسيراً مرة ثانية، ثم توجه لأخذ بروسة<sup>(٤٠)</sup>.

لذلك عاد السلطان بايزيد الأول من جديد حينما علم بمحاولة علاء الدين انتزاع السيطرة من العثمانيين للأناضول، ولكن بعد أن حقق انتصاراً بهراً على بلغارب، وبالقرب من كوتاهية وأحده جيش القرمات جيش السلطان وجيوش أتباعه من المسيحيين (البيزنطيين والصربيين والبلغارب والولاش) على أمر سراي، فاستطاع السلطان أن يقضي على الجيش القرماني، فانهزم علاء الدين أمام السلطان بايزيد الأول مرة ثانية، وتم أسره مع ابنه (محمد وعلي)<sup>(٤١)</sup>.

وقد رافق الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني السلطان با يزيد الأول في حملته إلى الأناضول الثانية، وكان با يزيد الأول ينظر إلى الإمبراطور مانويل على أنه تابع له أو من أتباعه، بينما كان الإمبراطور يرى نفسه حليفاً وعلى قدم المساواة مع السلطان با يزيد الأول.

وقد ظل الإمبراطور ضعيفاً في سراي بروسه (بورصة) مدة طويلة، وكان يتحدث التركية بطلاقة، وقد التزم باتجاهات السياسة العثمانية الخارجية إزاء بيزنطة<sup>(١٤١)</sup>.

وهذا دليل لما سبق لتشجيع أنصاره الصليبيين على دفع انجلاء السلطان با يزيد الأول إلى المشرق، لذلك تراهم يشاركونه في حروبه ضد الولايات السلجوقية المسلمة في الأناضول، وعلى رأس إمبراطور بيزنطة، وكانت هذه السياسة من السلطان سياسة خاطئة، كادت أن تخسر الدولة العثمانية بسببه، تقدمها في أوروبا وينتهي مدنها في أوروبا إلى الأبد.

وعلى أية حال فقد حاول علاء الدين من أسره أن يعرض على السلطان الصلح على أساس الاتفاقية السابقة، ولم يفلح لأن السلطان با يزيد الأول أدرك أن اتعاقه مع علاء الدين لا طائل من ورائه لعدم التزامه بالمعاهدة السابقة، والآن بعد مصر تهديد للدولة. لذلك وجد السلطان أن الفرصة أصبحت مواتية بين يديه لنقضاء عليه وعلى إمارة القرمق نهائياً للتخلص من هذا الخطر، فعلاء الدين قد وفر على السلطان با يزيد الأول مشقة السفر إلى القرمق لإخضاعها عندما حضر بنفسه إلى بروسه (بورصة) لانتزاعها من السلطان، ولكنه خسر المعركة، لذلك رفض السلطان الصلح مع علاء الدين أمير القرمق، وقام بقتله ١٣٩١م، لاستقرار المنطقة. وبذلك انتهت سلطة علاء الدين والقرمق<sup>(١٤٢)</sup>، وعاد السلطان إلى عاصمة بلاده بروسه بعد أن قتل علاء الدين بن قرمق وحبس ولديه بمدينة بروسه إلى أن أطلق سراحهما تيمور لك بعد موقعة أنقرة سنة ١٤٠٤هـ / ١٤٠٢م<sup>(١٤٣)</sup>.

والحقيقة أنه لم يتم إخضاع القرمق نهائياً فقد ظلت هذه الإمارة حتى سقوط القسطنطينية تنقض مضامع سلاطين الدولة العثمانية بين الفينة والفينة<sup>(١٤٤)</sup>. وواصل السلطان با يزيد الأول فتوحاته في الأناضول بآسيا الصغرى، واكتسح سيواس وتوقات<sup>(١٤٥)</sup>، وكان آخر أمرائها برهان الدين أمير سيواس<sup>(١٤٦)</sup>.

في حين أن الإمارة العثمانية في الوقت الذي استشهد فيه السلطان مراد الأول في قوصوه قد أخذت على عاتقها دوراً مهماً وهو الاستمرار في أراضي الأناضول والرومي، وتحولت إلى دولة

كاملة الأركان. ولكن السلطان بايزيد الأول حين اعتلى عرش الدولة (١٣٣٩م)، بدأت الدولة العثمانية بقيادته تطبيق سياسة جديدة خاطئة، كانت من أسباب زوال حكمه ونهاية لظموحاته على يد تيمورلنك في كارثة أنقرة كما سيأتي الحديث عنه في باب<sup>١٤٨</sup>، حين فرض سيطرته المباشرة على هذه المناطق التي طرد منها أسرتها الحاكمة وإخضاعها لسلطته المركزية المباشرة، ولقيت هذه السياسة مقاومة ليس فقط في البلدان المفتوحة بل داخل الدولة العثمانية نفسها، وكانت هذه مواجهة ضد التسرع في ضم المدن والإمارات، واعتبرت ذلك خروجاً عن التقاليد العثمانية<sup>١٤٩</sup>.

فقد كانت سياسة مراد الأول هي ترك الأراضي على شكل إقطاعات عسكرية للأمراء، فبدأت من بعده سياسة تحويل هذه الأراضي إلى الملكية العثمانية بالفعل، إذ حدث فور سماع خبر وفاة السلطان مراد الأول أن ظهرت انتفاضات في الأناضول والبلقان قرد فيها أمراء الإقطاع في الأناضول، فقام بايزيد الأول مسرعاً نحوهم (١٣٨٩ / ١٣٩٠م) لإخماد هذا التمرد، وأخذ منهم أراضيهم لتصبح أرضاً عثمانية خالصة.

وأصبحت الإمارات القديمة مسحق عثمانية يتولى إدارتها عمال يجري تعيينهم من العاصمة، وكان نتيجة لهذه الجهود التي بذلها أن انخفض عدد الإمارات المناهضة له في الأناضول إلى مركزين أساسيين، - الأناضول وسيواس - وهذه الأعمال كانت بمثابة التطبيقات الأولى لسياسة استهداف بها السلطان بايزيد الأول، الذي عرّب بلقب «الصاعقة» إقامة دولة مركزية قوية تدار من مركز واحد، هو السلطان، وكان هو يفعل ذلك يضع نصب عينيه صفة القائد المجاهد، وقد استطاع أن يصيغ ادعاءات السيادة داخل هذا الإطار<sup>١٥٠</sup>.

وقد اشتد العثمانيون في انتقاد سلطانهم بايزيد الأول حول إدخاله استعمال الدفتر في النظام الإداري العثماني، يضاف إلى ذلك أنه حاول في الأراضي التي ضمه حديثاً أن يحل عبيده (غلمان) محل الاستقرائية المحلية فاعتبرت هذه السياسة خروجاً على القاعدة والتقاليد العثمانية، وكانت هذه السياسة من أهم العوامل والأسباب التي أدت إلى نكبة السلطان بايزيد الأول وزال حكمه في موقعة أنقرة، وعودة الأسر الحاكمة في القرمات على أثرها وغيرها من الإمارات السلجوقية الأخرى في الأناضول<sup>١٥١</sup> إلى الاستقلال بإماراتهم.

وهذا مما يعزز القول بأن آل عثمان لم يحكموا قبضتهم على إمارة القرمات إلا بعد فتح لقسنطينية<sup>١٥٢</sup>.

## السلطان بايزيد الأول يتابع حروبه في أوروبا :

ثم عاد السلطان بايزيد الأول، متابعة حروبه في أوروبا فأمر بترخف عام على طول حدوده الشمالية والشمالية الغربية، ووصلت قواته الغازية إلى ألمانيا لتثبيت حكمه هناك، وفي عام ١٣٩٣م استكمل احتلال بلغاريا وزود آدين وسيلستريا ونيكوبولي وغيرها من قلاع الدانوب بحاميات قوية بعد أن قام بتقوية تحصيناتها تحصيناً قوياً، مما عزز من مكانة السكان المسلمين في تلك المدن، الذين ازدادت أعدادهم على طول الحدود الشمالية للدولة العثمانية، على أثر اعتناق عدد كبير من البلقانيين المسيحيين للإسلام، وهجرة عدد من مسلمي الأناضول إلى البلقان.

وما لبث أن حاصر السلطان بايزيد الأول العاصمة البيزنطية، وشدد عليها الحصار، وطلب من الإمبراطور بعد قهره من منطق القوة أن يعين قاضياً في القسطنطينية للفصل في شئون المسلمين، وقبل الإمبراطور إيجاد محكمة إسلامية وباء مسجد وتخصيص سعمائة (٧٠٠) منزل داخل المدينة للجدلية الإسلامية، كما تدل للسلطان بايزيد الأول عن نصف حي غلطة، التي وضع فيها السلطان حامية عثمانية قوامها ستة آلاف (٦٠٠٠) جندي، وزيادت الجزية التي كانت الدولة البيزنطية تدفعها للسلطان العثماني.

وفرضت الخزانة العثمانية رسوماً على الكروم ومزارع الخضروات الواقعة خارج المدينة، وأخذت المآذن من تلك اللحظة تنقل الأذان إلى العاصمة البيزنطية، والتي أطلق عليها العثمانيون بعد الفتح « اسطنبول »<sup>(٢٧)</sup>، وقد فرض عليها السلطان الرقابة من خلال الحامية العثمانية وإحكام السيطرة عليها<sup>(٢٨)</sup>.

وبعد هذه المكاسب الجديدة للسلطان بايزيد الأول فقد أشار عليه مستشاروه المسيحيون بترك أوروبا وشأنها والتوجه إلى الأناضول بأسيا الصغرى، لاستكمال القضاء على الإمارات السلجوقية المسلمة وتوحيدها تحت السلطة العثمانية، وكان هدف المسيحيين من ذلك هو صرف السلطان عن الفتوحات الإسلامية نحو أوروبا، كما كان يفعل أسلافه لحرمانه أولاً من الأجر ومن ثم الثروات الجديدة<sup>(٢٩)</sup>، وثانياً إبعاد شبح الحرب عن دولهم لتوجيه السلطان ومخريضه للاضطدام بالإمارات السلجوقية المسلمة، وذلك لإضعاف قوته وبالتالي إعطاء فرصة للعالم المسيحي لاستعادة أنفاسه لبنا، قواته وتسوية خلافاته لتوحيد جهوده، ضد الدولة العثمانية التي توغلت في داخل البلقان، للاقتضاض عليها في أقرب فرصة لظردهم من أوروبا كلها.

وقد نجح المسيحيون في تحويل أنظار السلطان إلى الشرق، حينما استصوب قولهم، لذلك لف بعنان فرسه ورايته من الغرب إلى الشرق، مخالفاً لمن سبقه من أسلافه، وعلى أية حال فإنه لم يبق من الإمارات السلجوقية التي ضمها السلطان إلى الدولة العثمانية، والتي قامت على أطلال دولة آل سلجوق في الأناضول سوى إمارة قسطنطيني<sup>(٦٦)</sup>.

وكانت هذه الإمارة خارجة عن أملاك الدولة العثمانية، وتقف حائلاً بين الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والبحر الأسود، وبلاستيلاء على هذه المدينة يعني حصول الدولة على ميناء مهم جداً وهو ميناء سينوب على البحر الأسود<sup>(٦٧)</sup>، وكان أميرها يسمى با يزيد أيضاً، قد احتسب بإمارته الكثير من الأمراء وأبنائهم الذين استولى السلطان على بلادهم بالقوة وإيجاد مبرر لغارته عليها فقد أرسل السلطان با يزيد الأول، تنقيلاً لتصبية مستشاريه المسيحيين إلى أمير قسطنطيني يطلب منه تسليم أولاد أميرى (أيدين وصاروخان)، فامتنع عن تسليمهم فسار السلطان على رأس جيشه، إلى إمارة قسطنطيني لأخذها بالقوة وهرب با يزيد أمير قسطنطيني ومعه أمراء الإمارات السلجوقية الذين سبق أن احتسبوا به إلى تيمورلنك يشكون إليه السلطان با يزيد الأول ويستنجدون به لاسترداد بلادهم، فاستجاب تيمور لرد بلادهم<sup>(٦٨)</sup>، وهذا هو سبب غزوه بلاده من تيمورلنك<sup>(٦٩)</sup>، أما السلطان فقد ضم وهو في طريقه للاستيلاء على قسطنطيني، مدن سامسون<sup>(٧٠)</sup>، وقيصري<sup>(٧١)</sup> وجناك وعشماغيق<sup>(٧٢)</sup>، وبذلك انقضت جميع الإمارات السلجوقية القائمة بالأناضول، وصار العلم العثماني كما أراد السلطان العثماني يرفرف أو يخفق فوق صروحها<sup>(٧٣)</sup>، وبهذا أصبح السلطان با يزيد الأول سيد الأناضول، ولكنه كن سيداً بالاسم، إذ لم يكن العثمانيون قد هضموا بعد هذه المناطق الأسبوية المفتوحة، كما تدل حوادث النزاع بين تيمورلنك والسلطان با يزيد فقد كان سكان هذه المناطق لا يزالون موالين لأسراتها الحاكمة، وقد اتضح ذلك في معركة أنقرة كما سيأتي<sup>(٧٤)</sup>.

وهكذا بعد أن قضى السلطان با يزيد الأول على الفتن في الأناضول سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٤م وبالتحديد بعد ضم الإمارات السلجوقية في الأناضول وتوحيدها، وظن المسيحيون أنهم قد نجحوا في صرف السلطان عن أوروبا ليستريحوا من الزحف الإسلامي نحو بلادهم للأبد، إلا أن السلطان استشعر بمسئولية الجهاد نحو أوروبا مرة أخرى لذلك حشد قواته وواصل سياسته لغزو أوروبا لاستكمال فتح القسطنطينية، فاستولى على مدينة سالونيك<sup>(٧٥)</sup>، وتمركز فيها، ومنها اتجه إلى شمال بلاد البلغار، وعندما علم سسيمان ملك بلغاريا داخله الخوف لفقد بلاده من السلطان، وجاء بنفسه إلى الصدر

الأعظم، (علي بن خير الدين قرة خليل باشا وزير السلطان با يزيد الأول، ومعه ولده، ووضع كل منهما - الأب والابن - في عنقه مندبل الأمان، فأمنهما على حياتهما، وأرسل الأب إلى مدينة فيليببول في مقدونية، وأبقى ابنه في معسكر السلطان، ولم يلبث الابن كثيراً حتى اعتنق الإسلام دون إكراه، عندما رأى سماحة الإسلام<sup>(١٦٦)</sup>، وقد قام السلطان باستكمال فتح بلاد البلغار وضماها إلى أملاك الدولة، فأصبحت تلك المناطق ولاية عثمانية<sup>(١٦٧)</sup>.

وحين علم سيجموند ملك المجر افتتاح السلطان بعض مدن البلغار التي كان يعتبرها تحت نفوذه وسيطرته، غضب وأرسل إلى السلطان يقول له : من أين لك الحق أن تستولي على بلاد البلغار، فلما حضر الرسول بين يدي السلطان أراه حزمة من الأقواس والنشاب، وقال له : « اذهب وأخبر مولاك بما نظرت »، وكان هذا الجواب دليلاً على الحرب، ولما عاد الرسول وأبلغ مولا « ملك المجر » بما عاينه ورآه، فكر بأنه لا يقدر على حرب ومقاومة الدولة العثمانية وجنودها<sup>(١٦٨)</sup>، وكان من الطبيعي أن تشير انتصارات الدولة العثمانية حزع الغرب<sup>(١٦٩)</sup>، فعَمَّ الخوف معظم الأوروبيين من سرعة تقدم فتوح العثمانيين في أوروبا، فقامت **ضجة** وفزع للحض على جيوشهم<sup>١٧</sup> للتصدي للعثمانيين.

### سيجموند يدعو لشن حرب صليبية على المسلمين العثمانيين:

لذلك انطلق سيجموند إلى مدينة روما يطلب من البابا بونيفاس الثاني النجدة والمساعدة والعون<sup>(١٧١)</sup>، كما دعا حكام أوروبا المسيحيين إلى شن حرب صليبية ضد المسلمين العثمانيين، وكان ذلك ١٣٩٤م، لصدهم عن بلاده، ويعتبر سيجموند المحرك الأول لتلك الحرب الصليبية، لأنه أصبح متاخماً للدولة العثمانية في عدة نقاط، فخاف خوفاً شديداً وخشي فقد مملكته، كما فقدوا البلغاريون من قبل سنة ١٣٩٣م<sup>(١٧٢)</sup>، لأن بلغاريا كانت بين السلطان العثماني وسيجموند ملك المجر، وكان الأخير يدرك أنه لا يستطيع وحده إنقاذ البلقان. وفي نفس الوقت كان ملوك أوروبا يدركون أن الطريق أمام العثمانيين إلى قلب أوروبا سيصبح مفتوحاً لو نزلت هزيمة كبيرة بالمجر<sup>(١٧٣)</sup>، وكان من نتائج الاستيلاء على بلغاريا بعد تهديد لبيزنطة بصورة دائمة وخطيرة، فأصبحت الدولة العثمانية تتطلع إلى الأراضي المجرية لتحطيم النفوذ المجري هناك، وكان هذا الأمر وراء توحيد دول أوروبا ضد الدولة العثمانية. لتشكيل حملة صليبية<sup>(١٧٤)</sup>.

ومن هذا المنطلق انتعشت الروح الصليبية ولقيت دعوة سيجموند استجابة وتأييداً من البابا - بونيفاس الثاني - الذي دعا أوروبا إلى شن حرب صليبية ضد الدولة العثمانية، لذلك عادت



الفكرة الصليبية التي نسبها الناس في الظاهر منذ أمد بعيد، تعود إلى الظهور من جديد مرة أخرى<sup>(٧٥)</sup>.

وتلك الدعوة لقيت صدى قوي وأشعلت ملوك أوروبا وأباطرتها حماساً في حركة واسعة للوقوف صفاً واحداً لطرد العثمانيين من أوروبا<sup>(٧٦)</sup>، فأرسل البابا بونيفاس الثاني من روما أربعة آلاف جندي مقاتل، وكذلك ملك فرنسا كارلوس الثالث بستة آلاف مقاتل للاتضمام إلى سيجموند ملك المجر<sup>(٧٧)</sup>، أغلبهم من نبلاء فرنسا، وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا تحت قيادة الشاب الكونت دي نهر<sup>(٧٨)</sup> ابن ملك دوك بورغونيا<sup>(٧٩)</sup>، وقد انضم إلى أولئك الجنود وفرسان القديس يوحنا الارشليمي، أمير الأفلاق وبلغاريا اللذان خلعا ولاهما للعثمانيين<sup>(٨٠)</sup>.

وقبل التحق بالكونت دي نهر، وهو في طريقه إلى بلاد المجر، من ألمانيا حوالي ستة آلاف مقاتل ألماني، بقيادة الكونت بلاتين روبرت بن روبرت الثاني، ومن إنجلترا عشرة آلاف مقاتل بقيادة هنتجودين، وانحاز إليه حاكم الأفلاق في عشرة آلاف مقاتل، وقدم من بولندا وبوهيميا وإيطاليا وأسبانيا حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل، وكان ملك المجر سجموند ينتظر هذه الجيوش ومعه حوالي ستون ألف مقاتل<sup>(٨١)</sup>.

وعلى أية حال فإنه لا يهمل الأعداد المقاتلة للطرفين، بقدر ما يهمل في النهاية تشكيل جيش صليبي اشتركت فيه كل دول أوروبا الغربية، وكذلك دول المواجهة التي تواجه الزحف العثماني أو مناطق السيطرة العثمانية، وقد توافد هؤلاء الجنود الصليبيون إلى بودا، من إنجلترا، واسكتلندة، وبولندة، وبوهيميا، والنمسا، وإيطاليا، وسويسرا، وكذلك من بلدان جنوب شرقي أوروبا<sup>(٨٢)</sup>، تدفعهم الروح الصليبية لسحق وطرد الدولة العثمانية من أملاكها في أوروبا.

وبعد تردد من البندقية للدخول في هذه الحرب اشتركت وأعدت أسطولاً صغيراً في الدردنيل، وذلك لتفتيش المضيق لجعل خط الإمدادات الأوربية متصلاً بالقوات الموجودة في المجر، لمحاولة درء الخطر العثماني من استغلال هذا المضيق لقطع الإمدادات الأوربية وبالتالي يعمد إلى فشل الحلف الصليبي<sup>(٨٣)</sup>.

وقد استغرقت هذه الاستعدادات الأوربية وقتاً طويلاً، وكان البابا صاحب الدعوة، وصرفت أوروبا مبالغ كبيرة من الدراهم لم يسبق أن صرفتها أوروبا في القرون الوسطى<sup>(٨٤)</sup>.

وكان الهدف من هذا الحلف الصليبي أو الحملة الصليبية هي هزيمة وسحق الأتراك العثمانيين وطردهم بصورة نهائية من البلقان إلى الأناضول، ثم محاولة الوصول إلى البقاع المسيحية في بيت المقدس بفلسطين، لتخليصها من يد المماليك، وكانت هذه خطة الحملة<sup>(٨٥)</sup>.

لهذا اجتمع المجلس العسكري الأعلى في بودابست، وتم انتخاب ملك المجر سيجمند الأول للقيادة العامة، فاجتاز الجيش الصليبي الحدود المجرية العثمانية ودخل الأراضي العثمانية<sup>(٨٦)</sup>، عن طريق بلاد الصرب، التي حافظ أميرها على ولائه وعهده للسلطان با يزيد الأول، مما دعا الحلفاء الصليبيين إلى تخريب أراضيه لعدم تحالفه معهم<sup>(٨٧)</sup>.

وقد عبر هذا الحلف نهر الدانوب (الطونة) وعسكر حول مدينة نيكولي<sup>(٨٨)</sup> لمحاصرتها والاستيلاء عليها<sup>(٨٩)</sup>، وكانت هذه المدينة من أقوى وأهم المعاقل العثمانية على نهر الدانوب في أوروبا، وكانت محصنة تحصيناً قوياً بأسوار منيعة<sup>(٩٠)</sup>.

وظل هذا الحلف الصليبي متمركزاً حول قلعة نيكولي الواقعة على الضفة الجنوبية من نهر الدانوب (الطونة) لحصاره والاستيلاء عليها، فلم يستسلم القائد العثماني (دوغان بك) والذي حيدهم عن دخول القلعة وقد مضت فترة أسبوعين أي (١٥) يوماً على حصار الصليبيين لها دون فائدة، في حين وردت الأخبار بأن العثمانيين أخذوا يقتربون من القلعة، وكان جيش السلطان بايزيد الأول قد تحرك من تراقيا، فدق فرسانه، خيالة الصليبيين في سرعة الحركة<sup>(٩١)</sup>، وقد وصلت مقدمة جيشه تحت قيادته إلى نيكولي في يوم الاثنين الموافق ٢٥ سبتمبر ١٣٩٦م، وعسكر بجيشه في التلال على مسافة ثلاثة أميال من الجيش الصليبي<sup>(٩٢)</sup>، يرافقه كثير من الجيش الصربي بقيادة أميرهم استيفن وفاءً للشرط الذي التزم به في الصلح مع السلطان با يزيد الأول، فتقدم السلطان لحرب الحلف الصليبي المذكور، فاشتعلت نار الحرب بين الفريقين، ولكن فقدان روح النظام عند هؤلاء الصليبيين المعارين جعل حماسهم عديم الجدوى بالكلية، وذهبت جهود سيجموند لقيادتهم أدراج الرياح<sup>(٩٣)</sup>، حين بادريهم السلطان با يزيد الأول بالهجوم واشتبك معهم في معركة سال فيها الدم بين الفريقين وانتهت هذه المعركة بفوز العثمانيين على الحلف الصليبي بهزيمة ساحقة<sup>(٩٤)</sup>، بجيش قوامه حوالي سبعين ألف جندي، وكان الجيش الصليبي مؤلفاً من مائة وثلاثين ألف جندي، إلا أنه لم يكن هؤلاء الصليبيين قد شاهدوا حراً بهذا الحجم ولا طالعوها في الكتب، كانوا جنوداً جديدين، لكنهم لم يعتادوا إلا على مقاتلة خمسة عشر ألف جندي وحماً لوجه على أكثر تقدير.

فكانوا يجهلون تكتيك الحرب العثمانية، لذلك اضطربوا عندما ضيق عليهم السلطان بايزيد الأول الحناق، وأرادوا النجاة والهرب عن طريق نهر الطونة لكنهم شاهدوا أن النهر من أوله إلى آخره مرصوف بالحجارة (الأثراك، فقد حالوا بينهم وبين النهر، فكان العثمانيون الأثراك يقتلون بالسيف من لم يستسلم منهم<sup>(١٤٤)</sup>، أما سيجموند ملك المجر، فقد هرب من المعركة إلى شاطئ البحر الأسود حيث وثب على إحدى السفن من الأسطول النصراني ففرت به إلى أوروبا، وبذلك تضائلت مكانة المجر في عيون المجتمع الأوروبي، وتبخر ما كان يحيط بها من هيبة ورياسة واعتداد بقوة ملكها سيجموند، وبهزيمته أصبح الوضع في البلقان أكثر سوءاً وأصبح الطريق ممهداً أمام العثمانيين لمزيداً من الفتح<sup>(١٤٥)</sup>، وقد أمكن للسلطان إبادة معظم القوة الصليبية الكاثوليكية الضخمة التي احتشدت في (بودا) خلال مدة قصيرة عند قلعة نيكولي، وكانت تلك القوة الصليبية خلال زحفها نحو الأماكن تحرق وتهدم ما يصادفها في الطريق وتوقع أنواع المظالم بالسكان الأرثوذكس المحليين، فلما منيت بالهزيمة. تأكد لديهم الرأي القائل باستحالة طرد العثمانيين من الأناضول<sup>(١٤٦)</sup>.

وقيل مات من الصليبيين غرقاً في النهر وصرباً بالسيف حوالي مائة ألف جندي، وقُتل من الفرار حوالي عشرة آلاف جندي<sup>(١٤٧)</sup>، كما وقع في الأسر حوالي عشرة آلاف جندي قام الجنود العثمانيون بقتل معظمهم أمام السلطان، منهم كثير من نبلاء فرنسا، وأطلق سراح الباقين منهم يوحنا كونت دي نافر<sup>(١٤٨)</sup>، فقد عفا عنه السلطان لشجاعته وبسالته<sup>(١٤٩)</sup>، وكانت خسائر الأثراك غير معلومة لديهم، ولكن المصادر الأوروبية تقدر حجم الخسائر العثمانية بثلاثين ألف جندي تركي بين قتل وجرح<sup>(١٥٠)</sup>.

وعلى أية حال فقد استطاعت إمارات فيدو البلغارية، من الإفلات والنجاة من السقوط في أيدي العثمانيين ١٣٩٣م، ولكن العثمانيين استطاعوا الاستيلاء عليها في هذه المرة ١٣٩٧م، نتيجة لهزيمة الخلف الصليبي في معركة نيكولي ١٣٩٦م، حيث أصبح الطريق سهلاً ومهداً أمام العثمانيين كما سبق ذكره، لذلك استطاعوا احتلال أثينا، ثم عبروا مدينة اسميوس، واجتاحوا أرجوس، وانتصروا على القوات لبيبزنطية هناك، واجتاحوا الشاطئ الجنوبي، وكان ذلك إذناً بأن القسطنطينية قد جاء دورها، بعد القضاء على كل العناصر الصليبية أو التي باستطاعتها أن قد يد المساعدة لمدينة القسطنطينية، التي كانت تمر بفترة ضعف في السنوات العشر الأخيرة<sup>(١٥١)</sup>، هذا الأمر عمل على ذوبوع شهرة السلطان بايزيد الأول في العالم الإسلامي كمجاهد كبير،

وعلى ذلك كان في مقدوره أن يضع القسطنطينية تحت الحصار الشديد ويتطلع إلى احتلال روما، وهذا أثار الخوف في نفوس أهلها، أما الإمبراطور البيزنطي فقد كان يعتقد عن إيمان أن إنقاذ القسطنطينية لن يتم إلا عن طريق المساعدة التي يمكن الحصول عليها من الخارج، كما توقع أن فتح القسطنطينية قريب المآل<sup>١١</sup>، وأعلن السلطان با يزيد الأول أنه سيحتل إيطاليا، بعد فتح القسطنطينية، وأن حصانه سيتناول طعامه على مذهب كنيسة القديس بطرس في روما<sup>١٢</sup>.

عندما فقدت بيزنطة كثيراً من تأثيرها وهيبته بعد معركة نيكولي، مما جعل الإمبراطور مانويل الثاني يطلب المساعدة من روسيا والبندقية، وملك فرنسا وبريطانيا لإنقاذ القسطنطينية من تهديد العثمانيين لها، فاستجاب شارل ملك فرنسا لطلب مانويل، فأرسل من المضحك فرقة تتكون من ألف ومائتين جندي تحت قيادة المارشال بوكيكو (Boucicau) الذي سعى لشق طريقه إلى القسطنطينية، ولكن القوة التي كانت معه صغيرة لن تستطيع إنقاذ القسطنطينية<sup>١٣</sup>.

في نفس الوقت كان حنا السابع منافس الإمبراطور مانويل الثاني على العرش يتفاوض في فرنسا لبيع حقه في العرش لملك فرنسا مقابل قصر هناك، ودخل بقدر مائتين وخمسين ألف فلورين ذهبي، فقرر الإمبراطور مانويل الذهاب إلى الغرب لطلب المساعدة، وتدخل بوكيكو للصلح بين الإمبراطورين البيزنطينيين المتنازعين (حنا ومانويل) وقرر أن يحكم حنا السابع كإمبراطور في القسطنطينية في غياب مانويل، ومع ذلك فإن مانويل لم يكن يأمن له، فأرسل أسرته عند أخيه في المورة، وذهب في رحلة لطلب المساعدة من الغرب، فزار البندقية وعدداً من المدن الإيطالية، ثم ذهب إلى باريس، ومنها إلى لندن، ولم تحقق رحلته نتائج إيجابية إلا بعض الوعود، التي لم تتحقق لصعد الهجوم العثماني المحتمل لفتح المدن فرحل إلى باريس مرة أخرى، وأقام بها عامين، إلى أن وصلت أخبار هزيمة السلطان با يزيد الأول على يد المغول مما جعل القسطنطينية تنعم بفترة راحة من الاستقرار<sup>١٤</sup> كما سيأتي ذكره.

وفي الحقيقة أن الصربيين قد أثبتوا ولاهم للدولة العثمانية في ساحة نيكولي، والتي أحرز فيها السلطان با يزيد الأول بمساعدتهم قمة مجده في تلك المعركة، فأرسل من ميدان القتال إلى قاضي بروسه يخبره فيه بانتصاره في نيكولي<sup>١٥</sup>، كما بعث من أدرنة عاصمة بلاده الرسائل إلى كبار حكام المشرق الإسلامي، يزف فيها بشرى انتصاره في معركة نيكولي، وقد أرسل مع الرسل مجموعة من الأسرى الصليبيين كهدايا من المنتصر دليلاً مادياً على انتصاره، واتخذ لقب

« سلطان الروم » كدليل على وراثته لدولة السلاجقة وسيطرته على كل شبه جزيرة الأناضول<sup>(١١٠)</sup>، وبهذا الانتصار العظيم الذي حققه السلطان با يزيد الأول في معركة نيكوبلي رسخت أقدام العثمانيون في البلقان، حيث انتشر الخوف بين الشعوب البلقانية، وخضعت بلغاريا والمجر للدولة العثمانية، وعاقب السلطان حكام جزيرة المورة الذين قدّموا المساعدات للحلف الصليبي<sup>(١١١)</sup>، ويعني ذلك أن العثمانيين بهذا العمل قد سيطروا على شبه جزيرة البلقان كلها ما عدا مدينة القسطنطينية وما حولها<sup>(١١٢)</sup>.

### العلاقة المملوكية العثمانية في بداية عهدها تختلف عن نهايته :

وكانت العلاقة المملوكية العثمانية في بداية عهدها طيبة، فلم يحدث بين الدولتين صدام، لعدم ظهور أطماع لأي منهما في أملاك الآخر، وقد زاد من تحالفهما الخطر المغولي الزاحف نحو الغرب، المتجه نحو بلادها<sup>(١١٣)</sup>.

لذلك أرسل السلطان با يزيد لأول إلى الخليفة العباسي المتوكل المقيم في القاهرة، طالباً منه أن يخلع عليه لقب سلطان الروم لكي يسوغ على السلطة التي مارسها أو تمنح بها هو وأجداده من قبل طابعاً شرعياً رسمياً لتزاد هيئته لدى العالمين الإسلامي والمسيحي، ولم يكن في استطاعة السلطان برقوق - حامي الخليفة العباسي - أن يتعلل أو يرفض طلب السلطان، بل وافق عليه، إذ كان يرى في السلطان العثماني حليفه الأوحيد ضد قوات تيمورلنك التي كانت تهدد كلا الطرفين بخطر عظيم<sup>(١١٤)</sup>، لذلك خلع عليه الخليفة العباسي لقب سلطان أقاليم الروم تدعيماً لموقفه هناك، وتوحيداً لجهودهما معاً ضد الغازي المغولي لهما على حد سواء<sup>(١١٥)</sup>، وعلى الرغم من مخاوف السلطان برقوق من الخطر المغولي نحو بلاده، إلا أنه كان يخاف أكثر من أطماع العثمانيين<sup>(١١٦)</sup>، وهنا يجب التنويه أن السلطان با يزيد الأول، وهو أول من لقب «سلطان آل عثمان»، لذلك لم ينتقل آل عثمان من طور الإمارة إلى دور السلطنة إلا في عهد السلطان با يزيد الأول، وعنى يديه أصبحت الإمارة العثمانية الدولة التي عرفت باسم الدولة العثمانية، كما أن هذا السلطان بحق هو أول من فكر في توحيد العالم الإسلامي، وكانت طموحاته أن يقوده تحت إمرته<sup>(١١٧)</sup>، وقد تدفق على الأناضول آلاف المسلمين الذين قدموا لخدمة الدولة العثمانية وسلطانها، وكانت هذه الهجرة لم تقتصر على رعايا التركمان، بل كانت مليئة بالجنود الذين أسهموا في الحياة الحكومية والاقتصادية والثقافية، في إيران والعراق، وما وراء النهر، إضافة إلى الجموع الفارة أو الهاربة من أمام زحف قوات تيمورلنك من أواسط آسيا<sup>(١١٨)</sup>.

وقد صدقت محاور السلطان برقوق حين أخذ السلطان با يزيد الأول يتطلع إلى الممالك في آسيا الصغرى، شرق الأناضول، فكان احتكاكه أكثر من مرة بدول الممالك في مصر والشام، فقد هاجم قيصرية، وقبض على أميرها الذي كان يتبع لدولة الممالك، وسيطر على بلاد القاضي برهان الدين وسط الأناضول، وحين بدأت انتصاراته<sup>(١١٧)</sup> حضر بنفسه في ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م، إلى سيواس، وشاهد الوضع هناك، وكان ابنه محمد الأول (جلبي)، والياً على هذا الإقليم<sup>(١١٨)</sup>، ولما علم السلطان با يزيد الأول بوفاة الأمير برقوق، وتولى ابنه فرج الحكم مكانه على مصر أرسل إليه رسولاً يعرض عليه ترك « ملاطية » الأهلة بالسكان الأتراك لأنها تخص القاضي برهان الدين التي آلت بلاده للسلطان العثماني، وعندما تلقى الجواب بالرفض من الأمير لرج المملوكي قام بإعداد جيش لهذا الغرض ونزل به من سيواس إلى ملطية، وقام بهصارها حتى استسلم أهلها في شهر محرم ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م، فأخذها عنوة من الممالك<sup>(١١٩)</sup> وقد أدى ذلك الأمر إلى توتر العلاقات المملوكية العثمانية في الوقت الذي كان فيه خطر تيمورلنك مائلاً على أبواب الأناضول (٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م)، فاحتل السلطان العثماني المدن المملوكية الأخرى، كحصن منصور (آدي يان) كاهته بسبي دارنده، ديوريفي البستان، حتى تجاوزت الحدود العثمانية نهر الفرات، كما اعترف بنو دلقادر بالسيادة العثمانية في ٩/٢ / ١٣٩٩ م، وخضعت له مدينة خربوت وارزبجان، وهكذا تكونت الوحدة الأناضولية التي يسعى من أجلها لإعادة أحياء تركية علاء الدين السلجوقية في آسيا الصغرى<sup>(١٢٠)</sup>.

هذه السياسة الجزئية منه في الشرق أوقعتة فيما بعد لأن يدخل ساحة نفوذ تيمورلنك من ناحية والأراضي المملوكية من ناحية أخرى، حتى وجد نفسه وجهاً لوجه أمام تيمورلنك<sup>(١٢١)</sup> كما سيأتي.

وعلى أية حال فقد شعر السلطان با يزيد الأول بما شعر به القاضي برهان الدين أحمد حاكم سيواس آنذاك، لما كان على قيد الحياة بالخطر المغولي عقب استيلاء تيمورلنك على بغداد للمرة الأولى حين لجأ للعثمانيين والممالك في مصر، وشرح لهم هذا الوضع المرب من أطماع المغولي، فاقترح بإعداد حلف ضد تيمورلنك، ولكنهما (العثمانيون والممالك) لم يهتموا بهذا الأمر<sup>(١٢٢)</sup>.

لذلك أحس السلطان العثماني كما سبق ذكره بحرج موقفه وخطأ ما أقدم عليه، عندما أحس بالخطر المغولي يقترب من بلاده، ولا نصير له في المنطقة سوى دولة الممالك، فقدم بالاعتذار

لسلطان المماليك الناصر صلاح الدين بن فرج بن برقوق عما أقدم عليه، وأرسل له هدية ثمينة مع أحد رسله، وظل السلطان بايزيد الأول يؤكد صداقته واحترامه لسلطين المماليك<sup>(١٢٣)</sup>، حتى طلب من السلطان المملوكي فرج ما طلبه القاضي برهان الدين وهو التحالف معه ضد الخطر المغولي الذي أصبح على مقربة من بلادهما، فرفض السلطان المملوكي فرج ذلك التحالف بعد التشاور مع أمراء المماليك، الذين تأثروا باحتلال السلطان العثماني للمطية وغيرها من الممالك التابعة للدولة. ففضى هذا الاحتلال على إمكانية التحالف بينه وبين السلطان فرج بن برقوق، وقد استفاد تيمورلنك من هذا الخلاف والتنافر بين المماليك والعثمانيين في صالحه<sup>(١٢٤)</sup>، حيث تمكن من مهادمة كلا القوتين على انفراد<sup>(١٢٥)</sup>، فقد غزا سيواس العثمانية وقام بتخريبها وبهذا العمل فقد أنزل بالعثمانيين أول ضربة، واكتفى في بداية الأمر بسيواس، ولم يتقدم نحو الأراضي العثمانية.

أما السلطان بايزيد الأول فقد شعر بأن الوضع في سيواس مؤلماً، فقد تأثر كثيراً لعدم استعداده لملاقاة تيمورلنك على الفور، لكنه سار بقواته إلى قيصري، وانتظر تيمورلنك، لكن تيمورلنك اتجه نحو سوريا<sup>(١٢٦)</sup>، وهاجم المماليك في مصر والشام وتمكن من هزعتهم سنة ١٤٠٠م، بالقرب من مدينة دمشق<sup>(١٢٧)</sup>.

ولما رأى السلطان العثماني اتجه تيمورلنك نحو المماليك قاد الجيش العثماني بنفسه إلى الحدود الشرقية، وأخذ مدينة أزيبيجان من أميرها مهتران حليف تيمورلنك، وبعد ذلك خيره بأن يعيد له المدينة على أن يصبح - مهتران - تابعاً له ويكون حاكماً على أزيبيجان ثم أخذ عائلة مهتران كرهينة لديه حتى يضمن ولائه، وأرسلها إلى مدينة بروسة (بورصة) وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠١م، وبهذه الصورة فقد اتسعت الفجوة بين تيمورلنك وبايزيد الأول لغارته على أمير أزيبيجان التابع لتيمورلنك<sup>(١٢٨)</sup>.

وبعد ذلك عاد السلطان إلى عاصمته بروسة (بورصة) ليستريح من عناء الحروب، وليرجع بالذات<sup>(١٢٩)</sup> ونشوة انتصاراته، وأيضاً مراقبة الزحف المغولي، ورصد اتجاهااته للاستعداد له، وبما هو على تلك الحال، فقد أرسل تيمورلنك خطاباً أثبت حملته لسوريا يهدد السلطان بايزيد فيه، وبه من الغفلة، لارتكاب لأخطاء ضد حلفائه وأمراء الإمارات السجوقية المسلمين الذي اغتصب ممتلكاتهم، وتهديده لدولة المماليك، كما ذكره بغموض أصل أسرته، فأغلظ له السلطان بايزيد الأول الجواب مع رسوله<sup>(١٣٠)</sup>، وبين له أنه من أسرة عريقة ذات أمجاد معروفة، ومن نسب

عالي، وطلب بأن يكون تيمورلنك تابعاً له مفاخرًا بتاريخهم العظيم، فأنصرف الرسول المغولي مخذولاً<sup>(١٣١)</sup>.

### استغلال الخلاف بين السلطان بايزيد الأول وتيمورلنك :

استغل إمبراطور القسطنطينية وملكوك أوروبا هذا الخلاف الذي وقع بين السلطان بايزيد الأول وتيمورلنك، وطلبوا من الأخير مساعدتهم لإنقاذ سقوط القسطنطينية في يد السلطان بايزيد الأول، وكان تيمورلنك قد بدأ مواصلة فتوحاته وزحفه نحو خوارزم وبالتحديد قد وصل إلى ما بين النهرين لمواصلة قتال السلطان بايزيد الأول<sup>(١٣٢)</sup>، الذي كان ينوي حصار القسطنطينية، ولما علم أن إمبراطور القسطنطينية قد استنجد بتيمورلنك، تقدم بجيشه لحصار القسطنطينية، عقاباً له على موقفه العدائي، ثم طلب السلطان تسليم المدينة، واتبعها بالاستيلاء على الشاطئ الآسيوي وعلى جزء ضيق من مضيق البسفور، ولكن الإمبراطور رفض تسليم القسطنطينية، فأحكم السلطان الحصار عليها مصمماً في هذه المرة فتحها<sup>(١٣٣)</sup>.

وفي أثناء هذا الحصار وصل السلطان بايزيد الأول رسالة من تيمورلنك، بأمره فيها بإعادة جميع أراضي بيزنطة التي سبق للسلطان الاستيلاء عليها ورفع الحصار عنها، وفي نفس الوقت بلغه زحف تيمورلنك إلى أطراف بلاده، فشق على السلطان العثماني هذا الأمر، لذلك رأى رفع الحصار عن القسطنطينية - للاستعداد لصد الزحف المغولي عن بلاده - بعد أن شارفت على السقوط واكتفى بالصلح مع ملكها، مع أن أوروبا كانت تتوقع سقوطها في أي لحظة لعدم استطاعتهم تقديم المساعدة المطلوبة خوفاً من السلطان العثماني<sup>(١٣٤)</sup>.

غير أن التقدم الذي أحرزه السلطان بايزيد الأول في الأناضول عقب النجاح الذي حققه في الغرب جعله يقف وجهاً لوجه أمام تيمورلنك الذي ظهر من الشرق على مسرح الأحداث لغزو العثمانيين<sup>(١٣٥)</sup>، نظراً لسياسة السلطان العثماني الحافطة لالتحايه نحو المشرق مخالفاً في ذلك سياسة أسلافه الذين كان هدفهم الجهاد لنشر الإسلام نحو الغرب، فأكسبته تلك السياسة عداوة الجميع من مسلمين وأوروبيين، فأنقذ هذا الغزو سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني، الذي كان يدعي لنفسه الوصاية في الأناضول كوريث للمغول، ونتيجة لسوء علاقته أيضاً مع سلطان المماليك، وجد نفسه وحيداً أمام تيمورلنك، وكان أمراء الأناضول الذين طردهم من إماراتهم وحولها أو ضمها لدولته فأصبحت أراضي عثمانية، وكذلك رجال الإقطاع كانوا غير



راصين عن السياسة المركزية التي أتبعها السلطان وطبقها، هؤلاء جميعاً كانوا يرون في تيمورلنك أنه منقذ لهم<sup>(١٣٦)</sup>.

وكان يمكن لبازيد الأول اكتساح أوروبا، لولا ما قدّره الله، من قدوم خطر تيمورلنك، الذي عصفت بالسلطنة العثمانية، وتسبب في انهيارها لفترة حتى استعادت وحدتها على يد ابنه السلطان محمد الأول<sup>(١٣٧)</sup>.

وعلى أية حال فقد حشد السلطان بايزيد الأول جيوشه التي كانت متفرقة في أنحاء أوروبا وآسيا عائداً بها إلى بروسه (بورصة) عاصمة بلاده للاستعداد لحرب تيمورلنك<sup>(١٣٨)</sup>، ويعني ذلك تحويل جيشه صوب الشرق، لإبعاد الخطر الجديد خطر المغولي تيمورلنك عن الدولة العثمانية<sup>(١٣٩)</sup>.

وتيمورلنك هذا ينتهي إلى الجنس التركي، ينحدر في أصوله إلى إحدى الأسر الكريمة في بلاد ما وراء النهر، تولى هذا القائد عرش خراسان عام ١٣٦٩م، وعاصمته سمرقند، في الوقت الذي كان فيه السلطانين مراد الأول وابنه بايزيد الأول يرسيان قواعد دولتهما البلقانية، سيطر تيمورلنك على القسم الأكبر من العالم الإسلامي، فقد نشرت قواته في آسيا من مدينة دلهي إلى مدينة دمشق، ومن بحر آرآل إلى الخليج العربي، واحتل فارس وأرمينيا، وأعلى الفرات ودجلة، والمناطق الواقعة بين بحر قزوين إلى البحر الأسود، وفي روسيا سيطر على المناطق المحتلة بين أنهار الفولجا والدون والدينير<sup>(١٤٠)</sup>، وأعلن بأنه سيجعل الأرض المسكونة ملكاً له، وكان دائماً يردد هذا القول: « أنه يجب ألا يوجد سوى سيد واحد على الأرض، طالما أنه لا يوجد إلا إله واحد في السماء »، وكان يكره أن تكون هناك قوة أقوى منه أو منافسة له.

وقد اتصف تيمورلنك بالشجاعة والعبقرية الخربية والمهارة السياسية، وكان إذا قرر أمراً بطّعن على التقارير التي يبعثها إليه جواسيسه الذين كان يرسلهم إلى ذلك المكان، ليكون ملماً بقوة وضعف أعدائه.

وكان تيمورلنك لا يتسرع في اتخاذ القرارات بل يوازن ويفكر بثرو حتى يتخذ القرار المناسب، ثم يتمسك به، لهيبته التي كان يتمتع بها بين جنوده، وكانوا يطيعون أوامره أبداً كانت ومهما كانت.

على أن تيمورلنك باعتباره مسلماً صالحاً كان يراعي العلماء ورجال الدين وبخاصة دراويش

الطريقة النقشبندية، وكانت دولته شبيهة بدولة السلطان بايزيد الأول من حيث أنهما قامتتا على أنقاض دول صغيرة لجأ أمراؤها إلى كلا الجانبين كما سبق ذكره<sup>(١١٢)</sup>.

ومهما يكن القول فقد واصل تيمور زحفه حتى وصل إلى بغداد في العراق، فهرب حاكمها السلطان أحمد جلالتري<sup>(١١٣)</sup>، خوفاً من بطشه، كما هرب حاكم أذربيجان قره يوسف، والتجأ بعائلتيهما إلى السلطان بايزيد الأول، وكان تيمورلنك يسعى لنصرة أمراء القرمانيين وأوروبا الذين استطاعوا استمالته، وقد وافق ذلك ما بنفسه من أطماع لد غزو على بلاد الشام وبلاد الأناضول، لذلك أرسل سفيراً إلى السلطان بايزيد الأول يطلب فيه تسليم أحمد جلالتري، وقره يوسف ولكن السلطان رفض هذا الطلب، وعاد السفير إلى تيمورلنك<sup>(١١٤)</sup>.

### محاولة للصلح بين تيمورلنك والسلطان بايزيد الأول :

وفي رواية أرسل تيمورلنك خطاباً إلى السلطان بايزيد الأول يريد الصلح دون قتال حيث قال: « أنت رجل مجاهد في سبيل الله، وأنا لا أحب قتالك، ولكن انظر أي البلاد التي كانت معك من أبيك وجدك، فافتتح بها وسلم إلى البلاد التي كانت من إرثي ».

وقد أشار الصدر الأعظم العثماني علي باشا على السلطان بايزيد الأول بأن يتبع سياسة السلم والصلح مع تيمورلنك، وقد أرسل سفيراً إلى تيمورلنك للتفاهم في الصلح، وكلفه السلطان بحمل معاهدة إذا اتفقا، ولكن تيمورلنك لم يكثرث بالأمر، بل زحف إلى حدود الأناضول، وأخبر سفير السلطان العثماني بأنه ينتظر رد سلطانه بايزيد الأول، وسمح للسفير والوفد المرافق له بالعودة وأرسل معهم سفيره الخاص بالشرط التالي :

أن تيمورلنك يريد استلام قره يوسف بصفة خاصة حياً أو ميتاً، لكن السلطان بايزيد أجاب السفير، بأن قره يوسف لم يقدم له أي معلومات أو مساعدة، وأنه في ضيافته الخاصة، لذلك لا يمكن أن يسلم إليه كل من جاء إليه لاحقاً مهما كلفه ذلك من أمر<sup>(١١٥)</sup>.

بيد أن السلطان العثماني كان لديه خفة وشجاعة، ولم يكن عنده صبر ساعة، كان إذا تكلم وهو في صدر المجلس فإنه لا يزال في حركة زحف أو اضطراب حتى يصل إلى أطراف الإبرار، ولما وصل شرط تيمورلنك إليه رفض تنفيذ هذا الصلح واستهجنه في أسلوبه وفرض ما يريد، لذلك رد عليه مهذواً ومتحدياً قوته ومرحياً بقدمه للقتال<sup>(١١٦)</sup> دون ضيقه.

لذلك أدرك تيمورلنك أنه لا يمكنه حرب السلطان العثماني على الأقل في هذا الوقت الحاضر مثل ما كان يفعل في الماضي، واضطر أمام ذلك إلى نقل معظم قواته إلى وسط آسيا وبالتحديد في مدينة «قرباغ» حيث قضى الشتاء بها<sup>(١١٦)</sup>.

وكما لجأ أمراء العراق وأذربيجان إلى السلطان العثماني بايزيد الأول، فقد لجأ من قبلهم إلى تيمورلنك أمراء الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى، وفي كلا الجانبين أصبح اللاجئون يحرضون ويحركون كل طرف لشن الحرب ضد الآخر، ولم تجد هذه التحريضات آذاناً صاغية في بادئ الأمر من الطرفين<sup>(١١٧)</sup>.

### الصلبيون يحرضون تيمورلنك للهجوم على العالم الإسلامي :

وقيل أو أشيع بأنه قد دخل طرف ثالث وهم الصليبيون الذين عمدوا إلى تحريض تيمورلنك على هجوم العالم الإسلامي من جهة الشرق وذلك عن طريق بناتهم اللواتي كن في قصور أمراء وحكام المغول مستغلين هذا عن طريق السياسة والمفاوضات<sup>(١١٨)</sup>، وخاصة من المدن الأوربية، (جنوة وقشتالة)، الحاقدة على السلطان بايزيد الأول، فقد شجعت تيمورلنك على حرب الدولة العثمانية<sup>(١١٩)</sup>.

ولكن تيمورلنك لم يستمع إلى رسلهم بسبب قسكه بالإسلام من ناحية ومن الناحية الأخرى، لم يكن هناك ما يدل على تقديم أي مساعدات مجدية يمكن أن تقدمها كل من جنوة وقشتالة له، ولكن هذه الاتصالات قد تكون شجعت تيمورلنك على العمل ضد العثمانيين<sup>(١٢٠)</sup>، ومستغلاً كراهية الماليك وأمراء الأناضول وشعوبهم الإقطاعيين لحكم السلطان بايزيد الأول، وقد هيأت هذه الظروف المناخ لتيمورلنك لغزو بلاد السلطان العثماني.

إضافة إلى أن الصليبيين قد زوجوا بناتهم، وأهدوا بعض جوارهم الحسان للعمل في قصور حكام المغول وأعيانهم لاستمالة قلوبهم قبل عقولهم لتحريكهم لغزو الدولة العثمانية من المشرق حتى تتوقف حركة جهادهم عن الفتح في أوروبا، وهم يتولون الهجوم المعاكس من الغرب ليتمكنوا من إبعاد خطر العثمانيين عن أوروبا كلها بمساعدة المغول، وقد حاولوا من قبل صرف السلطان بايزيد الأول إلى الشرق ليركز جهوده في توحيد الإمارات الإسلامية بالأناضول لتحويله عن أوروبا، وبالتالي يفسح لهم المجال للزحف إلى بلاد الشام للاستيلاء على القدس الشريف في فلسطين<sup>(١٢١)</sup>.

وكانت نتيجة حربه مع هذه الإمارات المسلمة والتي قرّ أمراتها للاحتواء بتيمورلنك وطلب المساعدة منه لاسترداد إماراتهم في نظري أهم أسباب غارة المغول على الدولة العثمانية، إضافة إلى أطماع المغول منذ موجهاتهم الأولى، وقد تكون هذه الحملة استمراراً للغارات السابقة التي قامت في وسط آسيا.

إلا أن ما برره تيمورلنك لهذه الغارة هو خوفه من تحركات السلطان بايزيد الأول ضده، وضربه من الخلف لأنه كان يفكر في غزو الصين لتوسيع ممتلكاته، فخشى تحالف الممالك مع الدولة العثمانية للحرب ضده، وهذا فيه شيء من الصحة لذلك لا بد أن يستشعر التناحر الحالي بينهما في صالحه، وكان يتحين الأسباب والفرص وحين ستحت له، يبادر بالزحف على الدولة العثمانية<sup>(١٥٢)</sup>.

والحقيقة أن الدولة العثمانية بدأت هي الأخرى منذ فترة من الزمن تستشعر نوايا الخطر المغولي يهددها من الشرق، مما يشجع لبيزنتية فرصة جديدة يتنفسون من خلالها الصعداء وينفكون من الضغط العثماني<sup>(١٥٣)</sup>.

وهذه دلالة واضحة على تأثير أوروبا على فكر تيمورلنك وأمراته عبر بناتهم وجوانهم، لذلك استجابوا لقلوبهم قبل عقولهم، فكانت الكارثة بين المسلمين كما سيأتي.

وقد أدرك السلطان بايزيد لأول حتمية الصراع مع تيمورلنك، ولهذا السبب قبل أنه سعى إلى تقوية مركزه الحربي في آسيا الصغرى عن طريق القضاء على الإمارات التي قامت على أنقاض دولة السلاجقة<sup>(١٥٤)</sup>، وهذا احتمال ضعيف يؤكد الباحث بل تقوده الأطماع لتوحيد أمارات الأناضول تحت حكمه مهما كلفه ذلك الأمر.

لذلك أخطأ حين اتجه إلى ضم دول إسلامية كانوا كثيري العدد، وغير راضين عن سياسة السلطان الذي أخذ يتدخل في شئونهم، خاصة دون مراعاة لهم، وفي هذه السياسة التي اتبعها قد خالف فيها أسلافه في سياسة الفتح العثماني، وهو الاتجاه نحو الغرب للفتح ونشر الإسلام هناك، دون الالتفات إلى الممالك الإسلامية في المشرق<sup>(١٥٥)</sup>، وكان ينبغي عليه أن يعقد مع تلك الممالك حلف صداقة وحسن جوار ليستعين بهم في أي لحظة ضد أوروبا، ويكونون بجواره في مثل هذه المحن لا ضده كما هو الحال.

لهذا سقط السلطان في طموحاته، عندما تعددت عليه الجبهات واتسعت الفجوات في الغرب والشرق الإسلامي، ولم يبق له صديق، مما أكسبه عداوات المسلمين قبل الأوربيين لتدخله في

شيوخهم، وكان عليه أن يكسبهم إلى جانبه دون الدخول في صدام معهم والحقيقة أنه كان شجاعاً مقداماً، ولكن يبدو لم تكن عنده حنكة وسياسة أجداده المؤسسين في الفتح العثماني<sup>(١١٦)</sup>.

أما السلطان بايزيد الأول فكانت تعيب سياسته التعجل في الفتح العثماني، دون تمييز بين الدول الإسلامية والأوربية، كان أسلافه في فتح أي مدينة في الغرب وليس في المشرق الإسلامي يستريحون حتى تستقر أحوال هذه المدن ويضمنون ولاعها وانتظامها ضمن ممالكهم السابقة حينئذ يبدؤون بغزو جديد، وهكذا كانت سياستهم في فتوحاتهم في اتجاه واحد منذ تكوين دولتهم.

وعلى أية حال فعندما رفض السلطان بايزيد الأول تسليم أعداء تيمورلنك إليه بشكل سافر، والتزم بحمايتهم، مهما كلفه ذلك الالتزام، لذلك تردد تيمورلنك في بداية الأمر في غزو السلطان بايزيد الأول حتى لا يثير المشاكل والمشاعر ضده في العالم الإسلامي، والتي لم تكن أساساً في صالحه، باعتباره أحد قوى العالم الإسلامي، ولكنه كان عارماً على فتح بلاد الصين، وإدخالها إلى الإسلام، وكان يعلم أن الدولة العثمانية لا تنال بأية حدود بينهما، كما كان يخشى من استمرار استيلائها على الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى والتي لحا إليها حكامها لتخليصهم منه في استرجاع أقطارهم<sup>(١١٧)</sup>، وخاصة أن تيمورلنك قد بدأ بغزو الحدود العثمانية.

وكان تيمورلنك يعلم أن غالب جند السلطان بايزيد الأول هم من لسلجقة، أبناء الإمارات المذكورة ففكر في استمالتهم في صفه، لذلك أرسل إلى زعمائهم وكبار رجالهم، بذكرهم بحسنهم ولجؤهم أمرائهم لديه، ويعددهم وعينهم صادقاً بإعادة ممتلكاتهم التي سلبها السلطان بايزيد الأول منهم، فوعده سراً بالانضمام إليه عند الحرب<sup>(١١٨)</sup>، وقد نجح تيمورلنك في هذه المهمة من اختراق صفوف السلطان العثماني بأخذ هذه الموافقة، والتي تعد من أهم العوامل التي أسقطت بايزيد في الميدان كما سيأتي الحديث عنه.

عندئذ بدأ تيمورلنك بعد أن ضمن ولاء أبناء الإمارات السلجوقية داخل جيش السلطان العثماني غارته في سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م، بجيوشه على بلاد آسيا الصغرى التابعة للدولة العثمانية، وفتح مدينة سيواس بأرمينيا، وأسر حاكمها أورخان ابن السلطان بايزيد الأول، ثم قام بقطع رأسه، لرفض والده تسليم أحمد الجلاتري، وقره يوسف له<sup>(١١٩)</sup>.

ثم أعقب ذلك قتل ما أسره من العثمانيين، لكنه اعترف أنه لم يلق صعوداً في الحرب طيلة حياته مثل صمود آل عثمان، لذلك أدرك عدم قدرته إسقاط القلاع الأناضولية، لكنه كان يطمح

في إبادة الجيش العثماني، عندئذ انسحب من الأناضول إلى قفقاسيا، متجنباً الحرب مع السلطان بايزيد الأول، على أمل أن يعترف له بالتبعية مثل ما اعترف له سلطان الهند والمعاليك من قبل، ولكن السلطان بايزيد الأول غيرهم، فقد رفض الاعتراف بتيمورلنك، وبصيغة فيها تحقير، فلم يتحقق أمله، وظن السلطان العثماني بعد ذلك الانسحاب أن المشكلة قد انتهت، ولكن الحقيقة أن تيمور كان ينوي العودة بتخطيط جيد لكسب المعركة<sup>(١)</sup>.

تيمور لنك يستعد للحرب على الدولة العثمانية:

ولكن آراء أمراء تيمورلنك وأتباعه وحتى أولاده وأحفاده انقسمت إلى من يريد منعه من التحرك إلى الأناضول، لأنه لا يلقى بهم حرب الدولة العثمانية السنية، حنفية المذهب والتي تنطق أيضاً التركية مثلهم، وحاملة لراية الجهاد الإسلامي، وهناك من يشكك في قدرة انتصاره على السلطان بايزيد الأول لقوة المقاومة التي لقيها جيشه في سيواس واعترف بها تيمورلنك نفسه، وهناك فريق آخر يعرضه على حرب العثمانيين<sup>(٢)</sup>، ويبدو أنهم أمراء الأناضول اللاجئين لديه.

وقد حاول تيمورلنك خلال قصته لشتاء في قفقاسيا إقناع أمرائه وأبنائه المعارضين لشن الحرب على الدولة العثمانية بدفعه شكه باحتمال ضرب السلطان بايزيد الأول لجيشه من الخلف أثناء حملته المرتقبة على الصين<sup>(٣)</sup>، لأن السلطان بايزيد الأول كان ينوي الاستيلاء على مناطق أذربيجان والجزيرة، والعراق إذا ترك تيمورلنك هذه الأماكن، لذلك كان لا يريد ترك منافس قوي خلف ظهره، وخاصة إذا كان خصمه السلطان بايزيد الأول، إلا أنه في نهاية المطاف طلب تيمورلنك من السلطان بايزيد الأول قبول شروطه لإنهاء الحرب معه وهذه المطالب هي كالتالي :

(١) إطلاق سراح مهتران حاكم أذربيجان مع عائلته.

(٢) إرسال السلطان لأحد أبنائه كرهينة لديه.

(٣) إرسال ما يدل على خضوع السلطان بايزيد له.

(٤) إعادة إمارات الأناضول إلى أمرائها.

(٥) تسليم قرة يوسف وأحمد حلاير وتسليم عائلتيهما مقابل مساعدة العثمانيين في حروبهم

مع الصليبيين.

وكان حوالب السلطان بايزيد الأول مع صدره الأعظم الذي كلفه بالتحرّك لمواجهة تيمورلنك ردّاً على شروط الصلح قوله « إن قواتنا سوف ترد لنا شرفنا، ولن نعيش عبيداً أو خاضعين لأحد » وفي نفس الوقت رفع الحصار عن القسطنطينية، وعقد مع إمبراطورها مانويل معاهدة صلح، ثم سحب جيشه مضطراً للاستعداد لمقابلة المغولي، وعندما كتب السلطان بايزيد الأول رسالته إلى تيمورلنك فإنه كتب اسمه بحروف كبيرة واضحة، بينما كتب اسم تيمورلنك بالحروف السوداء الصغيرة احتقاراً له<sup>(١١٣)</sup>.

هذا الرد ساعد تيمورلنك على إقناع قادته بالحرب ضد السلطان العثماني، وبين لهم سياسة بايزيد المتسارعة لأطباعه وتحقيق طموحاته، في حين أن قدوم تيمورلنك هو الآخر من الشرق إلى تلك المنطقة تقوده الأطماع والمغامرة للتوسع، فقد أضرم نار الحرب من موسكو إلى نهر الكنج حتى وصل إلى سوريا المملوكية، تدفعه إضافة إلى أطباعه استجابة بعض ملوك أوروبا، ومليك القسطنطينية، الذين استجدوا به لصد بايزيد الأول عن فتح القسطنطينية كما سبق ذكره. لذلك اتخذ تيمورلنك من قضيتي أحمد جلالتري حاكم العراق وقرة يوسف حاكم أذربيجان اللذين لجأ إلى السلطان بايزيد الأول ذريعة للفرار على الدولة العثمانية<sup>(١١٤)</sup>.

ويعني أن أطباع تيمورلنك وتوسعاته لا تقل مكرّاً عن السلطان العثماني، أما السلطان بايزيد الأول فقد قام خلال تلك الفترة، بإعداد جيوشه التي كانت متفرقة في أوروبا، وطلب الاستعانة من حلفائه الصرب، وعاد إلى بروسه العاصمة<sup>(١١٥)</sup>، وخاصة عندما علم بسير تيمورلنك إلى سيواس وخذلان أبطاله في مدينة سيواس، حين استقوى عليهم تيمورلنك بجيشه لكبير وقتل ابنه، وملاّت انتصاراته الأسماك، وألقت الحنوف والرعب في قلوب الجيش العثماني لقساوته في معاملة أسراه<sup>(١١٦)</sup>، ولكن هذا الأمر لم يخيف مثل السلطان بايزيد الأول، الذي سار بجيشه لحرب هذا المغولي الذي أفسد عليه فتح القسطنطينية، وانتقاماً لدم ابنه<sup>(١١٧)</sup>، حينما علم من عيونه أن تيمورلنك في سيواس، سار إلى أنقرة، يريد أخذ بعض الولايات قبل وصول تيمورلنك لها، مثل مدينة قاضي برهان الدين، ومدينة اقتراع الجبلية (التي استولى عليها تيمورلنك) كما سبق، لأن أغلب جنوده كانوا من المشاة فلا بد أن يختار المواقع المرتفعة، وقد وفق في هذه الخطوة ضد تيمورلنك في أول الأمر، لأن قوات تيمورلنك أغلبهم من الفرسان.

ثم أصدر السلطان بايزيد الأول أوامره إلى الصدر الأعظم للدولة علي باشا وقادة الجيش بعدم

القيام بحرب ميدانية، وأرسل قوة من الجيش تقطع الطريق على تيمورلنك في المنطقة الموجود بها، واعتراض إمدادات جيشه التي ستلحق به، وكان إقدام السلطان على هذه الخطوة لاعتداده بنفسه وفي قواته بالانتصار على قوات تيمورلنك.

وعندما تلاقت طلائع القوتين المغولية والعثمانية في مناطق سيواس وتوقاد، رأى تيمورلنك أنه في خطر إذا حارب في هذه المنطقة لسيطرة القوات العثمانية على الممرات الواقعة بين سيواس وتوقاد.

لذلك انسحب من تلك المنطقة مسرعاً نحو مدينة قيسرية بناءً على ما ورد من معلومات عن القوات العثمانية وتركزها في المواقع المهمة السابقة، لكنه لم يذهب بكل القوات بل بقواته الاحتياطية، وكانت قليلة حتى يتجنب مواجهة العثمانيين، وبسبب انسحاب تيمورلنك وعدم قبوله للحرب بين توقاد وسيواس، فإن السلطان بايزيد الأول ترك قوة صغيرة في الموقع المذكور واتجه نحو الغرب في نفس الاتجاه الموازي لقوات تيمورلنك<sup>١١٨</sup>.

والحقيقة أن تيمورلنك كان يريد أن يسحب أو يستدرج قوات السلطان بايزيد الأول خلفه، إلا أن السلطان عرف اللعبة ولم تنطل عليه هذه الخدعة، بل كان ينتظر موعد المواجهة مع تيمورلنك، الذي سار نحو مدينة قره سي، فلما علم بقدوم لقوات العثمانية نحوه اضطرت أحواله وفشلت خطته، لأن المكان لم يكن مناسباً للحرب، لذلك تحدث مع أركان جيشه دون حرج لتدارس هذا الأمر وتغيير الخطط التي تضمن لهم الانتصار، فاستقر الرأي على أن يتقدم بجيوشه بسرعة فائقة، وترك العثمانيون خلفه، فسلك طريق أنقرة، وحين وصلها ضرب الحصار على قلعتها، ولكنه لقي مقاومة عنيفة من محافظها يعقوب بيك من قبل السلطان العثماني، كما توقع أيضاً في هذه المرة أن يأتي السلطان بايزيد الأول من الطريق الذي جاء منه، وكان ينوي السيطرة على أنقرة من ناحية القلعة التي أحكم الحصار عليها والواقعة في الشمال الشرقي لأنقرة، وقبل مجيء السلطان العثماني وقواته، قام تيمورلنك بقطع المياه عن القلعة، وكان الهدف من ذلك هو الإسراع في سقوطها، لأن تيمورلنك كان يتوقع وصول الجيش العثماني متأخراً، ولكن القوات العثمانية كانت تسير في عدة اتجاهات، كما أسرعت في الخروج من الطريق الذي لم يكن يتوقعه تيمورلنك على الإطلاق، لأنه كان ينتظر وصول الجيش العثماني من الشرق الجنوبي، إلا أن الجيش العثماني جاء من الشمال الشرقي، وبالتحديد من ناحية قلعة جيك روال، ونزلوا بقرية ملكشاه بوادي جيوك<sup>١١٩</sup>.



فاضطرب تيمورلنك لهذه المفاجأة، وانتشغل بالإعداد للقتال، في تلك اللحظة الحرجة، وطوال الليل، وإزاء هذا الموقف أو الوضع الخطير واللحظة الحاسمة فإن تيمورلنك استطاع أن يحافظ على الهدوء لئلا تمضي هذه المواجهة بسلام، وقد عمل تلك الليلة على تغيير جبهة القتال، حيث انسحب من مكانه جانب القلعة ليتجنب الاصطدام مع السلطان العثماني في هذا الوقت.

ونلاحظ فيما سبق أن تيمورلنك دائماً ما يغير خططه الحربية للمرونة التي كان يتمتع بها إذا أحس بحرج خطته، مع أخذ مشورة قادته بعكس خصمه السلطان العثماني وهذه المرونة هي إحدى عوامل النصر على خصمه السلطان بايزيد الأول كما سبأتي.

أما السلطان بايزيد الأول الذي أوقع تيمورلنك في هذا المرح الذي كاد فيه أن يقضى عليه في أول مواجهة لو اتبع مشورة أبنائه وقادة جيشه الذين أشاروا عليه بمبادرة الهجوم السريع لمواجهة تيمورلنك في اللحظة التي كان يخشاها تيمورلنك، لكنه رفض الأخذ برأيهم، ففوت فرصة الانتصار على خصمه في تلك المواجهة، حيث رأى أنه من الصواب عدم المواجهة لقرب قاعدة الجيش المغولي، وهذا الأمر أعطى لتيمورلنك وقتاً طويلاً للتفكير للتخلص من هذا الوضع الخطير، والخطأ الذي وقع فيه حسب توقعاته المخاططة، فقام بتغيير خطته التي تكفل له الانتصار<sup>(١٧٠)</sup>.

وعلى أية حال فقد بدأت المعركة الحاسمة بين القائدين في يوم الجمعة ١٩ / ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ الموافق ٢٠ يونيو ١٤٠٢م، وقيل في يوم الجمعة ٢٧ ذو الحجة ٨٠٤هـ الموافق ٢٨ يوليو سنة ١٤٠٢م<sup>(١٧١)</sup>.

قبل بأن جيش تيمورلنك حوالي سبعمائة (٧٠٠) ألف جندي، وجيش السلطان بايزيد الأول حوالي مائة وعشرين (١٢٠) ألف جندي<sup>(١٧٢)</sup>.

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ العثماني إسماعيل حقي بأن جيش تيمورلنك يقدر بمائة وستين (١٦٠) ألف جندي، أما قوات السلطان بايزيد الأول فتقدر بنحو سبعمائة (٧٠٠) ألف جندي، وذلك كما ورد في كتاب (فتحاتنامه) التيموري.

لذلك لم يكن هناك تناسب بين قوات الفريقين، فقد جاء تيمورلنك بقوة كبيرة مجهزة بالدروع الواقية من ما (وراء النهر) أي من أواسط آسيا الوسطى، عندما علم بأن خصمه السلطان بايزيد الأول الذي يتمتع بصفة الشجاعة والإقدام، وبهذه الصورة نرى كثرة أعداد قوات تيمورلنك

(١٦٠) ألف مقاتل، وبصفة خاصة في أعداد الفرسان، إضافة إلى وجود (٣٢) فيلاً في جيشه، مقابل (٧٠) ألف عثماني مقاتل يغلّب عليهم كثرة المشاة<sup>(١٧٣)</sup>، وقيل جيش السلطان العثماني مائة وعشرون (١٢٠) ألف جندي مقاتل، ولكن كن أكثرهم من المشاة<sup>(١٧٤)</sup>، والباحث يبيل للأخذ بهذا القول، إذا كان جيش تيمورلنك مائة وستين (١٦٠) ألف جندي مقاتل.

وفي الحقيقة لا يهنا أعداد جيش الفريقين كما أوردته المصادر السابقة بقدر ما يهنا نتيجة المعركة، لتناقض المصادر التاريخية في تحديد عدد الجيشين بدقة لما فيها من مبالغات في تقدير أعداد المقاتلين في كل فريق.

### خيانة تشطر الجيش العثماني نصفين :

والجدير بالذكر أنه لما دارت المعركة أوصى السلطان بايزيد الأول قادته بالتضحية والإقدام لإحراز النصر على خصمه، فقتل الجيش قتلاً شديداً أظهر السلطان العثماني حاله من الشجاعة ما أبهر العقول من قبيل شروق الشمس حتى غروبها، ولكن فرار عساكر فرسان الأنضول من فرق (أيدين وميتشا وصاروخان والقرمان) وسرعة انضمامهم وانحيازهم إلى صفوف خصمه تيمورلنك، حسب اتعاقيهم معه السري السابق، لوجود أمرائهم وأبنائهم وكبار رجالهم في صفوف الجيش المغولي، قبل أنهم كانوا يقدرون هؤلاء المقاتلين بحوالي خمسين (٥٠) ألف مقاتل، لذلك لم يبق مع السلطان العثماني سوى عشرة آلاف جندي انكشاري<sup>(١٧٥)</sup> والقوات الصربية التي صمدت في القتال، وقد أثبتوا ولاهم وصدقهم للدولة العثمانية حين ثبتوا في الحرب ضد تيمورلنك، وقاتلوا بطولة وبسالة شهد لهم تيمورلنك بقدرتهم الحربية<sup>(١٧٦)</sup>، على أن ذلك النقص لم يشن السلطان العثماني فقد استمر في الحرب والقتال ضد خصمه<sup>(١٧٧)</sup>.

ولكن هذه الخيانة تسببت في شطر جبهتين داخل صفوف الجيش العثماني وبالتحديد في قلب الجيش الذي كان على رأسه السلطان العثماني، وعلى أثر ذلك تشتت الجيش في الميمنة والميسرة، لفقد السيطرة على إدارة المعركة، فانهزم الجيش العثماني أمام قوات تيمورلنك، فافترح قادة الجيش العثماني على السلطان بايزيد الأول، الانسحاب لإعادة ترتيب الأوضاع كما كان يفعل تيمورلنك، ولكن السلطان رفض الانسحاب وفضل الاستمرار في القتال دون الانسحاب<sup>(١٧٨)</sup>.

ولكن الصدر الأعظم علي باشا وكذلك مراد باشا، وأعا الانكشارية حسن أعا وغيرهم

من كبار قادة الجيش العثماني انسحبوا لعدم تكافؤ القوتين، ولكنهم قاموا بتخليص أولاد السلطان على الرغم من هزيمة الجيش، فأخذوا سليمان الابن الأكبر الذي شاهد الهزيمة ولاذ معهم بالفرار إلى مدينة بروسه (بورصة) ومن بورصة غادر سليمان إلى مدينة أدرنه بالقرب من مدينة القسطنطينية<sup>(١٧٩)</sup>.

وانسحب محمد الأول الذي استطاع بالتدريج من السيطرة على مناطق سيواس وأماسية ومعهم جيش الاحتياط، ولاحق به أخيه عيسى.

أما مصطفى وموسى فقد بقي مع والدهما ولم ينسحبوا كما انسحب أخويهما حتى وقعا في الأسر معهما كما سيأتي<sup>(١٨٠)</sup>. ولاذ بالفرار ملك الصرب وقواته بعد أن رأى الهزيمة التي لا يقوى على مقاومتها مفضلاً مهذا السلامة<sup>(١٨١)</sup>.

ولو أخذ السلطان بمشورة أصحابه وحاول الانسحاب لتعبير خطته أو طلب الهدنة للتفاوض على الصلح حتى يستطيع أن يعيد حساباته وتنظيم جيشه من جديد لكان هناك قولاً آخر، ولكنه ثبت في مكانه، وفضل أن يموت بشرف في ميدان القتال ولا ينسحب كما أشار عليه قادته<sup>(١٨٢)</sup>.

### هزيمة السلطان العثماني :

لهذا انهارت قوته لاستخدامه الشجاعة والقوة دون العمل بالسياسة والكياسة التي اتبعها خصمه تيمورلنك في عدة لقاءات مع السلطان حيث ينسحب ليتجنب القوة العثمانية ومن ثم يقوم بتعديل خطته التي تضمن له الانتصار والسلطان بايزيد يتعقبه من مكان لآخر دون تخطيط لثقتة وعزازته بقوته حتى أرهاق جيشه.

وكان بإمكانه الانسحاب أو الهرب من المعركة حسب رأي مستشاريه كما أسلفنا، لكنه رجل عنيد، وأصل الحرب رغم هذه الظروف<sup>(١٨٣)</sup>، لأنه لم ييأس من النصر على خصمه وظن أنه لا زال قادراً على هزيمته بما بقي معه من خواص رجائه فقد صعد بهم على رهوة، كان يقدر عددهم بحوالي ثلاثة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان، فهاجم بهم قوات تيمورلنك الذين يقدرون بسبعين (٧٠) ألف مقاتل، وبعد قتال شديد، أحاطه المغول بقوت كبيرة، فأخذ بلطة كانت بيده وانقض بها على الجيش الذي أحاط به وقواته حتى يتمكن من الهرب فاستطاع فك الحصار الذي ضرب عليه من

قبل تيمورلنك وجنوده بقوة قليلة، وفقت هذه القوة من فك الحصار عن سلطانها وهرب هذه المرة بصعوبة بالغة من حلقة الحصار<sup>(١٨٤)</sup>.

وعندما علم تيمورلنك بخروج السلطان بايزيد الأول من الحصار المضروب عليه، أرسل إليه فرقة تتبعه للقبض عليه، ولما وصلت إليه تلك القوة انتقض عليها السلطان للقضاء عليها، فاستمر القتال بين الطرفين حوالي ثلاث ساعات حتى سقط آخر النهار، حين وقع به جواده قضاؤه وقدره، وقبل أن يمتهنه مرة أخرى تم الإمساك به وأسرته، حيث نقل إلى تيمورلنك، وكان ذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ الموافق ٢٥ يوليو سنة ١٤٠٢م<sup>(١٨٥)</sup>، فقابلته باحترام وحاول تيمورلنك أن يروح عنه، فقال السلطان له أنت السبب في هذا الوضع، ثم ألبسه تيمورلنك عباءة تليق به، وأمر باتخاذ التدابير والإجراءات لعدم هروبه، وقد أسر معه إبنه موسى ومصطفى، وكذلك أمير الأمراء صاري دمرداش باشا، وعلي بيك وغيرهم من خاصته وظلوا معه في الأسر<sup>(١٨٦)</sup>.

يقول الشاعر في شجاعة السلطان بايزيد الأول وإقدامه والغدر به حين انسحب من جنده فرق الأناضول للانضمام إلى عدوه تيمورلنك وقد سبق أن ذكرنا اتصال تيمورلنك بهم سرّاً وعاهدوه على ذلك وقت الحرب بعد أن وعدهم بإعادة إماراتهم هذه الأبيات من القصيدة التالية :

وراهم شمس العلا «بايزيد» هم لئن كان مع تيمور ما انتقد القضا ولا عجب للأسد أن ظفرت بها فحرره وحشي اسقطت حمزة الردا	موافقه في الحرب مرة مطعم فإن ارتكاب الغدر منشأ التثلم كلاب الأعادي من فصيح وأعجم وحنت علي من حسام ابن ملجم <sup>(١٨٧)</sup>
--	--

وبعد انتهاء الحرب بهذه النتيجة سيطر تيمورلنك على الموقف، فأرسل حفيده محمد ميرزا إلى بروسه (بورصة) بقوة تقدر بثلاثين (٣٠) ألف جندي للقبض على الأمير العثماني سليمان بن السلطان بايزيد الأول، ثم أرسل قوة أخرى من الجيش لتعقب القوات العثمانية التي انسحبت من المعركة.

أما تيمورلنك فظل على مشارف مدينة أنقرة لمدة ثمانية (٨) أيام، ثم غادرها إلى مدينة كوتاهية، وأعجبه المكان فمكث فيها شهراً، وفك فيها أبناء علاء الدين القرعسي (محمد علي) من السجن، ثم نقلهم ليكونوا تحت نظره في مدينة كوتاهية<sup>(١٨٨)</sup>، كما أعاد إلى أمراء الأناضول

مناطقهم التي سلبها منهم السلطان بايزيد الأول<sup>١٨٨١</sup> وزاد على ذلك تيمورلنك بأن أعطى أيتام القرمات مناطق: قيسرى واشكى شهر وبنو دلقادر، وغيرها من المناطق الأخرى التي كانت في الأصل تتبع للعثمانيين.

وأرسل تيمورلنك خطاب إلى هنري الرابع ملك إنجلترا وشارل السادس ملك فرنسا، يخبرهم عن انتصاره في أنقرة، وأنه هزم السلطان العثماني بايزيد الأول، وأسر، الذي لم يمكنهما القضاء عليه في حربهم معه في نيكوبولي<sup>١٨٩١</sup>. ففرحت دول أوروبا بما وقع للسلطان بايزيد، وقبل أن ملك فرنسا بعث تهنئة إلى تيمورلنك بهذه المناسبة، فأجابه تيمورلنك على التهنة<sup>١٨٩٢</sup>.

والباحث يميل إلى أن أوروبا هي التي أرسلت بالتهنئة بعد أن أرسل لهم تيمورلنك فرحاً بنشوة الانتصار، يخبرهم عن انتصاره على السلطان العثماني الذي لم تستطع أوروبا مجتمعة الانتصار عليه.

### أسباب هزيمة السلطان العثماني أمام تيمورلنك :

إن أسباب هزيمة السلطان العثماني بايزيد لأول أمام تيمورلنك - هو أنهم لم يألفوا حرب القبلة التي كانت تجيدها قوات المغول. كما كان انسحاب حدود وارسو وإمارة الأناضول السلاجقة من جيش السلطان العثماني إلى تيمورلنك لوجود أمرائهم معه بعد أن أمطروا العثمانيين بوابل من السهام في ظهورهم، وبالتحديد على الجناح الأيسر مما أدى إلى خلخلة الجيش العثماني، إضافة إلى عدم انسحاب السلطان بايزيد من المعركة حسب رأي مستشاريه، لتغيير خطته الحربية حسب الأسر الواقع، كما فعل خصمه عدة مرات كما سبق ذكره، بل أصر على مواصلة الحرب، على الرغم من هذه الظروف القاسية، مفضلاً ذلك على الالتزام، تلك العوامل من الأسباب التي عجلت هزيمة الجيش العثماني وجعلته يطلب النجاة<sup>١٨٩٣</sup>، تاركه خلفها سلطانها لمصيره لعدم استجابته لكبار جيشه ومستشاريه.

وكان علي حسون له رأى، ذكر أن جيوش النصارى التي كانت تحت قيادة السلطان بايزيد الأول لم تدخل المعركة إلا وهي مكروهة<sup>١٨٩٤</sup>، وقد خالفه المؤرخ العثماني إسماعيل حقي (Isma'il Hkiki) بأن هؤلاء النصارى الذين كانوا تحت قيادة السلطان قد ثبتوا في القتال ضد تيمورلنك، وقد شهد لهم المغول أنفسهم ببطولتهم وسالتهم ضده، لكنهم هربوا بعدما انكسر الجيش العثماني وهرب العثمانيون طلباً للنجاة لعدم استجابة سلطانهم للرأي والمشورة كما سبق ذكره<sup>١٨٩٥</sup>.

ولكن لعل علي حسن على حق بأن بعضهم دخل هذه الحرب وهو مكروه، ولعلهم كانوا يعلمون مدى التحالف الصليبي بين أوروبا والمغول.

وعلى أية حال فقد سعى هؤلاء الصليبيون قبل تقدم المغول نحو العالم بأن يكون هجومهم معاً في آن واحد، مع العلم أن المغول في ذلك الوقت قد دخلوا الإسلام، إلا أن الصليبيين قد استغلوا الخلاف المذهبي بين العثمانيين السنة، وما كان عليه تيمورلنك من التشيع، فأقنعوه بوسانلهم التي تقدمت بغزو العثمانيين من الشرق، وهم يهجمون عليهم من الغرب للقضاء عليهم<sup>(١٩٥)</sup>.

ولكننا لم نرى للصليبيين هجوم، كما اتفقوا مع المغول، لأن المصادر العثمانية والأوروبية لم تذكر عن ذلك شيئاً، بل ذكرت دورهم التحريضي للمغول لغزو الدولة العثمانية بالأساليب التي سبق ذكرها، للخوف الذي أوقعه العثمانيون في قلوبهم في معركة قوصو ونيكوبولي التي لازالوا يتذكرونها، لذلك لم يتقدموا، ولم يحركوا ساكناً، بل أنهم تحرروا من الحاكم العثماني بعد المعركة.

ومن الأسباب الأخرى والمهمة في هزيمة السلطان بايزيد الأول، هي أنه عندما دخل تيمورلنك الأناضول في سنة ١٤٠٢م من شهر يوليو، وصل أنقرة، وتحول بها مدة طويلة للتعرف على جغرافيتها واختيار الموقع المناسبة للقتال، وأخذ السلطان بايزيد الأول يتعقبه من مكان إلى آخر، حتى أرق جيشه التعب، بعكس تيمورلنك الذي وصل ميكراً إلى الأناضول، فاستراح ونظم جيشه وهياهم للقتال<sup>(١٩٦)</sup>.

وكان على السلطان بايزيد الأول أن يستريح بعد عناء السفر الطويل من (بروسه إلى أنقرة) إلا أنه لم يتوقف، ليستعد لقتال تيمورلنك، ويبدو أن هدف تيمورلنك فيما تقدم من التحركات هو إرهاق خصمه، لما يعرفه عنه من تعجل وخفة عن طريق عيونه في المنطقة، وأيضاً تحاشي المواجهة معه في بعض المواقع التي يرى أن تيمورلنك ينسحب منها لعدم جدوى المعركة فيها، لذلك كان المغولي يسحب للموقع الذي يناسب جيوشه وهي المواقع المكشوفة، وكان بإمكان السلطان العثماني أن يتنبه لخداخ خصمه ودعائه.

ومن لأسباب كذلك فقد كانت الغالبية في جيش السلطان بايزيد الأول من المشاة، أما تيمورلنك فكان أغلب جيشه من الخيالة، وهو أصلح للقتال في الميادين الفسيحة المكشوفة كموقع

هذه المعركة<sup>(١٧٧)</sup>، الذي اختاره المغولي، وقبل به السلطان العثماني دون أن يفكر في الانسحاب لموقع آخر يناسب رجاله المشاة.

وقد أخطأ كذلك خطأ كبيراً حينما قبل الحرب الميدانية، بدلاً من حرب العصابات مع حصصه تيمورلنك<sup>(١٧٨)</sup>، كما أن جهل السلطان في اختيار موقع جيشه للقتال ضد تيمورلنك وضعه في موقف حرج من الناحية التكتيكية العسكرية، فقد فيها توازنه القتالي أمام خصمه، إضافة إلى فارق العدد الكبير في الجيش المغولي، في الوقت الذي هرب فيه معظم الجيش العثماني إضافة إلى أبناء أمارات الأناضول وهو في أحلك الظروف، فتركوه لمصيره، والتحقوا بالجيش المغولي لتيمورلنك<sup>(١٧٩)</sup>.

كذلك من الأسباب دخول المغول الإسلام، لذلك كان الجيش الانكشاري تنقصه الحماسة الدينية لمحربه ضد إخوانه المسلمين، وقد كانت هذه من العوامل المهمة في انتصاراتهم ضد البيزنطيين، وتلك من أهم الأسباب في هزيمة لسلطان العثماني بايزيد الأول أمام المغول<sup>(١٨٠)</sup>.

وقد كان العثمانيون قبل هذه الحرب ضد تيمورلنك، يتوسعون وسفلون عاصمتهم من مكان لآخر ليقتربوا بها إلى أرض العدو، أما في حربيهم ضد تيمورلنك فوجدوا أنفسهم مضطرين للدفاع عن قلب دولتهم (غرب الأناضول)، لهذا أصبحت المعركة حتمية، وصعدت الدولة العثمانية في موقف حرج للغاية، بسبب عداوتها مع القوى البلقانية المسيحية، والإمارات السلجوقية المسلمة في الأناضول، وهذه من العوامل التي أدت إلى خسارة العثمانيين إضافة إلى ضخامة الجيوش التي كان يفوقها تيمورلنك، والذي لم يهزم من قبل<sup>(١٨١)</sup>، فكانت معركة أنقرة أكبر حرب ميدانية حدثت على وجه الأرض خلال القرون الوسطى (٤٧٦م - ١٤٥٣م)، وفي هذه الحرب التحم اثنان من أكبر الحكام العسكريين المسلمين في التاريخ، الكل منهما يريد النصر على الآخر، وكان يقتسمان الأقطار ما بين الصين وبحر الأدرياتيك، ومعهما أبناءهم، وقبل كانت خسائر تيمورلنك حوالي أربعين ألف مقاتل وهي خسارة لم يسبق له أن تكبدها، رغم انتصاره الساحق في المعركة<sup>(١٨٢)</sup>.

فموقعة أنقرة كانت ذات أهمية بالنسبة إلى التاريخ العثماني باعتبارها الهزيمة الساحقة الوحيدة التي حلت بالعثمانيين خلال الثلاثة القرون الأولى من تاريخ الدولة، والمرة الوحيدة التي شهدت أسر عاهل من آل عثمان، ولكنها لم تكن من المعارك التي غيرت مجرى التاريخ للمنقصر والمهزوم على حد سواء<sup>(١٨٣)</sup>.

فالدولة العثمانية كانت تفتقد إلى كل ما يجعل منها دولة في الوقت الذي لم يدرك فيه السلطان بايزيد الأول الاتجاه الحقيقي لإقامة الدولة، فهي دولة غزاه محارب الكفار، لذلك اتجهت منذ نشأتها الأولى نحو الغرب للفتح ونشر الإسلام، ولكن السلطان بايزيد الأول نراه أخطأ في الاتجاه الحقيقي للدولة، عندما ترك نهج أسلافه في الخط الذي رسموه للدولة واتجه إلى الشرق الإسلامي، لضم دول إسلامية - الإمارات السلجوقية في الأناضول - وكانت هذه الدول كثيرة العدد، وعلى جانب كبير من النفوذ، وغير راضين عن سياسة السلطان العثماني، وتدخله في شؤونهم، دون مراعاة لظروف المنطقة القائمة آنذاك، مخالفاً في ذلك سياسة أسلافه في الفتح، وكان عليه أن يكسبهم في صفه ضد البيزنطيين والمغول، ولكن السبب يعود إلى أن (مارياد سبين) والحزب المسيحي في البلاط السلطاني كان لهما الأثر الكبير في توجيه السلطان نحو الشرق الإسلامي لضم الدول الإسلامية وتوحيدها، وكان الهدف من ذلك هو صرف السلطان عن أوروبا وعن نهج أسلافه<sup>١٢٤</sup>، وقد نجحوا في ذلك عندما أدى ذلك الاتجاه إلى الاصطدام بتيمورلنك وكرثة أنقرة كما سبق<sup>١٢٥</sup>، وتعد هذه كذلك من العوامل المهمة في هزيمة السلطان العثماني أمام تيمورلنك، لتتركه نهج أسلافه في لغزو نحو أوروبا كما أسلفنا من قبل والاتجاه نحو إخوانه المسلمين في العالم الإسلامي، وتلك الأعمال عجلت بسقوطه للأخذ بمشورة أعدائه.

على الرغم من أن السلطان بايزيد الأول قد تهيأ له ما كان مطمح أنظار العثمانيين منذ زمن الغازي عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية، وهو فتح القسطنطينية<sup>١٢٦</sup>، إلا أن سياسة التسرع في الفتح التي اتخذها السلطان بايزيد الأول، مخالفاً فيها أسلافه الذين كان شأنهم شأن الفاتح الحكيم الذي لا يكتفي بفتح البلاد، وضرب الذلة على سكانها، بل كانوا يستريحون بضع سنين من عناء الفتح، ليعيدوا ترتيب جيوشهم، ويوطدوا أركان بلادهم المفتوحة مع البلاد السابقة للربط فيما بينهما لنشر العلم والعدل والسلام، ثم بعد ذلك يتطعمون إلى فتح جديد نحو أوروبا<sup>١٢٧</sup>، لذلك نرى هذا السلطان لم ينهج هذا النهج بل كان يتخطى في حروبه نحو الشرق والغرب<sup>١٢٨</sup>، ومن أجل ذلك كسب عداوة المسلمين قبل الصليبيين وهذه من الأسباب كذلك التي عجلت بهزيمته أمام المغول.

تيمورلنك ما كان يهدف إلى غزو المدن العثمانية، بل إن اتجاه السلطان بايزيد الأول نحو الشرق لتوحيد إمارات الأناضول، ودولة المماليك في مصر هي التي أثارت حفيظة تيمورلنك، ودفعته دعفاً للغارة على السلطان العثماني<sup>١٢٩</sup>.



وفي الحقيقة كانت الضربة قاسية على الدولة العثمانية، ولكن ما خفف منها هو أن تيمورلنك لم يكن يرغب في الاستيلاء على الأناضول بقدر ما أُرهبه الفارين إليه من أمراء الإمارات السلجوقية التي استولى عليها السلطان بايزيد الأول، لذلك أراد وقف الزحف العثماني نحو الشرق لحماية حدوده من العثمانيين، ثم بعد ذلك عاد إلى سمرقند للاستعداد لغزو الصين<sup>(١٢١)</sup>.

وعلى الرغم من تدخل تيمورلنك في الأناضول لفترة قصيرة، فإن نتائج هذا التدخل قد حطمت قوة الدولة العثمانية، وأخر فتح القسطنطينية، وحماها من الانهيار لمدة نصف قرن<sup>(١٢٢)</sup>.

لذلك تعد معركة أنقرة في التاريخ العثماني إحدى الكوارث التي أصابت الدولة العثمانية في مقتل، وأطالت عمر البيزنطيين والقرون الوسطى خمسين (٥٠) سنة، بالإضافة إلى أنها أخرجت وحدة الأناضول حوالي سبعين (٧٠) سنة، حتى أن السلطان سليم الأول لم يتمكن من ضم بعض الأراضي التي كانت في عهد السلطان بايزيد الأول أراضي عثمانية إلا بعد مائة وخمسة عشر (١١٥) سنة من معركة أنقرة<sup>(١٢٣)</sup>.

وعلى كل حال فقد كانت نهاية السلطان بايزيد الأول نهاية حريئة وغير سعيدة في نهاية المطاف، ولكن تيمورلنك لم يقتل أسيره، بل استقبله استقبالاً يليق بمكانته كسلطان دولة، وفي رواية أخرى قبل أهائه بعد أن شرع في الهرب ثلاث مرات<sup>(١٢٤)</sup>. بعد أن كانت هناك بعض المحاولات التي قام الأمير محمد ابن السلطان بايزيد الأول، بتحريض والده من الأسر، إلا أنها باءت بالفشل، ولكن لا يعرف مدى صحة هذه الرواية، وكيفية تنفيذها، وإن كانت المصادر التاريخية البيزنطية والعثمانية لم توضح هذه المحاولات<sup>(١٢٥)</sup>.

وعلى الرغم مما قيل فقد عاش السلطان بايزيد الأول في الأسر مدة سبعة (٧) شهور واثنى عشر (١٢) يوماً، وكانت هذه الهزيمة هي السبب في موته كمداً وهو في الأسر سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٣م، وصرح تيمورلنك لابنه موسى بأن يدفن في مقابر سلاطين آل عثمان في بروسه (بورصة)، وهذا يؤكد على حسن معاملة المغولي لأسيره<sup>(١٢٦)</sup>.

وقد دامت سلطنته حوالي ثلاثة عشر (١٣) سنة، وشهر واحد وثمانية (٨) أيام، وقد توفي وعمره ثلاثة وأربعون (٤٣) سنة<sup>(١٢٧)</sup>.

وبعد هذه المعركة نعمت أوروبا براحة وخاصة بعد نشوب الصراع بين أبناء بايزيد الأول، فقد تحررت من دفع الجزية التي كانت تدفعها للدولة العثمانية طوال فترة هذا الصراع<sup>(١٢٨)</sup>، وهذا ما سوف تناولته في بحث مستقل باسم « فترة فاصلة في الدولة العثمانية »

## الهوامش

- ١- عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٣م، ص ٣٤ - ٣٥.
- ٢- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٣٧، عبد العزيز سليمان نوار: المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٣- مؤلف مجهول : سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد : مخطوط، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى تحت رقم ٦٧٥ لوحة ١٦ - ١٧، أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التدريح العثماني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٥١، محمد أنيس. الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص ٣٥.
- ٤- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٣٧.
- ٥- زبيدة عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى، الناشر، دار الفكر العربي، ص ١٧٢.
- ٦- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ٣٧.
- ٧- إبراهيم بك حلوم : التذخنة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، الطبعة الأولى، مطبعة عموم الأوقاف، ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، ص ٤٧.
- ٨- وقيل « أوليفرا » وقيل اسمها « صابيا » - انظر محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٣٧، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.
- ٩- محمد أديب آل تقي الدين الحمصيني : منتخبات التواريخ لدمشق، تقديم كمال سليمان الصليبي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ج ١، ص ٢١٤، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٠.
- ١٠- يوسف أصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام عبد الوهاب الحايي، الطبعة الثالثة، دمشق، دار الطباعة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٤١.
- ١١- بيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٢.
- ١٢- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.
- ١٣- إسماعيل سرهد : حقائق لأخبار عن دول البحار، الطبعة الأولى، مصر، طبع بالمطبعة لأمرية ببولاق، ١٣١٢هـ، ج ١، ص ١٣٧، إسماعيل بدعي . الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة لمسكن، الرياض، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٤٠، الحمصيني منتخبات

التواريخ لدمشق، ج ١، ص ٢١٤.

١٤- إسماعيل ياغي : المرجع السابق، ص ٤٠.

١٥- الحصيني : منتخبات التواريخ لدمشق، ج ١، ص ٢١٤.

١٦- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.

١٧- زينة عطا : المرجع السابق، ص ٣٥. Moas Baynes : Byzantium, Ox Ford, 1962, p.

81 - 82

١٨- محمد أنيس المرجع السابق، ص ٣٥.

١٩- فيلادلفيا - تقع غرب الأناضول إلى الشرق من مدينة أزمير الحالية بإسطنبول. انظر : محمد فريد بك :

المصدر السابق، ص ١٣٧. حاشية رقم (١).

٢٠- إسماعيل برهنك - المصدر السابق، ص ٤٩٥. الحصيني : منتخبات التواريخ لدمشق، ج ١، ص

٢١٤.

٢١- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.

٢٢- محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، الناشر دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ /

١٩٨٩م، ص ٢١.

٢٣- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.

٢٤- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥ - ٣٧.

٢٥- تقع في جنوب غرب تركيا جنوب فيلادلفيا. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧.

حاشية رقم (٢).

٢٦- جنوب أيدين على بحر إيجة. انظر - محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٨، حاشية رقم (١).

٢٧- شمال أزمير على بحر إيجة. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٣٨، حاشية

رقم (٣).

٢٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.

٢٩- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٧.

٣٠- تقع في شمال الأناضول، على بعد نحو (١٠٠) كيلو متراً عن البحر الأسود. انظر محمد فريد بك.

المصدر السابق، ص ١٣٨، حاشية رقم (٣).

- ٣١- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧ - ١٣٨، الحصري : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٤.
- ٣٢- يلماز أوز تونا : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة - عدنان محمود سليمان، تركيا، استانبول، منشورات مؤسسة فيصل للتحويل، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٠٣.
- ٣٣- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٧.
- ٣٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.
- ٣٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٣٦- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٥١، الحصري : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٥.
- ٣٧- يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان، ج ٢، ص ٤١ - ٤٢، الحصري : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٥.
- ٣٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢.
- ٣٩- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٤٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، محمد أنيس : المرجع السابق، ص ١٣٨.
- ٤١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.
- ٤٢- يلماز أوزتونا : المرجع السابق، ج ١، ص ١٠٤.
- ٤٣- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢، محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٤٤- أحمد تشليبي القرمانلي : تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بشام عبد الوهاب الحايبي، لطبعة الأولى، دمشق، دار البصائر، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٨ - ١٩.
- ٤٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٣.
- ٤٦- سيواس وتوقات : مدينتان تقعان في شمال شرق تركيا حالياً. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، حاشية رقم (٤).
- ٤٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٤٨- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة - إشراف وتقديم إكمال الدين إحسان أوغلي، ترجمة، صالح سعداوي، الناشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٨.
- ٤٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.

- ٥٠- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة : المصدر السابق، ج ١، ص ١٨، محمد فريد بك : المرجع السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.
- ٥١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢ - ٥٣.
- ٥٢- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- 53- Solomn, Modell, A history of the Weaskern world, vol, 1 Newjersex, prentice hall, 1974, p. 497 - 498
- أحمد عبد الرحيم مصطفى . المرجع السابق، ص ٥٣ . ٥٥.
- ٥٤- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ٥٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٥.
- ٥٦- علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٠.
- ٥٧- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٩، محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٥٨- أحمد تشليبي القرماني . المصدر السابق، ج ١، ص ١٨ - ١٩.
- ٥٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ٦٠- مدينة صغيرة شمال تركيا على ساحل البحر الأسود. انظر : علي حسون، المرجع السابق، ص ٢٠، حاشية رقم (٥).
- ٦١- مدينة تقع في الأناضول وهي تعد عقدة مواصلات برية مهمة. انظر : علي حسون، المرجع السابق، ص ٢٠، حاشية رقم (٦).
- ٦٢- تقع إلى الجنوب الغربي من سامسون. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٢٠، حاشية رقم (١).
- ٦٣- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.
- ٦٤- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٩.
- ٦٥- سالونيك : عاصمة مقدونية اليونانية وثاني كبرى مدن اليونان على خليج يعرف باسمها. انظر : يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣، حاشية رقم (١).
- ٦٦- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص ١٨.
- ٦٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ٦٨- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣.

- ٦٩- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس منير البعلبكي، الطبعة السادسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٤م، ص ٤١٩.
- ٧٠- أحمد شلبي : التاريخ والحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م، ج ٥، ص ٤٨٦.
- 71- Norman, I. Ottoman Empire and Islamic Tradition, New York, Alrtd, A Knop, 1972, p. 14 - 15.
- ٧٢- Norman, Ibid, p 15 محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠، يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٧، أورهان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني، حياته وأحداث عهده، الطبعة الأولى، الكويت، دار الوثائق، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ١٨.
- ٧٣- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٧٤- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٦ - ١٠٧، عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٧٥- كارل بروكلمان : المرجع لسبق، ص ٤١٩، Nor man, I pld, p. 15.
- ٧٦- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص ١٩.
- ٧٧- يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤.
- ٧٨- هذا القائد كونت نيفر، هو ابن ملك بورغانيا والتي تقع حالياً في وسط فرنسا من الشرق : انظر : يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤، حاشية رقم (١).
- ٧٩- بورغونيا : كانت ولاية عظيمة في شرق فرنسا، مستقلة لم يكن للوك فرنسا عليها سوى السيادة، وحق طلب الجنود عند الضرورة منها. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤١، حاشية رقم (١).
- ٨٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٣ - ١٤٤، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤.
- ٨١- بسام العسلي - الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، الطبعة الأولى، بيروت، دار النقا، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٢٤٨ - ٢٥٠.
- ٨٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤، Rosetli, The Battle, Ofnicoplis, p, 619.
- 83- Recueil des Historiens des Croisades publ, Academicsdes, Inscriptions et belles lettres, paris, 1841 - 1905, p. 609. ١٧٥ : المرجع السابق، ص ١٧٥.
- ٨٤- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧.

- ٨٥- يوسف آصاف : المصدر السابق، ص ٤٤، علي حسن : المرجع السابق، ص ٢٠.
- ٨٦- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٧.
- ٨٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤.
- ٨٨- نيكوبول : نيكوبول [ Nikopol ] مدينة تقع في شمال بلغاريا على الحدود الرومانية. انظر : يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥، حاشية رقم (١).
- ٨٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ٩٠- بسام العسيلي : المصدر السابق، ص ٥٠.
- ٩١- هذه الحركة : اشتهر بها الجيش العثماني منذ تأسيسه.
- ٩٢- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧. بسام العسيلي : المصدر السابق، ص ٥١ - ٥٢.
- 93- George Ostrogorsky : History of The Byzantine state Translated to English by Joan Hussey, Oxford, Basu, Black Well, 1968, p. 546. ٤١٩، ص : المرجع السابق، ص ٤٤٤ يوسف آصاف : المصدر السابق، ص ٤٥.
- 94- George : Ibid. ٤٥، ص : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٨.
- ٩٥- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧ - ١٠٨.
- 96- The Cambridge, History, of Islam, vol, 1, Cambridge, 1970, p. 285 : إبراهيم بك حلیم : المصدر السابق، ص ٤٨، زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٥.
- ٩٧- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ١٩.
- ٩٨- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٨.
- ٩٩- قيل إن السلطان با يزيد الأول لما أطلق سراح الكونت دي نفر، كان قد ألزمه بالقسم أن لا يعود لمحارسته مرة أخرى، ولكن السلطان قال له : « إنني أجزى لك أن لا تحتفظ هنا اليمين، فأنت في حل من الرجوع لمحاربتني، إذ لا شيء أحب إلي من محاربة جميع مسيحي أوروبا والانتصار عليهم »، انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ١٠٠- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥، محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ١٠١- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٨.
- ١٠٢- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٥. George Ostogorsky op, cit, p 493.
- ١٠٣- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ١٩.

١٠٤- سالم الرشيدى . محمد الفاتح، الطبعة الثالثة، الناشر دار الإرشاد، جدة، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٣.

١٠٥- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٦. George Ostrogorsky Ibid, p 493.

106- Hussey, J : The Byzantine World, Now, York 1957, p. 282 - 283  
زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٦ - ١٧٩.

١٠٧- سالم الرشيدى : محمد الفاتح، المرجع السابق، ص ٣٣.

١٠٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.

١٠٩- إسماعيل باغي : المرجع السابق، ص ٤٢ - ٤٣.

١١٠- ستانلي بول : الدولة الإسلامية، القسم الثاني، ترجمة محمد صبحي فريزات، مطبعة الملاح، دمشق، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ٤٧٤ - ٤٧٦.

١١١- أحمد فؤاد متولي : الفتح العثماني للشام ومقدماته، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م، ص ٤.

١١٢- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٤٢.

١١٣- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٩.

١١٤- أحمد فؤاد متولي : المرجع السابق، ص ٤٢.

١١٥- محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢١.

١١٦- أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق، ص ٥٥.

١١٧- محمد بن أحمد بن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، الطبعة الثالثة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ١، ص ٥٥٢ - ٥٥٣. Ismail Hkku Uzunc Osmanli  
Arsili; Tarihi, 5 Baski, I Gilt, Istanbul, 1988, s, 300

١١٨- يلماز أوزتونا : المصادر السابق، ج ١، ص ١٠٦، ابن إياس : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥٢

119- Ismail Hakki : a. g. e, s 300

120- Ismail Hakki, a. g. e, s, 300

١٢١- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٦.

١٢٢- ابن إياس : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥٢.

١٢٣- الدولة العثمانية تاريخ وحضرة، ص ١٨.

124- Ismail Hakki, a. g. e, s, 304 - 305.



- 125- Mehemet Zeki Pakalin . Osmanli Tarih Deyimleri, s, 443 – 444.
- ١٢٦- أحمد فؤاد متولي : المرجع السابق، ص ٩٠، ٩٤، عبد العزيز سليمان نوار . المرجع السابق، ص ٣٦، synieser, s, 444
- ١٢٧- محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢٩.
- 128- Ismail Hakki : a. g. e, s, 304, 305. ٣٦، عبد العزيز نوار : المرجع السابق، ص ٣٦
- ١٢٩- إن لإشاعات التي تقول بأن السلطان بايزيد الأول كن يشرب الخمر والعريضة غير صحيحة، بل كلها لا ترقى إلى الصحة، ولا تروق لأذهان الشعب على أية حال، وقد نعت بذلك من قبل أعدائه، بل الرجل كان لديه خفة وشجاعة - انظر : Mufasssal Osmanli Tarihi, s, 214.
- ١٣٠- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥.
- 131- Ismail Hakki, a. g. e, s, 305.
- ١٣٢- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٩.
- 133- John Hearssy City of Constantine, Britan, 1880, p, 283
- محمد فريدك : المصدر السابق، ص ١٤٤، يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦.
- ١٣٤- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨.
- ١٣٥- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ١٩.
- ١٣٦- المرجع السابق، ج ١، ص ١٩.
- ١٣٧- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢٢.
- ١٣٨- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦. Solomon Modell, A History of The Weastern World, 2 vollumes, Newjersey, Prentice hall, 1974, p, 497
- ١٣٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٥.
- ١٤٠- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٦، زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٧.
- ١٤١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٦ - ٥٧.
- ١٤٢- أحمد الجلاري . هو آخر الجلاريين في بغداد. وهو الذي استعاد مدينة بغداد من تيمورلوك عام ٧٩٧هـ، وولني عليها الوالي فرج، ثم عاد تيمورلوك واستعاد بغداد في شهر ذي الحجة سنة ٨٠٣هـ، بعد مذبحه عامة، ثم جعل أحمد جلاري بلجاً إلى السلطان بايزيد الأول كما أسلفنا. انظر : يوسف آصاف: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧.

١٤٣- القرماني : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.

144- Ismail Hakki, a g. e. s, 306

١٤٥- القرماني : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.

146- Ismail Hakki, aynieser, s, 306

١٤٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧، علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٣.

١٤٨- علي حسون : المرجع السابق، ص ٢١.

١٤٩- عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٣ م، ص ٢٦ - ٢٧.

١٥٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٥١- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٥٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧ - ٥٨.

١٥٣- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ١٤٦.

١٥٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.

١٥٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.

١٥٦- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٩.

١٥٧- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٩.

١٥٨- القرماني : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.

١٥٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

160- Runicman S: History of the Crusades, 3 vols, Cambride, 1954, p, 55 - 56 ,

يلماز أوزتونا : المرجع السابق، ج ١، ص ١٠٩ - ١١٠.

161- Ismail Hkki a g e s, 306 ١١ : المصدر السابق، ج ١، ص ١١.

١٦٢- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١. أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧.

163- Ismail Hkki a g e. s, 306 - 308

164- A Rmarriott Dictatorship, and Democracy, p 68 - 89 , يوسف أصاب

المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧، علي حسن : المرجع السابق، ص ٢٢، Ismail Hkiki : aynieser, p,

306

١٦٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٦٦- فمن معاملته السيئة لأسراء أنه عندما فتح (سيزاوار) بنى فيها برجاً من أجساد محاربيه وأنه أخذ ألفين من الرجال الأحياء ثم وضع بعضهم فوق بعض نظير الحجارة، وبناهم بالطين واحداً فوق الآخر، وفي واقعة سيواس أخذ فرسان الأرمن وأحصى رؤوسهم بين أرجلهم وألقاهم في خنادق واسعة وردعهم بالشراب. نظر : يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٦، وإذا كان لي تعليق على هذه المعلومات فأعتقد أن هذا الكلام مبالغ فيه لا يصدقه العقل.

١٦٧- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٦، Ismail Hkiki, a. g. e, s, 309.

168- Ismail Hkiki, op, cit, s, 309 aynieser, s, 309 .

169- Ismail Hkiki, aynieser, s, 309 – 310

170- Ismail Hkiki, Ibid, s, 310. aynieser, s, 310

١٧١- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٥٠، Ismail Hkiki, aynieser, s, 311.

١٧٢- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٥٠.

173- Ismail Hkiki, a. g. e, s, 311

١٧٤- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١١٠.

175- Modell solomon : Ahistory of the Western Warld, vol, 1, p, 497.

إسماعيل سرهتک : المصدر السابق، ج١، ص ٤٩٦.

176- Modell Solomon : 1, p, 497, Ismail Hkiki, a. g. e, s, 313

إبراهيم بك حليم : ٥٠، إسماعيل سرهتک : المصدر السابق، ج١، ص ٤٩٦.

١٧٧- محمد حرب : المرجع السابق، ص ١٣١.

178- Modli Solomon, Ibid, 494 – 497. ٥٠ : المصدر السابق، ص ٥٠.

179- Osmanlia Nsikloped Disi, Tarih, Medeniyet, Kultur, p, 174, Turkiye Diyanet Vakfi

İsim, Ansiklope Dedisi, Cilt, İstanbul, 1995, p, 480.

180- Osmanlia Nsik lopedisi, Tarih, Medeniyet, Kultur, p, 174

181- Ismail Haki, a. g e, s, 314.

- 182- محمد حرب المرجع السابق، ص ١٣١. Ismail Hkiki, aynieser, s, 314.
- ١٨٣- محمد حرب : المرجع السابق، ص ١٣١.
- 184- إبراهيم بك حليم 497، op, cit, p, 497, Modell Solomon, Ismail Hkiki, aynieser, s, 314.
- : المصدر السابق، ص ٥٠.
- 185- Osmanlia Nsiklopedisis, Tarih, Medeniyet, Kultyr, p, 174
- إبراهيم حليم بك : المصدر السابق، ص ٥٠. Modeli Solomon, op, cit, p, 497-498.
- Ismail Hakki, a g. e, s, 315.
- 186- Osmanlin Nsiklopedisis, Ibid, p, 174, Türkiye Diyanet Vakfı İslm, op, cit, 480.
- ١٨٧- محمد يبرم بكاس لتونسي . صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، الطبعة الأولى، الناشر مطبعة المقتطف، مصر، ١٣١١هـ، ج ٥، ص ٤٧
- 188- Ismail Hakki, a. g. e, s, 315.
- 189- Osmanlia Nsiklopedisi, Medeniyet, Kultur p, 174
- 190- Ismail Hakki, aynieser, s, 315
- 1٩١- أحمد جردت : المصدر السابق ج ١، ص ٤. Normn. I. Ottoman Empire and Islamic . tRadition, Newyork, 1972, p, 25 - 26
- ١٩٢- محمد حرب : المصدر السابق.
- ١٩٣- تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٣.
- 194- Osmanlı Tarih, op, cit, p, 313.
- ١٩٥- علي حسن : المرجع السابق، ص ٢٣.
- ١٩٦- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.
- ١٩٧- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨. Runicman S., op, cit, p, 56.
- ١٩٨- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.
- ١٩٩- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨.
- ٢٠٠- أحمد شلبي : المرجع السابق، ج ٥، ص ٤٨٧.
- ٢٠١- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٧.

- ٢٠٢- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.
- ٢٠٣- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- ٢٠٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- ٢٠٥- أحمد جودت : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨-٥٩.
- ٢٠٦- أحمد جودت : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠.
- ٢٠٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣١.
- ٢٠٨- علي حسن : المرجع السابق، ص ٢٤، Norman, I, op, cit, p, 25.
- ٢٠٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- ٢١٠- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٢١١- زبيدة عطف : المرجع السابق، ص ٧٩، يلماز أوزتونا - المرجع السابق، ج ١، ص ١١١، The Cambridge, History, of Islam, vol, I, p, 279.
- ٢١٢- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٦.
- ٢١٣- سبيل الرشاد لولاي السلطان مراد : المصدر السابق، ورقة ١٧، إسماعيل سرهنك : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٩، أورهان محمد علي : المرجع السابق، ص ١٨.
- 214- Ismail Hakki, a. g. s, 315.
- ٢١٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٧.
- ٢١٦- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٨.
- 217- George Ostrogor Sky, op, cit, 496.

# المطرفية الزيدية في اليمن

ظهورها في القرن الخامس الهجري ومعتقداتها

وقضاء الإمام عبد الله بن حمزة عليها

ARCHIVE

أهم عناصر البحث:

أولاً: نشأة الفرقة المطرفية وإلى من تنسب

ثانياً: جهود المطرفية لإقامة هجرهم ونشر أفكارهم:

ثالثاً: صراع المطرفية مع الزيدية المخترعة (التقارب والاختلاف):

رابعاً: صراع المطرفية مع الإمام أحمد بن سليمان واستخدام المناظرات للحسم:

خامساً: خلاف المطرفية مع الإمام عبد الله بن حمزة واستخدام السيف للحسم:

سادساً: أهم معتقدات المطرفية:

سابعاً: القضاء على المطرفية نهائياً من قبل الإمام عبد الله بن حمزة:

## أولاً: نشأة الفرقة المطرفية وإلى من تنسب:

استمر زيدية اليمن فرقة واحدة تتبع الهادي في الأصول والفروع، حتى ظهر الخلاف والشقاق بين علمائها<sup>(١)</sup>، فانقسمت الزيدية<sup>(٢)</sup> نتيجة لذلك إلى ثلاث فرق هي: لمطرفية، المخترعة، الحسينية، وقد اختلفت المصادر في تحديد زمن ظهور هذه الفرق، فذهب البعض إلى تحديد زمن انقسام الزيدية إلى مطرفية ومخترعة<sup>(٣)</sup>، إلى عهد الإمام القاسم بن علي العياني (٣٨٨-٣٩٣هـ/٩٩٨-١٠٠٢م)<sup>(٤)</sup>، وإذا كانت اليمن قد استقبلت العديد من المذاهب الوافدة، ومزجت بعضها بظاهرها الإقليمي الخاص، ومنحته السمة والشخصية المتمايزتين، فإنها أفرزت بعض المذاهب ذات الطابع المحلي، مثل: الحسينية والمطرفية، وهما فرقتان انشقتا عن المذهب الزيدي، ومن ثم فقد ولدا في اليمن وتلاشيا على مسرحها دون أن يفتن أحد في العالم الإسلامي إلى وجودهما، ولما كانت هاتان الفرقتان تتميزان بالطابع المحلي الخالص فإن المصادر عنهما ظلت محصورة داخل المصادر اليمنية<sup>(٥)</sup>، ولعل قول يحيى بن الحسين هو الأرجح، إذ أن مطرف بن شهاب الذي تنسب إليه المطرفية كان قد بايع الحسين بن القاسم العياني بالإمامة الذي تولاهما سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، واستمر إماماً حتى مقتله سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م. بن إن مطرف سيترك في الحروب التي خاضها الإمام الحسين بن القاسم صد أعدائه<sup>(٦)</sup>، لكنه رجع عن القول بإمامة الحسين بن القاسم<sup>(٧)</sup>، عندما صدر عنه الآراء والأقوال التي عارضها لمطرفية.

وبما يؤيد هذا الرأي ظهور العديد من العلماء المخترعة الذين تصدوا للمطرفية زمن الإمام الحسين بن القاسم أو بعد مقتله، فمن علماء المخترعة الذين ترجم لهم ابن أبي الرجال في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، واشتهروا بالرد على المطرفية: الفقيه إسماعيل بن عُلّا الذي عاصر الإمام القاسم العياني، وتصدى للمطرفية، وألف العديد من الرسائل ردّاً عليهم<sup>(٨)</sup>، أما الحسينية فقد ظهرت في عهد الإمام الحسين بن القاسم، واستمرت بعد وفاته وأخذت بآرائه.

مؤسس فرقة المطرفية<sup>(٩)</sup> علي بن حرب، أحد كبار علماء الزيدية في ريدة<sup>(١٠)</sup>، وعنه أخذ علماء المطرفية، وفي مقدمتهم مطرف بن شهاب<sup>(١١)</sup>، الذي تنسب إليه هذه الفرقة<sup>(١٢)</sup>، وقد تباينت الآراء حول نشأة المذهب المطرفي حيث يذكر عبد الله العنسي عن زمن ومكان ظهور المطرفية قائلاً: "إن الزيدية قد طبقت الأفاق شرقاً وغرباً، وهذا المذهب مذهب المطرفية لا يُستع إلا في هذه البلاد من حدود بلاد بني شريف إلى نقيب صيد طولاً، ومن بلاد بني جبر إلى عنس عرضاً، وما عدا

ذلك لا يعرف فيه اسم المطرفية . . دُونَ الوقت الأول الذي حاج فيه مذهبهم . . وقد روي أن القوم إنما أتوا من قبل الباطنية، وإلا فقد كانوا زيدية، وكان حدوث مذهب المطرفية بعد الخمسين وأربعمئة سنة للتاريخ المبارك، وكان . . إذا أَحْضِرَ الواحد منهم بين يدي الشيخ يحيى بن عمار ونظاره قال: لما تناظرني على مذهب أنا أكبر منه سناً<sup>(١٢٣)</sup>، كما تباينت الآراء أيضاً عن مؤسس المذهب المطرفي فقلد البعض أن المؤسس الحقيقي لهذا المذهب هو أحد مفكري الباطنية، بناحية الأهنوم، وكان قد تظاهر باعتناق المذهب الزيدي، واستطاع بحيله البارة أن يستغل بساطة العامة في التأثير عليهم واقتناعهم بأرائه ومعتقداته، ويقال أنه رأى يوماً حبة شعير نبتت في جانب مسجدهم داخل الجدار، فسألهم هل يجوز لأحد أن يחדش المسجد؟ فقالوا: لا يجوز ذلك، قال وَلَمْ؟ قالوا: لأن هذا قبيح، لو زاد الخدش لَحَرِبَ المسجد، وخرابه قبيح، فتركهم أياً ما ثم سألهم ما تقولون في هذه الحبة؟ ألم تחדش جدار المسجد؟ قالوا: نعم، قال: أهذا قبيح أم حسن؟ قالوا: هذا حسن-بناءً على ما كنت عليه الزيدية من المذهب الصحيح- قال: ألم تقولوا بالأمس إن خدش المسجد قبيح؟ وما زال يحاورهم ويناورهم، وكثُرَت المناظرات، وَأَنَّ الله تعالى لا يفعل القبيح، ثم وصل بهم إلى النتيجة التي يريد، وهي أن هذا النبات ليس من خلق الله، وإنما هو حاصل من المواد والطبائع.<sup>(١٢٤)</sup>

كانت بداية اقتراء المطرفية عن الزيدية المخترعة ما حدث من المناظرات بين رجلين من الزيدية الأول علي بن شهر، والآخر علي بن حرب<sup>(١٢٥)</sup>

ولما اشتدت المناظرات بين الرجلين كان لكل واحد منهما أتباعه ومؤيده، "فصاروا فرقتين، فتعصب أولئك على شبهتهم، واستندوا إلى زهادهم ولم يجدوا أزهـد من مطرف، فتبعوه وتسموا بالمطرفية بأنفسهم، وبقي المسلمون على بصيرتهم يقولون نحن زيدية التزاماً بمذهب العترة الطاهرة الزكية، الذين هم بعد المنصوص عليه زيد بن علي"<sup>(١٢٦)</sup>، ولم يزل مطرف ينشر آراءه بين أتباعه إلى أن اكتملت لديهم الصورة الكاملة عن القول بالأصول والإحالة والقفرة والتدبير والطرود والعكس وغير ذلك من الأمور التي صارت تدل على هذا المعتقد الجديد<sup>(١٢٧)</sup>

من الصعوبة تحديد زمن دقيق لبداية انتشار المطرفية وإن كان المرجح ظهوره زمن الإمام الحسين بن القاسم العبدي، أو بعد وفاته - كما سبق القول- فعند الله بن حمزة يذكر أن أول من تصدى للمطرفية هو لشريف زيد بن علي بن الحسين<sup>(١٢٨)</sup>، ويصف مسلم اللحي بأن زيد بن علي بن الحسن هذا كان من متكلمي المخترعة، ومعلوم أن اسم المخترعة لم يُطلق على الزيدية إلا بعد



الخلاف بين علي بن حرب وعلي بن شهر، وهما من معاصري مطرف بن شهاب، كما يَذكر أحد علماء الزيدية ودعاتها أن الشريف زيد بن علي بن الحسين رَدَّ على مطرف بن شهاب.<sup>(١٧١)</sup>

كان مطرف بن شهاب يسكن في بيت حُثَيْص<sup>(١٧٢)</sup>، ثم انتقل إلى سِنَاع<sup>(١٧٣)</sup>، فابتنى بها هِجْرَةً<sup>(١٧٤)</sup>، ومسجداً ومطاهراً<sup>(١٧٥)</sup>، واتخذها مركزاً لتجميع أصحابه، ونشر معتقداته، فأظهر العبادة والطهارة، والزهد، واستدعوا الناس إلى الدراسة، فأقبل إليها كثير من الدارسين والعلماء<sup>(١٧٦)</sup>، فأقيمت المناظرات فيها، بين المخترعة والمطرفية من الزيدية، فبذكر مسلم اللحجي أن علي بن حرب أقنع عليان بن سعد بالتوجه معه إلى سِنَاع، فلما وصلها قال: "فأتينا سِنَاع وبها المشايخ الذين من الطراز الأول فلم أحتج مع النظر إليهم وإلى ما هم عليه من الديانة، وإلى حسن ترتيبهم فيها إلى دليل على فضلهم، وتيقنت أنهم الناس، ثم طالبتهم على ما يعلمون، ويتعلمون من الاعتقاد بالأدلة، فأثروا بما لا مزيد عليه من البرهان، ولا شك معه في البيان، فانقطعت إليهم بعد ذلك، ورفضت أهلي ووطي إلا من الزيارة في الحين والحين"<sup>(١٧٧)</sup> ومن سِنَاع انتقل الفكر المطرفي إلى أماكن أخرى في اليمن.<sup>(١٧٨)</sup>

وعن زهد المطرفية وما وصلوا إليه من العبادة يقول عبد الله بن زيد العنسي: "...وهم أعني المطرفية أكثر من رَجَعَ إلى الحق على يدي من الفرق البدعية.. وأعاني على ذلك ما كانوا عليه من الخوف لباري البرية، وكثرة الخوض له في الجهر والخفية.. إلا أن ما حملهم على التعصب على مذاهبهم.. ما هم عليه من التشدد والحمية والتقليد لمشايخهم البدعية، وتحسين الظن بهم لـ برون عليهم من آثار التزهيدات الجليلة والخيرة منهم، لمخافتهم له في السر والعلانية".<sup>(١٧٩)</sup>

أم الحسن بن زيد ومحمد بن حميد اليرسمي فقد دخلا سِنَاع "وكانا يومئذ يعتقدان بالاختراع، قال: فكانا يأتیان أشياخ الزيدية في سِنَاع، ويتعرفان على ما هما عليه، وفي يوم امتد بهما الكلام.. في مسجد سِنَاع حتى غرَّبت الشمس، فقال الحسن لا أروح حتى أفرغ من هذه المسألة.. وعادوا إلى الكلام، فانقطع الحسن وسلم للمشايخ.. ثم انتقل إلى سِنَاع، وانتقل معه ابن حميد، وأتقن الحسن التدريس ورسومه"<sup>(١٨٠)</sup>، أما نهد بن الصباح فظل بناظر مطرف بن شهاب رعيين يوماً في فنون العلم ومسائل الدين<sup>(١٨١)</sup>.

ونتيجة لهذه المناظرات بين المطرفية والمخترعة أخذت سِنَاع شهرة علمية واسعة نتيجة لتوجه العلماء والطلاب إليها، حتى قال مسلم اللحجي: "فكان ذلك مما ازدادت به شهرة الموضع عند الناس بالعلم والعبادة، والتعليم، فقصَّص من كل جهة وحي"<sup>(١٨٢)</sup>.

## ثانياً: جهود المطرفية لإقامة هجرهم ونشر أفكارهم:

أدى هذا النجاح للمطرفية إلى تفكير علمائها بالمحاولة لنشر فكرهم في مناطق أخرى خارج سناع، فما أن عرض نهد بن الصباح على مطرف فكرة الخروج من سناع لدعوة الناس بقوله: "أيها الشيخ إنك ما هنا خامل ضايح مضيع لعباد الله، قال: فما ترى أن أصنع؟ قال: تسير بنا إلى أرض عنس"<sup>(٣١)</sup>، حتى نُحِبِّي بها من دين الله ما أمكن، قال: فَعَلِمَ أن هذا من صواب الرأي، فسارا معاً إلى ذمار، وكان أهلها مخترة، فلما نزلوا بها أتى مسجدها، وسمع بهما الناس، فاجتمعوا إليهما... فافترق المجلس على موافقة من الجمهور لمطرف.. وغلب على أكثر الناس اعتقاد مذهبه"<sup>(٣٢)</sup>، ثم توجه مطرف إلى بلج التراخم، واستطاع أن يَصُم إلى صفه شيخها أبا عبد الله محمد أحمد الترخمي بعد مشقة وعسر"<sup>(٣٣)</sup>.

غير أن هذا الدور الذي قامت به سَنَاع لم يستمر بسبب ما تعرضت له من هجوم من قِبَل الصليبيين في عهد الداعي سبأ بن أحمد الصليحي، والذي سبَّز السيدة أروى بنت أحمد الصليحي شئون الدولة في الفترة ٤٧٨-٤٩٢هـ/١٠٨٥-١١٠١م<sup>(٣٤)</sup>، حيث سبَّز جميع لبعض خصوم المطرفية، فيعمل على تخريب سَنَاع، وتخويف أهلها"<sup>(٣٥)</sup>، بما دفع المطرفية للبحث عن مكان آخر، يقول مسلم اللحجي: "فما اضطرت الريدة إلى الخروج عن سناع إلى بعض البلدان.. قالوا: نخشى أن غوت في شعاب الأرض، ويطون الأودية.. فكثرت ترددهم وإحجامهم عن ذلك.. (ف) جعل إبراهيم بن الهيثم بعد ذلك يجول في البلاد ويطلب المساكن.. فأصاب وادي وقش خالياً من السكان"<sup>(٣٦)</sup>.

عندما وجد المطرفية أن القبائل المجاورة لوقش"<sup>(٣٧)</sup> يرجون بنزول المطرفية بينهم، وبعد أن عُذِّد الجوار بذلك، انتقل المطرفية إلى وقش، وأقاموا بها "هجرة تقام فيها الصلاة وتؤدى الفرائض ويُعبد الله فلا يُعصى ويُتعلَّم العلم ويُحيى فيها الدين، حتى قامت بالحجة لله على أهل العصر، فقام الإمام الداعي إلى ربه، المشهر سيفه"<sup>(٣٨)</sup>، وقد قَبِلُوا عدداً من الشروط منها أن يكون ابن الهيثم المطرفي حاكماً لا محكوم عليه، فعقدوا له ذلك،"<sup>(٣٩)</sup>، وأعطت القبائل الحق للمطرفية في أن لا يُدْخَلُوا إلى هجرتهم من لا يربعون فيه، قال مسلم اللحجي: "وكان (الهم) شروط.. على من يجاورهم، وذهب على من يتقلب عليهم في دهرهم ممن يكرهون جواره"<sup>(٤٠)</sup>، وقد كان للهجرة كثير من الحقوق التي تتمتع بها، مثل: "نه يحب على جميع القبائل الكف عن الاعتداء عليها،

وأن يلتزموا بحقوقها، كما أن لهذه الهجرة عدم الالتزام بالعدوات القبلية، وبالتالي يجب عليها الابتعاد عن المنازعات القبلية. كما يجب عليها أن تتمسك بأحكام الشريعة الإسلامية، وتعمل على تطبيقها، لذلك كانت الهجرة تزجر بالعلماء سواء القضاة أم التعليم، لكل ذلك كانت الهجرة آمنة مُؤمَّنة لكل من ورد إليها في ليل أو نهار -سواء كان ظالماً أو مظلوماً حتى يؤخذ الحق منه أو له.<sup>(١٤٦)</sup>

والى جانب ما كانت تقوم به هجرة وقش من مهام الفرائض والتعليم، فقد كانت ملاذاً لمن "خشي على نفسه من ظالم غاشم، هرب إليها للأمن، ومن أهمه أمر معده ومعاشه، أتى متوكلاً على الله"<sup>(١٤٧)</sup>، ونتيجة لهذه الوظائف الهامة التي كانت تقوم بها هذه الهجرة، فقد "تسامع بها الناس. نحو ما كانت السمعة بسناع، فانتهى ذكرها إلى أطراف الآفاق، ففُضِّت إليها آباط الإبل، وطُوِّت إليها المراحل وَتَنَّقَّ الله بها من أراد من خلقه"<sup>(١٤٨)</sup>.

وصل المطرفية في هذه المرحلة إلى الاعتقاد بوجوب حُجْر الظالمين واعتزالهم، ورأوا أنه يجب على الإنسان أن يَهْرُب بنفسه وولده وحرمة من مجمع لباس، وقرهم ومدنهم، لظهور فساد الناس والمدن والقرى في ديمهم وديباهم، «ووجوب المهاجرة للظالمين والاعتزال للفاسقين وذلك فرض من رب العالمين في كل وقت وحين»<sup>(١٤٩)</sup>، ومن هذا المعتقد قاموا بإنشاء العديد من الهجر<sup>(١٥٠)</sup> وابتشار المطرفية في هذه الهجر دون القرى والمدن اليمنية الأخرى يتبين أن هذه الهجر كانت بالنسبة للمطرفية ملاذاً آمناً يضمنون فيه التمتع بالحرية الفكرية المطلقة في عرض أفكارهم، بل وفي إقامة مدارسهم التي يلتقون فيها مذهبهم لتلاميذهم<sup>(١٥١)</sup>، وهكذا كَوَّنُوا مجتمعاً خاصاً بهم له تعاليمه وتقاليده.<sup>(١٥٢)</sup>

### ثالثاً: صراع المطرفية مع الزيدية المخترعة (التقارب والاختلاف):

حرص المطرفية على إقناع معاصريهم بأنهم لم يأتوا ببدعة جديدة، ولكنهم متمسكون بالتعاليم الصحيحة المنسوبة إلى الإمام الهادي، مؤسس الدولة الزيدية باليمن، لذلك قالوا بأن مطرف بن شهاب أخذ المذهب عن علي بن محفوظ بريدة، وابن محفوظ أخذ العلم ومذهب الهادي عن طريقين أحدهما عن أبي الحسين أحمد بن موسى الطبري، عن المرتضى محمد بن الهادي، والأخرى: عن إبراهيم بن بالغ الوزيري، عن أبيه عن الهادي<sup>(١٥٣)</sup>.

لهذا عندما سأل مسلم اللحي شيعه إبراهيم بن علي عما إذا كان قد أخذ الاعتقاد من علماء

سناح ووقش، أو أنه التقى بمطرف أو نهدي بن الصباح، فإنه غضب من هذه الأسئلة وقال: "أخذته من شيعة الهادي: أو مذهب الهادي قد خفي حتى لا يوجد إلا عند أولئك؟". أخذت عن عامر بن صعتر عن عامر بن نعيم عن أبيه عن جده عن الهادي إلى الحق<sup>(١٤٩)</sup>.

وهو ما يذكره مطرف بقوله: "لا تحسبوا أننا أخذنا.. واعتقدنا هذا العلم من الأوراق. أخذنا من بين شوارب الرجال، يريد الإسناد إلى الهادي"<sup>١٥٠</sup>، واستشهد المطرفية على صحة آرائهم في منازعاتهم مع خصومهم على كتب المرتضى محمد بن الهادي، وهو ما يذكره مسلم اللحجي عندما ناظر المطرفية قوم من آل عمار من المخترعة من مشرق حاشد: "منهم يحيى بن عمار المتكلم في الاختراع، فطالبوهم بالمناظرة، حتى دار بينهم الكلام في ذلك.. فطالبوهم [أي المخترعة] على ذلك شهادة سماعية من كتب آل رسول الله صلى الله عليه.. فاستشهدوا [أي المطرفية] بمسألة العدل من كلام المرتضى لدين الله محمد بن يحيى"<sup>(١٥١)</sup>.

خالف المطرفية فرقة المخترعة عندما تناظر علي بن حرب وعلي بن شهر<sup>(١٥٢)</sup>، وأخذ كل واحد منهما برأيه<sup>(١٥٣)</sup> - كما سبق للقول - أدى إلى ظهور فرقتي لريدية (المخترعة)<sup>(١٥٤)</sup>، والمطرفية)، ودخلا في مناظرات بعد أن اجتمع المطرفية في هجرة سقاج، واتخذوه مسجداً وحرمة ومطاهراً.

اتخذ المطرفية طريقاً مستقلاً بعد أن تراجعوا عن مبايعة الإمام الحسين بن القاسم العياني بالإمامة لما يَدْرُ منه من آراء، ثم استمروا في التجمع في هجرهم للعبادة والذكر، حتى ظهر الإمام أبو الفتح الديلمي فدخلوا معه في خلاف، لكن هذا الخلاف ظل في هذه المرحلة خلافاً في الجانب الفكري فقط، فيذكر العنسي أن الإمام أبو الفتح الديلمي ردَّ على المطرفية برسالة سماها "الرسالة المبهجة في الرد على لفرقة الضالة المتلجلجة"<sup>(١٥٥)</sup>، مما يؤكد اختلافهم معه على الإمامة.

كما ظل المطرفية على اختلاف مع الشريف حمزة بن أبي هاشم، وابنه الحسين بن حمزة، الذي أنف رسالتين في الرد على المطرفية، والتي يقول عنهما عبد الله بن زيد العسلي في حديثه عن العلماء الزيدية الذين تعرضوا للتأليف في الرد على المطرفية: "وكذلك.. السيد العالم الحسين بن حمزة.. رأيت له قطعتين من الكلام عليهم [أي المطرفية]"<sup>(١٥٦)</sup>.

استفاد المطرفية في هذه الفترة من عدم ظهور منافس قوي لهم، سواءً عند الحسينية، أم المخترعة. فرد نشاطهم، وتعددت هجرهم، وكثر أنصارهم، مستعملين لظرف المحيط بهم، بعد وفاة الإمام الحسين بن القاسم العياني في سنة ٤٠٤ هـ/ ١٣٠١ م، تعطلت الإمامة بعدهم ما يقارب

العشرين عاماً، حتى ظهور الإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن سنة ٤٢٦هـ/٤٣٣هـ/١٠٣٤م - ١٠٤١م. وقد يرجع سبب ذلك لاعتقاد أتباع الإمام الحسين بن القاسم في عودته، لدرجة أن أخاه جعفر بن القاسم لم يفكر في القيام بأمر الإمامة، على الرغم من تأييد بعض القبائل له، ورغم أن الظروف تهيأت له باستدعاء أهل صنعاء له لدخولها، ويرجع ذلك لاعتقاده بعودة أخيه.

استغل المطرفية ذلك الفراغ السياسي لنشر أفكارهم، إذ لم يكن هناك أي شكل من أشكال الدولة في المناطق الشمالية، والتي كانت تسمى اليمن الأعلى، حيث كانت صنعاء مقسمة بين ثلاث قوى قبلية هي اليعفرين وآل الضحاك، وإبني أبي الفتح - كما مر سابقاً -.

وحتى عند ظهور الإمام أبي الفتح الديلمي دخل في صراع مع المحتسبين الحسينيين، فلم يتم أي تعاون بينه وبين جعفر بن القاسم العياني، وبوفاة الإمام أبي الفتح تعطلت الإمامة ما يقارب من ثمانية وثمانين عاماً، نشط خلالها المطرفية وعقدوا المظاهرات مع المخترة<sup>(١٧١)</sup>، فقد كان أبو السعود محمد بن وصح العنسي (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م) من علماء المطرفية المناظرين، وكان في بداية حياته من المخترة، ثم اعتنق التطريف، وتصدى للبدع عنه، والرد على المخترة، وله قصيدة يرثي فيها على علماء المخترة يقول فيها:

والله يخترع المعاني عندهم كالطعم والحركات والألسان

وكذا التكريم والسماحة عندهم فعل الإله وفطرة الأبدان<sup>(١٧٢)</sup>

كما أن العالم المطرفي القاضي شريح بن أسعد الشهبي (ت ٥٠٠هـ/١١٠٦م) تصدى لعلماء المخترة مثل عبد الله البشاري، وكان بينهما مساحلات شعراً ونثراً<sup>(١٧٣)</sup>، وحين هاجم محمد بن حميد الزبيدي المختري عقائد المطرفية<sup>(١٧٤)</sup>، قام العالم المطرفي أبو السعود بن زيد بالرد عليه في أرجوزة شعرية منها:

نحن قلنا النار مثل الماء والقار مثل القصة البيضاء<sup>(١٧٥)</sup>

لجدير بالذكر أن المطرفية لم تقتصر في مناظراتها مع الفرق الزيدية من الحسبية والمخترة، بل ناظرت الفرق الأخرى في اليمن، سواء من أهل السنة أم الأباضية والإسماعيلية<sup>(١٧٦)</sup>، فقد ناظر مطرف بن شهاب القاضي الشافعي سليمان بن عبد الله النقوي أكبر قصاة الشافعية في صنعاء فأقنعه مطرف بمذهبه وحكم مذهب مطرف وأصبح من أنصاره، بل ناظر المطرفية

الفرقة الإسماعيلية، وقد اتسمت العلاقة بين المطرفية والإسماعيلية بالعلاقة السلمية حيث كان الصليحيون يرغبون في انخراط المطرفية في جيوشهم لذلك اعترفت بمذهبهم في أول الأمر، إلا أن المطرفية تجنبوا سياستها، بل نجد منهم من يسفه مذهب الصليحيين ويرد عليه مثل أبي السعود بن زيد بن الحسن، الأمر الذي سيدفع بالدولة الصليحية إلى إرسال ابن أحمد الهليجي ليقبض على السعود بن زيد وهو يغسل ثيابه.<sup>(١٣٦)</sup>

رابعاً: صراع المطرفية مع الإمام أحمد بن سليمان واستخدام المناظرات للحسم:

بظهور الإمام أحمد بن سليمان، وإعلان خروجه بالإمامة سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م<sup>(١٣٧)</sup>، انتهى الفراغ السياسي الذي طالما نعم به المطرفية، ووظفوه لصالحهم، وفي بداية الأمر لم يعلن المطرفية معارضتهم لإمامة أحمد بن سليمان، كما لم يرحبوا بقيامه<sup>(١٣٨)</sup>، غير أن قتل حاتم بن أحمد البامي للشيخ محمد بن عليان<sup>(١٣٩)</sup>، كان سبباً لجمع فرقتي الزيدية المطرفية والمختلعة على البيعة للإمام أحمد بن سليمان، طالبين منه الثأر لمقتل ابن عليان<sup>(١٤٠)</sup>.

غير أن هذا الولاة من المطرفية للإمام لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما تقاعسوا عن نصرته يقول سليمان الثقفي: "فَسَدَّ أَكْثَرُ أَهْلِ الْيَمَنِ بِالْمُطَرَفِيَّةِ، وَقَعَدُوا عَنِ الْإِمَامِ، وَأَقْعَدُوا النَّاسَ، وَاسْتَمْلَتْهُمْ الدُّنْيَا وَحُطَامُهَا"<sup>(١٤١)</sup>، وكانت بداية الخلاف بين الإمام والمطرفية أن قوماً من المطرفية في أشيخ والجاهلي<sup>(١٤٢)</sup>، خالفوا الإمام ولم يُقَرُّوا له بالطاعة فخرج لتأديبهم فاستولى على الجاهلي، وألهم، وكاد أن يسيطر على أشيخ لولا توجهه إلى مخالف جعفر بعد أن عين على هذه المناطق ولاية من قبَلِه وطرده المطرفية منها<sup>(١٤٣)</sup>.

لم يحتدم الخلاف بين المطرفية والإمام أحمد بن سليمان، حتى حدث الخلاف بين القاضي جعفر ابن أحمد بن عبد السلام<sup>(١٤٤)</sup>، وبين المطرفية في سِنَاع، حيث كان القاضي جعفر قد ذهب إلى العراق وعاد بكتب كثيرة من كتب المعتزلة<sup>(١٤٥)</sup>، وقد تأثر الزيدية في اليمن بشكل كبير بكتب المعتزلة التي أدخلها إلى اليمن القاضي جعفر بن عبد السلام، حيث أقبل السواد الأعظم من الزيدية على قراءة كتب المعتزلة هذه، وتركوا كتب قدامى الزيدية، بل وصل بهم الأمر إلى حد رفضها، ومزقوها وجعلوها بها الكتب الجديدة التي تتضمن أفكار المعتزلة، وهو الأمر الذي سيؤدي إلى ظهور طائفة من علماء الزيدية تمتد بهذا التحول وتعمل على إحياء المذهب الزيدي في صورته القديمة، وأطلقوا عليه (مذهب العترة عليهم السلام)، تمييزاً له عن أفكار الزيدية الأخرى الممزوجة

بالاعتزال، وأطلقوا على هؤلاء الذين قاموا بعملية المزج - التي أخفت معالم المذهب الزيدي في صورته القديمة النقية - اسم الشيعة المعتزلة.<sup>(١٧٧)</sup>

وعده الإمام أحمد بن سليمان النصرة للقاضي إن وقف في وجه المطرفية وأنكر بدعتهم<sup>(١٧٨)</sup>، يقول صاحب سيرة الإمام أنه لما وصل القاضي جعفر من العراق، قال له الإمام أحمد بن سليمان: "هل علمت يا قاضي أحداً ممن قابلته في العراق يقول بشيء لما تقوله المطرفية أو تعتقده أو تعمل به، أو وجدت في كتاب أو سمعت بأحد يقول بقولهم، فقال: لا، قال له: فإنه يجب عليك أن تردهم عن جهلهم وتذكر بدعتهم... فقل له القاضي: قد عرفت ما تقول ولكن القوم كثير، وقد صاروا ملء يميننا هذا، ولو أبينْتُ أنكر عليهم لرموني بقوس واحدة، وأنت يا مولانا تقرب وتبعد، وأنا أخاف القوم ولا طاقة لي بهم، فوقع كلام الإمام في أذن القاضي فعمل به"<sup>(١٧٩)</sup>.. فنأظرهم في سناع ثم في وقش<sup>(١٨٠)</sup> ولما لم يسمعو منه وآذوه وقاموا في وجهه<sup>(١٨١)</sup>، عاد إلى سناع مع مجموعة من أنصاره وكان له مدرسة في مسجد سناع فعدرسه المطرفية بمدرسة أخرى في جانب المسجد، فقام أحد أنصار القاضي جعفر فاطناً سراحهم، فعادوا فأطفأوا مصباح القاضي وأصحابه، ووقع بينهم كلام<sup>(١٨٢)</sup>.

لما علم الإمام بذلك قال: "قد وجبت عليّ فريضة القاضي ونصرة من قد نصره"<sup>(١٨٣)</sup>، فهُمَّ بالخروج إلى المطرفية، ومحاربتهم، فتراجعوا وأقرُّوا له بالإمامة وطلبوا الصفح، فقبل منهم، ودخل وقش، وأحلَّ بها القاضي جعفر، وأقام هناك وكتب كتاباً ألفه وسماه كتب الرد على من طعن في إمامته<sup>(١٨٤)</sup>.

ويرجع سبب تنكر المطرفية للإمام أحمد بن سليمان إلى تشددهم في أمر الإمامة، والشروط الواجب توافرها في الإمام<sup>(١٨٥)</sup>، فذهبوا إلى عدم الاعتراف بإمامة أحد بعد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، سوى المرتضى ابنه، وأنكروا على الريدية حصر الإمامة في قریش<sup>(١٨٦)</sup>، يقول صاحب تاريخ بني الوزير "وقد كانت المطرفية لسعة علومهم وصلابة تدبيرهم وصبرهم على العبادة والقيام والصيام يحتقرون معارف غيرهم، ويقع من بعضهم إعجاب بالتبحر في العلوم، وللعلم طغيان كطغيان المال، فكان من ذلك أنهم لا يذكرون الإمام أحمد بن سليمان بالإمامة، إنما يسمونه الأمير"<sup>(١٨٧)</sup>.

خامساً: خلاف المطرفية مع الإمام عبد الله بن حمزة واستخدام السيف للحسم:

خفت حجة العدا للمطرفية بعد وفاة الإمام أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، والقاضي جعفر بن عبد السلام سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م، مما أعطى الفرصة من جديد لازدهار مذهب المطرفية وانتشاره خاصة في عهد الأيوبيين الأوائل في اليمن<sup>(١٨٤)</sup>.

مثل طول الفترة بين موت الإمام أحمد بن سليمان ٥٦٦هـ/ ١١٧١م، وقيام عبد الله بن حمزة<sup>(١٨٥)</sup> لأول مرة محتسباً في سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م<sup>(١٨٦)</sup>، فرصة أمام المطرفية كي تمارس نشاطها وتنتشر معتقداتها دون أن تصطدم بصعوبات كبيرة تضعها أمام أزمة سواء من الناحية النظرية حيث لم تصل مع الإمامة الزيدية المخترعة إلى حد القطعية، ومن الناحية العملية لم تدخل في صراع وحرب معها حتى هذا الوقت<sup>(١٨٧)</sup>، على الرغم من خلو اليمن من حكم الأئمة بعد أحمد بن سليمان لفترة تقارب سبعة عشر عاماً، إلا أن الإمام أحمد بن سليمان كان قد حكم على المطرفية بحكم الكفار، فلا تحمل مناكرتهم ولا ذبائحهم ولا تقبل شهادتهم، وهذا الحكم ترك صدقاً كبيراً بعده في الأوساط العلمية والسياسية، وحرى الخوص حول هذه المسألة من قبل جماعة من العلماء الذين سبقوا الإمام عبد الله بن حمزة بفترة طويلة<sup>(١٨٨)</sup>.

بقيام عبد الله بن حمزة سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م، بالإمامة<sup>(١٨٩)</sup>، تبعه المطرفية بالإمامة بعد أن اجتمع مشايخهم بالإمام وأعلنوا اعترافهم باستحقاقه لها، فرحب بهم الإمام وعينهم ولاية على الأقاليم، يقول ابن دعثم: "توجه كل منهم عن أمر الإمام لتنفيذ الأوامر الإمامية والتأهل لوقت الحاجة، وإقامة الجمعة في هجرهم، والقيام بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجهيز الجيوش إلى ثغور الجهاد"<sup>(١٩٠)</sup>، وقد ظلت العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية حسنة فترة غير قصيرة<sup>(١٩١)</sup>، إلا أن المطرفية أخفقوا في تنفيذ المهام التي أوكلهم بها الإمام لأنهم لم يتعدوا على العمل بالسياسة، وجباية الأموال وأعداد الجيوش، وانصرفوا إلى ما اعتادوا عليه من عقد المجالس العلمية<sup>(١٩٢)</sup>، مثل المجلس العام الذي يعقد في وقش مرة كل عام للدراسة والمناظرة<sup>(١٩٣)</sup>.

بدأ الخلاف بين الإمام والمطرفية عندما قام الإمام بعزلهم عن الولاية، ومنع عنهم أموال الزكاة، لما رآه منهم من ضعف وتواني في القيام بالمهام التي أوكلها إليهم<sup>(١٩٤)</sup>، فضاضت عليهم الأحوال. وتشاوروا، واتفقوا على إقامة الأمير المنتصر بالله محمد بن مفضل<sup>(١٩٥)</sup>، محتسباً ليدافع عنهم ويأبىء على ذلك<sup>(١٩٦)</sup>.



استمرت العلاقة حسنة والصلة مستمرة بين الطرفين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية، فعند انتصار الإمام على الأيوبيين، أرسل الفقيه يحيى بن الحسين البحيري زعيم المطرفية في وقش في عصره رسالة تهنته للإمام بهذا الانتصار على الأيوبيين في صنعاء<sup>(١٧)</sup>، إلا أن عودة الأيوبيين إلى صنعاء سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، وعقد الإمام الصلح معهم جعلت الخلافات بين الإمام والمطرفية تعود من جديد، لرؤية الأخيرين بضرورة مقاتلة الأيوبيين، وعدم عقد الصلح معهم، فأرسل المطرفية مختلاً عنهم إلى الإمام ليحثوه على قتال الأيوبيين، لكنه تمسك بالصلح الذي عقده، واستمر في تقدمه إلى صعدة<sup>(١٨)</sup>، كما عارض المطرفية الإمام في تولية تهامة للمؤيد السليمانى من قبل الإمام، والتي رأت المطرفية في ذلك إغانة له على حيا - رسوم لجور التي جرى عليها الأمراء من بني سليمان، ووصلت المعارضة من المطرفية للإمام إلى حد قال ممثلهم للإمام: "إن جددت له الولاية بغير دليل ولا حجة، فإن متأخر عن هذا الأمر"<sup>(١٩)</sup>، يقصد أي عدم اعترافه بإمامته، إلا أن الإمام لم يبال بذلك بقوله: "أنا لا أوالي من تأخر عني، مهما كُنتُ على بصيرة من أمري"<sup>(٢٠)</sup>.

ظل الأمير المنتصر مدافع عن المطرفية وراعى الإمام بشأنهم، وكان الإمام يسمح منه لمكانته عنده، ولم تغوتر العلاقة بين الطرفين حتى وفاة الأمير المنتصر في صفر سنة ستمائة هجرية<sup>(٢١)</sup>، ويتبين ذلك من خلال ما بعده الإمام من حزن عليه في قصيدة رثاء، وأوفد أخاه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة مع جماعة من أنصاره إلى وقش للتنحية<sup>(٢٢)</sup>.

لم تلبث العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية أن سادها التوتر من خلال الجهود التي بذلها بعض من أنصار الإمام لإفساد هذه العلاقة، يقول صاحب تاريخ بني الوزير: "ثم أن شيعة الإمام أكثروا في المطرفية إلى الإمام، ورووا عنهم أموراً جمة في المعتقدات على صفة شنيعة صريحة، وكثرت النقل إلى الإمام في ذلك"<sup>(٢٣)</sup>، يضاف لذلك أن الأميرين يحيى بن منصور ومحمد بن منصور ابني أخي الأمير المنتصر، واللذين كانا متوليين الدفاع عن المطرفية، بعد وفاة الأمير المنتصر، لم يكن لهما من المودة والألفة مع الإمام مثل التي كانت لعهما، فتعبير الإمام تجاه المطرفية ولم يعد يقبل وساطة الأميرين، ودفاعهما عن أمور المطرفية والمحااجة عنها<sup>(٢٤)</sup>.

لقد كانت معارضة المطرفية للإمام تشعله لأنها تتميز عن أي معارضة أخرى كونه صادرة من داخل الزيدية التي هو صاحبها، خاصة إذ كانت المعارضة في مسألة الإمامة ذاتها، فقد اشترطت لمطرفية أن يكون الإمام في العاية من العلم، وهو مستوى من المعرفة بكاد يكون من المستحيل

تحديده، وهذا في حد ذاته مشروع معارضة مستمرة لأي إمام، فالعلم في نظر كل جماعة ما تعتقده صحيحاً، وليس من السهل إقناع أي مدَّعٍ للإمامة بأنه أقلُّ علماً من غيره، وكل من يتمتع بقدر من المعرفة يرى نفسه أقدر من غيره على فهم أمور الدنيا والدين<sup>١١٠٩</sup>.

يقول العنسي: "ومن الظاهر المشهور أنهم لا يقولون بإمامة أحد بعد الهادي سوى المرتضى ولا يقولون بإمامة الناصر الأطروش، ولا بإمامة الناصر بن الهادي ولا من بعده من الأئمة، ويبطلون القتال معهم، منذ ظهر مذهبهم، ولم يقم إمام إلا وهم أعداؤه، وهو عدوهم.. ولا يرون تقديمهم في الرئاسة، بل يوجبون تقديم شيوخهم"<sup>١١١٠</sup>.

زاد من حدة الخلاف بين المطرفية والإمام ما نقله رجل من المطرفية يسمى عمار بن ناصر الشهابي، حضر اجتماع المدرسة المنتصورية في ذي مرمر، فتم فيها الحديث عن المطرفية، وتم التعريض بمذهبهم، فقام هذا الرجل بنقل ذلك لأهل مذهبه من المطرفية في وقش، وبث شكواه إليهم، فجرت مكاتبة بين الفقيه المطرفي **علي بن يحيى** البحيري والإمام، فيها مديح وعتاب، ودعوة للمناظرة والمناقشة<sup>١١١١</sup>، وقد أبدى الإمام استعداده لذلك، وطلب منهم القدوم بجماعة من أهل العقل والعلم لإجراء ذلك<sup>١١١٢</sup>. وكان مما قاله الإمام في جوابه على شيخ المطرفية البحيري: "فإن رأيت أن تأتي بجماعة من أهل العلم والعقل والإنصاف.. فإن كانوا على بصيرة في تأخرهم ازدادوا يقيناً، وإن كانوا على غير بصيرة فأهل التدنٍ أولى من رجوع إلى الصواب، لأن غرضهم طلب النجاة.. فلا بأس في ذلك بل هو عين الصواب"<sup>١١١٣</sup>.

تردد المطرفية في بادئ الأمر في القدوم لمناظرة الإمام خوفاً من أن يظهروا أنهم يخافون على أنفسهم، وأن ذلك هو العائق لهم عن الوصول إلى الإمام لمناظرتهم<sup>١١١٤</sup>. ثم أظهروا العزم على القدوم جميعاً إلى الإمام لإجراء تلك المناظرة، وحددوا اللقاء إلى ذي مرمر، أو إلى ثلا، ولكن الإمام اشترط إن أرادوا ذلك أن يكون وصولهم إلى صعدة<sup>١١١٥</sup>، وهكذا أخذ الفريقان يتخاذلان ويتباطأن عن المناظرة، واتهم كل منهما الآخر بالتهرب والخوف<sup>١١١٦</sup>.

لما كثر التباغض والمراسلات بالسب والشتم، وتبارى شعراء الفريقين في هجاء وتفنيده معتقدات كل فريق وسب مذهبه<sup>١١١٧</sup>، زاد الموقف تأزماً وإشعالاً لنار الفرقة بين الطرفين<sup>١١١٨</sup>. مما دفع الإمام لنحكم بكفرهم، وجعل كفرهم قسمين: إلحاد في ذات الله والحد في فعله، فإلحادهم في ذاته أنهم

أثبتوا لله صفات قديمة، فجعلوه أكثر من واحد، وجعلوا وحدانيته خسة، وأما إلحادهم في فعله فلأنهم نفوا عنه أعماله مثل الأمراض والمصائب، والبلايا والمضار، وأضافوا إليه أفعال البرية، فقالوا: بأنه تعالى لم يقصد فعل شيء بعد الأصول وهي عندهم الماء والهواء والريح والنار، وقالوا: بأن تحصل هذه الحوادث بإحالات الأجسام واستحالتها، يأخذ عليهم عجزهم عن تحديد هذه الإحالات وتصريفها<sup>(١١٤)</sup>، بينما يذهب عبد الله بن زيد العنسي إلى أن كفر المطرفية على أربعة أوجه: كفرهم في الله، وكفرهم في أفعاله، وكفرهم في رسله، وكفرهم في الوعد والوعيد<sup>(١١٥)</sup>.

### سادساً: أهم معتقدات المطرفية:

وعن معتقدات المطرفية وجه أئمة الزيدية المخترعة التهم العدة للمطرفية، وأنهموها بالخروج عن الدين، فالإمام أحمد بن سليمان وجه لهم أكثر من نيف وأربعين تهمة، قال بأن المطرفية جمعتها من شتى فرق الصلال، حيث ذكر أنها أخذت عشر خصال من الطبيعية الملهدة، وأربع خصال من المجوس والشوية، وسبع خصال من اليهود، وحصلتين من النصارى، وخمس خصال من عبدة الأوثان، وأربع من الباطنية، وخصلتين من لمشبهة، وثمان من القدرية، وثلاث من الخوارج<sup>(١١٦)</sup>، لذلك أخذوا من كل مذهب أخيه، فحرقوا من جلة المسلمين، وفارقوا أهل الملة<sup>(١١٧)</sup>.

وللتحقق من هذه التهم لابد من عرضها على الفكر المطرفي، الذي لم يبق منه سوى كتاب واحد، وهو "البرهان الرائق المخلص من ورط المضايق"، الذي يذكر أن "للعالم أصولاً أربعة هي الماء والهواء والرياح والنار، وهي أصل ما خلق الله... والعالم على كماله محدث مخلوق، والله تعالى خالقه، سواء خلق ما خلق من ذلك جملةً وتدرجاً، فالذي حصل على معنى التدرج كالحیوان من الماء المهيئ، والأشجار من الماء، والطين والمطر من السحاب، وكثير منه يزيد بعد النقصان كالإنسان وغير الإنسان من جماد وحيوان، فتبين أن من الأشياء فرعاً ومنها أصلاً<sup>(١١٨)</sup>".

وقالوا بأن الله تعالى خلق العالم يحيل ويستحيل<sup>(١١٩)</sup>، ومعنى ذلك يؤثر وينفع إذا استعمله الإنسان على ما علم الله سبحانه، ومضراً إذا خالف تعاليم الله، كل ذلك جبراً، لا اختياراً، فما حصل منه من تأثير في الوجهين حبساً هو من فعل الله، لا فعل له غيره، ولا موجد له سواء<sup>(١٢٠)</sup>، ومعنى قولنا يستحيل هو يتغير.. وذلك كما يقول القائل النار تحرق والماء يروي، والطعام يشبع،.. والدواء ينفع، والسقم يفتى، كل ذلك يخبر الله تعالى له، وكذلك يستحيل أيضاً جبراً من الله سبحانه

لا اختياراً<sup>(١٢٢)</sup>، لهذا يتهمم خصومهم بأنهم نقوا جميع الحوادث عن الله تعالى وأضافوها إلى الإحالة والاستحالة<sup>(١٢٣)</sup>.

كما يعتقد المظرفية بأن الأعراض تسمع سماع العلم ولا تسمع سماع الحس، لأن الخواص لا تقع على الأجسام سواء كان الشيء مسموعاً أم ملموساً أم مشعوماً<sup>(١٢٤)</sup>، لذلك فنزول القرآن يكون بمعنى نزل ووصل لا بمعنى انحدر وانفصل، فسماعه بهذا المعنى يعنى العلم وليس النزول والانتقال<sup>(١٢٥)</sup>، ولهذا تم توجيه الاتهام إلى المظرفية بأنهم يقولون بأن الله تعالى لم ينزل على البشر كتاباً من السماء، وأن كتب الله صفة ضرورية لقلب الملك الأعلى لا تغارقه، فيجحدون كتب الله وآياته<sup>(١٢٦)</sup>، وهو ما يذكره صاحب البرهان الرائق بقوله: "فإن قلتم في قلب الملك فكيف تقولون بنزوله.. جواب: قلنا أن الله سبحانه خلقه في قلب الملك الأعلى"، ويستدل بحديث: بأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل كيف تأخذ هذا الوحي، قال: من ملك فوقي، قال: كيف يأخذه ذلك الملك، قال: يلقيه الله في قلبه...<sup>(١٢٧)</sup>

ويعتقد المظرفية أن جميع أفعال العباد كلها حسنة وقبيحة فعلهم، لا فعل الله سبحانه، لم يشاركه فيها مشارك، ولم يخلقهم فيهم ولا جبرهم عليها، وإنما أقدرهم على فعلها، ومكنهم من إحداثها، وعزلهم خيرها وشرها<sup>(١٢٨)</sup>، وأن أفعال العباد لو كانت خلقاً لله تعالى لما جاز أن يأمر ببعضها وينهى عن بعض، لأن أمر الإنسان بما لا يقدر عليه ونهيه عما يعجز عن الامتناع عنه قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح<sup>(١٢٩)</sup>، يقول المحلي: "من قال أنه تعالى خلق لأفعال العباد ولم يفرق بين الحسن منها والقبيح، ومن قال أنه غير خالق لها لم يفرق أيضاً بين الحسن والقبيح منها، وأيضاً فإنه لو كان خالقاً لما هو حسن من فعل العبد، لبطل الأمر كما يبطل النهي، أو كان خالقاً لما هو قبيح من فعله لبطل الثواب كما يبطل العقاب، وبطل المدح كما يبطل الذم"<sup>(١٣٠)</sup>.

وتقول المظرفية أن الله سبحانه لا يكلف أحداً من خلقه ما ليس في وسعه لأن تكليف ما لا يطيق قبيح، وهو تعالى لا يقبل القبيح<sup>(١٣١)</sup>، وأنه تعالى لا يعذب من لا ذنب له ولا يريد الظلم ولا يرضى الكفر ولا يحب الفساد، لأنه تعالى لا يفعل شيئاً من القبايح<sup>(١٣٢)</sup>، وإنما على ذلك فلن ينال ما عند الله إلا بطاعته، أو بالتفضل، ولا يتفاضل أهل التكليف عند الله سبحانه إلا على حسب تفاضلهم في الأعمال<sup>(١٣٣)</sup>، لا في الأعراض، ويقولون بأمر كل ما استحقه العبد المؤمن من ثواب أو عقاب لا يكون إلا بالعمل وبالتالي ينفي ذلك الأعراض عما يصيب المؤمن من أمراض

وأقَات<sup>(١٢٤)</sup>، فالعوض عندهم ثلاثة أوجه: "إما أن يكون مساوياً للثواب أو ناقصاً عنه، أو زائداً عليه، فإن زاد عليه فهو أفضل منه، والقليل أفضل من العامل الصحيح، وذلك مخالف لقوله تعالى "وقضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً"<sup>(١٢٥)</sup>... وإن كان مثله فقد كان ينال ذلك بعمله، فأين ما في مقابل الأثم. وإن كان العوض دون الثواب فما وجه الحكمة في إيصال النزول إلى العبد مع أنه كان يصل بعمله إلى أفضل من عوضه..."<sup>(١٢٦)</sup>، وقد وجه خصوم المطرفية الاتهام إليهم بتفهم للعوض على ما أصاب المؤمنين بأن ذلك إضافة الظلم إلى الله، تعالى الله عنه علواً كبيراً<sup>(١٢٧)</sup>.

وقال المطرفية بأن الله ساوى بين الخلق بسنة أمور هي: الخلق والرزق، والموت، والحياة، والتعبد، والمجازاة، وخالف بينهم في ثلاثة هي: الصور، والألوان، واللغات<sup>(١٢٨)</sup>.

والأرزاق عند المطرفية على ثلاثة أوجه: الأول: المساواة في الرزق بين جميع العباد، فيفقر بعضاً ويغني آخرين بدون سبب، قال تعالى: "الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم"<sup>(١٢٩)</sup>.. والضرب الثاني: التفضيل في الأرزاق قال تعالى: "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق"<sup>(١٣٠)</sup>.. والضرب الثالث: وهو أن الله يقلل الرزق بالمعصية ويكثره بالطاعة، قال تعالى: "إن شكرتم لأزيدنكم ولأن كفرتم إن عذابي لشديد" فأخبر أنه يزيد في الرزق بالشكر، ويعذب على الكفر بسلب الرزق وغيره<sup>(١٣١)</sup>.

كما ذهب المطرفية بأن الأرزاق لا تتم إلا بالاكتساب "ولو لم يكسبه لم يكن معهم، فمن يَمَكِّنْهُ الكسب وَتَرَكْهُ كان فقره من نفسه لا من ربه"<sup>(١٣٢)</sup>، وقد تقل الأرزاق بأسباب من العباد كترك العناية بزمائهم وأراضيهم... وقد تقل الأرزاق بتدخل من المخلوقين، نحو أن يُهَبَّ له مالاً فَيُغْنَى به، أو يَأْخُذْ له الظالم مالاً فيفتقر<sup>(١٣٣)</sup>.

واعتبر المطرفية المال الحرام ليس رزقاً<sup>(١٣٤)</sup>، وقد نسب إليهم خصومهم القول بأن الأرزاق ليست من الله، ولكنها تحصل بالاكتساب والضرب في الأرض، والتحايل وسائر الأسباب، ونفوها عن الله، وبأنه سبحانه لا يرزق العصاة<sup>(١٣٥)</sup>.

أما في الموت فذهبوا إلى أن الأعمار تختلف باختلاف البنية والأوطان والأزمان. "فمن صحت بنيته، واعتدلت مادته وطابت محلته، وبريت من معاصيه ساحته، حتى طالت مدته، واستوفى

عمره، ما لم يظلمه غيره بقتل يقطع به أجله<sup>(١٤٦)</sup>، والأجل هو الوقت الذي عَلِمَهُ الله أن الإنسان يموت فيه، أما أنواع الآجال فثلاثة: الأول: أجل ضربه الله سبحانه لعباده إذا سَلَكُوا الهواري، قال تعالى: "وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا"<sup>(١٤٧)</sup>، والأجل الثاني: أجل النعمة قال تعالى: "إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يَأْخُرُ"<sup>(١٤٨)</sup>، والأجل الثالث: أجل محتوم وهو الذي يقطع نَسَب من العبد إما عمداً أو خطأ<sup>(١٤٩)</sup>.

أما عن موت الأطفال فبقول المحلي: "وأما الأطفال فإن الله خلقهم للعبادة، فإذا ماتوا قبل البلوغ قلنا أنهم ماتوا في ذلك الوقت لجناية الغير عليهم، وهو تعالى تُمَيِّتُهُمْ وفاعل موتهم، ومن أنكر أن يكون الموت فعلاً لله سبحانه أنكر خلق السماوات والأرض وذلك الغير الجاني عليهم يسمى لهم مُمَيِّتاً حقيقة بالجناية الواقعة منه"<sup>(١٥٠)</sup>.

وقد نُسب للمطرية القول بأن الأعمار والآجال والموت والحياة، تقع بحسب الطبائع والمواد، وأن موت الطفل ليس من رب العباد، كما نسبوا إليهم أن الإنسان يقدر على تأخير عمره إلى مائة وعشرين سنة، بإصلاح معيشتة وغذائه، ومعرفة دائه من دوائه<sup>(١٥١)</sup>، وتُتهم المطرية بأنها كفرت بأربعمئة وثلاث وسبعين آية صريحة لا تحتمل التأويل، ولا خلاف من الأمة بكفر من ردَّ آية واحدة، فكيف من ردَّ كل هذه الآيات<sup>(١٥٢)</sup>.

سابعاً: القضاء على المطرية نهائياً من قبل الإمام عبد الله بن حمزة:

استقر رأي الإمام عبد الله بن حمزة على ضرورة مواجهة المطرية لما أصبحوا يشكلونه من تهديد خطير له، وقد تناما شعور الإمام عبد الله بن حمزة بالخطر من جانب المطرية لما يروونه من عدم اشتراط العلوية في الإمامة، ونفي شرط العلوية يعني عدم شرعية الإمام عبد الله بن حمزة على حساب مقتضى القواعد الزيدية، خاصة إذا علمنا أن الإمام عبد الله بن حمزة شخصية طموحة، فقد كان يفكر بأن تصل دولته إلى الحجاز والشام<sup>(١٥٣)</sup>، حيث يذكر يحيى بن الحسين بأنه فرض المكوس على أمراء الحجاز وكانوا يدفعونها على مضض<sup>(١٥٤)</sup>.

فحزم على التحول من سياسة المهادنة والمناظرة إلى سياسة استخدام القوة، وقد ساعدته الظروف في ذلك، إذ استغل عقد الهدنة بينه وبين الأيوبيين في أواخر سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م<sup>(١٥٥)</sup>، للقضاء على خصومه من المطرية، فقد قام الإمام بقتل رجل لشهادة الشهود بأنه مطرفي بعد أن رفض التعبير عن المطرية<sup>(١٥٦)</sup>، فلما بلغ ذلك المطرية اشتد حزمهم

عليه، وعظم عندهم الخطب فيه، وأيقنوا بالهلاك، فأنشئوا الأشعار، ونشأ الكتب في الأقطار، وبعثوا الرسل إلى الآفاق بالرسائل<sup>(١١٧٧)</sup>، ويظهر من خلال بعض الإشارات في السيرة المنصورية أن الإمام كان قد أصدر حكمه في المطرفية خلال هذه الفترة باعتبار دارهم دار حرب، فتحكم الإمام على المطرفية بأحكام أهل الحرب، وأن مكانهم التي سموها هجراً حكمها حكم دار الحرب، فتحرم مناعتهم وموارثتهم، وأكل ذبائحهم، وقبرهم في مقابر الإسلام والمسلمين، إلى غير ذلك من أحكام المشركين<sup>(١١٧٨)</sup>، فالمطرفية في نظرهم أكثر من النصارى واليهود بما لا يرتاب فيه منصف<sup>(١١٧٩)</sup>، بل أجازوا قتلهم غيلة، وغزوهم ليلاً ونهاراً، وتحريقهم<sup>(١١٨٠)</sup>.

وقد سعى الإمام عبد الله بن حمزة إلى التنكيل بمذهب المطرفية واعتبار أتباعه كفرة ضالين ويجب عليهم التبرؤ من مذهبهم إن هم أرادوا العيش بأمان في مناطقهم، حيث يذكر ابن دعشم أنه قُتل الرجل المطرفي كان قد تم القبض على مجموعة من المطرفية، تبرؤوا من مذهبهم، وبايعوا الإمام. وأعطوه العهد على الخروج من مذهب المطرفية عندها "كتب (الإمام) لهم كتاباً فيه أسماؤهم، وصفاتهم، وشيائهم، مخافة أن يُطْلَبُوا بصعدة، أو غيرها فيجري عليهم حكم المطرفية"<sup>(١١٨١)</sup>.

عندما تكررت حوادث قتل الإمام للمطرفية اجتمعوا للتشاور لاتخاذ القرار الذي سيشكل حتمية الصراع بين الفرقتين دون تراجع، ذلك القرار الذي تمثل في إسقاطهم لإمامة عبد الله بن حمزة، وتعيينهم إماماً خاصاً بهم، فاخترأوا الشريف يحيى بن منصور بن مفضل، في اجتماعهم في ذي مرمر، وأعلن السلطان بشر بن حاتم تأييده لهم<sup>(١١٨٢)</sup>، وأعلنوا قدومهم لمناظرة الإمام في ثلا في الموعد الذي حدده، وإن لم يحضر سقطت إمامته، غير أن الإمام اعتذر عن الحضور<sup>(١١٨٣)</sup>، فحاول المطرفية أن يستغلوا ذلك لخصومتهم، فـ"أشعروا الناس أنهم جاؤا لمناظرة الإمام وأنه وعدمه لذلك إلى ثلا ليوم عَيْتُو، وأنه إن لم يلقهم لذلك اليوم سقطت الإمامة، واعترف لهم بأنهم على الحق... وأشعروا الناس خلافتها عليه.. وحضوهم على جمع أهل البلاد والحديث في الأسواق"<sup>(١١٨٤)</sup>.

دفع ذلك الإمام إلى كتابة رسالة عامة لكافة الناس بصرح فيها بكفر المطرفية، وردتهم، ويقرر حكمه فيها إن أظفره الله عليهم "فإن ظهرنا عليهم بنصر الله قتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، وبنا النساء والعيال، كما يفعل بالمشركين، ولم يكن عندنا لكل حالم إلا السيف"<sup>(١١٨٥)</sup>.

فعلت هذه الرسالة بالمطرفية فعلها بين القبائل وفي المجتمع، إذ تأثر وضعهم، ونظر الناس

إليهم كفرة مرتدة، فصار الرجل إذا سب صاحبه قال: يامطرفي، وصار الواحد من المطرفية إذا أراد دخول بعض الأسواق لا يدخلها إلا متكتماً أو في ذمة أو جوار<sup>(١٧٦)</sup>.

ويعود أول خبر عن ابتداء قتل الإمام للمطرفية إلى سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، عندما أمر أخاه عماد الدين يحيى بن حمزة بمضايقة أهل هجرة قاعة، وقتل من أمكنه منهم، فقطع الأمير موادهم، وأخافهم في طرقاتهم<sup>(١٧٧)</sup>، فلما ضاقت أحوالهم بقاعة بعثوا صريحاً إلى وقش فأتى إلى مسجدهم وهم على اجتماعهم، فكسر عصاه، وفرق جرابه، وقال: أدركوا إخوانكم وإلا فهم هالكون، وحكى لهم ما انتهى إليه أمرهم، وأن الأمير فرض عليهم الزنار علامة لهم، فلما بلغهم ما حل بأصحابهم من الحزي والتكال تكاثبوا، وأجمعوا رأيهم على الغارة إلى أصحابهم<sup>(١٧٨)</sup>.

تقدم الإمام في ثلاث خلت من جمادى الآخرة سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، إلى قرية مُدَع من مصانع حيدر قحط بجانب البلد من شرقه، وجمع الناس وأبان لهم أمور المطرفية واتضح ردتهم وكفرهم، فعظم ذلك على الناس لما كانوا يُجِلُّون المطرفية ومعتقداتهم<sup>(١٧٩)</sup>، وقد حاجج جماعة من الناس من أهل البلد عن المطرفية وسألوا الإمام عن السب الذي استحققت به المطرفية اسم الردة؟ فألزمهم إحضار علماء أهل هجرة قاعة إن أرادوا ذلك، وإن لم يفتبروا من مذهب المطرفية، وأمهلمهم حتى صباح اليوم التالي، فلما حضروا دانوا للإمام وسلموا له، ثم أرسل الإمام رجل من قبله إلى قاعة يعرض على أهلها من المطرفية العودة عن مذهبهم، وأمهلمهم ثلاثة أيام، ف عقدوا مناظرة في مسجد قاعة، أقر المطرفية خلالها للإمام بكل مسائل الخلاف، ما عدا مسألة واحدة وهي قولهم بأن فعل العبد لا يعدوه، ولا يوجد في غيره لظنهم أنهم لا يكفرون بالالتزام بهذه المسألة<sup>(١٨٠)</sup>.

دخل الإمام هجرة قاعة وعرض على أهلها البراءة من مذهب المطرفية ولعن كبارها، والدخول في الإسلام باللفظ، وقبضت دور وأملاك الذين أُجِّلُوا عنها لبيت المسلمين، واعتبر مسجد قاعة مسجد ضرار، ثم قبضه ووجه الإمام للفقهاء بها الدين علي بن أحمد الأكرع، وأقيمت المدرسة المنصورية بها لتدريس علوم المخترعة، وكلف للتدريس بها من قبل الإمام الفقيه أحمد بن محمد المحلي<sup>(١٨١)</sup>.

لما قبض الإمام على هجرة قاعة وأخرج المطرفية عنها، أقبلت الهجرة التي حولها بالطاعة والمبايعة للإمام<sup>(١٨٢)</sup>، وقمت ملاحقة المطرفية في بيت عالمان<sup>(١٨٣)</sup>، وحسن بكر<sup>(١٨٤)</sup>، الذي كان فيه شيخ مطرفي أعمى كان يعمل على نشر أفكار المطرفية بقوة، وصدق وعزيمة، ومنتقل من هجرة إلى



أخرى، فطلبه أنصار الإمام، مما دفع البعض للتقدم إلى الإمام يطلبون منه الأمان لهذا الشيخ، فرفض الأمام وطلب الشيخ المطرفي وقبض عليه، وأمر بضرب عنقه<sup>(١٧٦)</sup>. فأقبلت المطرفية من هجرها من جهة المغرب أفراداً وأزواجاً، ودخلوا في طاعة الإمام، واعتنقوا مذهب الاختراع<sup>(١٧٧)</sup>.

ومن الغريب أن يتهاوى علماء المطرفية في المناظرات التي عقدها مع الإمام بتلك السرعة، وذلك أن تخليهم عن معتقدات مذهبهم وهم المشهور عنهم السعة والتبحر في العلوم أمر يشير الحيرة، ومن ثم فإننا أمام أحد احتمالين:

الأول: أن تكون هذه المناظرات قد تمت تحت تهديد السلاح.

والثاني: أن يكون أبو فراس بن دعشم قد بالغ في وصف انتصار الإمام عبد الله بن حمزة، وغلبته في هذه المناظرات<sup>(١٧٨)</sup>، وما يُرجَّح مبالغات ابن دعشم في انتصارات الإمام ما يذكره في السيرة من أن لانتقام الإلهي كان يحل بالمطرفية كلما حاولوا التعرض للإمام بالشتم والسب، فأحد المطرفية سب الإمام فهاجم عليه أحد الكلاب واستخرج لسانه من بين الأصراس وشذخها<sup>(١٧٩)</sup>، والمشرقي (محمد بن منصور بن مفضل) شتم الإمام، فزلت به رجله فعصفها وخز مغشياً عليه<sup>(١٨٠)</sup>، وأهل ذي مرمر بهجرة رومج بواذي السر، استقبلوا المطرفية واستصافوهم فاستدارت عليهم سحابة فأصابتهم ببرد دون سائر البلاد التي حولهم، لم تدع شيئاً من الزروع والأعشاب، فرحل المطرفية إلى موضع يسمى القدر، فحدث لأهل هذا الموضع ما حدث لسابقيه، ولما نزل المطرفية هجرة الظهراوين بشظب، وأطلقوا ألسنتهم بالسب والأذى رماهم الله تعالى في موقعهم ذلك ببرد، فاجتاح أعنانهم وزروعهم خاصة دون أهل شظب<sup>(١٨١)</sup>.

هدأت الأمور نسباً بين الإمام والمطرفية حتى سنة ٦١٠هـ/١٢١٢م، عندما خرج محمد بن منصور بن مفضل وكان يُدعى "المشرقي" لترده بين وقش وممتلكاته في خولان العالية (المشرق)، فجمع المطرفية في وقش وغيرها، وتوجه بهم إلى مسور، وأنكر على الإمام ما وقع من تكفيرهم<sup>(١٨٢)</sup>، ولعل سلطان مسور كان قد وعدهم النصرة بالمقتلين، حيث يتوجه المشرقي ومن معه من المطرفية ومن ناصره من رجال القبائل لحصار قوات الإمام في حصني عزان والمنصعة<sup>(١٨٣)</sup>.

عمل الإمام على منع هذا التحالف والمتاصرة من القبائل للمشرقي أو المطرفية، فكفر المشرقي ومن تبعه، كما جعل موالاته كفر، ومن شك بكفر المطرفية فهو كافر أيضاً، يقول: "الشقي المشرقي رأسهم وسانهم وسيفهم ولسانهم .. المعلوم من حال الشقي أنه بنى أمره على الكذب .. وذلك أنه ادعى الإمامة، وهو غير مستحق لها، وذكر أنه وجد كنوز دقيانوس (دقلد يانوس) وهي

ودائع آل قنبر.. فطوقته العار طوق الحمامة، لما استوعب من الوديعة وإدعاء من الإمامة<sup>(١٨٣)</sup>، ثم يقول في تكفير من ناصر المشرقي: "...إن حكم من بايع المشرقي كافر شقي وتصويبه كفر، وكذلك جبه والحرب زايد على ذلك، لأنه يتضمن النصرة والولاية.. وحكم تابعه حكمه"<sup>(١٨٤)</sup>.

قرر الإمام أن يحسم أمر المطرفية بالقتال، فوجه أخاه يحيى بن حمزة إلى بني الفُليجي غربي مُدَع "فقتلهم وسباهم، وأرعب قلوب أهل تلك الجهة"<sup>(١٨٥)</sup>، كان أمر السبي للنساء في هذه المعركة هو الأول من نوعه عند زيدية اليمن منذ عهد الهادي، حيث سُنَّ سبي نساء المطرفية باعتبار دارهم دار حرب، وعلى أنهم كفار في نظر الإمام، وهناك العديد من النصوص الزيدية التي أباحت سبي النساء، وحرضت القبائل عليه منها: "...فلأجل ما قلناه جاز قتلهم، وسبي ذرارهم، وغنم أموالهم، لأن هذا حكم المرتدين إذا تغلبوا في دار.. وإنما يُنكر سبي الكفار من لا يعرف الأثار.. فكيف يرتاب ذو عرقان في حواز قتل المطرفية وسبي ذرارهم وتغنم أموالهم، وتنزيلهم منزلة الحربيين، مع عقائدهم الكفرية التي زادوا في كثير منها على اليهود والنصارى، وغيرهم من الضلال الحيارى"<sup>(١٨٦)</sup>، ويقول: "أنزل (الإمام) بهم أنواع السكال من الفتك والسبي وتغنم المال، وجعلهم بمنزلة الكفار الحربيين لأنهم كفروا وصارت لهم شوكة"<sup>(١٨٧)</sup>، كما انطبقت بقية أحكام دار الحرب والدار الكفرية على المطرفية، فمساحدهم ضريبة، وإذا باع المطرفي ما ورثه من قريبه المطرفي بعد إسلام البائع كان بيعه محتلاً إلا أن تكون لدار دار إسلام وينتقل المطرفي إلى دار الإسلام، فأما في دار الكفر فلا يصح بيع المسلم، وإن أسلم أحد أزواج المطرفية دون الآخر انفسخ النكاح<sup>(١٨٨)</sup>، وعن قوة النكال بالمطرفية قال حميد المحلي: "وقد اجتهد (الإمام عبد الله بن حمزة) في تدمير المطرفية وصب عليهم كل محنة وولية، حتى صاروا بين قتيل وطريد، وأجرى فيهم الأحكام من القتل وسبي الذرية في البلاد الحميرية وغيرها من النواحي المغربية"<sup>(١٨٩)</sup>.

كما أمر الإمام بهدم مسجد المطرفية في سناع، وهدم هجرة وقَّس دورها ومسجدها، وخرج أهلها إلى بلاد آنس وخولان، وذهبوا كل مذهب<sup>(١٩٠)</sup>.

كتب أحد المطرفية ويدعى ابن النساخ<sup>(١٩١)</sup> رسالة وجهها إلى الخليفة العباسي الناصر أحمد بن المستضيئ<sup>(١٩٢)</sup>، يحرص فيها على حرب الإمام<sup>(١٩٣)</sup>، لكن هذا الخليفة كان من الصغف، بحيث لا يمكنه فعل أي شيء في حالة افتراض أن هذه الرسالة قد وصلت<sup>(١٩٤)</sup>، إلا أن ما بلغت النظر استمرار الإنكار على السبي والقتل للمطرفية، واعتبار دارهم دار حرب، وهو الأمر الذي دفع الإمام إلى كتابة العديد من الرسائل للدفاع عن رأيه في المطرفية، منها: رسالة أسماها "أجوبة تتضمن ذكر

المطرفية"، وهي عبارة عن إجابات عن كثير من الانتقادات والتساؤلات، التي وصلت للإمام عبد الله بن حمزة بسبب قتله المطرفية، وسببه لأبنائهم، ومصادرة ممتلكاتهم<sup>(١٩٨)</sup>.

ثم ألف "الرسالة الهادية بالأدلة البادية في بيان أحكام أهل الردة"<sup>(١٩٩)</sup>، لإقناع المنكرين بسلامة قراراته، وأنه بنى حكمه فيهم على أدلة لا تقبل الشك، لكن موجة الإنكار تواصلت مما دفع الإمام إلى تأليف رسالة أخرى بعنوان: "الرسالة الموسومة بالدرة اليتيمة في تبين أحكام السبا والغنيمة"<sup>(٢٠٠)</sup>، حيث يقول في سبب تأليفها: "... فلما تكرّر السؤال من الأصحاب وحق كل محب أن يجاب، أنشأنا هذه الرسالة وسميها الدرة اليتيمة في تبين أحكام السبا والغنيمة..."<sup>(٢٠١)</sup>.

انحسر الفكر المطرفي وضعف أنصاره نتيجة لتلك الضربات الموجعة، وهو الأمر الذي دفع كثيرا منهم إلى الرجوع عن معتقداتهم، واعتناقهم مذهب الإمام، الذي ارتضاه لهم، وبوفاة الإمام عبد الله بن حمزة سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، انحسرت موجة الصراع التي ميزت فترة حكمه، وأفسحت المجال أمام المناقشة والمجادلة (التي تبناها بعض علماء المخترعة دون أن يكون ذلك بتكليف من السلطة الإمامية، ويبدو أن جهرد هؤلاء العلماء قد حققت نتائج إيجابية)<sup>(٢٠٢)</sup>، يقول أحد دعاة المخترعة -في منتصف القرن السابع- أنه قد صنف تصانيف كثيرة في أصول الدين، ثم قام بكتابة رسائل إلى المخالفين، فرجع كثير منهم، وجماعة وأقرب من رؤساء المطرفية، والمطرفية أكثر من رجع إلى الحق، وذلك لما كانوا عليه من الخوف لله<sup>(٢٠٣)</sup>، وهذا يعني أن مذهب المطرفية قد خرج من صراعه مع الإمام عبد الله بن حمزة في حالة من الضعف، فبدأ في الذبول، فلم يأت منتصف القرن الثامن الهجري إلا وكان المذهب المطرفي قد تلاشى تماما<sup>(٢٠٤)</sup>، وقد ذهب البعض بأن الفكر المطرفي استمر في بلاد اليمن نحو ثلاث مائة سنة<sup>(٢٠٥)</sup>.

## الهوامش

١- عيد الفتح فؤاد: الإمام الزيدي أحمد بن سليمان وآراءه الكلامية، دار الدعوة، الاسكندرية، ط١، ١٩٨٦م، ص١٤٨.

٢- يذهب الأستاذ الدكتور محمد الحريري إلى تقسيم تاريخ زيدية اليمن إلى ثلاثة مراحل: المرحلة الأولى تبدأ من عهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين حتى انهيار دولة الأئمة الزيدية في سنة ٤٤٤هـ، وخلال هذه المرحلة نجح الإمام الهادي في نقل المذهب الزيدي من مرحلة الفكر النظري إلى مرحلة التطبيق العملي، فازدهر المذهب الزيدي وتعددت المؤلفات فيه حيث كان على رأس المؤلفين في هذه الفترة الأئمة الزيدية أنفسهم وأبنائهم، والمرحلة الثانية: تبدأ بانتشاق مطرف بن شهاب عن الزيدية، ونشوء فرقة التي تنسب إليه فرقة المطرفية، ودخولها في صراع مع أئمة الزيدية، ومنهم الإمام أحمد بن سليمان، والقاضي جعفر بن عبد السلام، الذي جلب كتب المعتزلة من العراق، وناظر بها المطرفية، وبذلك تأثر زيدية اليمن في هذه المرحلة كثيرا بكتب المعتزلة، المرحلة الثالثة. تتميز بظهور جيل جديد من علماء الزيدية معارضين للتأثر الريدي بالتراث المعتزلي، وقاموا بحركة كبرى لأحب. للمذهب الزيدي في صورته التي كان عليها زمن قدامى الزيدية، وكانت بداية ذلك في مطلع القرن السادس الهجري، ومن أمثلة هؤلاء العلماء: حبيد بن حبيد، وعبد الله بن زيد العسلي. انظر: د. محمد عيسى الحريري، تطور المذهب الزيدي في اليمن قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرقي، صفحات (٤٤-٧٥)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد السادس والعشرون، المجلد السابع، ربيع ١٩٨٧م، ص٥٣-٥٨.

٣- سُئِنَتِ المخترعة بهذا الاسم لقولها باختراع الله الأعراض في الأجسام، انظر: (علي بن الحسن بن القاسم: ذوب الذهب في محاسن أهل الأدب، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم ١٠٥٦، تاريخ، ورقة ١٤٠، ابن جمال الدين بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى: تاريخ السادة العلماء الفضلاء الأئمة (بني الوزير) علماء الزيدية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم ٩٥٦، تاريخ، ج١، ورقة ١٣٤، ج٢، ورقة ٢٠١، أين فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٩١)، ويستمد دليل الاختراع فحواه من الآيات القرآنية المثيرة لدفان العقول، في الوقوف على معرفة مرجع هذا الكون، وهذه الآيات كثيرة منها: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" إلى قوله تعالى: "لَا يَأْتِيهِمْ لُجُومٌ يَعْقِلُونَ" (البقرة/ ١٦٤) وقوله تعالى: "وَأَيُّ لَهِمُ الْأَرْضِ لَيْتَةً أَهْبِطْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا قَمْنَةً يَأْكُلُونَ" (يس/ ١٦٤)، وكما يقول ابن رشد أن هذا الدليل من أدلة الشرع على الصانع، وبحره بقوله: "هذه الطريقة تبني على أصليين موجودين بالقوة في قطر الناس، أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات، وكما قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَيْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ" (الحج/ ٧٣)



١٠- رتبة. يفتح أوله، مدينة باليمن على مسيرة يوم من صنعاء، ذات عيون وكروم. (يحيى بن الحسين، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص ١٧٧، هامش ٢)، وهي على بعد ٧٠ كيلو مترا من صنعاء. (إسماعيل الأكوخ، البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، الجبل الجديد، صنعاء، ط٢، ١٩٨٨م، ص ١٣٥، هامش ١).

١١- هو مطرف بن شهاب بن عمرو بن عباد الشهابي، (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، تحقيق: عبد السلام عباس الوجه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص ١١٢٥، الأكوخ: هجر العلم، ج١، ص ١٦٥)، كان يعمل حراثاً، ثم كره العمل واتجه إلى طلب العلم، فترك بيت حصن غربي صنعاء، واستعان بما معه من أموال على الدراسة في صنعاء. وريدة على شيوخ عصره (يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٢، الأكوخ: هجر العلم، ج١، ص ١٦٥، ١٦٦)، لذلك ذهب البعض أن من أبرز مهام المطرفية نشر أفكارها في أوساط القبائل والمزارعين، فنشرت التعليم في أوساط شعبية لم تكن تاريخياً من الأسر والسوت التي تهتم بالتحصيل العلمي (علي محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، في القرن السادس الهجري، المركز الفرنسي، صنعاء، ط١، ١٩٩٧م، ص ٩، وكان مطرف منقطع النظر في المجادلة وإقحام الخصوم بالحجة والدليل من ذلك ساطرة لعلي بن محمد الصليحي، الذي حاول إخراجهم عن مذهبه، فابتدأ أصليحي ساطرة مطرف بقوله: **يا سي** -صلى الله عليه وسلم- قال: "ستختلف أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا واحدة" فقال مطرف: نعم قال صلى الله عليه وسلم، الحق ما اجتمعت عليه الأمة والباطل ما اجتمعت فيه، ولما اجتمع أمتي على ضلالة، وقد اجتمعت أنا وأنت على إمامي، -يعني علي- واختلفا عند إمامك، يعني إمامة المهدي العبيدي، فأعرض الصليحي عنه. (أحمد عارف، مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية في اليمنيين بين القرن لثالث والخامس الهجري، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص ١٧٨).

٢١- علي بن الحسين بن القاسم بن أحمد بن المنصور، دور الذهب في محاسن أهل الأدب، ورقة ١٤، ابن حمال الدين ابن الهادي بن المرتضى: تاريخ السادة العلماء الفضلاء الأئمة (ابن الورير) علم، الزيدية، ج١، ورقة ١٣٣، ج٢، ورقة ١٩٩، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٢، أحمد عارف، المرجع السابق، ص ١٧٨، د. محمد الحبري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، قطعة مترجمة من كتاب شفا، صدور الناس للشرقي، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، العدد ٢٦، لمجلد السابع، ١٩٨٧م، صفحات (٤٤-٧٥) ص ٥٥. Al-Qadi Isma'il Bin Ali al-Akwa', Nashwa'n. Ibn Sa'id al-Himyari' and the Spiritual, Religious and Political Conflicts of his Era. Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at- "The Staatliches Museum Fur Volkerkunde Munchen (25 April 1987 to 5 April 1988), published by Pinguin-verlag, Innsbruck Umschau-Verlag, Frankfurt/main, PP.212-231 P 215

١٣- عبد الله العنسي: التمييز بين الإسلام والمطرقية الطغام، مخطوط مصور لدى الباحث، عن صورة لدى محمد جعفر الباحث في جامعة أسسوط، ورقة ٦، لوحق.ب.

١٤- عبد الله زيد العسي: التمييز بين الإسلام والمطرقية الطغام، ورقة ٥٧، لوحق.ب، ٥٨، لوحق.أ.

١٥- علي بن الحسين بن القاسم: ذوب الذهب، ورقة ١٤٠، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٢.

١٦- عبد الله العنسي: التمييز بين الإسلام والمطرقية، ورقة ٥٨، لوحق.ب، عبد الغني عبد العاطي المرجع السابق، ص ١١، ١٢.

١٧- د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ١٢.

١٨- عبد الله بن حمزة: أجوبة تضمن ذكر المطرقية وأحكامها، ص ١٤٣، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن للدكتور

عبد الغني عبد العاطي، صفحات ١٤٢-١٧٤، عن المبررات، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢ م.

١٩- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ١٤.

٢٠- بيت حُثْبُص: قرية في لغز الجوسبي من صنف ١٠، (المحفي معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، طبعة ١٩٨٥ م، ص ١٦١)، وهي قرية عامرة من مخلاف بني شهاب الأعلى، وكانت قديماً من مخلاف المُعَلَّل من بني مطر وأعمال صعا، وهي في العرب الجوسبي صها، كانت من القرى المشهورة بالعلم والعلماء، وكانت من مراكز المطرقية. (الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج ١، ص ١٦٣، ١٦٤).

٢١- سِنَاع: قرية على بعد ٨ كيلو مترا من صعا، كانت مقراً للمطرقية. (المحفي: المرجع السابق، ص ٢١٤). وقيل تبعد عن صنف ١٠ كيلو مترا. (د. الحبري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٥).

٢٢- هِجْرَة: هي مفرد هِجْرَات، وهو موضع يسكنه العُبَاد وأهل العلم. (محمد رضا الدجيلي: الحبة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٥ م، ص ٦٠).

٢٣- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٠.

٤٢- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري، ص ١٧، ١٦.

٢٥- مسلم اللحجي. أخبار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى الدكتور / عبد الرحمن الشجاع، ج ٤، ورقة ٩٩.

٢٦- عبد الله الحبشي: المطرقية مذهب مجهول في اليمن، ص ٤٨.

٢٧- عبد الله بن زيد العنسي: التعبير بين الإسلام والمطرقية الطغام، ورقة ١، لوحة أ، ب.

٢٨- اللحجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٥٢.

٢٩- المصدر السابق، ج٤، ورقة ١٢.

٣٠- المصدر السابق، ج٤، ورقة ٥٢.

٣١- عَنَس: يفتح أوله وسكون ثانيه، وآخره سين مهملة، محلاف كان يُطلق على كثير من مخاليف دمار المعروفة اليوم، ولكنه اليوم يطلق على مخالف عَنَس السلامة، ويقع في مشرق دمار، على مسافة خمسة عشر كيلو متر أو أكثر، وينسب إليه العلماء بنو العنسي الساكنون في دمار وغيرها. (الأكرع: البلدان البمانية، ص ٢١٣، هامش ٣).

٣٢- اللحجي: أخبار الأئمة، ج٤، ورقة ١٢، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٩٢.

٣٣- المصدر السابق، ج٤، ورقة ١٣.

٣٤- حول ذلك أنظر: (عمارة البني) تاريخ سمر. تحقيق محمد ريسهم. دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٥١، عبد الرحمن بن الديبع قرة العيون في أخبار اليمن المبين، تحقيق: محمد علي الأكرع، المكتبة السنافية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ٢٦٧، عبد الرحمن الوصافي تاريخ وصاف النعمي الاعتبار في التواريخ والأثار، تحقيق عبد الله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م، ص ٤٠. يحيى بن الحسين: غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج ١، ص ٢٦٧، د. عصام الدين الفقي: اليمن في ظل الإسلام دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٢م، ص ١٧٠. أمين فؤاد سيد: المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م، ص ١٥١، عارف تامر: أروى ملكة اليمن، دار الأصوات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٧٣، السجلات المستنصرية، سجل رقم ٣٧، صفحات (١٢٦، ١٢٧)، وسجل رقم ٣٨، صفحات (١٢٨، ١٢٩) وسجل رقم ٢٢، صفحات (٨٠-٨٢).

٣٥- د. عبد الفتحي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ١٨، ورغم ذكر ذلك فإنه من غير الواضح أن سباً الصليحي قام بالهجوم على سناع، وإنما قام بتهديد المطرقية فيها، وما ذكره مسلم النحجي يؤكد ذلك، حيث يشير إلى أن المطرقية هم من قرر ترك سناع، فيقول: "لما قصد على الزيدية أمر سناع، وأجمعوا على الخروج عنها" (اللحجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٨٩)، ويقول: "لما اضطرت الزيدية إلى الخروج عن سناع" (اللحجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٧٧)، ولكن التساؤل من الذي أفسد عليهم مدينتهم؟ أو من أضرهم للخروج عنها والإجماع على تركها؟ خاصة أنه من المستبعد أن يكون من أفسدها من داخلها.



إذا علمنا أنها كانت هجرة للمطرقية وحدهم، ومن تبعهم، أو من قدم لمآطرتهم ثم يرحل عنهم بعد ذلك، إلا أن خروجهم عنها قد يكون لتأكدهم من هجوم محتمل من قبل سبأ الصليحي عليها، حيث كان قد عزم على ذلك بعد أن استطاع أحد المقربين إليه يدعى محمد بن حميد التأثير على سبأ وتغييره تجاه المطرقية. (اللعجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ١٤٢) وبالتالي فليس هناك ما يؤكد تقدم سبأ الصليحي إلى ستاع وتدميرها.

٣٦- اللعجي: أخبار الأئمة، ج٤، ورقة ٧٧، ٧٨، عبد الله الحبشي: المطرقية مذهب مجهول، ص ٤٨

٣٧- القبائل التي استشارها إبراهيم ابن الهيثم هي قبائل: بني شهاب، وحمير البدوية، وحضور، وسويد قضاة. وحدثان نهد (وليفرد مادلونج. أصول الهجرة اليمنية، ص ٢١، ٢٢).

٣٨- اللعجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٧٨.

٣٩- انظر: اللعجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٧٨.

٤٠- اللعجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٥٩.

٤١- انظر: د. سيد مصطفى سالم: وثائق مهمة دراسة وثائق تاريخية، طبعة دار لكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٢٠-٢٢١

٤٢- المصدر السابق، ج٤، ورقة ٧٨.

٤٣- المصدر السابق، ج٤، ورقة ٧٨، وقد ازدهرت هجرة وقش بالعلم والعلماء حتى بلغ مجموع من فيها من العلماء والفننين نحو خمسمائة عالماً وقاضياً. وكان أكثر اجتماعهم في خلة الحديث بمسجد وقش. (عبد الله الحبشي: المرجع السابق، ص ٤٩).

٤٤- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٢٣٧ لوحة أ.

٤٥- مثل هجرة الروعة بالطرف من حضور الأحبوب، وهجرة جنب، التي تعرف بمعين. (اللعجي: أخبار الأئمة، ج٤، ورقة ٩٨، ١٠٤)، ويظهر من الموضح التي انتشر فيها المطرقية أنها في معظمها كانت (هجرة) تقع في مناطق قريبة من صنعاء، وفي تهامة، وفي أرض بكيل على الجانب الشرقي للخط الممتد بين صنعاء وصعدة (د. الحريري: المرجع السابق، ص ٥٥).

٤٦- د. محمد الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٧.

٤٧- د. محمود إسماعيل: الفرق الإسلامية في طور الانحطاط، صفحات (١٤٨-١٥٨)، مجلة العصور الجديدة، القاهرة، السنة الأولى، العدد العاشر، يونيو ٢٠٠٠م، ص ١٥٣.

٤٨- إبراهيم بن القاسم بن المؤيد بالله: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص ١١٢٥، الأكرع: هبّير العلم ومعاقله، ج١، ص ١٦٦، عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ١٣، ١٤.

٤٩- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ١٤، غير أن يحيى بن الحسين يذكر: "إن كانت الأصول التي أحدثها المطرفية من أقوال الهادي بعده فيما يستدلون به على الإمامة والاستحالة، فإن أقوال الهادي مجملة لا تصرّح فيها بما يذهب إليه القوم، وإنّا أحدث هذا الرأي مطرف بن شهاب بفكره ونظريته، وتوهم أنه يوافق أصول الهادي وهي موافقة بعيدة" انظر: (يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ١٠٨).

٥٠- يحيى بن الحسين: المصدر السابق، ورقة ٨٤، الأكرع: هبّير العلم، ج١، ص ١٦٦.

٥١- مسلم اللحجي: أخبار الأئمة، ج٤، ورقة ٣، ٤، وهو ما يؤكده صاحب البرهان الرائق من أنه سبكتب مصنفه هذا، وينتزع ما يستخصه من كُتُب العلماء مما يوافق مذهب الهادي يحيى بن الحسين، (سليمان بن محمد بن أحمد المحلي: البرهان الرائق المحتلص من روط المضائق، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع، ورقة ٢)، ويستشهد بكلام المرتضى بن الهادي ووالده الإمام الهادي، وخاصة كتاب المسترشد للهادي (المحلي الحدائق الوردية، ورقة ٧٨، لرحق ب).

٥٢- علي بن شهر: هو رأس فرقة المخترعة من الزيدية، وكان إماماً واسع المعرفة في علوم الزيدية، وكان مقبلاً في "بيت أكلب" من نواحي جبال عيال يريد، شمال صنعاء (ابن المرتضى: تاريخ السادة (بنو الوزير)، ج٢، ورقة ١٩٩، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٧٤).

٥٣- المجبوري: روضة الأخبار، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (٤٣٦) تاريخ من شمالي، ج٤، ورقة ١٠٤، لوحة ب.

٥٤- سبق القول بأن فرقة المخترعة سميت بهذا الاسم لقبولها باختراع الأعراض في الأجسام، إلا أن المطرفية ترى في الاختراع أن الأعراض متفرعة من الأجسام وينسبون هذا القول للإمام الهادي. فإذا كانت الأعراض فرعاً للجسم فالقول باختراعها باطل، لأن القائل باختراع الأعراض في الجسم يلزمه أن يُخَوِّرَ تعري الجسم منه لا سيما إن أنكر أن له علة. (سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٧٨، لوحة أ، ب).

٥٥- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الناطقة بضلال المطرفية الزنادقة، ص ٢٨٨، رسالة ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، للدكتور: عبد الغني عبد العاطي، صفحات (٢٧٤-٢٨٩).

٥٦- المصدر السابق، ص ٢٨٨، كما دخل الزيدية في جدال ومناظرة مع العديد من علماء المخترعة، مثل محمد بن حميد الريدي، والعلامة سبيد بن بريه، (عبد الله بن حميد الدين: الزيدية قراءة في المشروع وبحث في المكونات، مركز التراث، صنعاء، ط١، ١٤٠٠، ص ١١١).

٥٧- كما قام المطرانية بعقد مناظرات مع الإباضية فقد حدث أن رجل رزام بن أحمد من علماء المطرانية إلى شطب قاعدة الأباضية فصلى بأصحابه في جماعة متعصلة عن جماعة الأباضية، ولما استنكر عليه أحد علمائهم ذلك قال لهم: رزام إنما صَدُّنَا عَنْكُمْ مَا نَرَى مِنْ تَبَرُّجٍ سَنَّاكُمْ وَإِبَاحَتِكُمْ دُخُولَهُنَّ الْأَسْوَاقِ وَمَزَاحِمَةِ الرِّجَالِ، ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَهُمْ مَظَاظِرَةٌ فَلَمْ يَسْتَطْبِعُوا إِجَابَتَهُ. (عبد الله الحبيشي: المطرانية مذهب مجهول، ص ٥٠).

٥٨- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ١٠٦.

٥٩- ابن أبي الرجال: مطلع البدر، ج ٣، ص ٨٤، ٨٥، ٨٦، يحيى بن الحسين: المصدر السابق، ورقة ١٠٠، ١٠١.

٦٠- من أشعاره ضد المطرانية: يَا قَوْمِ إِنَّا مِنْكُمْ نَبْرَاءُ هُم وَالْيَهُودُ عَتِدْنَا سِوَاءَ وَلِيٍّ قَصِيدَةٌ أُخْرَى قَالَ: وَمَرْجَفٌ يَرْجَفُ فِي سَوَاقِ سُدْرٍ مَا بَيْنَ ذَيْبَانٍ وَمَا بَيْنَ عَدْرِ. (ابن أبي الرجال: مطلع البدر، ج ٢، ورقة ٢٠٦).

٦١- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٩٩.

٦٢- د. الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٦.

٦٣- أنظر: عبد الله الحبيشي: المطرانية مذهب مجهول، ص ٥١.

٦٤- بيع للإمام أحمد بن سليمان بالإمامة في صفر سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م. (الثقفي: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، عين للدراسات، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ١٨، أحمد بن صلاح الشرفي: اللآلئ المضية في أخبار أئمة الزيدية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، بالقاهرة، رقم (١٩٤٠)، تاريخ، ج ٢، ورقة ١٥٨، لوحة ب، ترقيم من قبل الباحث، د. محمد الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٦). وإن كان البعض يذهب إلى أن خروجه كان في سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م. انظر: H A R. Gibb And J.H.Kramerst, Shorter Encyclopaedia of Islam., P 652

٦٥- يتضح ذلك من قول شيخ المطرانية عيسى بن محمد الكرندي عندما سُئِلَ عن الإمام أحمد بن سليمان والثناء عليه، فقال: "إبكم إذا ذكرتم مثل هذا بلغة فطمع فيما لا يحل له ولا لكم. فهلك وهلكتم، فلا يسميكم هذا الكلام". (الحبيشي: المطرانية مذهب مجهول، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٣٨).

٦٦- محمد بن عتيان هو وائد الشيعة في اليمن بقرش، يابغ مع خولان للإمام أحمد بن سليمان (الثقفي: المصدر السابق، ص ١٣٢، ١٣٣).

٦٧- ابن المرتضى: تاريخ السادة (بني الوزير)، ج ٢، ورقة ٢٢٢.

٦٨- سليمان الثقفي: المصدر السابق، ص ١٦٩.

٦٩- الجاهلي. قرية من عزلة محللات ضوران، ناحية ضوران قضاء آنس محافظة ذمار. (المصدر السابق، ص ٢٤٧، هامش ٢ للمحقق).

٧٠- الثقفي: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

٧١- هو القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، كان في مرحلة مبكرة من حياته يتبع المذهب المظفرى، ثم لم يلبث أن خرج منه والتحق بالفرقة المخترعة، وناصر الإمام أحمد بن سليمان، تتلمذ على يد الشيخ ريد بن الحسب البيهقي الذي قَدِمَ من خراسان، ثم عزم على التوجه معه إلى العراق لإكمال تتلمذه عنده، فمات شيخه في الطريق، ولم يشه ذلك عن إقدام الرحلة، فعزل وظل في العراق يطلب العلم حتى قبل ذهب إلى العراق وهو أعلم أهل اليمن وعاد وهو أعلم أهل العراق، كان أبوه باطنياً إسماعيلياً، حيث كان قاضي الدولة الصديقية في عهد للسدة أروى بنت أحمد. وعاد القاضي جعفر من العراق بالعلوم التي لم يصل بها سواه من الأصول والفروع والمعتقولات والمسموع، وعلوم القرآن، وتوفي بسناعات هذه جنوبي صنعاء سنة ٥٧٣هـ. (إبراهيم بن القاسم طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، المجلد الأول، ص ٢٧٦-٢٧٨، يحيى بن حسين طبقات الزيدية، ورقة ١٢٦، عيد السلام عباس الوجهية: أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، الأردن، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٢٧٩-٢٧٩، ابن المرتضى: تاريخ السادة (بني الوزير)، ج ٢، ورقة ٢١١، ٢٢٣، ٢٢٤. عني بن الحسب بن القاسم دواب الذهب في معاني أهل الأدب، ورقة ١٣٩، أحمد صبحي: في علم الكلام، (١) لمعتزلة، النهضة العربية، بيروت، ط ٥، ١٩٨٥م، ص ٣٥٣، لريدية، الزهر، القاهرة، ط ١، ١٩٨٥م، ص ٢٢٦).

٧٢- وقد ذهب البعض إلى اعتبار القاضي جعفر بن عبد السلام أول من أدخل كتب المعتزلة إلى اليمن وقالوا بأن اليمن لم تعرف كتب المعتزلة قبل ذلك التاريخ، الذي حدوده بسنة ٥٥٤هـ انظر (د صبحي، المرجع السابق، ص ٣٥٣، الزيدية، ص ٢٢٦)، وقد اعتمد هذا القول على ما ذكره يحيى بن الحسين في غاية الأمانى. "من أن كتب ومذاهب المعتزلة ظهرت في عهد الإمام أحمد ابن سليمان بعناية القاضي جعفر بن عبد السلام، ولم تكن قد ظهر قبلاً". (غاية الأمانى، ج ١، ص ٣١٨). وكان استجلاب الكتب من قبل الأمام أحمد بن سليمان والإمام عبد الله بن حمزة، من أجل الدفاع عن دولتهم، أمام الفرق المنشقة عنهم مثل المظفرية، فعلاّت خزائهم بالمعارف المختلفة، والمخزون الثمين من تراث معتزلة. (أحمد عارب: أصول الاتفاق، ص ٥٨-٥٩).

٧٣- د. محمد الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٦، ٥٧.

٧٤- عبد الله الحبشي: المظفرية مذهب مجهول في اليمن، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٤٠.

٧٥- سليمان الثقفي: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٢٨١-٢٨٢.

٧٦- لم تقتصر مناظرة جعفر بن عبد السلام للمطرقية بل تاطر أهل السنة، أو كما يسميهم بالخبرة والمشيئة، وهو الأمر الذي دعا العالم السني يحيى بن أبي الخير العمراني الحنبلي أن يتصدى لهذا القاضي، وقد وضع كل واحد منهما مؤلفاً يرد فيه على الاتهامات التي أوردتها كل منهما على معتقدات الآخر. (أحمد عارف: مقدمة في دراسة الاتهامات الفكرية في اليمن، ص ١٨٦).

٧٧- الثقفي: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٢٨٣.

٧٨- المصدر السابق، ص ٢٤٨، ٢٨٣، عبد الله الحبشي: المطرقية مذهب مجهول، ص ٤١، الزحيف: اللواحق الندية، ج ٢، ص ٧٧٣.

٧٩- المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٨٠- المصدر السابق، ص ٢٩٧، ٢٩٨.

٨١- يرى المطرقية في الإمام أن يكون **علم الناس وأفضلهم**. (أحمد شوقي: الزيدية في اليمن ودورهم السياسي، مجلة كلية الآداب سوهاج، جامعة سوهاج، العدد ١٥، ١٩٩٤م، ص ١١٨)، كما ذهبوا إلى عدم حصر الإمامة في أولاد لحاطة، (مؤاد عبد الفتاح: الإمام أحمد بن سليمان وآراؤه الكلامية، ص ١٥١).

٨٢- د. محمد الخريزي: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٥، بل إن بعض علماء المطرقية كالشيخ محمد بن علي الأنصومي كان يسكر قيام أحد من أئمة الزيدية بالإمامة في اليمن إلى يوم القيامة. (المرجع السابق، ص ٥٥).

٨٣- ابن المرتضى: تاريخ السادة (بني الوزير)، ج ٢، ورقة ٢١٧، إسماعيل الأكرع: هجر العلم ومعاقله، ج ١، ص ٥٣٩.

٨٤- د. عبد الغني محمود عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٥.

٨٥- هو الإمام المصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (الزحيف: اللواحق الندية، ج ٢، ص ٧٩٩-٨٠٠)، ولد سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م، ويرجع له بالإمامة سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، وتوفي سنة ٦١٤هـ/١٢١٦م. (العرشي: بلوغ المرام، ص ٤٠٩، الواسعي: تاريخ اليمن، ص ١٩١، ١٩٢).

٨٦- يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ورقة ٥٥، عاية الأمان، ج ١، ص ٣٢٩، ٣٣٠، حيث تقدر هذه الفترة

بحوالي ١٧ عاماً، ثم ترك عبد الله بن حمزة الاحتساب بعدها وقام بالإمامة سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، فكان الانقطاع للمرة الثانية بقدر بحوالي عشر سنوات، مما بين احتساب عبد الله بن حمزة وقيامه بالإمامة. أنظر (يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج١، ص ٣٢٩، ٣٤١).

٨٧- على محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٥٩.

٨٨- عبد الله الحبشي: المظفرية مذهب مجهول في اليمن، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٣٩.

٨٩- يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ورقة ٥٧، غاية الأمانى، ج١، ص ٣٤١.

٩٠- أبو فراس بن دعشم: السيرة الشريفة المنصورية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٨٩. حيث ولق الإمام عبد الله بن حمزة على وقش ويلاه يسي مطر ويلاه يسي شهاب السلطان محمد بن إسماعيل، (المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٨).

٩١- على محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٦٠.

٩٢- د. عبد الغني محمود عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٥.

٩٣- ابن دعشم: المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٩. د. عبد الغني محمود عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٥.

٩٤- د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٥.

٩٥- هو الأمير المنتصر محمد بن مفصل، أحد الأعلام وسادات أهل البيت الكرام. كان يرى بعدم كفر المظفرية، وإنما هم أقاضل شيعة الهادي، والقاسم وأتباعهم، ولا مصلحة في حربهم واعتقاد كفرهم (ابن المرتضى: تاريخ السادة العلماء الفضلاء الأئمة (يحيى الوزير) علماء الزيدية، ج١، ورقة ١٣٢).

٩٦- ابن دعشم: المصدر السابق، ص ١٦٩، يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج١، ص ٣٧١-٣٧٢، د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٥، ٣٦.

٩٧- يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج١، ص ٣٦٢.

٩٨- المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٢.

٩٩- يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج١، ص ٣٧٩.

١٠٠- المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٩.

١٠١- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٦.

١٠٢- ابن المرتضى. تاريخ السادة العلماء الفضلاء الأئمة (بني الوزير)، ج٢، ورقة ٢٠٢.

١٠٣- المصدر السابق، ج٢، ورقة ٢٠٢، ٢٠٣.

١٠٤- المصدر السابق، ج٢، ورقة ٢٠٣.

١٠٥- علي محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٧٥.

١٠٦- عبد الله الحبشي: المظرفية منذهب مجهول في اليمن، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٣٦.

١٠٧- ابن دعثم: السيرة المنصورة، ج٣، ص ٥٣٦، عبد الله الحبشي: المرجع السابق، ص ٤٣، وانظر الملحق رقم (١) ص (٣١ - ٣٠) عن المراسلات بين المظرفية والإمام عبد الله بن حمزة.

١٠٨- ابن دعثم: المصدر السابق، ج٣، ص ٥٤١.

١٠٩- المصدر السابق، ج٣، ص ٥٤٣.

١١٠- المصدر السابق، ج٣، ص ٥٥٠.

١١١- ابن دعثم: السيرة المنصورة، ج٣، ص ٥٥٠.

١١٢- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٧.

٣١١- ابن دعثم: المصدر السابق، ج٣، صفحات ٨٢٦-٨٣٧.

١١٤- د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٧.

١١٥- عبد الله بن حمزة: العقيدة النبوية، ص ١٣٥، ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، للدكتور عبد الغني عبد العاطي، صفحات ١٣٠-١٤٢، علي محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٧٨.

١١٦- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الناطقة بصلال المظرفية لزنادقة، ص ٢٧٧، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، للدكتور عبد الغني عبد العاطي، صفحات ٢٧٤-٢٨٩.

١١٧- أحمد بن سليمان: الهاشمية لأئمة الصلال من مذاهب المظرفية الجاهل، تحقيق: د. عبد الغني عبد العاطي، مجلة كلية لأداب، جامعة المنصورة، العدد الثاني والثلاثون، يناير ٢٠٠٣م، ص (٥٠ - ٧١)، عبد الله بن حمزة: العقيدة النبوية، ص ١٣٨-١٤٠، ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٢٩-١٢٨).

١١٨- أحمد بن سليمان. المصدر السابق ، ص١١٢، الجدير بالذكر أن خصوم المظفرية يحملونهم حتى مسئولية دخول القوى الأيوبية لليمن يقول عبد الله العسي "وكانوا الظلمة من خلفاء بني العباس . في زمن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة .. وحملوهم على تصدير العساكر إلى هذه الديار ديار اليمن، وهو سبب وصل الغر البلاد.." (عبد الله بن زيد العنسي: التمييز بين الإسلام والمظفرية الطغام، ورقة ١٣٣، لوحة أ).

١١٩- سليمان المحلي. البرهان الرائق المختص من ورط المصابق، ورقة ٩٣، لوحة ب، ٦٤، لوحة أ، عبد الله العسي. المصدر السابق ، ورقة ٤، لوحة د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص٢٣.

٢١- "ومعنى يحيل يفير، ومعنى يستحيل يتغير، وما أحد منهم على اختلاف مذاهبهم إلا وهو يقول بالإحالة والاستحالة" (عبد الله بن زيد العسي: المصدر السابق ، ورقة ٤، لوحة أ).

١٢١- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٩٨، لوحة ب.

١٢٢- المصدر السابق ، ورقة ٩٨، لوحة ب

١٢٣- د عبد الغني عبد العاطي: الصراع المكري في اليمن، ص٢٤

١٢٤- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٢، لوحة ب

١٢٥- د عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص٢٥

١٢٦- المرجع السابق، نفس الصفحة، عبد الله العسي: التمييز بين الإسلام والمظفرية الطغام، ورقة ١٢، لوحق ب، ورقة ٩٩، لوحة أ، ب، أحمد بن سليمان: حقائق المعرفة، ورقة ٤٦٣.

١٢٧- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٨، لوحة أ.

١٢٨- المصدر السابق، ورقة ١٣٧، لوحة أ.

١٢٩- د عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص٢٧، ٢٨.

١٣٠- سليمان المحلي. المصدر لسابق، ورقة ١٣٧، لوحة ب، ١٣٨، لوحة أ

١٣١- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ١٤٩، لوحة ب

١٣٢- المصدر السابق، ورقة ١٥٢، لوحة أ.

١٣٣- المصدر السابق ، ورقة ١٦٦، لوحة ب



- ١٣٤- المصدر السابق، ورقة ١٦٧، لوحة أ، ب، ١٦٨، لوحة أ، وانظر: عبد الله العنسي: التمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام، ورقة ٧٩، لوحة ب.
- ١٣٥- سورة (النساء) من الآية (٩٥).
- ١٣٦- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٦٧، لوحة ب.
- ١٣٧- د. عبد الفتي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٢٩.
- ١٣٨- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١١٩، لوحة أ، د. عبد الفتي عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٠.
- ١٣٩- سورة (الروم) من الآية (٤٠)
- ١٤٠- سورة (التحل) من الآية (٧١)
- ١٤١- سليمان المحلي: البرهان الرائق، أوراق ١٢٠، لوحة أ، ب، ١٣١، لوحة أ
- ١٤٢- المصدر السابق، ورقة ١٢١، لوحة أ. وانظر: عبد الله العنسي: التمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام، ورقة ١٢٢، لوحة أ.
- ١٤٣- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٢٢، لوحة أ.
- ١٤٤- المصدر السابق، ورقة ١٢٣، لوحة أ، ب.
- ١٤٥- د. عبد الفتي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٩.
- ١٤٦- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٢٤، لوحة ب.
- ١٤٧- سورة الأنعام من الآية (١٤٨).
- ١٤٨- سورة (توحي) من الآية (٤)
- ١٤٩- المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٢٤، لوحة أ، ١٢٥، لوحة ب.
- ١٥٠- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ١٢٥، لوحة ب.
- ١٥١- د. عبد الفتي عبد العاطي: الصراع الفكري، ص ٣٢.
- ١٥٢- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الموسومة بالثوقف على توبة أهل التطريف، ص ٣٣، ص ٣٤ كتاب.

الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٩٩-٣٠٣)، عبد الله العسسي: كتاب الفتاوى النبوية المفصلة عن أحكام المطرفية، ص ٣١٦، ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٣١٤-٣٣٩)، ابن دعم، السيرة الشريفة المنصورة، ج ٣، ص ٨٢٤، ويذكر أنه ألف كتاب بأمر من الإمام عبد الله بن حمزة بين مخالفة المطرفية لكل هذه الآيات وسماه "المجموع من آيات القرآن لشريف المبطله مذهب الطبعية أهل التطريف"، (ابن دعم، المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٦٥، ٨٢٥).

١٥٣- أحمد عبد الله عارف: مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن، ص ١٨٣

١٥٤- يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج ١، ص ٣٦٢.

١٥٥- يذكر ابن دعم في السيرة عدداً من الحوادث الفردية التي كانت البدايات الأولى لقتل الإمام لأناس ينتسبون للمطرفية في أواخر سنة ٢ هـ، فقد تظاهر أحد أنصار الإمام رجلاً من المطرفية في قرية ثوبن من 'وطان سفيان في لغاضمة، فانتهم الأمر إلى أن قاتل المطرفي واسمه على بن موسى الغتلاسي، إن الله تعالى ساوى بين النبي صلى الله عليه وسلم، واليهودي، وما اختص نبيه بفضل ولا اجتفاء لرسالة، فلما حُكي ذلك للإمام أمر بصرب عقه (ابن دعم، المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٢٥).

١٥٦- ابن دعم: السيرة المنصورة، ج ٣، ص ٣٨٣.

١٥٧- المصدر السابق، نفس الجزء، والصحة

١٥٨- عبد الله بن حمزة: أجوبة مسائل تنصص ذكر المطرفية وأحكامها، ص ١٤٤، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات ١٤٢-١٧٤، 'حمد بن سليمان: الهاشمة لأئف الصلال من مذاهب المطرفية الجهل، ص ١١٢، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٩٥-١١٢)، عبد الله بن حمزة: الرسالة الهادية بالأدلة البادية في بيان أحكام أهل الردة، ص ١٧٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٨، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٧٥-٢٠٢).

١٥٩- عبد الله بن زيد العسسي: الرسالة الناطقة بفضائل المطرفية الرناذقة، ص ٢٨٧، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٧٤-٢٨٩)، عبد الله بن زيد العسسي: الرسالة الموسومة بالتوقيف على توبة أهل التطريف، ص ٢٣، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٩٩-٣٠٣).

١٦٠- عبد الله بن زيد العسسي: الفتاوى النبوية المفصلة عن أحكام المطرفية، ص ٣١٨، ٣١٩، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٣١٤-٣٣٤).

١٦١- ابن دعم، المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٣٧.

١٦٢- المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٤٨، ٨٤٩.

- ١٦٣- المصدر السابق، ج٣، ص٨٥.
- ١٦٤- ابن دعثم: السيرة المنصورية، نفس الجزء، والصفحة.
- ١٦٥- المصدر السابق، ج٣، ص٨٦٥، وانظر الملحق رقم (٤٣) ص(٦١٦-٦١٨) عن السيرة المنصورية، ج٣، ص٨٦٣-٨٧١).
- ١٦٦- المصدر السابق، ج٢، ص٨٨٧.
- ١٦٧- المصدر السابق، ج٣، ص٨٩١، ٨٩٠.
- ١٦٨- المصدر السابق، ج٣، ص٨٩٨، ٨٩٧.
- ١٦٩- المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٢.
- ١٧٠- ابن دعثم: السيرة المنصورية، ج٣، ص٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤.
- ١٧١- المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٥.
- ١٧٢- المصدر السابق، ج٣، ص٩٩٨.
- ١٧٣- بيت غُفَّان: قرية من عرلة المصارع الخواجة ناحية ثلا (د عبد العلي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص٤١، هامش ٥).
- ١٧٤- حصن بَكْر: يقع على بعد ١٢ كيلومتر جنوب قرية ذاعة (المرجع السابق، ص٤١، هامش ٧).
- ١٧٥- ابن دعثم: المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠.
- ١٧٦- المصدر السابق، ج٣، ص٩٧٠.
- ١٧٧- د عبد الفتحي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص٤٣).
- ١٧٨- ابن دعثم: السيرة المنصورية، (ج٣، ص٨٢٦).
- ١٧٩- المصدر السابق، (ج٣، ص٨٢٦).
- ١٨٠- المصدر السابق، (ج٣، ص٨٥١).
- ١٨١- يحيى بن الحسين: غاية الأمان، ج١، ص٣٩٧.
- ١٨٢- المصدر السابق، ج١، ص٣٩٧.
- ١٨٣- عبد الله بن حمزة: أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرفية وأحكامها، ص١٤٧، ١٤٨، صص كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٤٢-١٧٤).

١٨٤- المصدر السابق، ص ١٤٩.

١٨٥- يحيى بن الحسين: غاية الأمانى، ج ١، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

١٨٦- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الناطقة بصلال المطرفية الرنادقة، ص ٢٨٦، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٧٤-٢٨٩).

١٨٧- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الموسومة بالتوقيف على توبة أهل التطريف، ص ٣٠١، ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٩٩-٣٠٣).

١٨٨- عبد الله بن زيد العنسي: الفتاوى السيوية المفصلة عن أحكام المطرفية، ص ٣٢٦، ٣٢٧، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٣١٤-٣٣٤).

١٨٩- المحلي الحدائق الوردية، ج ٢، ص ١٧١، ويقصد بالنواحي المغربية المناطق الغربية من اليمن (أحمد عارف، مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن، ص ١٨٠، هامش ٤٦).

١٩٠- يحيى بن الحسين: غاية لأمانى، ج ١، ص ٤٠٦، د. عبد الشفي عبد لطفي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٤٣، ذكر القاضي الشماحي أن جثة من قتلهم الإمام عبد الله بن حمزة من المطرفية بيع أكثر من مائة ألف، إلا أنه لا يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة. انظر: (القاضي عبد الله الشماحي: اليمن الإنسان والحضارة، دار الكلمة، صنعاء، ١٩٩٤م، ص ٨٧).

١٩١- ابن النساخ: هو الحسن بن محمد النساخ، أحد فقهاء المطرفية في قاعة، ويبدو من تنبيه أنه من أسرة عملت بسلاح الكتب، وهو أحد رجال المطرفية الذين لجأوا من مقتل المطرفية في قاعة، ولجأ إلى مسور ته وقش، وبعد خرابها هرب إلى آس، وهناك ألف رسالته إلى الخليفة العباسي. (علي محمد زيد، تبارت معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، ص ١٩٢).

١٩٢- هو: الخليفة العباسي لناصر لدين لله أحمد أبو العباس المستضئ بأمر الله، ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، وبيع بالخلافة في ذي القعدة سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م، ولم يَلِ الخلافة أطول منه، فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة. (السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمن، المصورة، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٤٣٨). غير أن وقت إرسال الرسالة من قبل ابن النساخ للخليفة العباسي وصلت في مرحلة كان الخليفة في حال من الضعف لا يستطيع أن يعمل معها شئ، حتى أن السيوطي يذكر في حوادث سنة ٦٠٠هـ/١٢٣ هجوع الفرنج على النيل من رشيد، ودحولهم إلى بلدة (فوة) فيسيهونها ويستبيحونها، ثم يرجعوا سالمين في عهد هذا الخليفة. (السيوطي: المصدر السابق، ص ٤٤٤)، هذا في افتراض أن الرسالة قد وصلت للخليفة، إذ لا يبدو أنها قد لاقت أي اهتمام يذكر في بغداد. (علي محمد زيد: المرجع السابق، ص ١٩٢).



لا نعلم جميعها بالتفصيل، وهنا يوجب له الحمل على السلامة، وشأنه في ذلك شأن الأئمة الذين وقعت بينهم حروب، قُتِل فيها كثير من الناس، ومع ذلك لم يجرم أحد من الزيدية بهلاك فريق معين منهم وتُرك أمر الجميع إلى الله تعالى. ومع ذلك فلا يصح الحكم سلفاً على مخالفيه بأنهم مخطئون خطأ يوجب لهم القتل والتشريد، وسبى الأهل والذرية، اللهم إلا إذا كان معصوماً وخُوِّف تشريع يوجب هذا النوع من التكميل، والإمام عبد الله بن حمزة وسائر أئمة الزيدية لا يدعون العصمة لأنفسهم ولا يقطعون بعدم وقوعهم في الخطأ، يقول الإمام زيد بن علي: "بما نحن مثل الناس، ما المخطئ؟ وما المصيب، فسانلونا ولا تقبلوا ما إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه" صلى الله عليه وسلم. ( محمد سالم عزان: المظفرية بين الحقائق والإشاعات، مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠٩م، ص ٧١، ٧٢).

٢٠٠- د. عبد الغني عبد العاطي: لصراع الفكري في اليمن، ص ٤٤.

٢٠١- المرجع السابق، ص ٤٤، يذكر صاحب دوح مذهب الذي عاش في القرن الثاني عشر، أن المذهب المظفرية مكث في اليمن ثلاثمائة سنة، وانتشر في بلاد الزيدية، ولم يبق منهم أحد في زمنه. (علي بن الحسن بن القاسم: ذوب الذهب في محاسن أهل الأدب، ورقة ١٤، لوحة ١)، وربما كان يقصد بهذه الفترة من بداية إظهار المظفرية خلال لمحتقرة، لأنهم عاشوا أكثر من ذلك، "وقد بقي من المظفرية جماعة حتى زمن الإمام المهدي عيسى بن محمد في القرن الثامن الهجري، ثم تلاشى أمرهم ودخل اتباع هذا المذهب في زمرة الناس فاعتقوا مذهب لزيدي. فكان في هذا الرجوع فائدة وطيبة، حيث ضمن لنا وحدة البلاد وعدم تفرقها". (عبد الله الحبيشي: المظفرية مذهب مجهول، ص ٤٤)

٢٠٢- الأكويج: هجر العلم، ج ١، ص ١٦٧.

## المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات :

الحجوري، محمد بن يحيى بن يوسف (ت ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م).

- روضة الأحبار، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (٤٣٦) تاريخ، يمين شمالي، ج٤.

ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح بن محمد (ت ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م).

- مطلع البدور ومجمع البحور، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.

الشرقي، أحمد بن محمد بن صلاح (ت ١٠٥٥هـ / ١٦٤٥م).

- الأئمة المضية في أخبار أئمة الزيدية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (١٩٤٠) تاريخ، جزء من مخطوط غير مرقم. (ترقيم من قبل الباحث).

علي بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن المنصور (ت ١٢٢هـ / ١٧م) :

- ذوب الذهب في محاسن أهل الأدب، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (١٠٥٦) تاريخ.

العنسي، عبد الله بن زيد العنسي.

- لتسميز بين الإسلام والمطرفية الطغام، مخطوط مصور عن مخطوط لدى الباحث/ محمد جعفر الباحث بجامعة أسيوط.

اللحجي، مسلم بن محمد بن جعفر (ت ٥٤٥هـ / ١١٥٠م).

- أخيار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن، الجزء الرابع، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.

المحلي، حسام الدين حميد أحمد المحلي (ت ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م).

- الحداثق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع، مخطوط مصور بالأوفست.

المحلي، سليمان بن محمد بن أحمد المحلي (ت ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م).

- البرهان لرائق لمخلص من ورط المضيق، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع، ورقة (٢)،

ابن المرتضى، ابن جمال الدين بن الهادي بن إبراهيم بن علي المرتضى (ت ٩٨٥هـ / ١٥٧٧م).

- تاريخ السادة العلماء الفضلاء والأئمة (بني الوزير) علماء الزيدية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (٩٥٦) تاريخ.

يحيى بن الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد الحسني (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م).

- أنباء الزمن، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٤٤٧).

- طبقات الزيدية الصغرى، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.

ثانياً؛ المصادر المطبوعة :

إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله (ت ١١٥٢هـ / ١٧٣٩م).

- طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

- الثقفى، سليمان بن يحيى؛

- سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد العاطي، عين للدراسات، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

ابن الدبيع، عبد الرحمن بن علي بن عمر الشيباني (ت ٩٢٤هـ / ١٥١٨م).

- قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م).

- تاريخ الخلفاء، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

أبي فراس ابن دعثم.

- السيرة الشريفة المنصورية، سيرة الإمام عبد الله بن حمزة (٥٩٣-٦١٤هـ)، تحقيق: عبد الفتحي عبد العاطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

الوصابي، وجيه الدين عبد الرحمن (ت ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م).

- تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق: عبد الله محمد الحشني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م.



يحيى بن الحسين بن القاسم (ت. ١١٠٠هـ/١٦٨٩م):

- طبقات الزيدية الصغرى، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.

- غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، القسم الأول.

اليماني، عمارة بن أبي الحسن الحكمي (ت. ٥٦٩هـ/١١٧٤م).

- تاريخ اليمن، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

### ثالثاً : المراجع العربية الحديثة:

إبراهيم المحففي - معجم المدن والقائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، طبعة ١٩٨٥م

د. أحمد صبحي - الزيدية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

- في علم الكلام (دراسات فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين)، النهضة العربية، بيروت، ط ٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الاتجاهات الفكرية في اليمن بين القرن الثالث والقرن الخامس الهجري، المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

إسماعيل بن علي الأكرع (جمع وتحقيق) - البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجليل الجديد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

..... - الزيدية نشأتها ومعتقداتها، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

..... - هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

أمين فؤاد سيد (الدكتور) - مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1974م.

بلر الدين الجوثي - المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م.

- حوار حول المطرقية تعليق على مقال: "الجامعات- المساحد في شمال اليمن، مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠١م.

- زيد بن علي الوزير:  
سيد مصطفى سالم  
عارف تامر  
عبد السلام عباس  
الوجيه
- تحقيق على مقال العلامة بدر الدين الحوثي -حوار حول المطرفية-،  
مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، المجلد الثاني،  
العدد الثاني، ٢٠٠١م  
وثائق يمنية، دراسة وثائق تاريخية، طبعة دار لكتب المصرية، القاهرة،  
١٩٨٢م  
-أروى ملكة اليمن، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.  
أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، الأردن، ط١،  
١٩٩٩م.
- الإمام الزيدي أحمد بن سليمان وآراءه الكلامية، دار  
الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.  
-الريادة قراءة في المشروع وبحث في المكونات، مركز التراث، صنعاء،  
الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- النصائح الفكرية في اليمن بين الزيدية والمطرفية، دراسة ونصوص،  
عين للدراسات، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.  
-اليمن الإنسان والحضارة، دار الكلمة، صنعاء،  
١٩٨٤م.
- عصام الدين  
الفاقي (الدكتور)
- علي محمد زيد
- اليمن في ظل الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة  
الأولى، ١٩٨٢م.
- تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، المركز  
الفرنسي، صنعاء، الطبعة الأولى، 1997م.
- محمد رضا الدجيلي  
محمد سالم عزان
- الحياة الفكرية في اليمن، في القرن السادس الهجري، المكتبة  
الوطنية، بغداد، ١٩٨٥م.
- المطرفية بين الحقائق والإشاعات، مجلة المسار، مركز التراث والبحوث  
اليمني، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠١م.

محمد عيسى الحريري

-تطور المذهب الزيدي في اليمن قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد السادس والعشرون، المجلد السابع، ربيع ١٩٨٧م، صفحات (٤٤-٧٥).

رابعاً: المقالات العربية

أحمد بن سليمان

أحمد شوقي العمرجي

عبد الله الحبشي

-الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المظرفية الجهال، تحقيق: د. عبد الغني عبد العاطي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الثاني والثلاثون، يناير ٢٠٠٣م

-الزيدية في اليمن ودورهم السياسي، مجلة كلية آداب سوهاج، جامعة أسيوط، العدد ١٥، إبريل ١٩٩٤م.

-المظرفية مذهب مجهول في اليمن، مجلة اليمن الجديد، العدد الثالث، السنة السادسة، نوفمبر ديسمبر ١٩٧٧م، صفحات (٤٧-٥١).

محمد عيسى الحريري

-تطور المذهب الزيدي في اليمن قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد السادس والعشرون، المجلد السابع، ربيع ١٩٨٧م، صفحات (٤٤-٧٥).

-الفرق الإسلامية في طور الانحطاط، صفحات (١٤٨-١٥٨)، مجلة العصور الجديدة، القاهرة، السنة الأولى، العدد العاشر، يونيو ٢٠٠٠م

محمود إسماعيل

سابعاً: الرسائل

العلمية:

أحمد عبد الله عارف

-أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة، رسالة ماجستير، قسم فلسفة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٢.

-Al-Qadi Isma'il Bin Ali al-Akwa, Nashwa n Ibn Sa'k al-Himyari and The Spiritual, Religious and Political Conflicts of his Era, Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at The Staatilches Musesm Fur Volkerkunde Munchen (25 April 1987 to 5 April 1988), Published By Pinguin-VerlaInnsbruckUmschau-Verlag, Frankfurt/Main, PP.212-231.

-Wilferd Madelung, Islam in Yemen, Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at The Staatilches Musesm Fur Volkerkunde Munchen(25 April 1987 to 5 April 1988), Published by Pinguin-verlag, Innsbruch Umschau-Verlag, Frankfurt/Main,PP.174-177.



## الملاحق

المراسلات بين المطرفية والإمام عبد الله بن حمزة

في بداية الخلاف بين الطرفين. (١٦)

قدم رجل من المطرفية يقال له عمار بن ناصر الشهابي إلى ذي مرمر فحضر المدرسة المنصورية هناك، وجرى فيها الحديث عن مذاهب الخصوم ومن بينهم المطرفية، ولما رجع الرجل المطرفي إلى هجرة وقش بث شكواه وحكى غير ما شاهده وسعته أذنه وذكر ما دار في المدرسة المنصورية من السب للمطرفية فشق ذلك عليهم وزادهم نفارا، وكتب إليهم الإمام يدعوهم فلم يزداهم دعاؤه إلا فرار، وجاء كتاب الفقيه علي بن يحيى البحريري معرضا بذلك وعدتبا فيما جرى من السب والأذى، وم خص به ذلك الرجل من الاستخفاف والبداء، وجعل في صدر كتابه أبياتا قال فيها:

مقام أمير المؤمنين بن حمزة      أحل وأعلى أن يحيط به وصفي  
رفعتُ إليه الطرف فارتد حاسنا      ولا غرو أن يرتد من حجل طرفي  
وأيقنت أن الصيد ما ضمه الفرا      فقلتُ لكفي عن كتابته كفي  
على أنني في القرب والبعد عنده      مولاته حصي المنيع ولا أخفي

ومما جاء في كتابه: ... ولعل العوطف الإمامية، والآراء الموقفة المنصورية، أن تؤنس لمخلوئ بكف أهل تلك الأذية، والخيار إليه سلام الله عليه من قبل أن تزيغ قلوب فريق منا، فإلتسان خلق هلوغ، فقد كان في أول الأمر أصبح الناس رحما بينهم، لا تسمع إلا سلاما سلاما، وكل شي على منتهى أمله من سكون الدهماء وحسن الحال، وقام النعماء والدعاء لأمير المؤمنين بطول البقاء، لم ساق الله إلى الجميع بسببه، وأجره من الصلاح على لسانه وبده، بالرفق الذي لا ضعف معه، والشدة التي لا يشوبها عنف، وعلو الهمة وقلة الغفلة، وأحكام السياسة وصوب التدبير، فأشد الناس بعدا عنه كالقريب، وأقربهم منه في حق الله كالقريب، فما أحد يعدو قدره ولا يتجاوز حده، ولا يتكلم إلا فيما يعنيه.

ومع ذلك تزداد الأمور إلإ إحكاما، ولا عقود الدولة الميموية إلإ تنظاما حتى انطلقت الألسن المعقودة، وانبسظت الأيدي المعقولة بعدل أمير المؤمنين، ولم يكن ينبغي لصاحبه في العموم فما

\* - نقلنا عن: أبي فراس بن دعلج، السيرة الشريفة للمنصورية، ج ٣، ص ٥٣٦-٥٤٥

شأن الخصوص وأمير المؤمنين يعلم ما الوافر كالمقصود، فإن رأى الإنصاف عن تولي كبره، ولكل امرئ منا ما اكتسب من الإثم، وليت أنا بقدر الحب نيتسم.

... وفي هذه الدلالة صفة العلة ولعل جوابها أن يروى من الغلة وقد تضمنت فصولاً كثيرة هيح دقيقتها وصول الشيخ عمار بن ناصر الشهابي، وما انقلب به من تشريف الإحوان. فآله يبقينهم والسلام.

وقد رد عليه الإمام عبد الله بن حمزة كتابها نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم سلام عليك... أما بعد. فإن كتابك وصل إلينا بتحقيق الموجب لما تقدم وتأخر من المراجعة، فيما يقطع المشاحنة والمنازعة، ويؤدي إلى الألفة، ويمنع الخلفة، وتلك سبيل الصالحين، وشعائر أهل الدين، وقد كان ذلك كما ذكرت أولى، وجرى به السان أولاً ثم لحج بعد ذلك ناجم الخلاف بالظعن والتخلف لغير حدث أوجب ذلك، ولا رأي يقبل، بل على منهاج السلف الصالح. وأهم الأمور عليت ما يعود على الزيدية أصلحها الله بلم الشمل وطرد **دواعي الجهل** وقد كن فيما تقدم لهم عذر، فإن كن غير واضح في الاختلاف فما العذر بعد قيام قائم من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم، إنما الخلاف قبله، وعنده يرجع الجميع إلى رأيه، وتقطع **دواعي الفتنة** بميمون نظره.... هذه منابر آل محمد صلوات الله عليهم معطلة من ذكرهم منذ دهر طويل، وهينهم مأخوذ، وحققهم مفصوب، وتأثرهم مطلول، والفرقان فيما اختلفوا فيه موجود، ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، فأما إذا لم تبق إلا المغالبة فما أحد يخشى عن نفسه ما يجده كما قال ضرار بن الخطاب: وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل، وكان صاحب الأمر إذا اضطرتته الأمر هادن، وإن قام عمودها فأتى، فأى الفريقين كان أو متى وصل الأرض قبل صاحبه. فنظر في ذلك بما يوفقك الله سبحانه ويعينك عليه، فصاحب هذا الأمر على وجهين إما أن يظهر. فأقبح لأمر على من ينتسب إلى الدين أن يظهر وليس معه لسان صدق، وإما أن لا يظهر وله حق له استحقاقه، كانت حسرة، فأكثر الأئمة لم يطبق على إمامته إلا بعد موته، وإن لم تظهر له حجة على استحقاقه كان شبهة يجب أن يكون في حلها على يقين، ولم يرتكبها على الخطر ويتمسك بحبل الغرور وهن متمكن الاستبصار بالوصول إليه، والمراجع له في أموره، والسلام، وصلى الله على محمد وآله وسلم.



## المسلمون وأهل الذمة في بلاد الشام في عصر الخلافة الراشدة

يعد الدين الإسلامي ديناً عالمياً لكل البشر، ولذلك مجده يتجاوز حدود البلدان والأقاليم، لأنه ليس ديناً قومياً خاصاً بالعرب، وإنما لكافة الناس في الأرض، يقول الله عز وجل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)<sup>(٢)</sup>.

وما أن الإسلام خاتم الرسالات السماوية فلا بد على أتباعه من إيصال دعوته إلى كل الناس من فيهم أصحاب الديانات ذات الأصل السماوي وأتباع العقائد الوضعية، والدعوة تقوم على أساس البلاغ فقط لقوله عز وجل (وما على الرسول إلا البلاغ المبين)<sup>(٣)</sup>. وكذلك عدم إكراه الناس على اعتناق الإسلام، لأنه لا يجوز شرعاً لقول الله تبارك وتعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)<sup>(٤)</sup>، وإنما الدعوة تقوم على أساس التوجيه الإلهي القائل في محكم كتابه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)<sup>(٥)</sup>.

فقام النبي صلى الله عليه وسلم، بناءً على هذا التوجيه الرباني بدعوة اليهود في يثرب إلى الإسلام، لكنهم رفضوا وفضلوا الاحتفاظ بدينهم مقابل دفع الجزية، وعرض الإسلام أيضاً على نصارى نجران، لكنهم فضلوا البقاء على دينهم مقابل تسليم الجزية، ولم يحدث أن تعرض اليهود أو النصارى إلى مضايقات أو اعتداءات بسبب عدم إسلامهم، لأنه لا يجوز طالما وقد أقروا بالجزية ودفعها للمسلمين، كما أمر الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)<sup>(٦)</sup>.



وبناءً على هذا فقد صار على المسلمين حمايتهم، وعدم التعرض لهم بسوء، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من ذلك بقوله (( من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة ))<sup>(١)</sup> ، وأمام هذه النصوص وغيرها، لا بد أن يتم التعامل مع أهل الذمة على ضوءها .

وهنا لا بد علينا أن نتعرف على سلوكيات المسلمين مع أهل الشام أثناء الفتح وبعده، سواء كانوا خلفاء أم قادة أم أفراداً، هل وجد تطابق بين النصوص والعهود وتعامل المسلمين مع أهل الذمة؟ أم كانت النصوص والعهود في وادٍ والتعامل في وادٍ آخر؟ وماذا عن ردة فعل سكان بلاد الشام تجاه المسلمين أثناء الفتح، هل كانت عدائية أم حيادية أم مناصرة للروم، أم مؤيدة للمسلمين؟

وهل تغيرت أحوال سكان بلاد الشام بعد أن أصبحوا من رعايا الخلافة الإسلامية؟ أم ظلت على ما كانت عليه في عهد الروم؟ وإذا حدثت تغييرات فما هي وهل كانت سلبية أم إيجابية؟ ولمعرفة ذلك تم تقسيم البحث إلى محورين رئيسيين :

المحور الأول: المسلمون وأهل الشام عند الفتح من خلال وصايا الخلفاء الراشدين تجاه سكان البلاد المفتوحة، وتعامل المسلمين مع سكان بلاد الشام أثناء الفتح، وكذلك موقف سكان الشام من المسلمين .

أما المحور الثاني فهو : حقوق أهل الذمة من سكان بلاد الشام بعد الفتح، ويتناول الحقوق التي صارت لسكان بلاد الشام بعد أن أصبحوا من رعايا المسلمين، مثل : حرية الاعتقاد، الحرية السياسية، حماية الملكيات، حرية التجارة والكسب، حرية التقاضي والعدل، كما يتناول أيضاً واجبات أهل الذمة .

### المحور الأول : المسلمون وأهل الشام أثناء الفتح :

تحقيقاً للتكليف الرباني بعد أن انتشر الإسلام واستقرت أركانه في أنحاء الجزيرة العربية كان على المسلمين أن يستكملوا ما كان قد بدأه الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام خارج الجزيرة بدءاً بأقربها داراً وهي بلاد الشام .

فقد تولّى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أول عمل بعد قضائه على حركة الردة، إعداد الجيوش الإسلامية، وإرسالها للقيام بالفتوحات الإسلامية ومنها بلاد الشام، وحرص

على تقديم الوصايا والتعليمات لقادة الجيش الإسلامي، تتضمن الإحسان إلى سكان بلاد الشام، وعدم التعرض لهم بسوء.

إن إقامة العدل بين الناس من الأمور المطلوبة والأساسية، وما أنزل الله سبحانه وتعالى الشرائع إلا للتوحيد وإقامة العدل ورفع الظلم عن المظلومين، وردع الجبارين .

والشريعة الإسلامية اهتمت بهذا الجانب، ولم يحذ عن هذا الخلفاء والمسلمون، لأنهم ملزمون ومكلفون من رب العالمين لقوله تعالى : {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى} <sup>(١٧)</sup>، ويقول سبحانه وتعالى {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل} <sup>(١٨)</sup>.

وأمام هذه النصوص وغيرها، لا بد على المسلمين أن يوفوا بها ويسيروا عليها، فكانت رعاية الخلفاء لهم كبيرة، والاهتمام بأحوالهم واجبة، فمن توصية الخليفة أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما المتجه نحو بلاد الشام قوله: "يا يزيد، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته، والإيثار له، والخوف منه، وإذا لقيت العدو فأظهركم الله بهم، فلا تغل ولا قتل، ولا تغدر، ولا تحب، ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تحرقوا نخلاً، ولا تعرقوه، ولا تقطعوا شجرة مشرة ولا تعرقوا بهيمة، لا لمأكده، وستمرون بقوم في الصوامع يزعمون أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعوهما وما حبسوا أنفسهم" <sup>(١٩)</sup>.

هذه الوصية من خليفة رسول الله أمراً صريحاً بأن على المسلمين المشتركين في عملية الفتح (قادة أم أفراد) أن يتجنبوا بعد انتصارهم على القوى المانعة لوصول الإسلام إلى السكان، الغلل أي الحقد والضغينة، وكذلك عدم التمثيل بجثث أعدائهم بعد النصر لأنه لا يجوز، وعدم الغدر، وعدم قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وعدم حرق الأشجار وتقطيعها لأن الإنسان المسلم وغير المسلم، يستفيد منها، ولأن الإسلام يبني ولا يهدم، لقول الله تعالى {وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} <sup>(٢٠)</sup>.

وفسر العلماء هذه الآية بأن المقصود هو التعصير <sup>(٢١)</sup>.

وتتزم وصية الخليفة السابقة المسلمين، عدم التعرض ليهتهم سكان البلاد التي يتم فتحها إلا بالحق، والأهم من هذا عدم التعرض لرجال الدين، والمتعبدین في دور عبادتهم من التصاري

ويبدو أن الخليفة أباه بكر رضي الله عنه، لم يكتف بتلك الوصايا، بل كانت توجد لديه عيون لمراقبة أعمال المسلمين في بلاد الشام، وكيفية تعاملهم مع سكانها، والرفع إليه في حالة المخالفة بصورة مباشرة دون علم القادة، فعندما قرأ أهالي قرى الدارين من قراهم خوفاً على أنفسهم من القتل ثلثاً منهم أن المسلمين لن يتركوهم وشأنهم كما صور لهم، وصاحب هرويهم ترك دورهم وأراضيهم، وربما وجد بعض المسلمين من ذهب ظنه بأنه أحق بها، فلما وصل الخبر بفساد المسلمين إلى الخليفة كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح رسالة قال فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر الصديق إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: "امنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الدارين، وإن كان أهلها قد جلوا عنها، وأراد الداريون أن يزرعوها، فإذا رجع أهلها إليها فهي لهم، وأحق بهم والسلام عليك"<sup>(١١٢)</sup>.

ولم يكتف بذلك بل أرسل رسالة إلى الدارين أصحاب تلك البلاد يطمنثهم على أراضيهم وحمايتهم من العاشين، ويكلف عمرو بن العاص بحراستها والدفاع عنها من كل طامع، جاء فيها "هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله الذي استخلف في الأرض بعده، كتبه للدارين ألا يفسد عليهم ما أثرتهم قرية خيبر<sup>(١١٣)</sup> وبیت عینون<sup>(١١٤)</sup>، فمن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منها شيئاً، وليقم عمرو بن العاص عليهما فيمنعهما من المفسدين"<sup>(١١٥)</sup>.

وهذا الكتاب يمثل اهتمام قيادة الدولة الإسلامية بسكان البلاد أثناء الفتح وحرصها على المحافظة على كافة ممتلكاتهم المالية والعينية، فلم يكن دافع الفتح بالنسبة للمسلمين الحصول على الغنائم بأي صورة من الصور، كما يصوره البعض، ولكن قد يوجد منهم من له رغبة في الغنائم، غير أنه يواجه بالشدة والمنع والمعاقبة.

وبما أن المنع المستتقى منه واحد فلم يختلف عمر بن الخطاب عن سلفه، أبي بكر رضي الله عنهما في توصية الجيش الإسلامي المتجه نحو الأمصار ومنها بلاد الشام التي لم يكن قد استكمل فتحها في عهد أبي بكر رضي الله عنه ويتمثل ذلك في قوله "بسم الله وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله، والنصر، ولزوم الحق، والنصر، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ثم لا تمجنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تتكلموا عند الجهاد ولا تقتلوا امرأة، ولا هرباً، ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الجمعان، وعند حمة النهضات، وفي شن الغارات..."<sup>(١١٦)</sup>.

ونجد هنا أن وصية عمر رضي الله عنه لم تخرج عن وصية أبي بكر رضي الله عنه، فالروب واحدة لمحاج سكان البلاد المفتوحة من أهل الذمة، ونلاحظ هنا تأكيداً على تجنب قتل الأطفال والشيوخ والنساء. مع تفصيل ما أجملته وصية أبي بكر في هذا الجانب من حيث طلب عمر في وصيته أن يتجنبوا قتل الفئات السابقة، حتى وإن كانوا يوجدون في ميدان القتال، وفي مختلف مراحل المعركة، ولم يرد في الأمر إلا من ناحية وصيته في لزوم الحق، وأن يتجنبوا الاعتداء على كل شيء مملوك للسكان.

وبلغ حرص الخليفة عمر رضي الله عنه بشئون أهل الذمة، أنه في مرضه الذي مات فيه أوصى بهم من سيخلفه على المسلمين بهم بقوله "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً أن يوف لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم"<sup>(١٧١)</sup>.

وهذا دليل على الحرص على الإبقاء على عاهد به المسلمون أهل الذمة، بل والدفاع عنهم من أي اعتداء قد يتعرضون له، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم سواءً أكان ذلك بالجزية أم للحراج، وهذا من الناحية المادية أو تكليفهم بأعمال لا يستطيعون القيام بها، فلو اوجب الرقب بهم.

أما في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، فقد صارت البلاد المفتوحة تحت حكم المسلمين، ولذا كانت وصيته إلى الولاة على الأقاليم ومنها بلاد الشام، أن يستوصوا بأهل الذمة خيراً فقال: "... ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم، فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تشروا بأهل الذمة فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم"<sup>(١٨١)</sup>.

وبما أن أهل الذمة صاروا من رعايا الخلافة الإسلامية، فكانت وصية الخليفة عثمان رضي الله عنه بالتعامل معهم وفقاً بما أوجبه الشرع الإسلامي بإعطائهم حقوقهم، وإلزامهم بما عليهم من واجبات.

وبذلك نجد أن وصايا الخلفاء الراشدين نفسها، لم تخرج عن الوصايا التي وردت في كتاب الله عز وجل وستة نبيه صلى الله عليه وسلم.

### تعامل المسلمين مع سكان بلاد الشام أثناء الفتح:

كان المسلمون أثناء الفتوحات الإسلامية يتمثلون تعاليم كتاب الله عز وجل وستة نبيه صلى الله عليه وسلم، والتي تمثلت خلاصتها في وصايا الخلفاء الراشدين التي سبق الإشارة إليها.

فالتأمل في العهود التي منحها القادة المسلمون لأهالي المدن الشامية، يجد أن مضمونها وأهدافها واحدة، لم تختلف منذ فتح أول مدينة وحتى اكتمال الفتح للشام، فهذه بُصرى أول مدينة فتحت وعقد أهلها صلحاً مع المسلمين بوجبه يتم منحهم الأمان على دمائهم وأموالهم وأولادهم مقابل دفع الجزية<sup>(١١٩)</sup>.

وسار المسلمون بالأسلوب نفسه الذي ساروا عليه مع سكان بُصرى، حيث أعطى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عهد الأمان لأهل لُد ونصه: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لُد، ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبهم وسقيمتهم وريثهم وسائر ملتهم أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا ملكها، ولا من صلبهم ولا من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، وعلى أهل لُد، ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل مدائن الشام"<sup>(١٢٠)</sup>.

ولم تخرج العهود التي أعطاهها أبو عبيدة رضي الله عنه لمدن الشام، من حيث المضمون والالتزام مع العهد الذي أعطاه أمير المؤمنين عمر لأهل لُد وسائر أهل فلسطين، فقد أعطى أبو عبيدة عهد الأمان لأهل بعلبك على الحرية الدينية، وعدم الاعتداء على كنائسهم وأموالهم: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب أمان لفلان بن فلان وأهل بعلبك رومها وقرسها وعربها على أموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها، وعلى أرحانهم، وللروم أن يرفعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلاً ولا ينزلوا قرية عامرة، فإذا مضى شهر ربيع وجمادي الأولى، ساروا إلى حيث شاءوا، ومن أسلم منهم فله مالنا وعليه ما علينا، ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها، وعلى من أقام منهم الجزية والخراج، شهد الله وكفى بالله شهيداً"<sup>(١٢١)</sup>.

إن العهود التي أوردناها سابقاً على سبيل المثال، لم تختلف عن العهود التي عقدت مع بقية المدن الشامية، فقد تضمنت الآتي:-

- الحرية الدينية فلا يكرهون على اعتناق الإسلام، ولا ينزل المسلمون كنائسهم بغرض السكن أو تهدم أو ينتقص من أجزائها.

- إعطائهم الأمان على أموالهم ودورهم، فلا يجوز التعرض لأموالهم بالمصادرة أو النهب، أو فرض إتاوات بغير حق تتجاوز ما هو مقرر عليهم من الجزية والخراج.

- منح أهل الذمة الأمان على أنفسهم، فلا يجوز التعرض لهم بالأذى الجسدي أو النفسي بالضرب أو الحبس أو السب أو القتل لمجرد الاختلاف في العقيدة، وكذلك عدم التمييز بينهم.

- المساواة بينهم في دفع الجزية، فلا يوجد تمييز بين شخص وآخر، أو مدينة وأخرى، بل الجميع متساوون في تسليمها ومقدارها.

- وعلى الرغم من أن الجنود الروم يعدون أعداء للمسلمين كونهم هم الذين يعدون العدة ويحاربون المسلمين، ومع ذلك نجد أن المسلمين لا يخرجونهم عن عهود الأمان، فأعطوهم مساحات لرعي مواشيهم، ومنحوهم مهلة شهرين للتفكير إما في دخول الإسلام أو البقاء على دينهم، وعليهم الجزية، وإما الخروج إلى حيث يشاؤون، وهذا يمثل قمة العدل والتسامح مع أعدائهم.

ويبلغ من حسن تعامل المسلمين مع سكان البلاد التي تم فتحها، احترام رغباتهم فيما يريدون، فقد طلب أهل إيليا من أبي عبيدة الأمان والصلح مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام، وشرطوا عليه أن يكون المتولي لعقد الصلح معهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوافق أبو عبيدة وأرسل إلى أمير المؤمنين بالخبر، الذي وافق على ذلك وقدم الشام، واتخذ الصلح معهم<sup>١٢٢</sup>.

ولو كانت المسألة غالب ومغلوب لرفض المسلمون طلبهم وأصرروا على فتحها، ولكن احترام رأي الأهالي وسماح ما يقولونه مطلوب، حتى يكتمل الخير وتعم الفائدة للجميع.

وقد التزم المسلمون أثناء الفتح الإسلامي بوصايا الخلفاء، وطبقت على أرض الواقع فيما يخص عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ سواءً عند المعارك أو شن الغارات على المدن التي لم تدخل في صلح مع المسلمين. ففي معركة من المعارك حمل صفوان بن المعطل على رومي وقتله وبجواره زوجته عليها سلاح، فلما رأت زوجها قتل، حملت على صفوان الذي لم يتعرض لها<sup>١٢٣</sup> فأومأ إليها بالسيف ولم يضرها، لكنه حمل عليها فولت المرأة من بين يديه<sup>١٢٤</sup>. وكان بإمكان صفوان أن يأخذها سبيه له أو أن يستمر في ملاحقاتها حتى يبيت الرعب في قلبها ويخيفها، لكنه فضل تركها.

ومثال آخر يؤكد مدى التزام المسلمين بوصايا الخلفاء ، وعدم مخالفتها أنه أثناء إغارة المسلمين على المعرة<sup>(٢٤)</sup> وبلدة العواصم<sup>(٢٥)</sup> وقنسرين<sup>(٢٦)</sup> وكفر طاب<sup>(٢٧)</sup> ، وقع في الأسر نساء وأطفال ورجال ، وأصطحبهم الجيش الإسلامي إلى مركز القيادة ، فلم يتلذذ عياض بن عتم بمنظر النساء والأطفال وهم يبكون ، فأمر بإطلاق سراح الجميع بعد أن أقر الرجال بدفع الجزية<sup>(٢٨)</sup> . ولم تذكر المصادر التاريخية بأن رجلاً من المسلمين انتهك عرض امرأة سواء كانت أسيرة أم غير ذلك .

وبما يحسب أيضاً للمسلمين أثناء الفتح عدم ترويع سكان البلاد المفتوحة بعدم مهاجمتها مباشرة وإثارة الفرع والخوف بين سكانها ، وكانوا يعسكرون خارج المدن ، وهذا ما حصل في بعلبك ، فلم يدخلها المسلمون بل عسكروا خارجها ، ولم يسمح لأي فرد من المسلمين بدخولها<sup>(٢٩)</sup> .

والأمر ذاته حدث مع أهالي حمص ، فقد عسكر المسلمون خارجها ، ونتيجة لأخلاق المسلمين وحسن تعاملهم مع المدن الأخرى ، نجد أهل حمص يعرضون على أبي عبيدة الدخول إلى مدينتهم ليقبضهم بصدق المسلمين والتزامهم بعهودهم في عدم التعرض لأموالهم وممتلكاتهم ، ولكنه رفض عرضهم واستقر مع جيشه خارج المدينة ، وظل المسلمون في معسكرهم ولم يدخلوا حمص إلا بعد معركة اليرموك ١٥هـ / ٦٣٦م<sup>(٣٠)</sup> .

إن عدم دخول المسلمين المدن وبقائهم خارجها ، لا يعني عدم الاختلاط مع سكان بلاد الشام أنت . الفتح ، فقد كانت العلاقات بين الجانبين تقوم على الاحترام المتبادل ، وازدهرت المدن الشامية تجارياً بوجود المسلمين .

ف نجد حدوث رواج تجاري في بعلبك لأن المسلمين كانوا يغيرون على المناطق الساحلية التي فيها الروم والعرب الذين لم يدخلوا في صلح معهم ، فيعودون محملين بالقنائم فيبيعونها لأهل بعلبك الذين يفرحون ببيع المسلمين وشرائهم . "وربحوا في تلك المدة البسيرة مالاً عظيماً"<sup>(٣١)</sup> .

ولو كان المسلمون شرهين ومحبين للأموال وجمعها ، لجعل ذلك أهل بعلبك يتفرون منهم ويقاثلونهم ، ولكن الأموال الطائلة التي جنوها من وراء وجود المسلمين كان بالنسبة إليهم نعمة ، حلت عليهم من السماء .

غير أن فرحتهم بما ربحوه من تلك التجارة لم تكتمل ، لأن تلك الأرباح التي جوه قوتحت شهة بطريق بعلبك الروماني للأموال ، فطالبهم بالعشر من أرباحهم فوافقوا لكثرة أرباحهم ، فطمع

بهم أكثر وطالبهم ببيع أموالهم، وما قاله لهم: "أنا أعلم أن هذه المدينة في كسب عظيم وتجارة رابحة، ما رأى أهل بعلبك مثل هذا أبداً" (١٣١).

إن ما قام به بطريق بعلبك، يعد شهادة للمسلمين على تعاملهم الراقي مع سكان بلاد الشام أثناء الفتح القائم على إعطاء كل ذي حق حقه، والبعد عن الجشع والطمع في أموال الآخرين، وأن خروجهم كان للدعوة، وما يحصلون على غنائم يتم بيعها برخص للسكان كونهم لا يريدون إلا متطلبات احتياجاتهم فقط دون تكديس الأموال وجمعها، ولأن هذا يتعارض مع النصوص الشرعية، وأهداف خروجهم.

ونتيجة للفارق الشاسع بين تعامل البطريق وتعامل المسلمين مع السكان، ثار الأهالي ضد البطريق وقتلوه مع غلمانهم، وطلبوا من المسلمين دخول المدينة (١٣٢).

إن التجارة لا يستقيم أمرها في حالة عدم الاستقرار وغيب الأمن والأمان، وشيوع الحروب أو وجود إدارة فاسدة، تعيث بالأموال والممتلكات.

ومع وجود الجيوش الإسلامية في بلاد الشام، كان تجار المدن يسعون إلى عقد صلح مع المسلمين الذين كانوا يتمتعون بروية صائبة تجاه التجارة التي يستقيم حال السكان بها، ويطمنون لتوفر احتياجاتهم وسهولة الحصول عليها ببسر وأمان. فعندما ذهب أهل حلب من التجار والعاملين بالسوق وغيرهم إلى أبي عبيدة يطلبون منه عقد الصلح معهم حفاظاً على مصالحهم، قال: "إن هؤلاء أهل متاجر وسوق وصناع وهم مستضعفون، وقد رأينا أن نحسن إليهم ونصالحهم ونطيب قلوبهم" (١٣٣).

أما تجار وسوق حمص فكانوا يخرجون إلى معسكر المسلمين، بعد عقد صلح معهم فيبيعون ويشتررون، ويربحون الأموال الكثيرة، وسهل لهم الأمر ساحة المسلمين في بيعهم وشراهم (١٣٤).

والمعروف أن التجار لا يمكن أن يخرجوا للبيع والشراء في معسكر للعدو، لا يأمنوا فيه على تجارتهم وأموالهم، ولكن لما زال الخوف من الجيش الإسلامي، ولعرفتهم من شواهد سابقة لسوها أن هؤلاء لا يتعرضون لحقوق الآخرين مهما كانت.

موقف سكان بلاد الشام من المسلمين أثناء الفتح:-



لم تكن الانتصارات العسكرية التي حققها المسلمون هي السبب في ضم بلاد الشام إلى دار الإسلام، بل كان هناك ما هو أعظم منها تأثيراً على السكان، ألا وهو الجانب الأخلاقي، فقد كان له تأثير عظيم على هؤلاء السكان، حيث كان المسلمون يتمتعون بأخلاق عالية وإن شذ عنهم القليل، فلم ينفدروا أو يخالفوا ما عقدوه مع السكان من عهود الصلح، أو يعترضوا الطرق بهدف السلب والنهب، فكانت أخلاقهم النابعة عن الدين الإسلامي، تؤثر في السكان وتجعل أهل البلاد التي لم تفتح بعد يسعون بأنفسهم لعقد الصلح مع المسلمين، ليس خوفاً منهم، وإنما لما سمعوه عن سلوكهم وأخلاقهم.

فهذا أمير " قدمه " يجمع رعيته عند سماعه بقدوم المسلمين، ويقول عنهم لقومه "إن قومنا يتحدثون بعدلهم وحسن سيرتهم، وإنهم لا يطلبون الفساد"<sup>(٣٦١)</sup>. ولما عرض عليهم عقد صلح مع المسلمين فرحوا واعدوا مستلزمات الضيافة لهم دون تكليف أو إكراه من أحد<sup>(٣٦٢)</sup>.

وأما أهل حماء فخرجوا ومعهم الإنجيل يعرضون الصلح على أبي عبيدة، ويقولون له "نريد أن نكون في صلحكم وذمامكم فأنتم أحب إلينا"<sup>(٣٦٣)</sup>.

والواضح من ذلك أن سمعة المسلمين الطيبة وحسن أخلاقهم في التعامل مع الأهالي، وكذلك عدلهم ذاع في أنحاء بلاد الشام، حيث صار الأهالي يتحدثون عن سماتهم ويثنون عليهم، فأثناء قدوم الجيش الرومي لقتال المسلمين قبل معركة اليرموك، وكان معهم أحد نصارى العرب والذي روى ذلك بقوله "وأقبلت مع الروم فجعلنا لا نمر بأحد من أهل البلد، إلا وجدناهم أحسن شيء ثناء على العرب في كل شيء من أمرهم وفي سيرتهم"<sup>(٣٦٤)</sup>.

إن ما ذكره هذا العربي النصراني صحيح فلو كان الأمر خلاف ذلك لذكره، وما يؤكد صدق كلامه أن أهل الذمة في بعض المدن صاروا عيوناً للمسلمين، فتجد أهل شيزر<sup>(٤٠)</sup> بعد استقبالهم لأبي عبيدة وعقد الصلح معه، يخبرونه بأن هرقل قد بعث جيشاً بقيادة جبلة بن الأيهم الغساني ومعهم العرب المنتصرة والروم عشرة آلاف فارس بعد استنجد صاحب قنسرين، ونزولهم بجسر الحديد، وطُلب منه أن يكون على حذر منهم<sup>(٤١)</sup> فكان ينبغي على أهل شيزر أن يبقوا مع الروم إخوانهم في العقيدة ضد المسلمين، ولكن حدث العكس، فقد صاروا عيوناً للمسلمين يراقبون تحركات الروم. وينقلون الأخبار إليهم بدون إكراه أو إلزام، لقناعتهم بعدل المسلمين وإحسانهم، فصاروا أحب إليهم من إخوانهم في العقيدة.

وفي حلب حدث انقسام بين والي المدينة الرومي الذي استعد بجيشه وخرج لقتال المسلمين، وبين الأهالي المرحبين بقدمهم، حيث خرج ممثلو الأهالي سراً ويدون إذن البطريق إلى أبي عبيدة يطلبون الصلح "جئنا نطلب منكم الصلح"<sup>(٤١)</sup>. بما يشير إلى رفضهم مبدأ القتال. ولولا حسن تعامل المسلمين مع السكان، لما فعل أهالي حلب ما فعلوه، ولو رافق دخول المسلمين للمدن والقرى القتل، والسلب والنهب والاعتداء على الأعراض لصعد الأهالي مع الجيش الرومي، وقتلوا معه وسينتصرون في النهاية، لأن من يقاتلونهم عبدة عن لصوص وقتله لا هم لهم إلا أنفسهم وتحقيق مصالحهم.

أما سكان حمص فقد يادروا إلى طلب صلح المسلمين قبل وصولهم وكذا طلب الأمان لهم، فأمنهم المسلمون، فرحبوا بهم عند وصولهم وأخرجوا لهم الطعام ولبنانهم العلف<sup>(٤٢)</sup>.

ووجد من أهل الشام أفراد يتعاونون مع المسلمين، لأنهم لم يروا منهم إلا كل خير، ومن هؤلاء شخص حمل رسالة من المسلمين إلى بطريق حمص، ويبدو أنه كان شخصية لها مكانتها ومعروفة في المجتمع الشامي، حتى إن البطريق استغرب من تصرفه، وسأله: "أرجعت عن دينك إلى دين العرب؟ قال: لا، ولكن في ذمتهم وعهدهم أنا وأولادي وأهلي ومالي، وما رأينا من القوم إلا خيراً..."<sup>(٤٣)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن أهالي حمص استعدوا لقتال الروم إلى جانب المسلمين بعد انسحاب المسلمين منها، وتعاهدوا على قتال جيش هرقل إذا حاول اقتحام المدينة، وأقسم اليهود: "والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد"<sup>(٤٤)</sup>. وأغلق الأهالي الأبواب، وتناوبوا الحراسة عليها، ولما علم أهل الذمة الذين صالحوا المسلمين في مدن الشام الأخرى، بذلك استعدوا لقتال الروم إلى جانب المسلمين، خوفاً من عودتهم إلى العبودية الرومية، بعد أن حررهم الإسلام منها ورفع عنهم الظلم.

ولو سار المسلمون على نهج الروم لوقف أهل الذمة على الحياد، لأنهم لا يريدون الجميع، وربما وقفوا إلى جانب الروم بحكم الرابط الديني، ولكنهم رُؤوا مصلحتهم أن يكونوا تحت حكم المسلمين، لأنهم أرحم بهم، وقالوا: "إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه"<sup>(٤٥)</sup>.

وبعد انتصار المسلمين في معركة اليرموك فتح أهل الذمة مدنهم للمسلمين، وعادت العلاقة بينهم بموجب العهد السابقة.

وبرغم ترحيب الغالبية العظمى من أهل الذمة بالمسلمين، إلا أنه وجد من بينهم من يُكره للفاتحين الكراهية ويرغب في القضاء عليهم، مثل أهل بيت المقدس، الذين سعوا في البداية إلى الصلح واشتروا عقده مع الخليفة عمر رضي الله عنه، وعلى الرغم من مجيئه وعقد الصلح معه، إلا أنهم حاولوا بعد ذلك الغدر بالمسلمين وقتلهم وهم في الصلاة بدون سلاح، غير أن بعضهم نصح بعدم الإقدام على هذا العمل، حتى لا ينقضوا الصلح، وطلب منهم بدلاً عن ذلك بإغرائهم بما يملكون من الأموال والمتاع، يعرضها في طريقهم، فإذا اعتدوا عليها كان لهم الحق في قتالهم<sup>(١٧)</sup>.

فعمل الأهالي بهذه النصيحة وأخرجوا كل ما لديهم من مال ومتاع ووضعوه في الطريق، فكان المسلمون ينظرون إلى ذلك في دخولهم وخروجهم، وهم يعجبون من ذلك الأمر، ويقولون: "الحمد لله الذي أورثنا ديار قوم لهم مثل هذا"<sup>(١٨)</sup>.

ومن ثم فقد حدث عكس ما كان يخطط له، فلم يلتفت أحد من المسلمين لما تم عرضه بل تمجدهم يستغفرون من تصرفات سكان بيت المقدس، وري أصاب أهل الذمة الهبة والذهشة من تصرفات المسلمين، وتغيرت نظرتهم تجاه المسلمين بعد تأكدهم من رقي سلوكهم بعد هذا الاختبار العملي، إذا لم تذكر المصادر التاريخية التي أطلعنا عليها، وحسب علم تكرار مثل هذه الحادثة أو غيرها خلال الفترة الزمنية لهذا البحث.

وقد لفت سلوك المسلمين الراقي انتباه بطريق دمشق ومعه قاداته، وأعجبوا بهم، فعندما كانوا يغربون على أطراف دمشق وأصابوا نقلاً أتوا به في المقسم فلم يستحل أحد أن يغزل شيئاً حتى أن الرجل من المسلمين، كان رعا أني بكبة من غزل وبكبة من الصوف والشعر والإبرة و المسلة، وما فوق ذلك فيسلمه إلى صاحب المقسم<sup>(١٩)</sup>.

والمطلع على كتب التاريخ لا يجد مثلاً مشابهاً لما قام به أهالي بلاد الشام مع المسلمين، ولولا الرعاية لهم والمحافظة على العهد من قبل المسلمين لما حدث من الأهالي هذا التأييد والترحيب وتذليل كافة الصعوبات التي تعترض طريقهم.

المحور الثاني : حقوق أهل الذمة من سكان الشام بعد الفتح :

تغير وضع سكان بلاد الشام بعد أن صاروا من رعايا الخلافة الإسلامية، وأصبح وضعهم

أفضل مما كانوا عليه في عهد حكم الروم، الذي استمر سبعة قرون<sup>١٥</sup>. حيث أصبح لهم حقوق عديدة لم يكونوا يتمتعون بها مثل : حرية الاعتقاد والحرية السياسية، وحماية ممتلكاتهم، وحرية التقاضي والعدل، وحرية المتاجرة والكسب، وغيرها من الحقوق، وأصبحوا في الوقت نفسه ملزمين بتأدية واجبات تجاه الخلافة الإسلامية.

فقد كفل الإسلام لهم هذه الحريات ورعاها وحافظ عليها، ولم تكن هبة منحها المسلمون - قادة وأفراد - إذ لو كان الأمر كذلك لتغيرت السياسة من قائد إلى آخر وفقاً لأهوائهم .

### حرية الاعتقاد :

الحرية بالنسبة للإنسان من ضروريات حياته، فلا يمكن أن يستغنى عنها بأي حال من الأحوال. والحرية تشمل نواح عدة من بينها حرية الديانة وممارسة شعائرها بدون تدخل من أحد، والإسلام لا يدعو أتباع الديانات الأخرى مثل النصرانية واليهودية وغيرها إلى اعتناق الإسلام بالإكراه، وإنما ترك لهم حرية الاختيار وهذا ليس احتهاد من المسلمين، وإنما أمر ملزم من رب العالمين {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}<sup>١٦</sup>. وبالتالي فما على المسلمين سوى التنفيذ، والالتزام بما ورد .

فقد انتشر الإسلام بالدعوة القائمة على الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وسار المسلمون في بلاد الشام على هذا النحو، فقد عرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء وجوده في بلاد الشام الإسلام على امرأة نصرانية عجوز، لكنها رفضت وفضلت الاحتفاظ بدينها حيث قال لها: "أسلمي تسلمي، بعث الله محمداً بالحق، فكشفت عن رأسها فإذا مثل الشفامة"<sup>١٧</sup>، فقالت: عجوز كبيرة، وإنما أموت الآن، قال عمر: اللهم اشهد"<sup>١٨</sup>.

وهذا جيلة بن الأيهم الفسائي يعرض عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإسلام "فأبى ذلك وقال: أقيم على ديني"<sup>١٩</sup>.

ويفهم من النصين السابقين أن التبليغ والتعريف بالإسلام من مهام المسلمين وإلا فهم محاسبون على التقصير أمام الله ، وأن الدعوة قد بلغت وبرت ذمة الخليفة أمام ربه في تبليغ رسالته، ولم يمارس الخليفة أي ضغط لتغيير دين من دعاهم إلى الإسلام، وفي المقابل لم يخافوا أو يعتنقوا الإسلام إرضاء للخليفة.

وكذلك كان الحال بالنسبة لقادة الفتح الإسلامي لبلاد الشام، فكان واجبهم الإبلاغ دون الإكراه. فقد عرض خالد بن الوليد الإسلام على البطريرك الرومي على الرستن الذي وقع في أسر المسلمين، فكان رده: "لا أريد بديسي بدلاً"<sup>(٥٥)</sup>. فلم يعامل معاملة سيئة لأنه رفض الإسلام، بل أطلق سراحه وخرج مع أفراد أسرته إلى حمص، ولم تكن قد فتحت بعد<sup>(٥٦)</sup>.

وحدث الموقف نفسه مع القائد البيزنطي ماهان، فقد عرض عليه خالد بن الوليد الإسلام. فرد بقوله: "أما أن ندخل في دينكم، فما أبعد من ترى من الناس من يترك دينه، ويدخل في دينكم"<sup>(٥٧)</sup>.

أما بالنسبة لسكان بلاد الشام بشكل عام فقد منحوا حرية الاعتقاد بموجب العهد التي منحت لهم من قبل قادة الفتح الإسلامي<sup>١٥٨</sup>. ولم يجبر إنسان أو جماعة على اعتناق الإسلام، فقد منح خالد بن الوليد أهل الرستن حرية الاعتقاد "فأسلم منهم كثير وبقي الأكثر يؤدون الجزية"<sup>(٥٨)</sup>.

أما حاضر<sup>(٥٩)</sup> قنسرين التي تسكنها بعض القبائل العربية. ومنها تنوخ، فقد دعاهم أبو عبيدة ابن الجراح إلى الإسلام "فأسلم بعضهم وأقام على القصرية بنو سليح"<sup>(٦٠)</sup>. ولم يسلموا إلا في عهد الخليفة العباسي المهدي<sup>(٦١)</sup>.

وهؤلاء أهل طرابلس يُعرض عليهم الإسلام "فأسلم البعض بينما بقى البعض الآخر على دينه مع دفع الجزية"<sup>(٦٢)</sup>.

إن إكراه الناس على اعتناق الإسلام غير جائز شرعاً، ولا يجدي نفعاً لأنه يولد العناد والتمسك بعقيدتهم، والدفاع عنها حتى الموت، والتاريخ يثبت ذلك، فقد حدث في بلاد الشام صراع شديد بين أهل الشام المعتنقين للمذهب المونوفيزي، الذي يؤمن أتباعه بأن للمسيح طبيعة لاهوتية واحدة، وبين المذهب الملكاني الذي يؤمن أتباعه ومنهم الروم (البيزنطيون) بأن للمسيح طبيعتين بشريه وإلهية، ونتيجة لهذا الاختلاف المذهبي، استخدمت الدولة الرومية وسائل عدة لإجبار أهل الشام على اعتناق المذهب الملكاني منها القتل والتعذيب بأشنع صورته<sup>(٦٣)</sup>. فهل نفع القتل وخاف الشاميون منها وتحولوا عن مذهبهم؟ وهل نجحت وسائل التعذيب في تحقيق ذلك الهدف؟ .. ولجوب على ذلك أن الدولة الرومانية فشلت في تحويلهم إلى مذهبها.

وتجدد هذا الصراع المذهبي لم يزد الشاميين إلا تمسكاً بمذهبهم ومقاومة أساليب القتل والتعذيب بالصبر.

إن الانتقال من دين إلى دين آخر لا يمكن أن يتم إلا عن قناعة وإيمان عميق بالدين الجديد.

لقد مُنح أهل الذمة حرية الاعتقاد وممارسة طقوسهم الدينية، وحفظت أماكن عبادتهم من كنائس وأديرة، ومثلما كان الأذان يرفع من المآذن للإعلان بدخول وقت الصلاة، فقد كانت تضرب نواقيس الكنائس فيسمع أجراسها حتى إن بعض المسلمين قد تذمر منها، لأنها طفت على أصوات المؤذنين فتمنع سماعهم، وهذا يعلم وموافقة الوالي<sup>(١٧١)</sup>، الذي لا يتدخل لتوقيفها أو منعها لأنها مرتبطة بالناحية العقدية لأهل الذمة، وهذا يؤكد على الحرية الدينية التي تمتعوا بها في بلاد الشام.

إن حرية الاعتقاد لأهل الذمة التي منحت لهم من المسلمين تشهد بها المصادر التاريخية، ويشهد بها الكثير من المؤرخين الغربيين فيقول سيديو<sup>(١٧٢)</sup> عن المسلمين أنهم "أبدوا من الإيفاء بالعهود ما أبدوا مبتعدين عن كل جور".

أما جرجي زيدان<sup>(١٧٣)</sup> فيشهد بعدم تدخل المسلمين في شؤون أهل الذمة في كافة نواحي حياتهم، فيقول: "كان العرب إذا فتحوا بلداً أقروا أهله على ما كانوا عليه من قبل، لا يتعرضون لهم في شيء من دينهم أو معاملاتهم أو أحكامهم المدنية أو القضائية أو سائر أحوالهم".

ولا يشذ عن هذا الرأي عوستاف لوبون<sup>(١٧٤)</sup> الذي يؤكد أن المسلمين عرفوا: " كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كيف يبعدون عن أعمال السيف فيمن لم يسلم، وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وأعراقها وعاداتها مكتفين بأخذهم في مقابل حمايتها جزية زهيدة".

بينما نجد ساليان<sup>(١٧٥)</sup> يقول عن علاقة المسلمين بأهل الذمة من الناحية العقدية أنهم: "سحوا لهؤلاء الرعايا بممارسة طقوسهم الدينية المحلية... وعلى عكس ما هو معروف لم يحاول المسلمون إجبار رعاياهم على اعتناق الإسلام".

كما يذكر لوثروب<sup>(١٧٦)</sup> بأن الخليفة عمر رضي الله عنه "يرعي حرمة الأماكن المقدسة النصرانية أيم رعاية، وقد سار خلفاؤه من بعده على أثره، فلا ضيقوا على النصارى ولا نالوا بمساة طوائف الحجاج الوافدين كل عام إلى بيت المقدس من كل فج من أفضاج العالم الإسلامي".

هذه الشهادات وغيرها تؤكد بأن المسلمين منحوا أهل الذمة الحرية العقدية في ممارسة طقوسهم

الدينية والمحافظة على أماكن عبادتهم مثل الكنائس والأديرة والمعابد من الهدم والمصادرة.

### الحرية السياسية :

عند الفتح الإسلامي لبلاد الشام أبقت الخلافة الإسلامية الولاة الروم في المدن التي كانوا يحكمونها ، وذلك بعد عقد الصلح معهم ، وأبقت النظم الإدارية المعمول بها دون تغيير ، فظل الولاة والموظفون في مناصبهم.

فقد ظل صاحب بيت المقدس والياً عليها بعد انعقاد الصلح مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وحاول هذا الوالي عمل وليمة طعام لأمير المؤمنين ، لكنه رفض حتى لا يرهقه ويحملة ما لا طاقة له<sup>(١٧١)</sup>.

وعند فتح الرها لم يتم عزل واليها الروماني ميظولس الذي عمل طعاماً كثيراً ودعا عياض بن غنم ومن شاء من المسلمين لنبأه ، لكنه اعتذر اقتداً بأمر المؤمنين عمر ، فصار البطريق محرراً بين أصحابه وقادته ، فطلب من عباس أن يأمر أصحابه بتلبية دعوته ، فقال : " ما كنت بالذي أمرهم ولا أنهارهم<sup>(١٧٢)</sup> ".

فازداد أمير الرها حرجاً ، وربما ظهرت عليه علامات الخوف حتى أن عياض طمأنه وقال له : " أيها البطريق إنما أنت تفعل بنا ذلك خوفاً على أرضك ، وإنما يجب عليك أن تفعل هذا بمن يأتيك بعدنا ، فأما نحن فقد ولينا لك بالصلح فلا تخف منا ظمناً ، ولا أن نحملك ما لا تطيق<sup>(١٧٣)</sup> . ويحمل هذا الجواب حسن تعامل المسلمين مع أهل الذمة ووفائهم بالعهود وعدم نكثها مهما كانت الظروف ، وعدم تحميل أهل الذمة ما لا يطيقون ، وهذا منهج سار عليه جميع المسلمين .

وعلى الرغم من أن بلاد الشام قد صارت تابعة للخلافة الإسلامية إلا أنها لم تتدخل في شئون أهل الذمة الداخلية ، فالولاة كانوا يعينون من قبل الدولة الرومية ، ولا يحدث اعتراض من قبل المسلمين ، لأنهم يعتبرون هذا شأن داخلي خاص بأهل الذمة ، طالما وأمر دعوتهم قائمة.

فبعد وفاة بطريق شيزر عقد صلح مع المسلمين ، أرسل هرقل امبراطور الروم بطريقاً على شيزر اسمه نكس ، وكان عاتياً جباراً ، وكان أول عمل قام به هو إلغاء الصلح مع المسلمين ، ثم أساء السيرة مع أهل شيزر بالاعتداء عليهم والاستيلاء على أموالهم ، ومصادرة ممتلكاتهم ، ولما

علم أبا عبيدة بالغلاء ( نكس ) الصلح مع المسلمين ، أعد جيشاً لمقاتلته ، وقدر للمسلمين عدم الدخول في قتال معه لأن أهل شيزر ثاروا عليه وعلى أتباعه وقتلوه جميعاً ، ثم خرجوا إلى أبي عبيدة الذي كان معسكراً خارج المدينة وقالوا له : " أيها الأمير إنا قتلنا بطريقنا في محبتكم ، فقال : يا أهل شيزر بيض الله وجوهكم وأدرر رزقكم ... " (٧٤) .

ويجد هنا أن المسلمين لم يتدخلوا في شئون أهل الذمة الداخلية مهما كان الصراع بينهم حاكماً ومحكوماً وأنهم لم يتهيأوا للتحرك ضد والي شيزر الروماني إلا لكونه نقض صلحهم فقط وليس لقيامه بظلم أهالي المدينة الذين قاموا بهذه المهمة وتخلصوا من نكس وأتباعه بدون تحريض من المسلمين أو دعم مادي ومعنوي قديم لهم . فكل ما قاموا به هو كراهيتهم لبطريقهم الذي أساء السيرة فيهم ، ومحبة في المسلمين لما لمسوه من الصدق والوفاء عندهم .

وتكرر الحدث نفسه في بعلبك ، حيث عقد المسلمون صلحاً مع بطريقها الروماني ، وظلوا في معسكرهم خارج المدينة ، ولكن التعامل بين المسلمين وسكان المدينة كان قائماً وخاصة في الناحية التجارية ، ولما كسب نجر المدينة الأموال الطائلة من تجارتهم مع المسلمين ابتزهم البطريق وفرض عليهم تسليم عُشر أرباحهم ، ورغم استحياتهم لمطلبه فقد زادت أطماعه وفرض عليهم تسليم ربع أموالهم ، فثاروا عليه وتم قتله مع أتباعه ، وبعد هذا الحدث طلب أهل بعلبك من المسلمين دخول مدينتهم ، لكنهم فضّلوا التشاور مع أبي عبيدة بن الجراح الذي وافق على دخولهم بناءً على طلب أهلها ، وهذا ليس مخالفاً للعهد معهم (٧٥) .

إن الدولة - أي دولة - عندما تستولي على بلاد تسعى بكل ما تستطيع إلى ربطها بملكها عن طريق تعيين ولاية من قبيلها ، وبواسطتهم تفرض القوانين والأعراف والتقاليد حتى تضمن ولائهم ، لكن الخلافة الإسلامية أبقت الولاية والنظم السائدة في بلاد الشام كما هي دون تغيير ، لأن هدف المسلمين ليس سياسياً أو مالياً وإنما دينياً يقوم على الدعوة إلى الإسلام .

يقول ساليبان (٧٦) بأن المسلمين أبقوا " النظم الحكومية كما هي في البلاد التي فتحوها " . كما يقول جرجي زيدان (٧٧) عن المنهج الذي سار عليه المسلمون : " كان العرب إذا فتحوا بلداً أقروا أهله على ما كانوا عليه من قبل لا يتعرضون لهم في شيء " .



## احترام عادات وتقاليد أهل الذمة :

مع إن العهد التي منحها المسلمون لأهل الذمة لا تتضمن بنداً صريحاً يلزم المسلمين باحترام عادات وتقاليد أهل الذمة من سكان بلاد الشام إلا أن حرص الولاة على الإيفاء بتلك العهد جعلهم يعدون تلك الأمور من بين الأسباب التي يمكن أن يؤدي الاختلاف فيها إلى نقض تلك العهد وبالتالي اعتبروها من خصوصيات أهل الذمة التي ينبغي احترامها عند التعامل معهم، وما يذكر أنه لما قدم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلاد الشام استقبله جمع من أهل الذمة بالسيوف والريحان ، فاستنكر الأمر وأمر بردهم ومنعهم " فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم أو كلمة نحوها وإنك إن تمنعهم منها يروا في ذلك نقضاً لعهدهم فقال عمر : دعوهم " (٧٨) .

واستقبال هؤلاء الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالسيوف والريحان كان لعبة ترحيبية تقوم بها فئة من أهل الشام تعرف بـ ( المقلسين ) بين أيدي الأمراء الذين يقدمون إلى بلادهم (٧٩) ، وبالتالي فعندما عرف الخليفة أنها من عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة فقد أقرها رغم كراهيته لها . ولم يستخدم سلطته في إجبار أهل الذمة على تركها .

## حماية ملكيات أهل الذمة:

كان لأهل الذمة ممتلكات مختلفة مالية وعينية كالببوت والأراضي وما أن حماية تلك الملكيات حقاً من حقوق أهل الذمة فقد حفظها المسلمون لهم وسَلَّمت من النهب والمصادرة بموجب النصوص الشرعية الإسلامية ووصايا الخلفاء والعهد التي عقدت معهم ..

فبالنسبة لببوت أهل الذمة فقد كانت محرمة على المسلمين دخولها إلا بإذن أصحابها ، فعندما عقد المسلمون صلحاً مع أهل الرها نادى عياض بن غنم في جنده : " ألا إن أهل الرها في ذمتنا وعهدنا ، فلا تؤذوهم ، ولا تدخلوا عليهم في منازلهم إلا بإذن ... " (٨٠) .

ونجد في هذه الرواية أن الأوامر لجند المسلمين لم تقتصر على عدم دخول المسلمين الببوت إلا بإذن أصحابها ، وإنما عدم إيذائهم في مدينتهم بشكل عام ، سواء كان ذلك بالجلوس في الطرقات ومؤاذاة المارة أم التصنت على السكان في بيوتهم ومراقبتهم ، أو كشف عوراتهم ، وهذا يعني الحفاظ على حرية العيش لأهل الذمة .

ووجدت بيوت خالية من سكانها أثناء الفتوحات تركها أصحابها وقروا منها خوفاً من المسلمين ، وما قد يتعرضون له بحسب رأيهم ، ورغم هذا نجد المسلمين هنا لا يحاولون لأنفسهم هذه البيوت الخالية من سكانها وما فيها من ممتلكات ، وإنما تركت حتى يعود أصحابها إليها<sup>(٨١١)</sup> ، وصار لزاماً على المسلمين حمايتها من أي طامع أو معتد ، وكان هذا هو تعامل المسلمين مع بيوت أهل الذمة في معظم بلاد الشام .

أما بيوت دمشق فستتوقف عندها قليلاً ، ونتناول الخلاف بين المؤرخين حولها ، فنجد الطبري<sup>(٨١٢)</sup> يورد رواية عن سيف بن عمر التميمي دون إيراد بنود الصلح أو العهد ، لكنه يذكر بأن الصلح مع أهل دمشق " كان على المقاسمة ، الدينار والعقار " وأخذ بهذه الرواية العديد من المؤرخين<sup>(٨١٣)</sup> .

أما البلاذري<sup>(٨١٤)</sup> فقد أورد رواية انفرد بها ، تضمنت العهد الذي أعطاه خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل دمشق " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها وأعطاهم أماناً على أنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وسور مدينتهم لا يهدم ، ولا يسكن شيء من دورهم ، لهم بذلك عهد الله ودمه رسوله صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء والمؤمنين ، لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية " ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إننا نجد أنه يفتي مسألة المناصفة المذكورة وقتل ذلك في قوله : " وزعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، وقال محمد بن سعد قال أبو عبد الله الواقدي : قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس ، وقد روى ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه ، ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بأنطاكية ، فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون<sup>(٨١٥)</sup> " .

وأمام هذا التباين بين ما ورد عند المؤرخين حول هذا الأمر ، فإننا نميل إلى ما ذكره البلاذري باعتبارات عدة هي :

- إن هذا العهد لا يختلف عن العهود التي منحت لأهل الذمة في مدن الشام كافة
- لماذا يتم تقسيم دور أهل دمشق دون غيرهم من أهل الذمة في مدن الشام ؟ وما هو الجرم الذي قاموا به حتى يتم تقسيم أموالهم ودورهم ؟

- إذا أقر أهل الذمة بالجزية وتسلمت للمسلمين بعد الفتح ، صار لهم حقوق كما نص العهد وبحسب الشرع بأن أهل الذمة الذين يعطون الجزية " لم يؤخذ منهم شيء من ثمارهم ولا تجارتهم ولا زروعهم " <sup>(٨٦)</sup> فكيف للمسلمين أن ينتهكوا العهد ويقاسموا أهل الذمة في دمشق أموالهم وبيوتهم ، وهذا يُعد مخالفة للشرع الإسلامي ولأهداف الفتوحات .
- إن كتب الفتوح لم تشر إلى المناصفة <sup>(٨٧)</sup> .

ويبدو أنه حدث خلط بين الرواة حول هذا الأمر ، فالبيوت التي نزل فيها المسلمون كانت خالية من سكانها كما ذكرنا سابقاً ، ولو كانت عامرة بأصحابها لما نزلها المسلمون على الإطلاق ، فلم تذكر المصادر التاريخية بأن المسلمين أخرجوا أصحاب تلك البيوت عنها بالقوة ، وقت مصادرتها ، ولو حدث مثل هذا لذكرت ذلك .

وبالنسبة لحمص فقد أورد الطبري <sup>(٨٨)</sup> أيضاً أن المسلمين صالحوا أهل حمص " على انصاف دورهم ، وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنينهم لا ينزلونه عليهم ، فتركوه لهم " . ويجد أن هذا تكرار لما ذكره عن صلح دمشق ، والشيء الجديد فيما أوردته علم المناصفة في أموالهم ، وترك أموال الروم وبيوتهم لأهل حمص .

ونحن لا نجيل إلى ما أوردته الطبري لأنه يتناقض مع ما ورد في بقية المصادر <sup>(٨٩)</sup> ومنها فتوح البلدان <sup>٩٠</sup> ، الذي ذكر أن أبا عبيدة عندما صالح أهل حمص " أنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم ، واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد " . أما الأزدي <sup>(٩١)</sup> فذكر أن أبا عبيدة كتب لهم " كتاباً بالأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ... " .

إن عهود الصلح التي عقدها المسلمون مع أهالي مدن الشام لا اختلاف بينها من حيث المضمون والذي منه الأمان لبيوتهم وعدم نزولها ومصادرتها ، وإن اختلف منحها .

وفي بعض الأحيان وظروف خاصة تستدعي ذلك يضطر المسلمون إلى إخلاء السكان من دورهم إذا اقتضى الأمر مثلما حدث مع سكان مدينة عرب سوس ، والسبب الذي جعل عمير بن سعد يقوم بهذا العمل أنها كانت عبارة عن مركز محصن للروم على المسلمين مما ألحق الأذى بهم ، وقبل قيام عمير بذلك استأذن الخليفة ، " يا أمير المؤمنين بيننا وبين عدونا مدينة يقال لها عرب سوس يُطْلَعُ عدونا على عوراتنا ويفعلون ويقولون ، فقال عمر : خيرهم بين أن ينتقلوا من مدينتهم وتعطيهم مكان كل شاه شاتين ، ومكان كل بقرة بقرتين ، ومكان كل شيء شبتين ، فإن فعلوا فاعطهم ذلك ، وإن أبوا فأنبذ إليهم على سواء ثم أجلبهم سنة " <sup>(٩٢)</sup> .

ولما عرض عمير أمر الخليفة على سكان عرب سوس رفضوا ، فاضطر إلى إخراجهم بالقوة وصاحب إخراجهم حدوث أضرار في دورهم ، فوصلت الأخبار إلى أمير المؤمنين فلم يسامحه وضربه بالدرة<sup>(١٣٦)</sup> . وما قام به عمير شيء طبعي أن يصاحب عمله ضرر سواء للسكان أو البيوت نتيجة لرفضهم ، ومع ذلك لم يغفر له الخليفة للأذى الذي لحق بأهل الذمة ، وهذا يمثل قمة الأخلاق في التعامل والمحافظة على شعور أهل الذمة.

والإجلاء لم يكن دائماً وإنما كان مؤقتاً ومحدداً بمدة زمنية ( لمدة عام ) ، ثم يسمح لهم بالعودة ، ولم يذكر بأن المسلمين قد نزلوا هذه البيوت خلال مدة الإجلاء ، وإنما ظلت خالية ، ورى كلف من المسلمين من يحرسها حتى عودة أصحابها .

وقد كفلت العهود أيضاً حماية أراضي أهل الذمة فلا يجوز الاستيلاء عليها أو مصادرتها أو الاعتداء عليها ، وأولاه الخلفاء حل «تصامهم من خلال المتابعة لما يجري في بلاد الشام ، وقد ذكرنا سابقاً رسالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأبي عبيدة بن الجراح يطلب منه منع أي فساد قد يلحق بأراضي الدارين ، ويعلمه أن أهلها أحق بزراعتها ، وأنه بعث أيضاً برسالة إلى الدارين بطمئنتهم على أراضيهم بمنع المفسدين عنها

ولم يكتف المسلمون بذلك ، بل سجدتهم يحافظون على أشجارها من الاعتداء عليها . فعندما كان أبو عبيدة بن الجراح في شيزر كانت عبيد المسلمين تأتي بالأخطاب من أشجار الزيتون والرمان وغيرها من الأشجار ، فلما علم أنكروا عليهم ذلك وقال : " ما هذا الفساد ، فقالوا : أيها الأمير إن الأخطاب متباعدة منه ، وهذه الأشجار قريبة ، فقال الأمير أبو عبيدة : عزيمة مني على كل حر وعبد قطع شجرة لها طعم وثمار لأجازه ولأنك لن به ، فلما سمع العبيد ذلك النكال جعلوا يأتون بالأخطاب من أقصى الديار "<sup>(١٤٧)</sup> .

ومثال آخر يؤيد ذلك نلمسه فيما ذكر عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فأتاه وجوده في الجابية جاء إليه رجل من أهل الذمة يشكو إليه قيام بعض المسلمين بالتعرض لعنينة ، فسارع الخليفة عندها إلى مزرعة ذلك الذمي ولما تأكد بنفسه من ذلك الأمر بعد رؤيته أحد المسلمين يحمل عنبا أمر " لصاحب الكرّم بقيمة عنبة "<sup>(١٤٨)</sup> .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن الخليفة " تبرأ إلى أهل الذمة من معرة الجيش "<sup>(١٤٩)</sup> واستخدام الخليفة كلمة معرة يعني أنه نظر إلى ذلك الفعل أنه من الأفعال المستقبحة والمكرهة لدى المسلمين لأن ذلك هو مدلول تلك الكلمة كما يذكر ابن منظور<sup>(١٥٠)</sup> .

والأمثلة السابقة توضح دور الجانب الرسمي في المحافظة على أراضي أهل الذمة وما تحويه من أشجار وثمار ، أما على المستوى الشخصي فيتضح ذلك فيما قام به أبو الدرداء رضي الله عنه حيث كان ينزل في قرية لأهل الذمة ولا يزيد أثناً جلوسه فيها عن شرب مائهم والاستظلال بأشجارهم وعندما ترعى دابته في كلاتهم كان يعطيهم مالاً مقابل ذلك<sup>(١٨)</sup> .

ومما يذكر أيضاً أن أبا هريرة قال لرجل يريد الغزو : " لا تطأ حرفاً وتطلع شرقاً إلا بإذن إمامك ، وإياك والمخلاة ... من أموال أهل الذمة ثم تقول : أنا غازٍ .. ثم لقي الرجل ابن عباس ، فقال له مثل ذلك " (١٩) .

وهنا نلاحظ إلتزام المسلمين على المستويين الرسمي والفردى لحماية أراضي أهل الذمة واحترام ملكيتهم لها بما تحويه من ثمار وكلاء ، وأن العلماء كان لهم دور كبير في إلزام بقية المسلمين بتلك الأمور وأن الأمر لم يقتصر على ما ورد في العهد فقط .

ومثلما كانت هناك أراضي مملوكة لأهل الذمة ، كانت هناك أراضٍ غير مملوكة من قبلهم أو غيرهم ، وأيضاً كانت توجد أراضي تعود ملكيتها إلى الروم قادة وأفراداً ، وأثناء الفتوحات الإسلامية تركوها فصار ملكيتها للمسلمين ، فتم توزيعها على المسلمين لبناء مساكن لهم ، بعد تخطيطها وتقسيمها فيما بينهم ، كما حدث في حمص<sup>(٢٠)</sup> .

وبالنسبة للأراضي التي كانت تعود ملكيتها للدولة الرومانية فقد كان لها وضع خاص ، حيث تم إقطاعها للجنود المسلمين على سبيل المفعة ، وليس على سبيل التملك ، والسبب الذي جعل القيادة في بلاد الشام تتجه نحو هذا أن القوات الرومانية كانت تُغير على سواحل بلاد الشام من تلك المناطق ، فاضطر المسلمون إلى مهاجمتها ، وعندما هزم الروم منها تم إقطاعها للمسلمين وذلك أواخر خلافة عمر وبداية خلافة عثمان رضي الله عنهما<sup>(٢١)</sup> .

والإقطاع ( من أقطع ) يعني إعطاء المسلمين أراضي غير مملوكة لأهل الذمة ، وقد يقول البعض أن هذا مخالف للعهد ، وحتى لا يلتبس الأمر نحب أن نوضح أمرين حتى تتضح الصورة عن أراضي بلاد الشام :

الأول : أن الأراضي التي فتحت عنوة هي ملك المسلمين الفاتحين ، يتم تقسيمها بينهم ، ولكن هذا لم يتم لأن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفض تقسيمها ، لأنه كان يرى أن ذلك يؤدي إلى

حرمان من يأتي بعدهم من المسلمين حيث بحث برسالة إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه الذي طالبه المسلمون بتقسيم الغنائم ومنها الأراضي عند فتح العراق : " .. ما أجلب الناس عليك من كراع أو مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، و اترك الأرضين والأثهار لعمال ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فإنك إن قسمتها فيمن حضر لم يكن لمن يجيء بعدهم شيء " (١٠٢) .

الثاني : إن الأراضي التي فتحت صلحاً تكون لأهلها وللمسلمين الخراج فقط " (١٠٣) .

### حرية المتاجرة والكسب :

ومن الحقوق التي كانت لأهل الذمة والتي تمتعوا بها في عهد حكم المسلمين حرية المتاجرة والكسب مهما بلغت ثرواتهم فلا يتم التعرض لتجارهم سواء تلك التي مع المسلمين أو تلك التي تخصهم في نوعها والمتاجرة فيما بينهم .

فسبق وذكرنا أن أهل بعلبك ربحوا أموالاً كثيرة من البيع والشراء مع المسلمين ، فلم يتدخل المسلمون في شئونهم بعد ربحهم تلك الأموال أو أظهرها الرغبة في المقاسمة ، لأن ذلك رزقهم لا يجوز مشاركتهم فيه طام . وهم ملتزمون بقايدة الواجبات المالية التي عليهم " (١٠٤) .

وهو ما افتقدوا وجوده لدى حاكم المدينة الروماني المسيحي الذي سعى إلى مقاسمتهم تلك الأرباح مما جعلهم يشورون عليه ، ويقومون بقتله مع جنده " (١٠٥) .

وبما يندرج أيضاً ضمن حرية المتاجرة لأهل الذمة بعد الفتح حرية بيع وشراء الخمر ، رغم أنها تُعد من المحرمات عند المسلمين ، فقد وجدت محلات تجارية لبيع الخمر لأهل الذمة .

وبما يذكر عن ذلك أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ثقب قطارة تحمل خمرأ لأحد تجار أهل الذمة ، ولما علم والي الشام معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه بذلك شكاه إلى الصحابي الجليل أبي هريرة وطلب منه أن يمنع عبادة من تكرار ذلك الفعل لأنه : " يقدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم " (١٠٦) .

وفهم من هذه الرواية أن أمير الشام رأى بحكم ولايته حواز متاجرة أهل الذمة للخمر فيما بينهم لإدراكه في الغالب أنها من خصوصياتهم وتدخل في حرياتهم الشخصية من دون أن يعي ذلك علاقة الأمر بتوجيهات أو وصايا الخليفة عثمان رضى الله عنه .

## حرية التقاضي والعدل :

لم يتدخل المسلمون في شئون أهل الذمة فيما يخص المنازعات بينهم ، احتراماً لخصوصياتهم الدينية المرتبطة بذلك الأمر وتركوا لهم حرية القرار ، كما التزموا بإنفاذ العدل في الحالات التي يكون فيها التنازع بين مسلم وذمي . ففيما يخص حرية التقاضي بذكر ابن أعثم<sup>(١)</sup> بأن امرأة نصرانية اختلفت مع ابن عمها فاحتكما إلى عياض بن غنم في شيء كان بينهما فقضى عياض على المرأة بالحق . ويبدو أنها قبلت حكمه ولم يذكر المصدر خلاف ذلك مما يرجع أنها قبلت حكمه ولم تعترض عليه لأنه أحق الحق وأبطل الباطل وهذا يؤكد على عدل المسلمين في أحكامهم ، ولو لم يكونوا كذلك لما احتكما إليهم وكان بإمكانهما أن يذهبا إلى كبار أهل ملتهم للتقاضي أمامهم .

أما فيما يخص التزامهم العدل عندما يكون النزاع بين مسلم وذمي فتتمثل أولى شواهد ذلك في شكوى تقدم بها رجل يهودي لأمر المؤمنين عمر رضي الله عنه عندما قدم الشتم ضد أحد المسلمين فقال : " يا أمير المؤمنين إن رجلاً من المسلمين صعب بي ما ترى . وهو مشجوج مضروب . فغضب عمر غضباً شديداً ثم قال لصهيب : اطلق فانظر من صاحبه . فأنتي به ، قال : فانطلق صهيب فإذا هو عوف بن مالك الأشجعي ... فقال له عمر : مالك ولهذ ؟ قال : يا أمير المؤمنين رأيت هذا يسوق بامرأة مسلمة على حمار فنخس بها لتصرع ، فلم تصرع فذفعها فصرعت . فغشيها . أو أكب عليها ، قال : أنتني بالمرأة فلتصدق ما قلت ، فأتاها عوف بن مالك ، فقال أبوها وزوجها : ما أردت إلى صاحبتنا ؟ قد فضحتنا ، فقالت : والله لأذهبن معه . فقال أبوها وزوجها : نحن نذهب فنبخ عنك ، فأتيا عمر فأخبراه بمثل قول عوف فأمر باليهودي وصلب . وقال : ما على هذا صالحناكم<sup>(٢)</sup> .

لقد غضب أمير المؤمنين من الصحابي عوف بن مالك لما رأى ما وقع لليهودي ، ومثل هذا الغضب مطلوب عندما يرى الظلم يقع على إنسان ، فأراد إنصافه عن اعتدى عليه مهما كانت مكانته لأنه مسئول عن إقامة العدل ، ولما اتضحت الحقيقة أمر الخليفة بقتل اليهودي وصلبه لأنه انتهك حرمة المرأة المسلمة ، وهذا مخالف لما صولحوه عليه .

وماذا لو ارتكب عوف عمله هذا ظلماً وعدواناً ، هل يمكن لأمر المؤمنين أن يسامحه ويتجاوز عن جرمه ؟ وللإجابة نقول : لا ، لأنه في هذه الحالة يُعد ظالماً ومخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في عدم إقامة العدل بين الناس .

وعندما تثبت القرائن على مخالفة أي إنسان يجب القصاص منه بحسب جرمه وإن كان صحابياً مثل عبادة بن الصامت رضى الله عنه الذي " دعا نبطياً يمسك له دابته عند بيت المقدس ، فأبى فضربه فشجه ، فاستعدى عليه عمر بن الخطاب ، فقال له : ما دعاك إلى ما صنعت بهذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أمرته أن يمسك دابتي فأبى ، وأنا رجل في حدة فضربته ، فقال: اجلس للقصاص ، فقال زيد بن ثابت : أتقيد عبدك من أخيك ؟ فترك عمر القود وقضى عليه بالدية <sup>(١١٠)</sup> .

فعلى الرغم من مكانة عبادة إلا أن الخليفة لم يتركه بدون عقاب إحقاقاً للحق وإنصافاً للمظلوم .

ومثلما وجد من المسلمين من تكون طباعهم حادة تؤذي الناس بغير حق ، فقد وجد منهم من يحرص على عدم إيذاء أهل الذمة حتى بالكلمة ، حفاظاً على مشاعرهم ، والرفق بهم واللين معهم ، فقد رفض عمير بن سعد أن يحدد له العهد بولاية حمص ، وكان رده لعمير رضى الله عنه : " إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك ، والله ما سلمت بل لم أسلم ، لقد قلت لنصراني أخذك الله ، فهذا ما عرضني له يا عمر <sup>(١١١)</sup> " .

لقد عدَّ عمير كلمة أخراك الله للنصراني بمثابة جريمة ارتكبه ، وأراد أن يمحي آثارها بعدم الموافقة على تجديد ولايته ، وهذا يدل على المستوى الأخلاقي الرفيع في المحافظة على شعور رعاياهم ، وإذا كان الإحساس بالذنب من كلمة فهل من المعقول أن يعتدى على حقوق أهل الذمة في ظل أمثال هؤلاء الولاة .

ولم يقتصر الأمر على الخلفاء والولاة في إقامة العدل بين رعاياهم من أهل الذمة ، بل شاركهم العلماء ، لأن ريع الظلم مستولية الجميع ، فقد مرَّ قس فلعبته بعض المسلمين ، فسمع أبو الدرداء فقال : " من هذا الذي لعنتم أنفأ ؟ فقالوا قس مرُّ بنا فأعجبنا سمته ، قال : فلا تفعلوا ، فإنه لا ينهي للعنان أن يكون عند الله صديقاً <sup>(١١٢)</sup> " .

وإذا وجد من يجهل بما أمر الله به ، فقد وجد من يرددهم إلى الصواب ، لأن الإسلام يأمرهم بهذا وينهي العمل به وعدم مخالفته .

ومن عدل المسلمين لرعاياهم من أهل الذمة احترام رغباتهم الشخصية كونها من حقوقهم التي



يجب أن تصان ويحافظ عليها ، فقد رأى عياض بن غنم في الرها امرأة نصرانية تتمتع بالحسن والجمال ، فلم يعط لنفسه الحق في التعرض لها بل عرض عليها الزواج ، فوافقت بشرط الاحتفاظ بدينها ، فأعرض عنها وتركها ، وهذا السلوك الحسن جعل تلك المرأة تحبه وتوده ، حتى أنها رفضت من تقدم لخطبتها بعده ، وظلت توده حتى أنها كانت تصنع له الطعام وترسله إليه ، فيقبل منها ويبادلها نفس الود حتى أنه وهب لها جارية لتكون خادمة لها<sup>(١١٢)</sup> .

ومن عدل المسلمين ووفائهم وأمانتهم في الإيفاء بالعهد أن جعلت موقف سكن بلاد الشام يتغيرون في موقفهم من العداء والتحذير المفرط ضد المسلمين إلى إظهار المودة لهم وإبداء استعدادهم لمشاركتهم حرب الروم ، فتجد أن أهل حمص قبل دخول المسلمين إليها يحملون في قلوبهم الحقد والكراهة الشديد لهم ، لدرجة أنهم هموا برمي الرسول الذي يحمل إليهم رسالة أبو عبيدة بالسهم والحجارة وهو نصراني على دهم<sup>(١١٣)</sup> ، فما الذي جعلهم يتغيرون بهذه الصورة ويصيرون قلباً واحداً مع المسلمين، ومثلث كانوا متحمسين لقتال المسلمين ، صاروا بنفس الحماسة والشدة مدافعين عنهم ويعملون معهم ، أليس العدل والأمن وصور ممتلكاتهم والحرية التي وجدوها مع الإسلام والمسلمين واقتقدوها مع أبناء جلدتهم وعقيدتهم .

ولذلك تحمل أهل الذمة لواء المعارضة ضد الروم ، فقد تعاهد أهل حمص بعد انسحاب المسلمين منها على مقاتلة جيش هرقل إذا حاول اقتحام المدينة ، وأقسم اليهود بأن لا يدخل الروم المدينة " والتوراة لا يدخل عمل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد ، فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود<sup>(١١٤)</sup> .

والذي جعلهم يفعلون هذا ويقفون إلى جانب المسلمين ، الخوف من الرجوع إلى عهد الظلم والتعسف الرومي بعد أن عاشوا في جو يسوده العدل والحرية في عهد المسلمين .

واجبات أهل الذمة :

تحدثنا عن الحقوق ( الحريات ) التي تمتع بها أهل الذمة في بلاد الشام بعد الفتح ، ولابد أن نتعرف على الواجبات التي كانت عليهم فقد كان من الواجب عليهم الالتزام بواجبات مالية وغير مالية أما فيما يخص المالية فتمثل في الآتي :

## الجزية :

هي موزوعة على رؤوس أهل الذمة ، وتحجب على الرجال الأحرار العقلاء ، وتسقط الجزية عنهم بالإسلام<sup>(١١٦)</sup> . وأموال الجزية هي مقابل الحماية والدفاع عنهم<sup>(١١٧)</sup> .

وعندما لا يفي المسلمون بما تم في الصلح مع أهل الذمة ، مثل حمايتهم والدفاع عنهم تسقط الجزية عنهم ولا يجوز أخذها ، وطبق هذا المبدأ أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الذي أمر سويد بن كثلثوم القرشي أن يرد على أهل الذمة في دمشق ما كان اجتبى منهم ، فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم : " نحن على العهد الذي كن بيننا وبينكم ونحن معيدون لكم أماناً ومنتصون لكم ما كنا صالحناكم عليه "<sup>(١١٨)</sup> .

ولم يقتصر الأمر على دمشق عندما انسحب المسلمون منها إلى البرموك لمواجهة الروم ، بل أمر أبو عبيدة بن الجراح عند الانسحاب أيضاً من حمص لنفس السب حبيب بن مسلمة المتولي لخراج حمص برد أموال أهل الذمة الذين كانوا قد صالحوا المسلمين . " رد على القوم الذين كن قد صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم ، فإنه لا ينبغي له إذ لم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئاً وقل لهم : نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ، لا نرجع عنه ، وإفنا ردنا عليكم أموالكم أنا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا تمنع بلادكم "<sup>(١١٩)</sup> . فدعا حبيب الناس ورد عليهم ما أخذ منهم من مال وأخبرهم بما قاله أبو عبيدة .

وأمام الوفاء عند المسلمين في المحافظة على عهودهم ، ونتيجة لهذا الموقف النبيل والأخلاق الفاضلة ، كان رد فعل أهل حمص أن قابلوا الإحسان بالإحسان والوفاء بالوفاء ، فقالوا للمسلمين : " ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا ، لا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا "<sup>(١٢٠)</sup> . وفي رواية أخرى قالوا : " لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم "<sup>(١٢١)</sup> .

واختلف الفقهاء في قدر الجزية فكان يؤخذ في البداية على كل رجل من أهل الذمة ديناراً وجريباً<sup>(١٢٢)</sup> ( من الحنطة )<sup>(١٢٣)</sup> ، ثم وضعها عمر رضى الله عنه أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعين درهماً على أهل الورق<sup>(١٢٤)</sup> ، وجعلهم طبقات ، ليغنى الغنى ، وإقلال المقل ، وتوسط المتوسط<sup>(١٢٥)</sup> ، وتسلم الجزية آخر السنة ولا يجوز مطالبتهم بها قبل ذلك ، وفي حالة عدم القدرة على دفعها للمسلمين لا يجوز تعذيبهم ولا حبسهم ولا ضربهم على إيدائها<sup>(١٢٦)</sup> .

ويستثنى من دفع الجزية النساء والصبيان<sup>(١٢٦)</sup> ، وكذلك المسكين الذي يتصدق عليه ، والأعشى الذي لا حرفة له ولا عمل ، والفقير ، والمترهبون المساكين ، والشيخ الذي لا يستطيع العمل ، وكذلك المجنون<sup>(١٢٧)</sup> .

إن من عدالة الإسلام مراعاة ظروف أهل الزمة المادية ، فلم يجبر المساكين والفقراء منهم على دفع الجزية ، واستثنى أيضاً النساء والصبيان والمجانين من دفعها . ومع ذلك تهتم الخلافة الإسلامية بهؤلاء وغيرهم إذا اقتضت الحاجة ذلك ، فعندما مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوم مجذومين من النصارى في بلاد الشام " أمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت " <sup>(١٢٨)</sup> .

فقدت لهم مساعدة عاجلة لتدبير معيشتهم ، إضافة إلى تقديم الأرزاق لهم طوال حياتهم وهذا يمثل قمة العدل في تقديم ما يحتاجه رعايا الدولة من أهل الزمة ، فلم يكن هم المسلمين جمع الأموال دون مراعاة لظروف رعاياهم لأن الإسلام لا يأمر بذلك لأن الهدف هو الدعوة وليس الجباية .

### الحراج :

هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها<sup>(١٢٩)</sup>

وأراضي الحراج نوعان :

الأول : أراض فتحت عنوة فهي فين المسلمين ، يؤدي أهلها الحراج إلى الدولة ( الإمام ) .

الثاني : أراض افتتحت صلحاً على حراج معلوم<sup>(١٣٠)</sup> .

أما الواجبات الأخرى غير المالية فتتمثل في الآتي :

ألا يذكروا كتاب الله تعالى بظعن فيه ولا تحريف له ، وألا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب له ولا ازدراء ، وألا يتعرضوا لدين الإسلام بظم له ولا قدح فيه ، وألا يزنوا بمسلمة ، وألا يفتنوا مسلماً عن دينه ولا يتعرضوا لماله ، وألا يعينوا العدو ومن يناصره على المسلمين<sup>(١٣١)</sup> .

ونخلص في نهاية البحث إلى الآتي :

أن الإسلام حفظ لأهل الذمة حقوقهم ، وبين طريقة التعامل معهم من خلال النصوص الشرعية ، ووصايا الخلفاء لقادة الفتوح في كيفية التعامل مع سكان بلاد الشام ، وتعامل المسلمين أثناء الفتوحات مع سكان بلاد الشام لم يخرج عن النصوص الشرعية ووصايا الخلفاء ، فكانت عهود الصلح التي عقدها المسلمون معهم بمثابة تطبيق عملي لما ورد في تلك النصوص والوصايا ، وكان تعامل أهل الشام مع المسلمين حسن ، فقد وجد تعاون وثيق بين الجانبين مبني على الاحترام ، ففتحت الكثير من المدن أبوابها للمسلمين ، وأحسن استقبالهم ، وبعد الفتوح وجدت الألفة بين المسلمين وأهل الذمة ، لأن التعامل كان مبنياً على عقود صلح التزم فيها الطرفان ، وصار بموجبها لأهل الذمة حريات وحقوق يتمتعون بها مثل حرية الاعتقاد ، والحرية السياسية ، وحرية التجارة والكسب ، وحرية التقاضي والعدل ، وكانت عليهم واجبات مالية مثل الجزية والخراج وواجبات أخرى تجاه الإسلام والمسلمين .



## الهوامش

- ١- الأنبياء . آية ٧-١٠.
- ٢- النور ، آية ٥٤.
- ٣- البقرة ، آية ٢٥٦.
- ٤- النحل ، آية ١٢٥ .
- ٥- التوبة ، آية ٢٩.
- ٦- أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني ( ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨ م ) : السنن ، ٣، ص ٤٣٧ ، باب الإمارة ، حديث رقم ٣٠٥٢ . إعداد وتعليق / عزت عبيد الدعاس ، ط ١ ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، دار الحديث ، حمص ، سورية . انظر أيضاً القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ( ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م ) : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ، ص ١١٥ . صححه أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٢ ، ١٣٧٢-١٩٥٢م.
- ٧- النحل ، آية ٩٠.
- ٨- النساء ، آية ٥٨.
- ٩- الأزدي ، محمد بن عبد الله ( ت ٢٣١هـ / ٨٤٥ م ) . فتح الشام ، ص ١٢ ، تحقيق عبد المعص عبد الله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٠م . انظر أيضاً : ابن أعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد ( ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م ) : كتاب الفتوح ، ج ١ ، ص ٨٢ ، تحقيق علي شيري ، ط ١ / ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، دار الأضواء ، بيروت.
- ١٠- البقرة ، آية ٣٠.
- ١١- الطبري ، محمد بن جرير ( ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م ) : جامع البيان في تأويل القرآن المسمى تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان.
- ١٢- ابن عساکر ، أبو القاسم علي بن هبة الله الحسن ( ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م ) تاريخ مدينة دمشق ، ج ١١ ، ص ٦٦ ، تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان.
- ١٣- اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام ببيت المقدس [ يافووث الحموي ، يافووث بن عبد الله ( ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ) معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، دار صادر ، بيروت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م ] .

- ١٤- من قرى بيت المقدس ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٨٠ .
- ١٥- ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٦٦.
- ١٦- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٤م ) : سيرة ومناقب عمر بن الخطاب، ص ٦٧، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، دار التقوى، شبرا الخيمة، منشأة الحرية، القاهرة.
- ١٧- القرشي، يحيى بن آدم ( ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م ) : الحراج، ص ٤٦٤، صححه أحمد محمد شاكر، دار الحداثة، بيروت، لبنان.
- ١٨- الطبري: تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٤٤، دار الفكر، بيروت، لبنان .
- ١٩- الأزدي: فتوح الشام، ص ٨٢، خليفة بن خياط ( ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م ) : تاريخ خليفة بن خياط، ص ١١٩، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، ط ٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، دار طبعة، الرياض. البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ( ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م ) : فتوح البلدان، ص ١٥٥، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ( ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ) : الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٦٥، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٠- الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٣٧.
- ٢١- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٧. انظر أيضاً: ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٨، ص ١٣٥-١٣٦.
- ٢٢- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٨.
- ٢٣- ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج ١، ص ١٢٦.
- ٢٤- مدينة كبيرة من أعمال حمص ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٥٦ .
- ٢٥- ولاية بين حلب وأنطاكية ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .
- ٢٦- مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٠٤ .
- ٢٧- بلدة بين المعرة ومدينة حلب ياقوت الحموي . معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ .
- ٢٨- الواقيدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٧١-٧٢.
- ٢٩- الواقيدي، محمد بن عمر ( ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م ) : فتوح الشام، ج ١، ص ٩٣، ط ٤، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

- ٣٠- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٥ .
- ٣١- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٣ .
- ٣٢- المصدر نفسه وانصتحة .
- ٣٣- الواقدي: فتوح الشام ، ج ١ ، ص ٩٣ - ٩٤ .
- ٣٤- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٤ .
- ٣٥- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧١ .
- ٣٦- الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ، ص ١٥ .
- ٣٧- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥ .
- ٣٨- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧٥ .
- ٣٩- الأزدی: فتوح الشام، ص ١٧٥ .
- ٤٠- قلعة تشغل على كورة بالشام قرب لعة بينها وبين حماء يوم باقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٨٣ .
- ٤١- الواقدي: فتوح الشام، ج ١ ، ص ١٧٣ .
- ٤٢- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٣ .
- ٤٣- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٨ .
- ٤٤- الواقدي: فتوح الشام، ج ١ ، ص ٩٥ .
- ٤٥- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٧ .
- ٤٦- المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .
- ٤٧- الواقدي: فتوح الشام، ج ١ ، ص ١٦٨ .
- ٤٨- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٨ .
- ٤٩- ابن أعثم: كتاب الفتوح، ج ١ ، ص ١٩٩ .
- ٥٠- غوستاف لوبون حصار العرب، ص ١٤١ ، نقله إلى العربية عدل زعتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .
- ٥١- البصرة آية ٢٥٦ .

٥٢- الثغامة : الثغام حلي الحبل يكون أبيض ، فإذا ببس أبيضاً شديداً فشيبه الشيب به [ ابن منظور ، محمد بن مكرم ( ت ٧١١هـ / ١٣١١م ) : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٣٦١ ، مادة ثغم ، قدّم له الشيخ / عبد الله العلايلي ، إعداد وتصانيف / يوسف الحباط ، دار لسان العرب ، بيروت ] .

٥٣- ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٨، ص ٢٨٩.

٥٤- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٥.

٥٥- الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص ٩٩.

٥٦- المصدر نفسه والصفحة .

٥٧- البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٠٧.

٥٨- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٧، الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص ٤٢٧. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٨، ص ١٣٥ - ١٣٦.

٥٩- الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص ٩٩.

٦٠- المحاضر في الأصل خلال الهادي والحاصر الحي العظيم بالقوت - حم البلدان، ج ٢، ص ٢٠٦.

٦١- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٤.

٦٢- المصدر نفسه، ص ١٩٧.

٦٣- الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص ١٩٠.

٦٤- لوثرروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ص ٨، نقله إلى العربية / عجاج نويهض ، ط ٣، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، دار الفكر. فليب حتى وآخرون: تاريخ العرب المطول، ج١، ص ٢٠٦، ط ٤ / ١٩٦٥م، دار الكشاف، بيروت.

٦٥- ابن عساكر: تاريخ دمشق، ص ٢٦، ص ٢٨.

٦٦- ل.أ. سيدبو. تاريخ العرب العام، ص ١١٦، نقله إلى العربية عادل زعير، ط ٢ / ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٦٧- جرجي زيدان: تاريخ التمدن العربي، ج١، ص ٨١، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨م.

٦٨- حضارة العرب، ص ١٣٤.

٦٩- ريتشارد.أ. ساليمان: وريثة الإمبراطورية الرومانية، ص ٧٣، ترجمة د جوريب نعيم، ط ١ / ١٩٨٥م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية



- ٧- لوثرروب: حاضر العالم الإسلامي، ج١، ص ١٣- ١٤. وانظر أيضاً، لوبون: حضارة العرب، ص ١٣٥.
- ٧١- ابن أعثم: كتاب الفتح، ج ١، ص ٢٥٣.
- ٧٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٢- ٢٥٣.
- ٧٣- ابن أعثم: كتاب الفتح، ج ١، ص ٢٥٣.
- ٧٤- الواقدي: فتح الشام، ج ١، ص ٩٩ - ١٠٠.
- ٧٥- المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٣ - ٩٤.
- ٧٦- ورثة الإمبراطورية الرومانية، ص ٧٣.
- ٧٧- تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، ص ٨١.
- ٧٨- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٨٣٨هـ/ ١٤٤٨م): الأموال، ص ٧٢، تحقيق مؤسسة ناصر للثقافة، ط ١ / ١٩٨١م، بيروت، لبنان.
- ٧٩- المصدر نفسه والصفحة.
- ٨٠- ابن أعثم: كتاب الفتح، ج ١، ص ٢٥٣.
- ٨١- الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٠. أبو عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٢٩. ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٢٨١. الذهبي: محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٢٦، تحقيق / شعيب الأرنؤوط، ط ٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٨٢- تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٠.
- ٨٣- ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢٠، ص ١٢٦. ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٢٨١. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٢. ابن كثير: إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٠- ٢١، تحقيق / أحمد عبد الوهاب فتحي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ٨٤- فتوح البلدان، ص ١٦٦.
- ٨٥- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٨.
- ٨٦- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ١١٢.
- ٨٧- الأزدي: فتح لشم، ص ١٠٦. الواقدي: فتح الشام، ج ١، ص ١٠٦. ابن أعثم: كتاب الفتح، ج ١، ص ١٦١.
- ٨٨- الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٦.

٨٩- الوائلي : فتح الشام ، ج ١ ، ص ١٤٣ . ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج ١ ، ص ٢١٦ . ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٢٨١ .

٩٠- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٩ .

٩١- فتح الشام ، ص ١٤٦ .

٩٢- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٥٦٠ .

٩٣- المصدر نفسه والجزء والصفحة .

٩٤- الوائلي : فتح الشام ، ج ١ ، ص ٧٥-٧٦ .

٩٥- ابن سلام : الأهمال ، ص ٧٢ .

٩٦- المصدر نفسه والصفحة .

٩٧- لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٥ ، مادة : ( قبح )

٩٨- ابن سلام : الأهمال ، ص ٧٢ .

٩٩- المصدر نفسه والصفحة .

١٠٠- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٩ .

١٠١- المصدر نفسه ، ص ١٧٣ ، ٢٠٢ .

١٠٢- ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب أبو رعي الدمشقي ( ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ) : أحكام أهل

لدمشق ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، تحقيق / أبو براهم يوسف بن أحمد البكري أبو أحمد شاكور بن توفيق الهاروي ، ط ١

/ ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م . ردماوي للنشر . لدمشق ، السعودية ، توزيع دار ابن حزم ، بيروت .

١٠٣- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٠١ .

١٠٤- الوائلي : فتح الشام ، ج ١ ، ص ٩٣ .

١٠٥- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٢-٩٤ .

١٠٦- ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ٢٦ ، ص ١٩٧-١٩٨ .

١٠٧- ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

١٠٨- ابن أعثم : كتاب الفتوح ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

١٠٩- لبيهي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ( ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م ) : السيرة الكبرى ، ج ٨ ، ص ٣٢ . دار الفكر ، ط

د . ت . ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ١٩ ، ص ٢٩٧ .

- ١١٠- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٤م ) : صفة الصلوة ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، دار الجيل ، بيروت .
- ١١١- ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج ٤٧ ، ص ١٨٧ .
- ١١٢- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
- ١١٣- الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ، ص ٩٥ .
- ١١٤- البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٩٥ .
- ١١٥- الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب ( ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ١٨١-١٨٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان .
- ١١٦- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ، ص ١٣ .
- ١١٧- الأزدی : فتوح الشام ، ص ١٦٠ .
- ١١٨- المصدر نفسه ، ص ١٥٥-١٥٦ .
- ١١٩- المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .
- ١٢٠- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٧ .
- ١٢١- الجريب : مكيال قدر أربعة أقدرة ابن منظور لسان العرب ، ج ١ ، ص ٤٢٩ ، مادة حرب .
- ١٢٢- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٠ . الطبري : تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٤٢٦ . ابن أعثم كتاب الفتح ، ج ١ ، ص ١٧٠ .
- ١٢٣- الفضة ابن منظور : لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٩١٢ ، مادة ورق .
- ١٢٤- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٠ . انظر أيضاً : ابن الأختة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأختة ( ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م ) : معالم القرية في أحكام الحسبة ، ص ٧٤ دار الحديث ، بيروت . لبنان .
- ١٢٥- ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، ص ١٣٥ .
- ١٢٦- ابن ادم : كتاب الخراج ، ص ٤٦٣ . انظر أيضاً : ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، ص ١٣٧ .
- ١٢٧- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ( ت ٢٨١هـ / ٨٩٧م ) كتاب الخراج ، ص ٥٢-١٥٢ ، ط ١ / ٩٩١م ، دار الحديث ، بيروت . لبنان .

- ١٢٨- اليلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٧ .
- ١٢٩- الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٨٦ .
- ١٣٠- ابن سلام : الأموال ، ص ٣١ ، ٣٨ .
- ١٣١- الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٨٤-١٨٥ .
- ١٣٢- ابن قيم الجوزية : أحكام أهل اللمة ، ج ٣ ، ص ١٣٦٦ .



## المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ( ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ) .

- الكامل في التاريخ ، تحقيق / أبو الفداء عبد الله القاضي ، ط ١ / ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

أحمد عادل كمال .

- الطريق إلى دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان .

ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة ( ت ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م ) .

- معالم القرية في أحكام الحسبة ، دار الحديث ، بيروت .

ابن ادم ، يحيى بن آدم القرشي ( ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م ) .

- كتاب الحراج ، صححه / أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، بيروت ، لبنان .

الأزدي ، محمد بن عبد الله ( ت ١٢٨هـ / ٧٩٤م ) .

- تاريخ فتوح الشام ، تحقيق / عبد المنعم عبد الله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٠م .

ابن أعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد ( ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م ) .

- كتاب الفتوح ، تحقيق / علي شيري ، ط ١ / ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، دار الأضواء ،

بيروت .

البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ( ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م ) .

- فتوح البلدان ، تحقيق / عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ( ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م )

- السنن الكبرى ، دار الفكر ، ( ط . د ) ( د . ت ) .

جرجي زيدان .

- تاريخ التمدن العربي ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٤م )

- سيرة ومناقب عمر بن الخطاب / تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، ط ١ / ١٤٢٠هـ / - ٢٠٠٠م ، دار التقوى ، شبرا الخيمة ، منشية الحرية ، القاهرة .

- صفة الصفوة ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، دار الجيل ، بيروت .

خليفة بن خياط ( ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م ) .

- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق / د . أكرم ضياء العمري ، ط ٢ / ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، دار طيبة ، الرياض .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني ( ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م ) .

- السنن ( سنن أبي داود ) ، إعداد وتعليق / عزت عبيد الدعاس ، ط ١ / ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، دار الحديث ، حمص ، سورية .

الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ( ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م ) .

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط ، ط ٣ / ١٤٠٩هـ / ١٩٨٥م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

ريتشارد . أ . سايفان .

- ورثة الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة جوزيف نسيم ، ط ١ / ١٩٨٥م ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

ابن سلام ، أبو عبيد القاسم ( ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م ) .

- الأموال ، ط ١ / ١٩٨١م ، بيروت ، لبنان .

الطبري ، محمد بن جرير ( ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م ) .

- تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- جامع البيان في تأويل القرآن المسمى تفسير الطبري : ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ( ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م )

- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق / محمد الدين أبو سعيد عمر بن عزيمة العمري ، ط ١ / ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

غوستاف لويون .

- حضارة العرب ، نقله إلى العربية / عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

فيليب حتى . ادوارد جورجى . جبرائيل جبور .

- تاريخ العرب ( مطول ) ، ط ٤ / ١٩٦٥ م ، دار الكشف ، بيروت .

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ( ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م ) .

- الجامع لأحكام القرآن ، صححه / أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٢ / ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م .

ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ( ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م ) .

- أحكام أهل الذمة تحقيق / أبو برا - يوسف بن أحمد البكري . أبو أحمد شاکر بن توفيق الهاروري ، ط ١ / ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ردعاوى للنشر ، الدمام ، السعودية ، توزيع دار ابن حزم ، بيروت .

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ( ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م ) .

- البداية والنهاية ، تحقيق / أحمد عبد الوهاب فتیح ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ / ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

ل . م . سيديو .

- تاريخ العرب العام ، نقله إلى العربية / عادل زعيتر ، ط ٢ / ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

لوثرروب ستودارد .

- حاضر العالم الإسلامي ، نقله إلى العربية / عجاج نويهض ، ط ٣ / ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، دار الفكر .

الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب ( ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ) .

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان .

ابن منظور ، محمد بن مكرم ( ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م ) .

- لسان العرب ، قدّم له الشيخ / عبد الله العلايلي ، إعداد وتصانيف / يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت .
- الواقدي ، محمد بن عمر ( ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م ) .
- فتوح الشام ، ط ٤ / ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبد الله ( ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ) .
- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .
- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ( ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م ) .
- كتاب الخراج ، ط ١ / ١٩٩٠م ، دار الحديث ، بيروت .







## الشيخ محمد خير الدين وجهوده في مجال التربية والتعليم في الجزائر ( ١٩٢٨ - ١٩٥٤م )

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تؤمن بدور التربية والتعليم في خدمة الشعب الجزائري وإيقاظه من سباته ، وحفظ تراثه ، منذ تأسيسها سنة ١٩٣١م وهي تشيّد المدارس الحرة لتعليم وتربية النشء فيتعلمون اللغة العربية والدين الإسلامي ، كما أنّهم يتلقون معارف أخرى كال تاريخ و الجغرافيا و الحساب ، وقامت الجمعية ببناء المساجد الحرة البعيدة عن السيطرة الفرنسية ليتفقه أبناء الجزائر و ليعرفوا جيّدا تاريخ بلادهم لأنّ الاستعمار الفرنسي كان هدفه القضاء على دين و لغة وتاريخ هذه الأمة .

في ظل تلك الظروف وجد الشيخ خير الدين<sup>(٢)</sup> نفسه أمام مسؤولية كبيرة خاصة بعد أن نال قسطا وافرا من العلوم و المعارف ، كانت نهايتها نيل شهادة التطويع العالمية من جامع الزيتونة ، لذلك عزم على منح أبناء بلاده ما تعلّمه ، وأصبحت الظروف ملائمة عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وانضم إلى عضويتها إلى جانب علماء أجلاء كالإمام عبد الحميد بن باديس و الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ الطيب العقبي وغيرهم ، و كلّهم عزم و إصرار للدفاع عن كيان وشخصية هذه الأمة العربية الإسلامية .

و الحق أَنَّ الشيخ خير الدين قد بدأ نشاطه التربوي منذ أن عقد اجتماع الرواد سنة ١٩٢٨م حيث كلفه الإمام ابن باديس بالوعظ و الإرشاد بمسجد قرفار<sup>(١)</sup>، والقرى المجاورة له، فكان يعلم أبناء المنطقة مبادئ الدين و اللغة وبعدها يتوجهون نحو قسنطينة أو إلى تونس أو الجامع الأزهر لمواصلة تعليمهم في مختلف العلوم و المعارف و قد أدى هذا النشاط التعليمي إلى تنسيق العمل الإصلاحي مع جماعة من الرواد في بسكرة أمثال الشيخ الطيب العقيبي، والشيخ علي بن عمارة البرجي، والشيخ محمد العيد آل خليفة، و الأستاذ الأمين العمودي.

لقد ساهم مترجمنا في تكوين "جمعية الإخاء" وتأسيس مدرسة الإخاء للتربية التعليم ببسكرة سنة ١٩٣١م واقترح أن يكون مجلس الإدارة من أعضاء لهم علاقة بالسلطة الفرنسية كي لا تقوم بعرقلتها، أما الشيخ خير الدين فقد عين ككاتب عام فقط وهذا لضمان السير الحسن للمدرسة ونشر الثقافة العربية الإسلامية<sup>(٢)</sup>

ومن النشاطات التي قام بها الشيخ خير الدين في بسكرة توحيد صلاة العيدين التي كانت تؤدي في عدد من المساجد الموزعة بين المدينة القديمة و الجديدة فأصبحت تقام لجميع المصلين ببطحاء المدينة القديمة وقد وقع اختيار الشيخ خير الدين إماما لصلاة العيدين لمدة أربع سنوات<sup>(٣)</sup>.

لقد انطلق شيخنا في عمله الإصلاحي من قرفار ثم بسكرة و كان يؤمن إيمانا راسخا بدور التربية و التعليم في الحفاظ على كيان و تراث الأمة، خاصة أَنَّ منطقة الجنوب كانت تعاني من نشاط المرابطين، و حسبما ذكر «شارل أندري جوليان» فإن تقديرات سنة ١٩٣٩م أحصت ٤٠٠ ألف منخرط في الزوايا، نصفهم بأراضي الجنوب و قد وضعت الحكومة يدها عليها<sup>(٤)</sup>، و عندما أرست الحركة الإصلاحية أسسها ببسكرة وضواحيها، كان العلماء الآخرون ينشطون في مناطق أخرى من الوطن و أصبح العمل أكثر تنظيما بعدما وزع الإمام ابن باديس المهام على رجال الجمعية وفق مبادئها وأهدافها.

ويبدو أن الجمعية كانت مهتمة بالتعليم العربي و الديني، لأنَّ التعليم العربي الحر كان محصورا في دائرة ضيقة بالنظر إلى أساليبه و كتبه، ولذلك فقد قامت الجمعية بجهود كبيرة لتوسيع ذلك التعليم عن طريق إنشاء مكاتب حرة للتعليم

المكتبي للصغار، وتنظيم دروس في الوعظ والإرشاد الديني في مساجد وتنظيم محاضرات في النوادي غايتها التهذيب وشؤون الحياة العامة<sup>(٤٤)</sup>.

والحق أنّ نشاط الشيخ خير الدين كان ينبع من صميم القلب، ومن جروح ومعاناة أبناء أمته، وفي إطار أهداف الجمعية ونشاطاتها تم تأسيس جمعية خيرية لإعانة الفقراء والمساكين وتعليم البنين والبنات، مقرها بسكرة كان رئيسها أصيعة عبد القادر، أما نائيه فهو الشيخ خير الدين وقد تعمد مترحنا أن لا يكون الرئيس لتفادي الصدام مع السلطة الفرنسية، وكي تصادق على قانون الجمعية وهو ما تم فعلاً<sup>(٤٥)</sup>، كما أن تنقلات الشيخ في بسكرة وضواحيها لم تتوقف خاصة إذا تعلق الأمر بوفد الجمعية العلماء وعلى رأسها الإمام ابن باديس، ففي جانفي ١٩٣٨م، زار وفد الجمعية قرية القنطرة في ضواحي بسكرة، وكان الوفد يتكون من الإمام الرئيس والشيخ مارك الميلي والشيخ العربي التيسي، إضافة إلى مترجمتنا، وقد ألقى الوفد خطبا في الجامع، وعند الانتهاء، خطب الشيخ خير الدين في الناس، وعرك بالجمعية وعلمائها ومبادئها وأهدافها<sup>(٤٦)</sup>.

لقد استمر نشاط الشيخ خير الدين مع وفد الجمعية في الجنوب، فقد زار الوفد وادي سوف وطولقة، ومهد إلى بلدة سيدي عقبة وذلك في سبيل التعريف بالجمعية وتنشيط الحركة الإصلاحية والتأكيد على أنها ليست خاصة بالشمال فقط، بل هي شاملة للقطر الجزائري، وأن الجنوب من اهتمامات الجمعية، مما أدى إلى تحرك خصوم الجمعية من مرابطين ورجال الزوايا محاولين منع العلماء من أداء رسالتهم الإصلاحية التي كان من بين أهدافها محاربة هؤلاء الخصوم الذين كانوا يعيشون في جمود ويعيدون عن واقع الأمة ومعاناتها، كما أصبحوا أداة في يد السلطة الفرنسية<sup>(٤٧)</sup>.

كما أن السلطة الفرنسية فطنت إلى خطر العلماء، لأن أصحاب الزوايا والمرابطين كان لهم دور في تحذير الإدارة الفرنسية بما أن مكانتهم أصبحت في خطر لذلك حاربت مدارس الجمعية ونواديها وحتى المساجد، فقد قامت بغلق المدرسة الحرة دار الحديث بتلمسان بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٣٧م وأعلن ذلك الإجراء رسميا يوم ٤ جانفي ١٩٣٨م. هذا الإغلاق أحدث انفعالا كبيرا، وهلل له أعداء الشيخ

البشير الإبراهيمي وأعداء الجمعية<sup>(٨)</sup>، حتى أن الجرائد في ذلك الوقت عندما أعلنت الخبر ذكرت اسم المكتب الخاص ولم تذكر المدرسة الحرة "دار الحديث"<sup>(٩)</sup>.

لقد ركزت السلطة الفرنسية على المدارس لكي تقيد نشاط العلماء، فأصدر وزير الداخلية "شوتان" قرارا رسميا في ٨ مارس ١٩٣٨م بمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر ومما جاء في ذلك القرار: «إِنَّ اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية»<sup>(١٠)</sup>، وما كان لهذا القرار إلا أن زاد الشيخ خير الدين وزملاءه في الجمعية إصرارا على مواصلة جهودهم التربوية، وبناءً على إحصاء عامل عمالة قسنطينة في سنة ١٩٣٨م، كان عدد مدارس الجمعية في عمالة قسنطينة ٨٥ مدرسة تضم ٤٠٤٧ تلميذا مسجلا، ويسيرها معلمون مصلحون، أما في عمالة الجزائر فبلغ عدد مدارسها عام ١٩٣٨م ٦٨ مدرسة تضم ٩٠٦٣ تلميذا<sup>(١١)</sup>.

و الحق أن مرسوم الثامن من مارس المشؤوم قد عرقل التعليم العربي، كما أن ظروف الحرب العالمية الثانية قد أثرت في نشاط الجمعية التي أوقفت نشاطاتها كي لا تستغلها فرنسا في خدمة مصالحها، وعودة التعليم جاء بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حيث خطت الجمعية خطوة كبيرة بإنشائها لأعظم معهد ثانوي في تاريخها وهو معهد عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٤٧م.

ويقول الشيخ خير الدين<sup>(١٢)</sup> في ذلك: «> وهنا تبلورت فكرة إنشاء معهد ابن باديس<sup>(١٣)</sup>، في قسنطينة ولم يكن من الممكن أن نعود إلى التعليم بالجامع الأخضر لأنه لم يكن لدينا رخصة للتعليم فيه كالتي كانت للإمام ابن باديس، فجمعنا التبرعات واشترينا دارا كبيرة كانت ملك أحد أفراد "إبن الفقون"، و أثبتنا هذه الدار وجهرناها بالطاولات والمقاعد والبسط، ووضعنا البرامج وعيننا المدرسين الأكفاء، وتولت إدارة المعهد الشيخ العربي التبسي تساعده لجنة من الأساتذة»، وقد عين التبسي مديرا للمعهد أما النائب فكان الشيخ خير الدين، وقد حقق المعهد نجاحا كبيرا مما أجبر الجمعية على توسيع المكان والدخول إلى الجامع الأخضر، والجامع الكبير الممنوع التدريس فيهما وفق قرار منع المساجد على الجمعية الذي صدر في ٢٧ فيفري ١٩٣٣م<sup>(١٤)</sup>، لكن الجمعية أصرت على فتحهما وكان مترجمنا على رأس طلبة الجامع الكبير، والشيخ العباس على رأس

طلبة الجامع الأخضر ،وقد تزايد عدد التلاميذ بشكل سريع بهدف الحصول على الشهادة النهائية من المعهد<sup>(١١١)</sup>، وهي تعادل الشهادة " الأهلية " بتونس ويحصل عليها التلاميذ بعد دراستهم في المعهد مدة ٤ سنوات<sup>(١١٢)</sup>.

لقد حاولت السلطة الفرنسية أن تقضي على المدارس الحرة وأن تجذب أبناء الجزائر للتعليم في مدارسها ،حيث نص المادة ٥٧ من قانون الجزائر الصادر سنة ١٩٤٧م على اعتبار اللغة العربية إحدى لغات الاتحاد الفرنسي كما أنها تدرس في مختلف مراحل التعليم،غير أن هذا النص لم يدخل حيز التنفيذ إلا في سنة ١٩٥٤م<sup>(١١٣)</sup>.

لم يكن الشيخ خير الدين من الذين يضعون السلاح جانبا ويستسلمون للعدو، بل بالعكس فقد واصل نشاطه التربوي ،حيث قام برحلة علمية في ربيع ١٩٤٨م إلى عمالة وهران ودشن بها المدارس ونظم الشعب وألقى دروس الوعظ والإرشاد،وفي غليزان أستقبل مترجمنا بحماس كبير وقد كتبت جريدة البصائر : >> وما دقت الساعة الثانية حتى وقف القطار السريع يحمل إلينا شخصية بارزة من رجال العلماء الذين قاوموا الجهل والاستعباد ،والبذع والضلال مدى عشرين عاما منذ تأسيس جمعية العلماء ،مع المرحوم الأستاذ عبد الحميد بن باديس ومع خلفائه من بعده ،فالشيخ خير الدين رجل مضغ بنفسه وتنقيسه ، و ما من مشروع خيري للمصالح العام إلا ويؤيده ويحميه وينصره...<<<sup>(١١٤)</sup>.

وبعد عودته إلى يسكرة رأى أنّ حركة التعليم تسير بشكل سريع وتعرف إقبالا كبيرا مما صعب على مدرسة التربية والتعليم<sup>(١١٥)</sup>، استقبال كل التلاميذ لذلك قرر الشيخ خير الدين مع الأعضاء إنشاء مدرسة جديدة ، فشرع في البناء بنشاط مكثف وكانت المرحلة الأخيرة قد بدأت في ١٨ ديسمبر ١٩٤٩م عندما حلّ الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية بدعوة من الجمعية المحلية وتم توجيه الدعوة إلى سكان يسكرة والزيبان ومن مختلف أنحاء القطر ،فحضر الحفل العلماء و النواب والأطباء والمحامون، وتم افتتاح المدرسة ،وألقى الرئيس خطابا بليغا كعادته، ثم جاء دور الشيخ خير الدين فألهب الجمهور بكلمات بين العامية والفصحى ومما قاله:>> إنكم ستسمعون مني كلمات ليست من باب الحمد والشكر ولكنها من باب الحث والإزعاج ،وسأصل بها مبدأ هذا العمل ينهايته فقد بدأناه مجتمعين

... وما دمنا في موقف استنهاض الهمم وشدّ العزائم وما دعت عارفا بأسرار لغتي وتاريخ أجدادي، فإنّني أؤثر أن يكون افتتاح هذا الحفل التاريخي بالشعر... فأنا أريد أن أرجع بكم إلى ذلك الماضي الجليل، ولئن قال لنا أقوام: إنكم تعيشون في الماضي القديم، قلنا إننا نعيش بالاستمداد من الماضي والعمل للحاضر والاستعداد للمستقبل...»<sup>(١٥)</sup>.

وهكذا توالى فتح المدارس و بناء المساجد في شتّى أنحاء القطر، ففي مدينة سطيف وفي يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٠م، تمّ تدشين مدرسة الفتح الجديدة، وحضر حفل التدشين الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ العربي التبسي و الشيخ خير الدين و الأستاذ فرحات عباس وكان حاضرا أيضا أحد علماء فاس الشيخ إبراهيم الككتاني، إضافة إلى أساتذة ومديرين آخرين من داخل البلدة وخارجها<sup>(١٦)</sup>، كما كان للشيخ تنقلات إلى مناطق أخرى، ففي عام ١٩٤٨م زار بلدة ندرومة، رفقة الشيخ السعيد الزموشي، وكانت هذه البلدة عامرة بالزوايا حيث كان بها سبع زوايا، ولم تنشأ بها شعبة لجمعية العلماء، ولم تفتح بها أية مدرسة لتعليم القرآن و اللغة العربية، واقترح الشيخ خير الدين بناء مسجد كبير وتعيين إمام لأداء الصلوات والقراءة دروس الوعظ والإرشاد، وتم بناء المسجد وانتشرت الحركة الإصلاحية فيها بشكل سريع<sup>(١٧)</sup>، ثم زار الشيخان بلدة بريقو، وأسسا بها شعبة وألقى الشيخ خير الدين محاضرة في المسجد إلى جانب محاضرة سعيد الزموشي بين من خلالها مقاصد الجمعية و أعمالها وآمالها<sup>(١٨)</sup>.

وقد زار الشيخ خير الدين بلدة شاطودان، في السابع من أفريل سنة ١٩٥٤م وقام بتجديد هيئة المدرسة و الشعبة، وقدم التقرير المالي للجمعية وتمّ انتخاب الهيئة الجديدة بإعادة تجديد الثقة فيها<sup>(١٩)</sup>، كما حل الشيخ ببلدة سوق أهراس في صيف ١٩٥٤م وقام بوضع حجر الأساس لبناء المدرسة الجديدة، وقد أقبل سكانها على البناء و الترميم فرحا بالمشروع العظيم<sup>(٢٠)</sup>.

وفي خريف ١٩٥٤ تنقّل الشيخ خير الدين إلى أقصى الغرب الجزائري إلى بلدة بني صاف، حيث إفتتح بها 'مسجد بني صاف' ونما قاله الشيخ في خطبة الافتتاح: >> إن فتح المساجد معناه إحياء أمة وميثاق مع الله على العمل لنشر الدين الصحيح والتعاليم والنقيّة في هذا الوطن... أيها الإخوان إن الإنسان في

هذه الحياة يحيا ثم يموت ثم لا يرجع إلا بعد أن يقف بين يدي الله، و الأسم كذلك ولكن الأمة لا تقبر بل تموت موتا معنويا وحياتها لا بروح تدخل وتخرج إنما تحيا بالحياة الحقة وما الحياة الحقة إلا العزة والكرامة والقوة...»<sup>(٢١)</sup>.

لقد استمر شيخنا في خطبه البليغة، يختلف المساجد وفي مناسبات عديدة، وكان ذلك في عهد الإمام عبد الحميد بن باديس الرئيس الأول لجمعية العلماء، حيث ذكرنا سابقا أن النشاط الذي قام به الشيخ خير الدين هو الوعظ والإرشاد في بلدة فرفار وضواحيها، ونشر الحركة الإصلاحية بها، فكانت تلك البداية التي فتحت له الطريق ليكون ضمن أبرز الوفود التي عينها الإمام ابن باديس عام ١٩٣٣م للوعظ في شهر رمضان، فكان ضمن قائمة وعظ مدينة قسنطينة بالجامع الكبير، ثم عين في الوفد الأول من بين ثلاثة وفود كبيرة إلى جانب الإمام ابن باديس والشيخ مبارك المليي حيث ركزوا نشاطهم بالشرق الجزائري<sup>(٢٢)</sup>.

وهكذا كان الشيخ خير الدين يقوم بالوعظ في كل شهر رمضان، ففي شهر ماي ١٩٥١م عين ببلدة العلمة<sup>(٢٣)</sup>، ثم عين بقسنطينة في ماي ١٩٥٢م<sup>(٢٤)</sup>، وتنقل بين مساجدها باعتباره النائب الثاني لرئيس الجمعية، ثم عين بالجامع الكبير بقسنطينة في أبريل ١٩٥٤م<sup>(٢٥)</sup>، كما تم تعيين شيوخ وأساتذة الجمعية في جميع مساجد القطر للوعظ والإرشاد والدعوة للمسك بالدين واللغة وكانت أسماء الشيوخ والمناطق التي عينوا فيها تنشر في جريدة البصائر، والحق أن مترجمنا كان حريصا على مدارس الجمعية دؤوب الحركة، فكان يشرف على نشر الإعلانات الخاصة بأعظم معهد ثانوي شيدته الجمعية "معهد ابن باديس"، وما يخص شروط قبول التلاميذ وضمان الالتحاق العادي والحسن بالمعهد، كما أن هذه الإعلانات التي تنشر في البصائر تساعد التلاميذ الجدد الراغبين في الالتحاق للدراسة بالمعهد بتحضير الوثائق اللازمة والشروط الأخرى التي تدون مع الإعلان، وبعد أربع سنوات من مسيرة المعهد، أصبح الشيخ خير الدين مديرا للمعهد نظرا للظروف الصحية التي كان يعاني منها الشيخ العربي التبسي لذلك طلب الاستعفاء من مهمته، كما أن الشيخ البشير الإبراهيمي طلب من مترجمنا تولي المهمة، كونه نائب المدير<sup>(٢٦)</sup>.

و كانت لجان الامتحانات تقوم بدور كبير لتعيين الناجحين بعد الامتحان،



وكان يشرف على اللجان الشيخ العربي التبسي والشيخ خير الدين ويشاركهم الإمام البشير الإبراهيمي في التنظيم<sup>(٢٧)</sup>.

وقد ورد في إحدى خطابات الشيخ خير الدين<sup>(٢٨)</sup> في الاحتفال بالناجحين في الشهادة الأهلية بالمعهد: >> فإنَّ العلم أشرف المطالب وأسمى المقاصد والرغائب فهو حياة الأمم وهو عزها ومجدها... لقد فهم أسلافنا العظام هذه الحقائق فأقبلوا على العلم بجميع فنونه وتهافتوا على مناهله العذبة يكرعون منها فسادوا في الدنيا وقادوا الأمم وفتحوها - مع البلدان- القلوب و العقول ورفعوا مشعل الحضارة والمدنية...<<.

لقد كان الشيخ خير الدين حريصا على تلقين أبناء وطنه مختلف العلوم لأنه كان يعرف قيمة العلم في بناء الحضارات، لذلك لم يقتصر حرصه على تلاميذ المعهد والمدارس داخل الوطن بل امتد حرصه إلى خارج الوطن، ففي جامع الزيتونة كان الشيخ يقوم بزيارات مستمرة ليتفقد طلبة الجزائر وكان يلقي عليهم خطبا متنوعة، رغم أنه كان يتعرض في بعض الأحيان للمضايقات من بعض الطلبة كتلك التي تعرض لها في صيف ١٩٤٨ م، لكن رغم ذلك فمترجمنا كان يعي ما يحدث ويعرف أن هناك محاولة للتبيل من الجمعية وسمعتها، لكن الطلبة استنكروا تلك الأفعال وأعلنوا تقديرهم واحترامهم لشيخهم وولاءهم لجمعية العلماء<sup>(٢٩)</sup>.

يمكن القول أن الشيخ خير الدين كان يخوض تنقلاته ويقوم بدوره التربوي بكل شجاعة شرق الجزائر إلى غربها، ومن الشمال إلى الجنوب تاركا وراءه تلك الخطب البليغة الحماسية المثيرة للنفوس وخلفه تلك القلاع الحصينة من مدارس ومساجد، التي وبدون شك قد منعت الاستعمار الفرنسي من تسلق أسوارها العالية المحصنة بالدين الإسلامي واللغة العربية، ووراءها جند من أبناء الجزائر، ويتلك الإنجازات التربوية التي قام بها شيخنا إلى جانب أقرانه العلماء، حافظت الجمعية على مقومات الشخصية الوطنية.

## الهوامش

(\*) الشيخ محمد خير الدين من مواليد ١٩٠٢ بمنطقة فرفار ولاية بسكرة . وفيها وفي كتابيها حفظ القرآن وعلى فقهاها وعلمائها أحد مبادئ العلوم اللغوية وعلوم الشريعة الإسلامية ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة وتعلم لمشتافها ومنهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الطاهر بن زقوتة . وفي سنة ١٩١٨ ارتحل إلى تونس ، وانتظم في سلك طلبة الجامع الأعظم ( الزيتونة ) ومنه تخرج سنة ١٩٢٥ عالما متطوعا وكان الثاني في الخمسين مترشعا في امتحان التخرج ، ثم ساهم مساهمة فعالة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ٥ ماي ١٩٣١م . وتولى فيها عددا من المسؤوليات والمهام فكان أميناً لماليتها . ومراقبا عاما لها . ثم نائباً للرئيس ثم رئيسا . . . . . كما تولى في الجمعية - نائب مدير لمعهد عبد الحميد ابن باديس في قسنطينة مع هيئته الادارية ، ومختلف لجانه المختصة . وعين أعلنت الثورة أولى خطوات زحفها في أول نوفمبر ١٩٥٤م كان الشيخ محمد خير الدين سابقا إلى الانضمام إليها . حيث أسندت اليه مهام تشجيعها في المغرب الشقيق ، ثم عين عضوا في أول مجلس للثورة سنة ١٩٥٨م . وعند استقلال الوطن سنة ١٩٦٢م شغل الشيخ محمد خير الدين منصب نائب في أول مجلس نيابي تأسيسا . ساهم في استقرار الأمور واستعادة السيادة الوطنية بعد فقدانها لقرن وثلاثة ثم قرر اعتزال ميدان سياسة والالتزام ببيته إلى أن وفاته الحثيئة يوم ١٠ ديسمبر ١٩٩٣م.

(\*\*) من الذين درسوا على يد الشيخ خير الدين : فريجات بن الدراجي ، أحمد مهنون ، علي بن العراغي المغربي ، الطاهر غوش ، المختار المغربي ، عبد الرحمان غريث ، الحسين أبو عبد الله وغيرهم . انظر محمد خير الدين ، مذكرات ، ج ١ ، ص ٢٠ ، المصدر السابق ، الجزائر ٢٠٠٢م ، ص ٧٤

١- محمد خير الدين : المصدر نفسه ، ص ٧٨ . انظر أيضا : محمد خير الدين : " اجتماع هام بدار المحترم الحاج الحفناوي ديش النائب العمالي و تأسيس جمعية ( الايض ) ببسكرة " ، جريدة المجاج ، العدد ١١٨٣ ، ٢٢ جويلية ١٩٣١ . انظر أيضا : مجلة الشهاب : مقال " في المجتمع الجزائري ، دور محمود من أدوار الجزائر الحاضرة " ، مج ٧ ، ص ٨٦ ، أوت ١٩٣١ ، ص ص ٥٢٩ - ٥٣٠ .

٢- محمد خير الدين : مذكرات ، ج ١ ، المصدر السابق ، ص ص ٧٩-٨٢ .

٣- شارل أندري جوليان : إفريقيا الشمالية تسير ، ترجمة المنجي سليم وآخرون الدار التونسية للنشر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٧٦م ، ص ١٣٦ .

٤- البشير الإبراهيمي : سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المعقد بمرکزها العام بسادي الترقلي الجزائر ، دار الكتب ، الجزائر ١٩٨٢م ، ص ٦٤ .

٥- جريدة البصائر : مقال " الجمعية الخيرية الإسلامية " العدد ٤ ، ٢٤ جاني ١٩٣٦ ، ص ٧ .

٦- عبد اللطيف بن علي . " وفد جمعية العلماء برور القنطرة " ، جريدة البصائر ، العدد ٩٥ ، ١٤ جاني ١٩٣٨ ، ص ٥ .

bulletin mensuel d'informations concernant la politique indigène dans le  
département d'Oran mois de janvier 1938, S L N A, archive historiques W. de  
Constantine

- ٨- بسام العسلي: عبد الحميد بن باديس وبنّا - قاعدة الثورة الجزائرية، ط ٢، دار النفائس، بيروت ١٩٨٣م، ص ٥٢
- ٩- عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الحارثية الأخرى (١٩٣١-١٩٤٥م) دراسة تاريخية وإيدولوجية مقدّرة، منشورات المتحف الوطني للمعاهد، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، ١٩٩٦م، ص ١٣٧-١٣٨.
- ١٠- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ١٧.
- ١١- محمد الطاهر فضلاء: التعريف و التزييف في كتاب حياة كفاف، ط ١، دار البعث للطباعة، قسنطينة، الجزائر: ١٩٨٢م، ص ٤٤٨.
- ١٢- محمد خير الدين - مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ١٧٠ - ١٧١.
- 13- Mohamed Harbi 1954, la guerre commence en Algérie. édition complexe, bruxelles. 1998
- ١٤- قرحات العابد: " الشيخ محمد حبر الدين في عليّان"، جريدة البصائر، العدد ٣٩، ١٧ ماي ١٩٤٨م، ص ٧.
- ١٥- الحفناوي هالي: "وصف الاحتفال الرائع بفتح مدرسة بسكرة"، جريدة البصائر، العدد ١٤٠ - ١٤١، ٥ فيفري ١٩٥١م، ص ٩-٧. أنظر جريدة الشعلة: مقال "بسكرة تحتفل بوضع الحجر الأساسي لمدرستها"، العدد ١٩، ٢٠ أفريل ١٩٥٠م، ص ٢.
- ١٦- علي مرحوم: تدين مدرسة الفتح بسطيف، جريدة البصائر، العدد ١٢٣، ٢٣ أكتوبر ١٩٥٥م، ص ٢.
- ١٧- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ٢٣٢.
- ١٨- السعيد الزموشي: "وقد جمعية العلماء في بريقر"، جريدة البصائر، العدد ٤٣، ١٢ جويلية ١٩٤٨م، ص ٢.
- ١٩- جريدة البصائر "أعمال جمعية العلماء"، العدد ٢٦٩، ٣ أفريل ١٩٥٤م، ص ٥.
- ٢- محمد مسلاتي: "أثار النهضة الإصلاحية بسوق أهراس"، جريدة البصائر، العدد ٢٧٦، ٢٥ جويلية ١٩٥٤م، ص ٧.

٢١- محمد مسيح: "افتتاح مسجد بني مصاف وخطاب الشيخ خير الدين"، جريدة البصائر، العدد ٢٨٣، ص ٣، سبتمبر ١٩٥٤، ص ٧٠.

٢٢- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ص ٢٢١-٢٢٦.

٢٣- جريدة البصائر: "قائمة الوعظ"، العدد ١٥٦، ٢١ ماي ١٩٥١م، ص ٢٠.

٢٤- جريدة البصائر: "قائمة الوعظ لشهر رمضان"، العدد ١٩٠، ١٩ ماي ١٩٥٢م، ص ٢.

٢٥- جريدة البصائر: "قائمة الوعظ لشهر رمضان"، العدد ٢٦٩، ٣٠ أبريل ١٩٥٤م، ص ٣.

٢٦- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ١٧٠.

٢٧- جريدة البصائر: مقال "معهد عبد الحميد بن باديس"، العدد ١٥٨، ٤ جوان ١٩٥١م، ص ٢.

٢٨- جريدة البصائر: مقال "خطاب فضيلة الأستاذ محمد خير الدين في الاحتفال بالتاجين في الشهادة الأهلية بالمعهد"، العدد ٢٨١، ٣٠ جويلية ١٩٥٤، ص ١٠.

٢٩- جريدة البصائر: مقال "الشيخ خير الدين في تونس، إستنكار وتبرؤ"، العدد ٤١، ٢٨ جوان ١٩٤٨، ص ٣٠.





## حركة الردة في البحرين

عقب وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى عهد عمر بن الخطاب

تبلورت حركة الردة في البحرين على أساس تحلي مجموعة من أهل البحرين عن ركائز الدين الإسلامي وحروجهم عن الامتثال للقيادة بعد وفاة الرسول ، وما تبع ذلك من ضجة وسخط انتهت إلى محاربتهم كأصناف معارضة في بدايات العهد الراشدي .

يمتاز أهل البحرين بأسبقيتهم في اعتناق الدين الإسلامي عن قناعة تامة في وقت مبكر كانت تابعة فيه للدولة الساسانية ، وهذه حقيقة لا نستطيع أن نتجاهلها ، لأن الدين الإسلامي يمتلك من الخصائص ما يؤكد على أنه عقيدة الفطرة ، ومنهج الحجة الذي يستوعب كافة شؤونها ، ولهذا وجد طريقه بين أهل البحرين ، بعيدا عن العنف والاكراه ، يبدو ذلك جليا في النصوص القرآنية ( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ) ، ( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) ، وبناءً على ذلك فإن هذا الدين يحاطب إنسانية الفرد بأسسه المرونة ، دون أن يجبر الناس على الأخذ به قسرا كاعتقد يحكم أسلوبهم في الحياة ، ومن هنا نستغرب أن يرتد أهل إلى وثنية حاربها الدين ، لكن يتضح أن حركة الردة حقيقة في ذات التاريخ على درجة من الخطورة ، وإن لم تدم طويلا ، فإما أن تكون خطأ ليس له أي مبرر من شيء ، وبالتالي لابد من تحطيمها ، وهذا ما حصل فعلا ، أو أن تكون حركة قائمة عن وجه حق ، أرادت تحريك الرقص ، والثورة احتجاجا على حالة غير شرعية آنذاك .

وباختصار ، فإن ما يورده لنا التاريخ هو أنه بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ارتد قوم من البحرين هلكوا عليهم المنذر بن النعمان فيما ثبت مسلمو جواثا كالجارود العبدى ، فحاصروهم المرتدون وضيقوا عليهم إلى أن أرسل أبو بكر العلاء لنجدتهم ، فهزمهم وقتل منهم مقتلة ، وكان جيش العلاء من الجيوش الإحدى عشر ، التى أرسلها أبو بكر لردع ما عرف بحركة الردة والروايات فى ذلك على أوجه مختلفة وكثيرة .

فهل كانت حركة الردة فى البحرين اعوجاجا باتجاه اللاوعى ، والانحطاط ، وفتنة جرت ويلات إهدار المكاسب ، والعيث بموازين الدولة الإسلامية ، أم أنها لا تعدو أن تكون أسلوبا تلقائيا ، للتعالى على واقع الأحوال الاقتصادية ، والاجتماعية التى مرت بها ؟ فمن هم رموز هذه التجربة ، ولماذا زجوا بأنفسهم فى هذا المأزق ؟ وكيف كانت المؤشرات التى استتبعت تفاصيل هذه الظروف ؟ ألم تكن الهوية الإسلامية مترسخة فى مسلك المرتدين ؟ لماذا سادت أكثر من موجة انشقاق ، وتفكك فى مجتمع المسلمين ، بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ؟ كما نالت أعمال المؤرخين من حصص الحقيقة ، وإلى أى مدى التزموا بالواقعية والمصادقية ؟ وهل تخلو تفاصيل الأحداث من المبالغة أو التأثير بالظروف السياسية ؟

تساؤلات عديدة تطرح نفسها فى هذا المضمار ، ويجاب عليها إلى حد كبير فى شعار الدراسة.

### الردة بين المضمون اللغوى والمحتوى الاصطلاحي

الردة (بالكسر ، الاسم من الارتداد) ، وقد ارتد ، وارتد عنه : تحول ومنه الردة عن الإسلام ، أى الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه ، إذا كفر بعد إسلامه<sup>(١)</sup> . وكما جاء فى اللسان : الرد : صرف الشئ ورجعه ، والرد مصدر رددت الشئ ورده عن وجه يرده ردًا ومردًا وتردادًا . وقد ارتد عنه : تحول ، وفى التنزيل . ( من يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة )<sup>(٢)</sup> . والاسم الردة . يقال ، ردت الرجل عن دينه ردة : إذا كفر بعد إسلامه ، وأمر الله لا مرد له<sup>(٣)</sup> .

فائدة ، بالكسر مصدر قولك رده برده ورده . وفى حديث القيامة والحوض يقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم أى متخلفين عن بعض لواجبات . قال : لم يرد ردة الكفر ولهذا قيده بأعقابهم لأنه لم يرتد أحد من الصحابة بعده ، إنما ارتد قوم من جفأة الأعراب<sup>(٤)</sup> .

وهناك معان كثيرة أخرى للردة لسنا بصدها ، فما يهمنا في الواقع معنيان ، أولاهما : الرجوع الحقيقي لمعوم الأشياء ، حيث نفهم منهم تصور العودة إلى ما كانت عليه في مقدمة الأمر ، وذلك بعد حركتها ، وثانيهما : التحول عن الشريعة الإسلامية إلى اعتقال ضال ، ولهذا التحول عدة مقاييس فقد يكون حسيا ، أو معنويا ظاهريا أو خفيا .

تعرف الردة اصطلاحا على أنها التحول ، والرجوع المؤدى بالكفر بعد الإسلام . وتحصل الردة بقول صريح أو لفظ يؤدي معناها أو فعل يظهر ذلك <sup>(١)</sup> ، وتكون من إنسان مسلم بالغ عاقل مختار ، كالشرك بالله تعالى أو جحوده ، أو نفى صفة ثابتة ، أو اعتقاد كذب النبی (صلى الله عليه وسلم) في بعض ما أتى به ، أو سب الله سبحانه أو أحد أنبيائه (صلى الله عليه وسلم) ، وإنكار ضرورة من ضروريات الدين ، أو أن يحلل المحرم أو يحرم الحلال ، أو الإتيان بفعل صريح يكافئ الاستخفاف بالإسلام . ومن أكره على الكفر فجاء بكلمة الكفر لم يعد مرتدًا <sup>(٢)</sup> ، وذلك لقوله تعالى : ( من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ) <sup>(٣)</sup> .

ولنا أن نوجز مغزى المدلول الاصطلاحي على أنه : "كفر المسلم بقول صريح أو لفظ يقضيه أو فعل يتضمنه" . ومن الواضح أن الردة تفشت في صورة جماعية مثلما تبنت ذلك بعض القبائل من تناقلت حركتهم في عهد أبي بكر ، وهذا ما يعرف بحركة الردة الجماعية .

ولاشك أن لفقاء المذاهب فهمهم الخاص إزاء فكرة الردة ، ونكتفي هنا بإيراد بعض التعريفات :

- ١- مذهب المالكية : الردة هي كفر بعد إسلام تقرر بالنطق بالشهادتين والتزام أحكامها .
  - ٢- مذهب الحنفية : المرتد هو الراجع عن دين الإسلام .
  - ٣- مذهب الشافعية : الردة هي قطع الإسلام بنية أول قول أو فعل يتضمن كفرا ، اعتقادًا أو استهزاءً أو عنادًا <sup>(٤)</sup> .
- وهناك من يعرف الردة عن طريق استقراء وتتبع مقومات المصادر التي ذكرت أن العرب ارتدوا بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنها كانت في المقام الأول ثورة على السلطة المركزية في الحكم وفي النظام الاقتصادي .



تذكر الكتب الفقهية على اختلاف المذاهب أنه يشترط في صحة الردة البلوغ ، وكمال العقل ، والاختيار ، أو الطوع حيث لا تنفع إلا من المكلف ، العاقل لا المجنون أو السكران ، إلا أن مذهبي المالكية والحنفية لم يشترطا البلوغ ، فاختلف في وقوع ردة الصبي <sup>(١)</sup> . وتحصل الردة كما أشرنا في الباب السابق ، بنية أو قول كفر أو فعل ، استهزاء أو اعتقادا ، فمن نفى الخالق أو رسله أو كذب أحدهم ، أو حلل محرما بالإجماع كالزنا وعكسه ، أو نفى واجبا بالإجماع أو العكس أو ترك الصلاة أو الزكاة جهودا ، أو عزم على الكفر غذا ، أو خالطه كفر ، والفعل المكفر ما تعده إهانة صريحة نحو الدين ، أو جهود له كالقاء المصحف في قاذورة أو تمزيقه أو إضرار الكعبة ، أو الخضوع لغير الله كصنم أو شمس <sup>(٢)</sup> .

نستخلص مما سبق أن هناك أربعة أقسام تصدق على حصول قضية الردة :

١- ردة على مستوى الاعتقاد .

٢- ردة على مستوى الفعل .

٣- ردة على مستوى القول .

٤- ردة على مستوى الإسقاط أو الترك <sup>(٣)</sup> .

يبقى أن هناك فروقا طفيفة تدور في فلك هذه الأقسام الأربعة بين المذاهب المختلفة فيما يصير به المسلم مرتدا :

١- الحنفية : تتحقق الردة بإجراء كلمة الكفر على اللسان بعد حالة الإسلام .

٢- المالكية : وتتحقق إما بلفظ صريحة أو لفظ يبينها مما علم ضرورة في الدين ، أو بفعل يخترن الارتداد كالقاء المصحف .

٣- الشافعية : وتتحقق إما بلفظ الكفر أو بجهود الفرض أو استباحة الحرام .

٤- الحنابلة : من أشرك بالله أو جحد ربه بيمينته أو جحد الحكم الواضح المجمع عليه .

٥- الظاهرية : من كفر بما صدر عن النبي من الصحيح المجمع عليه .

٦- الزيدية : اعتقاد كفر (الله ثالث ثلاثة) ، فعل ما يستنقص شرعة النبي أو ما دعا الله بتعظيمه ، تلفظ الكفر ، والسجود لعبير الله .

٧- الإمامية : نية أو قول أو فعل منطقة الكفر.

٨- الأباضية : إنكار وحدانية الله والبعث والرسول أو ما علم من الدين بالضرورة أو شتم النبي أو ملك<sup>(١٢)</sup>.

وحتى يتسنى لنا الربط بين ما سبق ، وما يخص الأمثلة والصور التاريخية فمن الضروري تحديد أقسام المرتدين تاريخيا حيث تتضمن :

١- جماعة الممتنعين عن الزكاة والمطالبين بالإعفاء منها بعد رحيل الرسول ، وتضم بنى عبس وذبيان ومن تبعهم من بنى كنانة وغطفان فزارة بالإضافة إلى بنى يربوع ، وسيدهم مالك بن نويرة.

٢- فريق كفى بالله ورسوله مثل بنى بكر بن هائل ، وقبائل ربيعة والأزد ، وجماعات فارسية ، بالإضافة لدعى النبوة الذين عاصروا النبي (صلى الله عليه وسلم) كمسيلمة الكذاب وأتباعه والأسود العنسي ، وطلحة الأسدي . وهناك جزء تنبأ بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) كسجاح بنت الحارث التميمية التغلبية<sup>(١٣)</sup> .

### المرتد وما ينضوى ضمنه من أحكام

يتسم حكم الردة عن الاسلام بالحرمة والكفر الغليظ ، لأنها بمثابة تكذيب لمحقق تصديق . إن المرتد هو الراجع عن دين الإسلام ، أى الذى يكفر بعد إسلامه ، ولو رجع يتوجب قتله ، فإذا قتل لا يدفن مع المسلمين ، وتبين منه زوجته بمجرد الارتداد ، فيدبى بالتالى أن تعتد منه عدة الوفاة إن دخلت ، ويقسم ماله بين ورثته المسلمة ، وإن لحق بدار الحرب<sup>(١٤)</sup> . أما الثانى : فهو المسلم عن كفر بمعنى غير المولود على فطرة الإسلام ، فهذا من الواجب استنابته ، وأما أملاكه فتظل محفوظة له حتى يتوب ويوقف نكاح زوجته على انقضاء العدة المساوية لعدة المطلقة .

كما جاء فى ضوء تعريف المرتد : أنه كل من يأبى شفهيًا ومطلق اختياره ركنين جوهريين من أركان الإسلام ، وهما : « أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله » . سواء كان مسلمًا بالولادة أو مسلمًا بعد كفر ، ويوازى نفي الكل بالنسبة للأصول ، إن باللفظ المباشر ، أو غير مباشر . إن بالكلام أو بالعمل أو بالإساءة إلى مقدسات الشريعة ، وحكم المرتد فى كلا المذهبين الشيعي والسني هو القتل<sup>(١٥)</sup> . ويلغى زواج المرتد وتصادر أمواله ، كما فرقت الأحكام بين المرأة والرجل .

وبالتالى لم تحكم لدى كل من الشيعة والحنفية السنة، وإن كانت مسلعة على الفطرة، وإنما تسجن حتى تتوب، أو أنها تمكث مأسورة إلى أن تموت حيث تضرب كل ثلاثة أيام.

ويستتاب المرتد وجوباً كما ذهب الشافعى وأحمد، أو استحباباً كما بالمذهب الحنفى ثلاثة أيام، فإن تمسك على ما هو عليه قتل لامحالة ولا يسترق، وإن تاب لم يشمل الحكم، وقيل بأن إسلامه غير مقبول إن ارتد لكفر خفى مثل الزنادقة، والحجة على ثبوت الاستتابة: «أن امرأة يقال لها أم رومان ارتدت فأمر النبی (صلی الله علیه وسلم) أن يعرض عليها الإسلام، فبن تابت وإلا قتل» ونستنتج من الحديث السابق أن النبی (صلی الله علیه وسلم) أقام عقوبة المرتد قبل أن يطبقها الصحابة بعد مماته مع المرتدين وماعنى الزكاة<sup>(١٧١)</sup>.

ومن ثم، فبعد أن تثبت الردة إما بطريق الإقرار، أو بطريق شهادة يدلى بها اثنان يبرزان نوع الكفر، فإن المرتد يستتاب، فإن رجع قبل منه وإن تكرر للدين قتل، وذلك لقول النبی (صلی الله علیه وسلم): «من بدل دينه فاقتلوه»<sup>(١٧٢)</sup>. ويتولى قتله الإمام حسب ما هبت إليه الحنفية والشافعية والحنابلة والظاهرية والزيدية. ويتولى قتله كل من علم بأمره وفقاً لمذهب الإمامية، وتذهب الأماضية إلى أكثر من ذلك حيث يصح قتل المرتد حتى على يد امرأة أو عبد مشرك أو مرتد آخر<sup>(١٧٣)</sup>.

### قراءة مقتضبة فى تاريخ البحرين الجغرافى

لم تكن البحرين فى السابق مجرد مجموعة من الجزر الصغيرة فى الخليج العربى التى تبعد لكيلومترات عن الساحل الشرقى للمملكة العربية السعودية كما هو الحال الآن، بل هى كما قال قوم: «الإقليم الثالث وعرضها أربع وثلاثون درجة، واسمها يجمع للبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان»، كما قبل «أنها قصبة هجر، وقيل هجر قصبة البحرين»، وقد اعتبرها البعض من اليمن، فيما صنفها آخرون كقصبة برأسها<sup>(١٧٤)</sup>.

وقال ابن الفقيه، وأبو عبيدة أن مقدار ما يفصلها عن البصرة يعادل مسيرة عشرة أيام، وما يفصلها عن البصرة يعادل خمسة عشر يوماً على الإبل، وما يفصلها عن عمان يقدر بمسيرة شهر، قال: «والبحرين هى الخط، والقطيف، والآرة، وهجر، وبنونة، والزارة، وجوث، والسابور، ودرين، والغابة» قال: «وقصبة هجر، والصفا، والمشقر، والشعبان، والمسجد الجامع فى

المشقر ، وبين المشقر والصفاء نهر يجري يقال له العين <sup>(١٢٠)</sup> . ولقد كانت البحرين في صدر الإسلام تمتد من كاظمة إلى جلفار ، وتشكل المنفذ نحو الجزيرة العربية بموانئها كالعقير والإحساء والقطيف ودارين ، وبعجرتها كأول ، والمهرق ، وشقارن وتاروت ، وحوار ، وغيرها <sup>(١٢١)</sup> .

نخلص إلى أن ما كان يقصد بالبحرين هو ما كان متعارف عند العرب في الحقب السابقة من أننا الإقليم الممتد على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان ، وكانت بذلك تضم ما يعرف في عصرنا اليوم بالكويت والإحساء والبحرين وقطر وتتصل غربا باليمامة وشمالا بالبصرة وجنوبا بعمان <sup>(١٢٢)</sup> .

### دخول البحرين في الإسلام

في السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠ م) ، باتفاق البلاذري ، والطبري ، وابن هشام وفد الصحابي العلاء بن عبد الله بن عباد بن الحضرمي ، حليف بني عبد شمس ، سفير الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى البحرين التي كانت تحت إمرة المناذرة التابعين للفرس الساسانيين ، وقد كان قائدا فيما بعد في حرب المرتدين . إلى أن وافى حاكم البحرين من قبل الفرس آنذاك المنذر بن ساوى التميمي العبدى <sup>(١٢٣)</sup> ، شيخ قبيلة عبد القيس الذي ينتمى إلى بني دارم ، وإلى سببخت مرزيان ، المتمركز بهجر يدعو شعبهم إلى الدخول في الإسلام أو دفع الجزية ، فقتلت صدورهم الدين الجديد - الذي قال عنه المنذر : « فما يمنعني من دخول دين فيه أسمى الحياة وراحة الموت فقد عجبت أمتي ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يردّه » <sup>(١٢٤)</sup> - طوعا من غير حرب أو قوة ، حيث أسلم أيضا سائر العرب بالبحرين مع بعض الأعجم . والملاحظ أن هذا يتباين مع ما رواه ابن الأثير في تاريخه ، حيث يقول : « ولم يكن بالبحرين قتال إنما بعضهم أسلم وبعضهم صالح » . وما قاله قتادة : « لم يكن بالبحرين قتال ، ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء على أنصاف الحب والتمر » ، ولولط وقتها أن نصارى ومجوس البلد قد كتبوا معاهدة ضمنية بينهم وبين العلاء تنص على صيغة للمصالحة ، نسختها « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه بن العلاء الحضرمي أهل البحرين ، صالحهم على أن يكونوا العمل ويقاسمونا الثمر ، فمن لم يفى بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ، والنسبة إلى جزية الرؤوس ، فإنه قد استوفى لها ديناراً من كل حالم ، ممن لا زال على المسيحية واليهودية ، وقد قيل أن رسول الله قد بعث العلاء لما بعث رسله إلى دعوة الملوك سنة ست ، وروى عن العلاء أنه قال : « بعثني رسول الله (صلى

الله عليه وسلم) إلى البحرين ، أو قال هجر ، وكنت آتى الحائط بين الأخوة ، قد أسلم بعضهم فأخذ من المسلم العشر ، ومن المشرك الخراج »<sup>(٢٧٤)</sup>.

وورد على أهل البحرين كتاب أرسل إليهم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإنكم إذا أقمت الصلاة وآتيتم الزكاة ونصحتم الله ورسوله ، وآتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب ، ولم تمجسوا أولادكم ، فلکم ما أسلمتم عليه ، غير أن بيت المار لله ورسوله ، وإن أبيتم ، فعليكم الجزية » ، ويقال أن ذلك كان سنة ٦ هجرية ، وفي رواية له (صلى الله عليه وسلم) ، ويحدث أصحابه : « سيطع عليكم من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق » ، وفي رواية : « يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على الإسلام ، قد أنصوا الركائب ، وأفنوا الزاد ، اللهم اغفر لعبد القيس »<sup>(٢٧٥)</sup> ، وكان ذلك في وفد عبد القيس عليه بالمدينة قبل فتح مكة ، ففي العام الثامن للهجرة كان قدوم وفد عبد القيس بقيادة (الأشج) ، ومن صاحبه من أهالي هجر ، معلنين إسلامهم السري بين يدي الرسول ، ومنطلقين برسالة الدين إلى المنذر بن ساوى في البحرين<sup>(٢٧٦)</sup> ، كما قدم وفد بحرني آخر ، في العام العاشر للهجرة ، بقيادة الجارود بن المعلل العبدي ، الذي اعتنق الإسلام بعد أن كان نصرانيا<sup>(٢٧٨)</sup> . وأخفى ، أننا نستشف من خطاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، أن عبد القيس حرصوا على الاستجابة طوعا ، وأن الإسلام قد احتل موقعا عظيما في أنفسهم ، وبالتالي لم يلق أية معارضاة أو مزاجيات رافضة تعترض طريق سيادته ، بل كان مقتضى تعاظم الأغلبية متفتحا وإيجابيا تقبل في مدى استعدادهم لقبوله واعتناقه .

وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمنذر بن ساوى (التداعيات المرحلية)

قال تعالى : ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أمان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين )<sup>(٢٧٩)</sup>.

تجدر الإشارة إلى أن البداية الفعلية لاندلاع حركات العصيان - كمنعطف على درجة من الحساسية .

والخطوة في تاريخ هجر - الجزيرة العربية- كانت إبان الفترة الزمنية التي أعقبت وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، يوم الثاني عشر من ربيع الأول ، وفواة المنذر بن ساوى بعده وذلك في السنة العاشرة ، أو الحادية عشرة للهجرة عل اختلافات الرويات ، وذلك لأن غمادج الردة خلال المدة السابقة لوفاة النبي كانت متمركزة في محيط محدود شمل كلا من اليمن واليمامة .

وينقل إلينا المؤرخون بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مات ذلك الشهر ، ومات المنذر بعد رحيل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بفترة وجيزة<sup>(١٢١)</sup> ، فتبع ذلك الكثير من طوائف العرب ، بين كافر ومانع للزكاة والصدقة<sup>(١٢٢)</sup> ، حيث تغلغل النفاق في ثنايا المجتمع وقتئذ كما جاء في قول السيدة عائشة : « لما توفي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ارتدت العرب ، وأشرأت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم حتى جمعهم أبو بكر<sup>(١٢٣)</sup> » وكان أهل البحرين من ضمن من ارتدوا أيضا ، مملكين عليهم المنذر بن النعمان المنذر . ولهذا السبب غادر أبان بن سعيد العاصي بن أمية من البحرين ، متجها نحو المدينة حيث أشار ابن عساكر في تاريخه أن أبان بن سعيد قال إلى بنى عبد القيس : « أبلغوني مأمنى » ، فقالوا : بل أقدم ، فلنجاهد معك في سبيل الله ، فإن الله معز لدينه « كما نجد أن الجارود حول تنحيته عن السفر فلم يجد ذلك أمام إصراره . والملاحظ لما قدم على أبي بكر لأمه قائلا « ألا تثبتوا مع قوم لم يرتدوا » ، أو قال لم يبدلوا ، فعقب أبان : « هم على ذلك فما أرغبهم في الإسلام وأحسن نياتهم ، ولكن لا أعمل لأحد بعد رسول الله<sup>(١٢٤)</sup> » .

وكان من ارتدوا أيضا : شريح بن ضبيعة العبدي ، المعروف بالحطم وقبيلة ربيعة ، وبكر التميمي بقت على ردتها . وبخصوص عبد القيس ، فقد شهر كلامهم عقيدة أن النبی لا يموت ، أو أن النبوة لا تنقضي بمجرد وفاته إلا أن الجارود بن عمرو قد اجتمع إليهم وحدثهم بحديث ينزع إلى فطرة الحق فأمنوا بمنطقه ، واستجابوا لهذا الزعيم الإسلامي بعد المنذر ، برسوخهم من جديد على إسلامهم ولكي تكون الصورة أوضح ، سنذكر ما دار بين الجارود وبينهم ، حيث أنه قال : « تعلمون أنه كان لله أنبياء ، فيما مضى » ، قالوا : « نعم » ، قال : « فما فعلوا » ؟ قالوا : « ماتوا » قال : « فإن محمداً مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله » فعادوا إلى حظيرة الإسلام بنفس الشهادة مضافا عليها وأنتك سيدن وأفضلنا<sup>(١٢٥)</sup> .

وهذا يأخذنا إلى ما حدث به أبو بكر الناس إثر وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك لما قال « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت<sup>(١٢٦)</sup> » وتجدر الإشارة إلى أن عمرا وغيره قد نصحوا أبا بكر بالتخفي عن قتال المرتدين ، لكنه كان حازما ومتشثا بكرة النهوض لهم ، حيث قال : « والله لو منعوني عقالا أو عاقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لقاتلتهم على منعها » والعقال تعنى زكاة عام من الإبل ، والمقصود بعناق : الأنثى من ولد المعز<sup>(١٢٧)</sup> .

كذلك فإن من أهم ما تطلعت به تداعيات حركة الردة ، هو ذهاب فريق من رجالات بكر بن وائل إلى كسرى ملك الفرس ، يخبرونه بموت من كانت قريش ومضر يقتخرون به ، وينبأ الرجل الذي حل بعده ، ووصفوه على أنه ضعيف البدن والرأى ، ملمحين إلى اتصاف عامله إلى جماعته ، وإلى الضياع الذى تسلل للبحرين بعد أن لم يعد بها مسلمون سوى من عبروا عنهم بشرذمة من عبد القيس لا يساوون شيئا بالنسبة لهم . وسألوه أن يبعث من يأخذ بزمام أمور البلد ، فطرح المنذر بن النعمان ، ولم يكن منهم إلا أن وأفقوا عليه بشدة ، وكان من بينهم أبو ضبيعة الحظم بن زيد وظبيان بن عمرو ، فأمره بالخروج معهم ورودهم بسبعة آلاف فارس وراجل .

وقد قال بعض العرب بعد وفاة النبی (صلى الله عليه وسلم) : لو كان محمد نبيا لما مات ، وقال بعضهم الآخر : انقضت النبوة بموته ، فلا تطيع أحدا بعده (٣٧) .

### إشكالية الردة ودوافعها

لم تكن حرب الردة أبدا وفقا على المسلمين ، كما أنه لا يوجد أى حكم قطعى على أن عامة العرب ارتدوا عن الإسلام ، لأنه من الواضح وجود جماعات فى الأنظار الإسلامية حافظت على تبعيتها للإسلام ، بل وأن البعض منهم ساهم فى التصدى بصفة خاصة للمرتدين ويحتدم الجدل فى الحقيقة الدائرة حول صحة وقوع الردة على عموم الناس ، خاصة مع انتفاء الاطمئنان إلى الكثير من المعلومات المفترضة الحالية من الدلالة القاطعة فى أخبار الردة ، فيما يعمق من هذه الإشكالية أن التفاصيل كانت مروية بالدرجة الأولى عن سيف بن عمر التميمي المنعوت بالكذب ودرس الافتراءات . فلقد ذكر بأنه كان مع المسلمين فى المواقف ، والمشاهد التى رأوها من أمر العلاء (٣٨) ، كما أن عملية تدوين التاريخ تمت بعد قرن ، أو أكثر من النقطة الزمنية للأحداث فى البحرين بالإضافة إلى ما ضمنه الموالى وأهل الكتب والإخباريون الجاهلون للعربية من عناصر أسطورية تتطلب الفحص والتدقيق (٣٩) .

فهناك من الأمثلة ما يستبعد ارتدادها إلى الكفر استنادا إلى صلابة الإيمان ، فمثلا هناك نموذج أهل اليمن الذين قال فيهم النبي (صلى الله عليه وسلم) « الإيمان يان » ، ومثال بنى حنيفة الذين ينتمى إليهم مالك بن نورة ، وهو من الصحابة الأجلة لا سيما وأنه قال لخالد : « والله ما ترددت » ، وقد شهد أبو قتادة بعد أسره مع جماعته أنهم أقاموا الصلاة وأن عمرا (رضى الله عنه) سارع بالدغفاع عنه طالب من أبى بكر (رضى الله عنه) محاسبة خالد لإعتدائه على حرمة مسلم . ويروى أن أب بكر قال له أرباء قتلت إمرأنا مسلما (٤٠) ؟

ومن الأمثلة الواردة والمغايرة إلى أن الصلاة لم تكن مقامة في أوساط القبائل المرتدة أو مسيئة الكذاب حين تزوج سجاح بنت الحارث التغلبية - وهي من نصارى العرب التي ادعت النبوة وأذهن لها دعامة بنى قميم وجماعة من أمرائها - كان قد جعل مهرها لإسقاط صلاتي الفجر والعشاء<sup>(١١)</sup>، كذلك نموذج مسلمي البحرين اللذين صاروا مسلمين بإرادتهم التامة ، ونال وفدهم شهادة ثناء من النبي (صلى الله عليه وسلم) ، كما تقدم ، ومن أجل ذلك نعجب لمن يلصق بنشل هؤلاء الكفار لأنهم لم يمنعوا الزكاة ، ربما لعدة قماش النظام مع ما يبرمجونه نتيجة لتجاذبات غير مشروعة ؟ حول زحزحة المركزية عن من يعتقدون بأنه الأول باستحقاقها . ولعل من الأسس التي تؤكد على وضعيتهم الإسلامية إعلان أبي بكر بعد استعلائه عن الجماعات التي تؤدي الصلاة دون الزكاة بأنه سيقاثلهم حتى لو منعه عقال بعير كانوا يؤدونها إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) .

أما فيما يتعلق بدوافع الردة، فسنناقش موضوعها في النقاط التالية :

١- وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتظير مثل هذا الحدث من اضطرابات لم تكن بالأمر السهل كان لها انعكاس بالغ على نفسية أفراد يواجهون تحديات الشكوك وتعقيدات المستقبل بالجزع ، والضيق ، حيث لم يستطع عدد كبير منهم أن يتقبل خبر وفاته، والدرجة أن عمر أقد فند نبأ الوفاة قائلاً بأن النبي مضى لربه وسيؤوب مثلما آب موسى لقومه بعد غياب أربعين ليلة .

٢- انهيار سلطان المدينة ، حيث سجلت غزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ومواقفه الإدارية في السابق نفوذاً عسرياً دعم أركان الدولة ، وسط قدرتها على أغلب مجتمعات العرب فعنصر الارتداد في هذه الحالة شأنه شأن عدم التعاطي مع المنهجية السياسية القائمة بنفس الحماس السابق ، وليس الاعتداء بالوثنية ، أو الاعتقادات الفاسدة التي أفسدها مشروع الإسلام نهائياً<sup>(١٢)</sup> . وهذا الأمر يقترب بانقسام الأمة بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المجاهدين ، أحدهما يرى استحقاقات الولاية لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وقسم يقر برئاسة أبي بكر ملتصقا بالمبررات أو راضيا بالخيار ، وعلى ذلك فلا عجب لو لم تكن لوحدة كل المسلمين صفحة ناصعة .

٣- التأثير الواضح من قبل بعض العرب بالفرس والروم المحرضين ضد الدين الإسلامي<sup>(١٣)</sup> .

٤- ظهور العصبية والزعات القبلية بقوة حيث كان طموح حركات الردة ذا نسق سياسي أكثر من كونه ديني ، وأصفت عليها العصبية القبلية واقع الطمع في السياسة وحياة كرسى



الملك ، فذلك معقول للغاية حين نقرأ عن ويلات الجاهلية المشينة التى طفحت مقاصدها كرد فعل عنيفة تخترن نفس المحنة فى الحقبة الإسلامية . وعلى ضوء ذلك عداى جمع من بكر بن وائل قوم عبد القيس الملتفين حول إسلامهم ، فما اقترحه بعضهم كان يدور حول تنويع سلالة النعمان بن المنذر كونه أحق بذلك من أبى قحافة<sup>(١٤٤)</sup> ومن منظور أوسع ستم البعض سيطرة قريش واستفرادها بالزعامة كقيادة النبى (صلى الله عليه وسلم) ومجد هنا انطلاق بعض الطوائف لإرجاع المكانة والسلطان الذى كانوا يحتلونه فى زمن الجاهلية<sup>(١٤٥)</sup> .

٥- بسبب جهل تعاليم الإسلام ، بمعنى نقص البينة من امره ، و هذا خلاف ما لمسناه فى السبب الثانى ، إذا أنه من المحتمل أن اعتناق الإسلام لم يكن بالضرورة رغبة فى تحقيق الذات بجوهر الدين إنما قد يكون الهدف هو الرغبة فى الأمان خوفا من تعاطف أمر المسلمين أو البحث من فائدة مادية أو اجتماعية ، وعلى هذا وجدت فئات ضعيفة الإسلام ، مشوهة الإيمان تحركت للإسلام إذاناً لعظمة الإسلام واهله ، برغم من هذه الهيئة الواهنة ، لابد من التأكيد على أن الأيديولوجية الإسلامية لم تفرض نفسها بالقسر ، إنما كانت تتسم بعقلانية ارقى من هذه النظرة .

٦- جنوح البعض للخلاص من الزكاة بدعوى أبى متعاصره فقد مع حياة النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وقور وفاته تخلت عن أدائها ، راعمة أنها لم تجعل لمن يحلفه فلاح له أن يطالبهم بجمعها ، حيث تفرع بعضهم بقوله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم )<sup>(١٤٦)</sup> ، فى أن دفع الزكاة مقتصرة على من تكون صلاته سكت لهم ، وقالوا أنه لا ينبغي للخليفة أن يحكم قبضته عليهم ، لأن تقييدهم بعد نوعاً من التمرد على تبعية البدو بجماعات الحضر ، يتضح ذلك فى بيت يستحق الإشارة إليه ، وهو قول الخطيبنة :

أطعن رسول الله إذا كان بيننا فى لعباد الله ما لأبى بكر  
أيورثها بكرًا إذا مات ، بعده وتلك لعمر الله قاصمة القصر

٧- عدم تكاثر تأثير الهاجس الإسلامى فى جزء من أفراد الأمة ، الذين افتقدوا للانتماء الروحى الأصيل ، وربما لحداثة ارتباطهم بالإسلام ، وبالتالي افتقدوا للتضج العبقدي الرصين ، فعاشوا على قاعدة مهزورة ، تختلف بواطنهم عن ظواهرهم ، وتنطبق عليهم الآية الكريمة لتالية : ( ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم )<sup>(١٤٧)</sup> .

٨- حين العديد من العرب إلى ماضى الشبهوات ، التى غابت أثناء مرحلة الرسول لأن الأحكام

الإسلامية لم تصادق عليها ، فلم يشأ هؤلاء أن يظل شرب الخمر والزن مثلاً قيد المصادرة .

كانت هذه مجموعة الدوافع الحية التي اعتمادانها وفق سجلات الحركة التاريخية ، ولا يمكن أن نتخذها على أنها الأسباب المثالية لفيضان الردة في محيط الجزيرة العربية بما فيها البحرين .

مجمل حرب الردة :

لقد برزت في السنة الحادية عشرة أنباء ارتداد العديد من العشائر العربية عن الإسلام حينما علموا بوقاة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وامتنعوا عن الزكاة ، فعمل أبو بكر والمسلمون على قتالهم ، مما أسفر عن مقاومة الحركات الآتية :

١- حركة الأسود العنسي : انبثقت كأول ردة في الإسلام على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، إذ كان عبهلة بن كعب بن عوف مشعوذاً كاذباً يريهم الأعاجيب ، ويأخذ بقلوب من يستمع طرحه من أصحاب العقول الضعيفة ، وأزره عمرو بن معدى كرب الذي أسر ، ففكه أبو بكر لاحقاً . وقتل فيروز الديلمي عبهلة العنسي بالتنسيق مع زوجته المسلمة التي كانت تبغضه . كما أن من تصدى له إضافة لفيروز رجل يدعى عامر بن شهر النهدي وداؤويه<sup>(٤٨)</sup> .

٢- حركة مسيلمة بن حبيب الكذاب : ارتدت يهو حنيقة ولحقوا بمسيلمة الكذاب الذي ادعى مشارطته النبوة مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ، يشهد على هذا صديقه الرجال ، ودعا نفسه برحمان اليمامة حيث أضل أهلها ، وأخذ يسجع لقومه ، ثم وضع عنهم الصلاة وشرع حلية الخمر ، والزنا ونحو ذلك ، فمضى خالد بن الوليد لقتالهم ، فالتقى بهم في عرياء (في أرض اليمامة) ، بصحبة شرحبيل بن حسنة وعكرمة بن أبي جهل وأبى حذيفة ، فهزمهم وقتل منهم مقتلة ، وأطلق وحشي ابن حرب حرثته على مسيلمة فأصابته ، فصرعه أبو دجانة<sup>(٤٩)</sup> .

٣- حركة طلبحة بن خويلد الأسدي : تنبأ في بني تغلب على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكثر أنصاره ، فقويت شوكته بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقد سعى نفسه بذى النون ، ومن جهة نزاله ، فقد مضى إليه خالد بن الوليد بجيش عرمرم لما خرج إلى بزاخة ، فهزم صفوف طلبحة الذي كان قد بايع عيينة بن حصن ، فيما فر هاربا إلى الشام نازلاً عد كلب ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وعلى رواية أخرى أن أبا بكر حرق دمه ، وقيل أنه قتل في نهاوند<sup>(٥٠)</sup> .

٤- حركة سجاح بنت الحارث بن سويد بن عققان التميمية : هي نصرانية ادعت النبوة في بني

تغلب ، وصممت على مواجهة أبى بكر غير أن مالك بن نويرة ثناها عن فكرة القتال ، تفاعلت مع نبوءة مسيلمة الكذاب وتزوجته ، ثم انتقلت إلى أرض الجزيرة إلى أن نقلها معاوية عام الجماعة سنة ٤٠ هـ جبرية فأسلمت وحسن إسلامها<sup>(١٦١)</sup>.

٥- حركة طوائف البحرين (محل الدراسة) : وهم تيار مرتد ، ملكوا عليهم المنذر بن النعمان بن المنذر القائل بعد أن أسلم وأسلم الناس : « لست بالغرور ، والكنى المغرور » ، فأرسل إليهم أبو بكر العلاء بن الحضرمي لتقويم مجرى الباطل ، فأنقص بجيشه على القوم ليلاً فى أجواء سكر ، فأجهزوا عليهم ، واستحوذوا غنائمهم<sup>(١٦٢)</sup>.

٦- حركة لقيط بن مالك الأزدي : وهو من كان يسمى فى الجاهلية الجلفرى ، وهو الآخر انفلت عن ثوابت الإسلام مدعياً النبوة ، فبعث له حذيفة بن محصن الحميرى ، وعرفجة بن هرثة البارقي ، وتبعهما عكرمة بن أبى جهل ، وشرحبيل بن حسنة بأوامر من أبى بكر ، وحدث اضطراب فى صفوف المسلمين كاد يفت عضدهم ، ويحيدهم مهزومين ، حتى أقبل إليهم المدد من بنى ناحية وعبد القيس ، فأفنوا عشرة آلاف مرتد ، وأسروا الذراري<sup>(١٦٣)</sup>.

٧- حركة الردة فى مهرة ، تمثلت فى إقبال عكرمة بقوى نحو مهرة ، مستنصرأ أهل عمان ومن حولها ، فاستجاب له الأمير شخريتان المختلف مع الأمير المصيح رئيس المرتدين الذى لقي حتفه حين تقابل جيش المسلمين والمرتدين ، ولقنوه هزيمة قاسية<sup>(١٦٤)</sup>.

٨- حركة قيس بن عبيد يغوث بن مكشوح : وهو من أهل اليمن ، خافه أهلها ، ووقف معه عمرو بن معدى كرب ، وجماعة من أصحاب الأسود العنسى ، وكان خطرهم محققاً لأمرأء اليمن الثلاثة ، فتحرك إليهم المهاجر بن أمية الذى ولاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) على صنعاء ومعه عكرمة بن أبى جهل الموجه من أبى بكر فى خمسمائة مدد ، هزمهاها ، ثم أصبحا مسلمين تائبين ، فقد ورد أنه أسر ، واقتيد إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فقدم الأخير بتوبيخه ، ثم عفا عنه ، لأنه أنكر الردة<sup>(١٦٥)</sup>.

٩- حركة أبو الفحاة السلمى : والذى دخل على أبى بكر يبغي سلاحاً للجم المرتدين ، فلما صح ما يريد خرج على وعده وارتد هو لآخر يقتله المسلمين فى جموع سليم عامر وعامر وهوازيم<sup>(١٦٦)</sup>.

توصل من تلك الظواهر إلى تغشى حروب الردة وتعامل الخلافة معها على أسس أنها ثورات

مشوهة تحكمتها النوازع القومية ، وطالما وأوها كذلك بدا ضروريا إخضاعها للحكومة الدينية من منطلق الدفاع عن الأطر الإسلامية التي لا تقبل هذه التعددية .

أهل البحرين بين الثابت والمترد أهل البحرين تولد بعد وفاة المنذر ، ولابد أن غيز في هذا الباب بين مواقف أهل البحرين المتباينة بالنسبة لحركة الردة حتى لا يحصل أى نوع من الالتباس فى رؤى الفريقين بجمال الأزمة الردوية .

إن الأنماط المتردة كانوا من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة وقبيلة بكر بن وائل<sup>(١٧٧)</sup> التي هزأ بها أحد المنتهين إلى بنى ضبيعة بن عجل عبر قوله :

ألم تر أن الله يسبك خلقه فيخث أقوام ويصفوا معشر  
لحى الله أقوامًا يصيب بخنعة أصابهم زيد الضلال ومعر

والتي أثرت أن تتم على ردتها ، إذ أورد إليها المثنى بن حارث الشيباني خطبًا يطلب منهم أن يكونوا على قدر من المسؤولية عن طريق توجيه اللوم إليهم ومنعهم من موقفهم بالرغبة فى حرب إخوتهم عبد القيس ، وتوعدهم بمهاجمة المهاجرين والأنصار لهم ، وكتب أبيات مطلعها :

طال ليلى لتمنى مسمع وابن ضبيان جميعًا والحطيم

إلا أنهم استهجنوا الدعوة واعتبروها مرادفًا للحسد يقودهم الحطيم ، وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرث ، ارتد بعد إسلامه هو وبنو قيس بن ثعلبة ، وهو من نزل القطيف ، وهجر واستغوى الحط ومن فيها من الرط والسيابة ، وأرسل إلى دارين فأصفوا له ليصير عبد القيس وبينهم<sup>(١٧٨)</sup> ، والسر فى تسميته بالحطيم يكمن فى قوله : « قد لفها الليل بسواق حطم »<sup>(١٧٩)</sup> ، حيث اضطهرم الظرف السياسى إلى تقليد المنذر بن النعمان بن المنذر عليهم ليتمكنوا من تشكيل قيادة تضمن مصالحهم ، وهناك من عزم ارتداد كل من اجتمع بالبحرين من ربيعة عدا الجارود ، ومن سائر منتهجه من الأهالي ونلفت النظر إلى أن هناك من احتمال بارتداد جميع قبائل العرب ما عدا أهل جواثا مثل ما تطرق له ياقوت الحموى<sup>(١٨٠)</sup> . كان الفريق الآخر المناوئ لمن ارتد يحوى عبد القيس يقودهم الجارود ومن تابعه من قومه الذين أمروا عليهم ابن النعمان بن المنذر ، والجارود هو بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدى<sup>(١٨١)</sup> ، وهو من قال عندما ارتد العرب : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله »<sup>(١٨٢)</sup> ، وهو من الكوادر المتفهمة على يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبالمنااسبة يورد الطبرى عن إسلام الجارود أنه لما قدم على النبى ، عرض عليه (صلى الله عليه وسلم) ، أن يسلم ، فقال : إن لى دينا ، فرد النبى (صلى الله عليه وسلم) : إن ديك

بـ جارود ليس بشئ وليس يدين ، إلى أن أسلم وقضى في المدينة لفترة تفقه خلالها ، ثم عاد لقومه يدعوهم للتحويل إلى الإسلام ، فأجابوا مباشرة <sup>(١٣١)</sup> وهذا من الشواهد التاريخية التي تفسر لنا أيضا اختيارهم المطلق في أن يصيح الإسلام جزئا من دواتهم وكانت نتيجة انتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) للرفيق الأعلى أن ارتدوا من زاوية أنه لو أنه كان محمد نبي لما مات ، ولحسن الحظ فإن برعة الجارود ، ومنطقيته القاطعة ، قد لعبت دورا في تنوير ذهنيته ، وإعادة تمهيدهم إلى موقف الشهادتين ، فثبتوا على ما يكمل لهم السعادة <sup>(١٣٢)</sup> ، وإن من الذين ثبتوا أيضا : قيس بن عاصم المنقري ، وعفيف بن المنذر ، وعتبة بن النهاسي بن بكر بن ثائل ، أو (عتيبة بن النهاس). وعامر بن عبد الأسود ، ومسمع وحفصة التميمي ، أو (حفصة التميمي) ، المشي بن حارثة الشيباني ، الذي كان بالمرصاد لأهل الردة تدعيما لمشروع العلاء ، وعوف والأبناء من سعد ابن زيد مناة الذين امتثلوا للريرقان ، ودافعوا عن الإسلام وغيرهم كثير ، حيث استطاعوا إخضاع المرتدين تحت لواء العلاء بن الحضرمي <sup>(١٣٣)</sup>

### لجوء المسلمين إلى حصن جواثا :

تعرض البلاذري بدقة إلى العتمة التي كان يشتمع بها هذا الحصن ، فوصفه بأنه حصن البحرين ، وينبغي لفت النظر إلى أن أثره لا تزال باقية حتى اليوم فهو من معالم الإحساء الأثرية ، التي كان يشملها قطر البحرين الجغرافي آنذاك ، بالإضافة إلى أوال والقطيف ، ولقد اختاره النفر المسلم كقاعدة ذات دور فعال على مستوى وقائع الردة كما أنه برز كمنطق تجاري متميز في السابق <sup>(١٣٤)</sup> .

إن الواقع التاريخي عكس المعاناة العميقة لمن ثبتوا على الإسلام في هجر داخل هذا الحصن الذي ظلت جدرانه شاهدة على صراع الحركات لسياسية والحصار النفسي الناتج عن محاولات التصديق على من تشبثوا بالأصالة الدينية ، يجسدون مقاومة الجوع والوضع العصيب ، إلى أن تغير مجرى الأوضاع لصالحهم بعد ذلك فقد دفع الإحساس بالخطر والتدهور قبيلة عبد القيس إلى الاحتما - بحصن جواثي أو جواث على اختلاف الأخبار <sup>(١٣٥)</sup> ، غير أن بكر بن وائل أحاط ومن معه تماما بالحصن وحرموه القوت ، حتى أوشكت هذه المأساة أن تقودهم للهلاك ولقد عبرت أبيات أحد المحاصرين المسلمين - هو عبد الله بن عرف العبدى - عن المعنى الكامل لهذه السطوة ، حيث كان يستعطف أب بكر بحرارة ، وربي وثوقا من قدرته على معاونتهم وتحليصهم من الضيم الذي هم عليه ، فكان يقول :

ألا أبلغ أب بكر رسولا  
وفتيان المدين أجمعيا

فهل لك في شباب منك أمسا  
 تحاصرهم بنو ذهل وعجل  
 يقودهم الفرور بغير حق  
 فلما اشتد حصرهم وطالت  
 توكلنا على الرحمن إنا  
 وقلنا والأمور لها قرار  
 نقاتلكم على الإسلام حتى  
 بكل مهند غضب حمام  
 جياغاً في جواثا محصرنا  
 وشيبان وقيس ظالمينا  
 ليستلب العقائل والبنينا  
 أكلهم بما فيها بلمينا  
 وجدنا الفضل للمتوكلين  
 وقد سفهت حلوم بني أبينا  
 تكونوا أو نكون الداهينا  
 بقدر البيض والزرد الدفينا<sup>(٧٨)</sup>

واستمر المسلمون هكذا ، حتى جوع متفاقم ينتظرون بصيص أمل إلى أن حان دور العلاء لينهض في مواجهة عنيفة تحطم أصفاد الحصار ، والجدير بالذكر أن عبد القيس قد لجأوا إلى الحصن بعد أن شعروا بالهزيمة ، أمام اثني عشر ألفاً من بكر بن وائل ، ثلاثة أرباعهم كانوا من الفرس ، وذلك بعد قتال ضار استمر أياماً كثيرة<sup>(٧٩)</sup> ، وسنتناول آفاق حرب التحرير التالية لهذه الحرب ، بصورة أشمل في الباب التالي .

### دور العلاء في التصدي للمرتدين

بعد أن انتهى خالد من مهمته في البعثة ، استجار جمع المعاصرين في هجر بأبي بكر (رضي الله عنه) ، فاعراه هم بالغ ، فعقر اللقاء للصحابي العالم العلاء بن الحضرمي - كواحد من القادة الإحدى عشر الذين اختارهم أبو بكر ، في سنة اثنتي عشرة ، على أساس تحرير البلاد الإسلامية من ممارسة الاعتراضات التي بلغت الذروة<sup>(٨٠)</sup> ، فاستبليت ضماير الكثيرين - وسيره إلى البحرين لكسر الحصار المفروض على الجماهير المتحمسة للإسلام ، مزوداً بألفين من المهاجرين والأنصار مع ستة عشر رجلاً من الفرسان ، ليعينوه على مواجهة من عزموا على إطفاء نور الله على حد قوله ، وقال بنو عبد القيس : إن لم يرتدوا فهم جندك ، وغدا مع العلاء حتى يلفه عبد القيس<sup>(٨١)</sup> .

ولما وصل العلاء إلى البعثة ، وكان في استقباله ثمانية بن أثال الخنفي الذي عرض عليه العلاء ، أن ينضم إليه في الخروج لحرب أبناء عمه بكر بن وائل ، فلم يتوقع إجابة قومه من بني

حقيقة بسبب التجربة القاسية التي تعرضوا لها مع مسيلمة في معركته ضد خالد بن الوليد ، إذ عبر أحدهم عنها :

إنما عهدنا بقاصمة الظهر      ويوم لنا كيوم القيامة<sup>(١٧٢)</sup>

ولكن الحاصل أن دعوة اليوم جاءت خلافا لدعوة الأسس تتجلى مآربها في نصرة المنهج السماوي القويم ، الأمر الذي حمل ثمالة على العزم للمضى مع العلاء وإمداده بقوات من قومه ، وكان مع جمع من بني عمه ومن ضمن ما أنشده :

فلن أثني الأعنة عن دعاء      وعند الله في ذاك الجزاء

وبعدها وصل إلى محل بني تميم ، فلاقاه قيس بن عاصم المنقري التميمي ، الذي لقبه النبي بسيد أهل الوبر ، فعرض عليه السير معه لتولي الجهاد ووضع حد للردة فلم يكن منه إلا أن سائده ومار معه بصحبة عشرين فارسا من بني تميم ، وقال قائل

ألم تر أنا أجرتنا العلاء      على كل من جاره من مضر

فصارت حصيلة جيش العلاء ، ألفين مقاتلا من المهاجرين والأنصار بالإضافة إلى جماعتي ثمالة بن أثال وقيس بن عاصم المنقري ، وينقل أنه لما بلغ العلاء حصن جوثا ، اعترضته جماعات من ربيعة ، كان يقومهم الحطيم ، استطاعوا تقييد حركة المسلمين ، وحصارهم ، مما حمل العلاء على أن يطلب المساعدة من أبي بكر ، فأصدر أبو بكر أمرا إلى خالد بن الوليد بالتوجه من البصرة إلى البحرين ، لمساندة جيش العلاء ، ولكن النصر كان قد سجل للمسلمين قبل مجئ خالد<sup>(١٧٣)</sup>.

وأورد أحد المسلمين في الحصن إلى العلاء بأنه لم يعد هناك حل ناجح للقضاء على المعارضين وتأديبهم ، سوى مهاجمتهم ليلا ، وعكس ذلك أحد أبياته التي خاطب بها العلاء :

أسد النهار صباح الليل ليس لهم      إلا البيست بما لا قتل أو كثر

والظاهر أن الجارود قد كتب للعلاء : « إن بيني وبينك أسود النهار وضباب الليل » فأدرك أنه يستحثهم للقتال ليلا ويرجع أن العلاء كان نزلا بأصحابه فنشرت دوابهم وما عاد لديهم ما يتروذون به في الطريق ، فاشتد عليهم الحطيم ، ودارت الوصايا فيما بينهم ، ولحانت صلاة الفجر صلى بهم العلاء ، وحس يدعو فهدتوا إلى ماء شربوا منه واغتسلوا ، ولم يزالوا كذلك حتى أناخت بعيرهم (تكرد من كل وجه) مما عرس في قلوبهم لأمر ، ودفعهم للأمام

ولم يلبث العلاء أن دعا الجارود ورجل آخر للاشتراك مع عبد القيس من أجل الهجوم على الحطم وإحاطته ، واقتضت المعادلة حلول العلاء ومن معه بهجر ولقد خندق المسلمون على أنفسهم وهو يتناوبون القتال قرابة الشهر<sup>(١٧٤)</sup> ، ثم أقام المرتدون القتال فتواری المسلمون بحصن البحرين المتعارف بجوآثا ، وأخذ الجوع منهم مأخذه وكان جنود العلاء يتحسسون الفرصة للاقتحام فاحتكم العلاء لفكرة البيات ، وأكد على الجماعة المحاصرين أنه ينبغي لهم التهيؤ للانطلاق ، بمجرد أن يستشعروا اقتحام المسلمين ومباغتتهم للقوم . وكان موقف العلاء في ليلة البيات يتم بروج التحدي والثبات ، لاسيما وأنه استمر في تحفيز الجيش ورفع معنوياته ، لخوض الصراع من دون وجل أو تردد ، ولم يتوان في إرسال شخص يستقري له خبر القوم عن كثب - قيل أنه عبدالله بن حذف - خاصة بعد سماع ضجيج ، وضوضاء في العسكر الآخر ، فانبرى للتقصي ، وقبيل انبلاج الصبح ، عاد الرجل يحمل بشارة التمكين ، وأعلم العلاء بالأمر المهم الذي تحقق منه ، حيث عاد قائلاً : « قد أشرفت إلى معسكرهم فلم أسمع لهم حركة ، والقوم عندى سكارى ، لا يعقلون » ، وقد ورد أيضاً أنه لما اقترب من حديقهم أخذوه ، فصار يستغيث وأبجراه » فجاء أبجر بن بجير ، فعرفه ، فقال : ما شاك ؟ فقال : علام أقتل ، وحولى عساكر من عجل وثيم اللات ، وغيرها ؟ فخلصه ، فقال له : « والله إنى لأظنك بنس ابن أخت أتيت الليلة أخوالك ، فقال : « دعنى من هذا وأطعننى ، فقد مت جوعاً » فغرب له طعاماً ، فأكل ، ثم قال : « زودنى وأحملنى ، يقول هذا لرجل قد غلب عليه السكر » ، فحمله على بعير ، وزوده وجوزه ، وبعد أن دخل عسكر المسلمين أخبرهم أن القوم سكارى ، فلم يلبث العلاء أن دعا صحبه للركوب ، قاصدين هدفهم بتر ، حتى إذا شخصت أبصارهم للعسكر ، أحذقوا بهم وانقضوا عليهم بالخيول التى جالت عليهم حوافرها ، وبالسيف التى تناولتهم ، حيث أذرع المسلمون فيهم قتلاً وأبلوا بلاءً حسناً فى حرب طاحنة ، فهرب الكفار بين متردد ، ونج ومقتول ، ومأسور<sup>(١٧٥)</sup> ، وكما ورد عن ابن كثير أنه قتل من هرب منهم<sup>(١٧٦)</sup> . أما بالنسبة للجماعة المسلمين المحاصرة ، فإنهم أداروا باب الحصن ، وهما بالقتال من الجهة الخلفية ، تنفيذا لتعاليم القائد ، فتضافرت القوى مما كبد المشركين خسائر هائلة فى الأرواح<sup>(١٧٧)</sup> ، وولت فلولهم بعد الهزيمة الشنعاء إلى قرية الردم ، فى حين تقاسم المسلمون الغنائم ، وقد قتل الحطم إثر انقطاع ركابه مع قدمه<sup>(١٧٨)</sup> ، الذى قال فى قتله مالك بن ثعلبة العبدي :

وتركنا شريح قد علته بصيرة كحاشة البرد اليماني المحير

ونحن فجعنا أم غضبان بابنهم ونحن كسرنا الرمح فى عين حبر



ونحن تركنا مسمعا متجدلا رهينة ضبح تعتربه وأنسر

ويبدو أن السر في إحراز هذا النصر يكمن في الموهبة العسكرية ، والمنهجية البارة في خطط الحرب حسب تكتيك العلاء . عندها كتب العلاء إلى أبي بكر : بهزعة أهل الخندق ، وقتل الحظم ، إذ قتله زيد وسمع « أما بعد فإن الله تبارك وتعالى سلب عدونا عقولهم ، وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار ، فاقطحنا عليهم ، فقتلناهم إلا الشريد ، وقد قتل الله الحظم <sup>(٧٩)</sup> .

ولا يخفى في مسار هذه الواقعة من أن المنذر بن النعمان قال عندها انتصر المسلمون « لست بالفرور ، ولكني المفرور » فاستنزل أرض الخط مع شزيمة ربيعة ، حيث أن العلاء شن غارة عليها ، وقتله هناك لولا قول بأن أسلم وحسن إسلامه .

وبعد أن فرغ من جوائنا قطع العلاء طريقه إلى جزيرة دارين ، والواقع أن الناس بها كانوا كثيرين ، فعمد إلى المشى إليهم في عز الليل ، فرحط بحيشه إلى طريقها الأوحده الذي كان قد لوحظ عليه الحراس الذين لم تنفعهم هذه الحصاة وغارت عليهم حيل المسلمين في عقر دارهم ، فاشتبكوا معهم وأردوهم عن آخرهم إلا صفارهم ، وأخذوا معهم جميع ما كان في الجزيرة من النساء والذرية وحملوا الأموال ، واقتسموا الغنائم رحعبي إلى عسكرهم ، وأشعر بعضهم بقول :

ألم ترى إلى الليل ذلل بحره وأنزل بالكفر إحدى الجلائل

دعون الذي شق البحار فجنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

ثم واصل العلاء سيره حتى بلغ الردم ، ودنوا من الحفص في صراع يشتعل شراسة . حيث دار النزال لساعة ، وتخلل المبارزات ضربة أحد الكفار يدعى أبجر لابن بجير على رأس قيس بن عاصم ، غير أن قيس صدها بالترس ، وأصابه بعد ذلك بسيفه ، وكان يقول :

ألم تر أدميت رمحي وأنسى ضربت بحد السيف يا فوخ أبجر

فلم يجد مناصا للهرب وحلت الهزيمة بالحفص أمام الهجوم العاتى للمسلمين <sup>(٨٠)</sup> ، وشهدوا مصرع رئيسهم الحظم بن زيد <sup>(٨١)</sup> الذي انثنى به السرج ، وقد انقطع ركاب الفرس حين عاودا الركوب سريعا إثر قضاء حاجة ، وظل واقفا متجبرا لا يعرف كيف يتصرف ، أو إلى أين يذهب إلى أن خر قتيلا على يد أحد المسلمين الذي أنشد :

لما بدا حطم لى وحده يدعو بأعلى الصوت من عاقل

أقبلت في النقع إلى فارس أشبهه شيء منه بالرجل

منقطع الحيلة في موضع فيه قصيد من قنا ذابل  
فقلت لا تعجل أذاك الرد فليست عما جئت بالفاسل  
فلما اثثنى وثنى رجله عجمته بالمرهف الفاصل  
سيفا حساما فوق يافوخه فخر مثل الجمل البازل

وعلى رواية أن قيس بن عاصم هو قاتله ، وهو من أجهز على أبجر بطعنة في العرقوب أنشد فيها عفيف بن المنذر :

فإن البرقا العرقوب لا يرقأ النسا وما كل من يهوى بذلك عالم  
ألم ترى أنا قد فللنا حماتهم بأسرة عمرو والرياب الأكاسم

وعفيف ذاته هو من أسر الغرور بن سويد ، فطلبت منه الرياب أن يجيره ، فأجاره بعد هذا النصر لاذت قلول بكر بن وائل بالصحاري ، ونزل المنذر بن العمان إلى آل جفنة مستجيرا أما الفرس فقد ولى جزء منهم للراة **والقطيف** ، فيما خرج بعضهم لكسرى وأخبروه عن هزيمة عساكرهم ، فحزن لذلك وأما القسم الأخير منهم ، فقد سألوا العلاء الأمان ، فمنعهم ذلك ، واشتغلوا بالبحرين حراثين ورراعين ، ثم تولى العلاء دفع ما حصل عليه من الغنائم إلى أبي بكر ، وأرسل له كتابا بما صار إليهم أمرهم مشعر بقوة العلاء في إدارة قدام الأمور ، فولاء البلاد ، وفي خبر المنذر بن النعمان فقد قيل وقتها أنه قد مسه ندم شديد ، وكتب إلى أبي بكر أبيات تفصح عن رجوعه إلى الرشد وتعبر عن ذلك بصراحة :

عجبا لأمرى والحوادث جمة أدعى الغرور وإننى مغرور  
قد قلت لما لم أجد لى مهريا إننى لعمرك واتسر مورتور  
وأطعت كسرى في الذى أملتته ووترت قوما وترهم محذور<sup>(٨٢)</sup>

وهناك في الطبري ، والبلاذري ، واليعقوبي من الشواهد ما يروى أنه لقي حنفة يوم جواثا<sup>(٨٣)</sup>.

حركة الردة في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه )

استؤصلت آخر آثار حركة الردة ، في خلافة عمر بن الخطاب (رضي ) ، حيث أحرز ذلك مصرع المكعب الفارسي<sup>(٨٤)</sup> ، وقد عمد الخليفة على الإبقاء على تعيين العلاء بن الحضرمي ولب على البحرين وقد قيل في هذا الشأن أن أرناء ابن فيروز بن حشيش ( المكعب الفارسي قد تحص

بالزارة ، وكان قائد المرتدين ، وحليف كسرى الذى أرسله للانتقام من بنى قميم أيام تعرضهم لغيره ، وقد التحقت به قبائل من المجوس الذين تجمعوا بالقطف ، وعارضوا تأدية الجزية ، فنهض العلاء للزارة لكنه لم يفلح فى فتحها لإيمان خلافة أبى بكر ، وإنما عاد ليفتحها فى بدايات الخلافة العمرية ، حيث شهد له بفتح السابون ودارين بالسيف ، وعرف خندق باسمه .

وقد ألحق معمر بن المثنى مجموعة من الحملات العسكرية بالعلاء ، حيث يقول استنادا لما أورده الواقدي فى كتاب الردة : غزا العلاء بعبد القيس قرى من السابين فى خلافة عمر بن الخطاب ، ففتحها ثم غزا مدينة الغابة ، قتل من بها من العج ، ثم أتى الزارة وبها المكعب ، فحصره ثم إن مرزبان الزارة دعا إلى البراز ، فبارزه البراء بن مالك ، فقتله ، وأخذ سلبه ، فبلغ أربعين ألف ثم خرج رجل من الزارة مستأمنا على أن يدل على شرب القوم ، فدله على العين العين الخارج من الزارة ، فسدها العلاء ، فلما رأوا ذلك ، صالحوه على أن له ثلث المدينة ، وثلث ما فيها من ذهب وقضة ، وعلى أن يأخذ النصف مما كان لهم خارجها ، وأتى الأخنس العارى العلاء ، فقال له : إنهم لم يصالحوك على ذرايعهم ، وهم يدارين ، ودله كراز المكربى على المخاض إليهم فافتحم ، العلاء فى جماعة من المسلمين البحر ، فلم يشعر أهل الذارى ، والسبي ، ولا رأى المكعب ذلك ، أسلم ، قال كراز :

هاب العلاء حياض البحر مقتحمًا      فخفضت قدما إلى كفار دارنا <sup>(١٨٥)</sup>

#### نتائج حرب الردة

لا بد لنا إذا ما أردنا فهم حركة الردة كجزء من حركات التاريخ الإسلامى ، أن نناقش بالإضافة إلى أصولها كل ما يستتبعها من النتائج والتحولات المنطقية ، باعتبارها مطردة من المنحنى المصيرى لأطوار الحركة ، وأصدانها على المدى القريب والبعيد .

وبناء على ذلك ، اعتمدنا التسلسل الآتى للكشف عن الآثار المترتبة على حركة الردة :

١ - أدت إلى نشوب معارك ، نجم عنها توحيد كلمة المسلمين ، وتقوية مركز الخلافة ، حيث بدأ ذلك واضحا فى موازين الفتوحات ، واتساعها بنحو جغرافى فاق حدود الجزيرة العربية ، ليشما أمتى الروم والفرس .

٢ - إكساب الناس المقدرة والجرأة على دحض الشبهات الباطلة ، والدعوات العقيدية الفارغة ، مما غذى حيز الوعي والثقة فى الدين .

٣- عكزت في بادئ الأمر أجواء الاستقرار والتراص الاجتماعي ، بسبب الاضطرابات المسلحة ، وأزمة العدائيات .

٤- استلزمت تجريد النفوس من الشرك وسد المجال على كل من يحاول تضليل الأمة ، سواء بإدعاء النبوة ، أو الخروج عن الرسالة المحمدية .

٥- لعبت دوراً في تطوير المهارات القيادية وتحسين مستوى القدرة العسكرية ، خاصة وأن حرب الردة قد استمرت لفترات ليست بالقصيرة ، برز خلالها العديد من القادة المحترفين ، كالعلاء الحضرمي الذي كانت له صولات وجولات ، دلت على براعته في تهيئة الجيش ، وحسن تدبيره المتمثل في بناء القرار واستعمال منهج التحري والمباغلة ضد الخصوم في ميدان الردة<sup>(٨٦)</sup> .

٦- فتور موجة التماهل في تطبيق الأحلام .

٧- حضور بعض من ادعى النبوة بصورة حمل السلاح في فتوح العراق وفارس .

٨- فرض حدود ضيقة على الكيان الآخر ، من خلال ممارسات الإلحاح الصريحة للرؤى والصيغ المخالفة ، بصفتها توسع قبضة النقص والخطأ .

لا شك أن هذه النتائج ليست مصدرة كأحكام نهائية ، بقدر ما تكون نقاطاً حصدها بعد سير غور التاريخ ، وكشف النقاب عن بيئة الردة .

## الهوامش

- (١) الزبيدي : تاج المروس من جوهر القاموس ، ص ٨٨-٩٠ .
- (٢) البقرة : ٢١٧ .
- (٣) الأزهري : معجم تهذيب اللغة ، ج ٢ ، ص ١٣٩١ .
- (٤) ابن منظور : لسان العرب ، م ٣ ، ص ١٧٢-١٧٣ .
- (٥) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت ، ج ٢٢ ، ص ١٨٠ .
- (٦) الصاوي ، أحمد : بلغة السالك لأمر المسالك ، ص ٣٨٥-٨٦ .
- (٧) النحل : ١٠٦ .
- (٨) موسوعة الفقه الإسلامي المقارن الشهيرة موسوعة جمال عبد الناصر الفقهية ، م ٢ ، ص ٢٥٢ / بدوي إبراهيم : المرتد وحكمه في الشريعة الإسلامية ، ص ٣٤ .
- (٩) مراويد على : سلسلة البابيع الفقهية ١ المحدود ، ص ٣٥٢ : النووي : معنى المحتاج ، ج ٤ ، ص ١٣٧ .
- (١٠) النووي : معنى المحتاج ن ج ٤ ص ١٣٤-١٣٦ ،
- (١١) الموسوعة الفقهية ، ج ٢٢ ، ص ١٨٣ .
- (١٢) موسوعة الفقه الإسلامي المقارن ، الشهيرة بموسوعة جمال عبد الناصر ، ص ٢٥٢-٢٥٤ .
- (١٣) حسن ، إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٨ : المسرى ، حسين على : تاريخ البحرين وعمان من عصر النبوة إلى نهاية العصر الأموي ، ص ٧٨-٧٩ .
- (١٤) بدوي ، إبراهيم : المرتد وحكمه في الشريعة الإسلامية ، ص ٤١ .
- (١٥) النووي : معنى المحتاج ، ج ٤ ، ص ١٤٠-١٤١ : الصاوي : بلغة السالك لأمر المسالك ج ٢ ، ص ٣٨٧ : السمرقندي : تحفة الفقهاء ، ج ٣ ، ص ٣٠٨-٣٠٩ : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت : الموسوعة الفقهية ، ص ١٩١-١٩٢ .
- (١٦) كريزي كلوس : معجم العالم الإسلامي ، ص ٥ .
- (١٧) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت . نفس المصدر السابق ، ص ١٩١-١٩٥ : عكم ، محمود : الموسوعة الإسلامية الميسرة ، م ٦ ، ص ١١٦٨ .

- (١٨) موسوعة الفقه الاسلامى المقارن الشهيرة بموسوعة جمال عبد الناصر ، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية ، م ٢ ، ص ١٦٠-١٦١ .
- (١٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٧ .
- (٢٠) الوثيقة : العدد السادس ، السنة الثالثة ، ص ٥٦ .
- (٢١) الوثيقة : نفس المصدر ، العدد الثانى والعشرون ، السنة الحادية عشرة ، ص ٦٧ .
- (٢٢) الوثيقة : نفس المصدر : العدد الخامس ، السنة الثالثة ، ص ٨٤ .
- (٢٣) الوثيقة : العدد الثانى والعشرون ، السنة الحادية عشرة . ص ٥٨-٥٩ .
- (٢٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ .
- (٢٥) الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٨ .
- (٢٦) التاجر : عقد اللال ، ص ٧١ .
- (٢٧) الوثيقة : نفس المصدر السابق ، ص ٦٦ .
- (٢٨) النويرى : سالم : 'أعلام الثقافة الإسلامية فى البحرين خلال ١٤ قرن ، م ١ ، ص ٧٥ .
- (٢٩) آل عمران : ١٤٤ .
- (٣٠) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ١٥٢ : ابن الأثير . التكميل ، م ٢ ، ص ٢٢٥ : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٢٧ . الشهاس الطنى . استحة لنهاية فى تاريخ الجزيرة العربية ، ص ٥٤ .
- (٣١) المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٣٤٧ .
- (٣٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣١٦ .
- (٣٣) التاجر ، محمد على : عقد اللال ، ص ٧١-٧٢ .
- (٣٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، م ٢ ، ص ١٥١ .
- (٣٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٤ ، ص ٤٣ .
- (٣٦) الذهبى : تاريخ لاسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، ص ٢٧ : فروخ ، عمر : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص ٩٤-٩٥ .
- (٣٧) الديار بكرى - تاريخ الخميس فى أحوال نفس نفيس ، ج ١ ، ص ٢١ .
- (٣٨) ابن كثير . البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢٩ : الويدرى ، سالم : أعلام الثقافة الإسلامية فى البحرين خلال ١٤ قرن ، م ١ ، ص ٧٧ .

- (٣٩) الوثيقة : العدد الثاني والعشرون ، السنة الحادية عشرة للهجرة ، ص ٥٣ .
- (٤٠) التاجر : عقد اللآل ، ص ٧٢-٧٣ : الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ص ٣٢ .
- (٤١) فروخ : عمر : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص ٩٤-٩٥ .
- (٤٢) سرور ، محمد جمال الدين : الدولة العربية الإسلامية منذ العام الأول للهجرة وحتى نهاية العصر العباسى ، ص ١٦٨-١٦٩ .
- (٤٣) الموسوعة العربية العالمية : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م . ص ١٩٩ .
- (٤٤) الواقدى : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة «الشيباني» ، ص ١٤٧ .
- (٤٥) سالم ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - م ٢ ، ص ١٦٤-١٧٠ .
- (٤٦) التوبة : ١٠٣ .
- (٤٧) التوبة : ١٠١ .
- (٤٨) ابن الأثير : الكامل . ج ٣ ، ص ٢٢٨-٢٢٩ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٦ ، ص ٣٠٧-٣٠٩ . ابن الجوزى : المنتظم ، ص ١٨-٢٠ .
- (٤٩) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٥ : ابن الجوزى : نفس المصدر السابق . ص ٢٠-٢٢ .
- (٥٠) ابن الأثير : نفس المصدر السابق ، ص ٢٢٢-٢٢٣ : الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ص ٣٠ .
- (٥١) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص ٣٢١-٣٢٢ .
- (٥٢) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٧-٣٢٩ : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ص ١٥٢ . ابن الجوزى : نفس المصدر السابق ، ص ٨٤ .
- (٥٣) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص ٣٠٢ : ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٩-٣٢٠ . الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٢٦١-٢٦٢ .
- (٥٤) ابن الجوزى : المنتظم ، ص ٨٦ .
- (٥٥) ابن الجوزى . نفس المصدر السابق ، ص ٨٦-٨٧ : الذهبى المصدر السابق ، ص ٣٠-٣١ .

- (٥٦) كتعان ، محمد : تاريخ الخلافة الراشدة ، ص ٤٤-٤٨ .
- (٥٧) الحمري : ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٤٩ .
- (٥٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ، ص ١٥٢ ز
- (٥٩) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق ، وذكر المنى بن حارثة « الشيباني » ، ص ١٤٩-١٥٠ .
- (٦٠) الحمري ، ياقوت : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٧٤ .
- (٦١) التاجر ، محمد على : عقد الآل ، ص ٧٢ .
- (٦٢) ابن الأثير : الكامل ، م ٢ ، ص ٢٢٥ .
- (٦٣) الطبري : نفس المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
- (٦٤) نفس المصدر ، ص ١٥٩-١٥٢ .
- (٦٥) نفس المصدر ، ص ١٥٣ : الموسوعة العربية العالمية ، ص ١٩٩ .
- (٦٦) الوثيقة ، العدد الثاني والعشرون ، لسنة اعدادية عشرة ، ص ٦٩ : نفس المصدر ، العدد السادس - السنة الثالثة ، ص ٥٨ )
- (٦٧) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر لمنى بن حارثة "الشيباني" ، ص ١٥٢ .
- (٦٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ص ١٥٢ : الواقدي : نفس المصدر ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٤ : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٥ ، ص ٣٢٧ .
- (٦٩) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر لمنى بن حارثة "الشيباني" ، ص ١٥٢ .
- ( ٧ ) السبوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٧٦ ز
- (٧١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ص ٨٥ .
- (٧٢) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المنى بن حارثة "الشيباني" ، ص ١٥٤-١٥٦ .
- (٧٣) المسري ، حسين على : تاريخ البحرين وعمان من عصر النبوة إلى نهاية العصر الأموي ، ص ٨٣-٨٧ .
- (٧٤) الشيباني . لطاني ، العلامة الشيخ محمد : التحفة لنهاية في تاريخ الجزيرة العربية ، ص ٥٥ .
- (٧٥) ابن الأثير : الكامل ، م ٢ ، ص ٢٢٧ .



- (٧٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢٨ .
- (٧٧) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ص ٥٠٥ .
- (٧٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢ .
- (٧٩) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، م ٢ ، ص ١٥٢-١٥٧ .
- (٨٠) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر "المثنى" بن حارثة الشيباني ، ص ١٥٤-١٦١ .
- (٨١) الحموي : ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٤٣٩ ؛ التاجر ، محمد علي : عقد اللاك ، ص ٧٢ ؛ الجلاذري : فتوح البلدان ، ص ١١٤-١١٥ .
- (٨٢) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق ، وذكر المثنى بن حارثة "الشيباني" ، ص ١٤٧-١٦٦ .
- (٨٣) اليعقوبي البغدادي . تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص ٨٩ .
- (٨٤) النويري ، سالم : أعلام الثقافة ، ص ٧٨ .
- (٨٥) التاجر ، عقد اللاك ، ص ٧٣-٧٥ .
- (٨٦) الناطور ، شعادة علي : تاريخ صدر الاسلام وفجره ، ص ٢٠٦ .

## المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، المجلد الثانى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٢- ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد : المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، ج ٤ ، ط ١٤ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- ٣- ابن خلدون ، عبد الرحمن : تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج ٢ ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ٤- ابن قدامة : المغنى ، ج ٥ ، ط ٦ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، مكتبة المعارف - بيروت .
- ٥- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ط ٦ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، مكتبة المعارف - بيروت
- ٦- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، المجلد الثالث .
- ٧- ابن هشام : السيرة النبوية لابن هشام ، دار إحياء التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٥ م .
- ٨- الأزهري ، أبى منصور محمد بن أحمد : معجم تهذيب اللغة ، تحقيق د. رياض زكى قاسم ، دار المعرفة - بيروت ، المجلد الثانى .
- ٩- الباكستانى ، شبيب أحمد محمد على : عصر الصديق (رضى) ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١٠ - بدوى ، د. إبراهيم عبد العزيز : المرتد وحكمه فى الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية مقارنة) ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- ١١- البستانى ، الشيخ عبد الله : الوافى (معجم وسيط اللغة العربية) ، مكتبة لبنان - بيروت ، الطبعة ١٩٨٠ م .
- ١٢ - البلاذرى ، الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان ، منشورات مؤسسة المعارف ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- ١٣- بهيج ملاحوش (د) : موسوعة الزاد للعلوم والتكنولوجيا بالكتاب والفديو ، ج ٩ ، التاريخ الاسلامى ، مطابع دايداكو برشلونة — اسبانيا .
- ١٤- التاجر ، الشيخ محمد على : عقد اللآل ، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر - البحرين ، ١٩٩٤ .
- ١٥- حجازرى ، عبد الحميد : موسوعة العالم الاسلامى ، دار رأى العام ، مصر - القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٩٧م ، المجلد الثانى .
- ١٦- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج ١ ، دار الجليل - بيروت .
- ١٧- الخولى ، أ.د. محمد على : معجم الألفاظ الاسلامية (عربى - إنجليزى وإنجليزى - عربى) ، ط١ مطابع الفردوق التجارية ، الرياض .
- ١٨- الديار بكري ، لإمام الشيخ حسن بن محمد بن الحسن . تاريخ الخميس فى أحوال أنفس النفس ، ج ١ ، مؤسسة ١١ شعب للنشر والتوزيع ، بيروت .
- ١٩- الذهبى ، شمس الدين : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، دار الكتاب العربى - بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٢٠- الرازى : محمد بن أبى بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح إخراج دائرة المعاجم فى مكتبة لبنان ، مكتبة لبنان ، طبعة مدققة كاملة التشكيل ومميزة المداخل ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٢١- رجب محمد عبد الحليم : الردة فى ضوء مفهوم جديد ، دار النهضة العربية .
- ٢٢- الزبيدى ، السيد محمد مرتضى الحسينى : تاريخ العروس من جواهر القاموس ، تحقيق د. عبد العزيز مطر ، مطبعة حكومة الكويت ، دار الجليل ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- ٢٣- زقزوق ، أ.د. محمود حمدي : الموسوعة الإسلامية العامة ، جمهورية مصر ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠١م .
- ٢٤- سرور ، محمد جمال الدين : الدولة الإسلامية منذ العام الأول للهجرة وحتى نهاية العصر العباسى ، دار الفكر - القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

- ٢٥- سلسلة النبايع الفقهية : الحدود ، إشراف وتحقيق على أصغر مروايد ، مؤسسة فقه الشيعة والدار الاسلامية - بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ٢٦- السمرقندي ، علاء الدين : تحفة الفقهاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الجزء الثالث ٥٩هـ .
- ٢٧- سمير عبد الحميد إبراهيم : الهجمات المفروضة على التاريخ الإسلامي ، دار الصحوة للنشر .
- ٢٨- السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، المجلد الثاني .
- ٢٩- الشرقاوي ، عبد الرحمن : الصديق أول الخلفاء ، مكتبة غريب .
- ٣٠- شوقاني ، د . إلياس ، حروب الردة .
- ٣١- الصاوي ، الشيخ أحمد : بلمة السالك لأمر المسالك دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج٢ .
- ٣٢- الطبري ، محمد بن حرير : تاريخ الأمم والملوك ، مؤسسة الستين للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، المجلد الثاني
- ٣٣- عبد الشافي محمد عبد اللطيف : موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ، شركة سفير - القاهرة ن ١٩٩٦م .
- ٣٤- عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣٥- العصفري ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي : تاريخ خليفة بن خياط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٣٦- العقاد ، عباد محمود : عبقرية الصديق ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت .
- ٣٧- عكام ، د . محمود : الموسوعة الإسلامية الميسرة ، دار صحارى للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ، المجلد السادس .

- ٣٩- غريب ، حسن : الردة في الإسلام ، دار الكتوز الأدبية ، بيروت — لبنان .
- ٤٠- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الاسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م . دار القلم — الامارات العربية .
- ٤١- الفراهيدى ، أبى عبد الرحمن خليل بن أحمد : كتاب العين ، د . مهدي المخزومي د . إبراهيم السامرائي .
- ٤٢- الكاندهلوى ، محمد يوسف : حياة الصحابة ، ح ١ ، دار صعب — بيروت .
- ٤٣- الكعبى ، الشيخه زهير : موسوعة خلفاء المسلمين .
- ٤٤- كلوس كريرز وآخرون : معجم العالم الإسلامى ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ط ٢ ترجمة د.ج. كتورة
- ٤٥- كتعان ، محمد بن أحمد . تاريخ الخلافة الراشدة ، مؤسسة المعارف ، بيروت — لبنان ، ط ١ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٤٦- مؤسسة الأعلمى للطبوعات - بيروت - لبنان - ج ٨ .
- ٤٧- موسوعة الفقه الإسلامى المقارن الشهيرة بموسوعة جمال عبد الناصر ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، المجلد الثانى .
- ٤٨- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط ٣ .
- ٤٩- محمد الحسينى عبد العزيز : حضارة الكويت ودول الخليج العربى .
- ٥٠- محمد شاكر : التاريخ الإسلامى ، ج ٣ الخلفاء الراشدون ، المكتب الإسلامى .
- ٥١- محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة .
- ٥٢- مركز الأبحاث والدراسات الدولية فى دار رأى العام : موسوعة العالم الإسلامى ، دار رأى العام ، مصر- القاهرة ، المجلد الثانى . ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٥٣- لسرى د. حسين على : تاريخ البحرين وعمان من عصر السوة إلى نهاية لعصر الأموى . مجلس النشر العلمى - لجنة التأليف والتعريب والنشر ، ٢٠٠٠م .
- ٥٤- مسعود حيران : الزائد (معجم لعوى عبرى) ، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ٢٠٠٠م .

- ٥٥- المسعودي : التنبيه والإشراف ، دار التراث - بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- ٥٦- الناطور ، د. على شحاته : تاريخ صدر الإسلام وقجره ، ١٩٩٥م.
- ٥٧- النبهاني الطائي ، العلامة الشيخ محمد بن الشيخ خليفة بن حمد بن موسى التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، دار إحياء العلوم- بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥٨- النوري ، أبي زكريا : مغنى المحتاج ، ج ٤ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي . ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- ٥٩- النويدري ، سالم : أعلام الثقافة الإسلامية .
- ٦٠- الواقدى ، محمد بن عمر بن فاقد . كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة (الشيباني) ، دار العرب للإسلامى ، تحقيق د. يحيى الجبورى .
- ٦١- الوثيقة ، العدد الثانى والعشرون ، السنة الحادية للهجرة رجب ١٤١٣هـ / يناير ١٩٩٣م.
- ٦٢- الوثيقة ، العدد السادس ، السنة الثالثة ربيع الآخر ١٤٠٥هـ - يناير ١٩٨٥م.
- ٦٣- الوثيقة العدد الخامس ، السنة الثالث شوال ١٤٠٤هـ - يوليو ١٩٨٤م.
- ٦٤- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت : الموسوعة الفقهية ، طبعة ذات السلاسل ، ط ٢ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٦٥- البعقوى البغدادي : تاريخ البعقوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط ١ ، ج ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.



## «نقش أماسيس المصري (!!)» (قراءة تاريخية حضارية في نص باليونانية)

عناصر البحث:-

أولاً: التعريف بالنقش، مكانه وزمانه

ثانياً: ترجمة النقش .

ثالثاً: المضامين الحضارية.

تقديم: اعتذار واجب :-

لما كان قد تعذر على الحصول على النص الأصلي اليوناني لموضوعت المعلن أمامكم في البرنامج ، آثرت كههذي مع نفسي ولحصي على التميز في المعالجة المباشرة مع كلمات وسطور النص الأصلي الكلاسيكي، أن أقدم نصاً آخر، غالباً ما تجهل قيمته الحضارية والثقافية، مجدداً، كأقدم نص يوناني كامل علي أرض مصر الكدنة، كبداية للتوجه المصري الفرعوني في عصر مجده المتأخر، صوب الغرب ، وحضارته، حيث بدأت مصر القديمة آنذاك الاستعانة بمرتزقة من اليونان!!!



## أولاً : التعريف بالنقش:

(أ) مكانه : محفور علي ساقى تمثال للملك رمسيس الثاني ( أمام معبد الجنائزي الشهير ، في منطقة أبي سمبل ، بصعيد مصر الأعلى (Ano Aigypptos) ، أسفل الركبة اليسرى .

( ب ) زمانه : يؤرخ ب ٥٩٤ أو ٥٩٦ ق . م ، من عهد الفرعون أسمانتيك الثاني ( psmmetikos II) .

( ج ) سطور : (٥) سطور كاملة فضلاً عن توقيعات لأشخاص بأسمائهم ، وتوقعان في آخر النقش .

(د) النشر : تم نشره وترجمة هذا النقش إلي الإنجليزية عند كل من :

(1)- Tod, M.N., A Selection of Greek Historical Inscriptions, I, Oxford 1933, P. 5.

(2)- Jeffery, L H , The Local Scripts of Archaic Greece, Oxford 1961, P. 348.

(3)- Cook, J. M., The Greeks in Ionia and the East, London 1962, P. 66.

## ثانياً : الترجمة

أ. القراءة الصحيحة للسطور الخمسة الكاملة هي كالآتي :-

1. Basileos éltontos es Elephantunan Psamatikho,
- 2 autá égrapsan toi (s) yn Psammatikho toi Theoklos,
- 3 èpleon èlthon de Kèrkios kat'upèr Thenis o potamos, Thenis
- 4 ealoggos ani os dèkhe Potasimto aigyptios de Amasis.
5. egraphe da me arkhon Amoibikho kai Pèlexos oudamó Kai. ..

Krí this egraphan em ...Pýthon Amoibikhou

وترجمة هذا النص اليوناني القديم، كأقدم أثر كتابي لليونانيين، على الإطلاق، في صعيد مصر، منذ مطلع القرن السادس قبل الميلاد، تكون كالتالي، وهي أول ترجمة عربية متخصصة، مباشرة عن الأصل، وليست عن الإنجليزية، كما جاءت عند الناشرين الأول.

السطر الأول: «بوصول الملك أسماتيك إلى إلفانتين»<sup>(١٣٣)</sup>.

السطر الثاني: كتب (السطور) هذه من أجل الذين مع أسماتيك،

السطر الثالث: ولكنهم أبحروا، ووصلوا حتى كيركيس»<sup>(١٣٤)</sup>.

السطر الرابع: في أعالي اثنهر حتى ثينيس»<sup>(١٣٥)</sup>، ولقد عيّن أماسيس المصري، بوتاسيمتو على الوحدات التسع حامل الرماح (٤) الرماح.

السطر الخامس: سُجِّل هذا بأمر لقائد بن أمبييفوس وبليبيكس. وليس في أي مكان آخر كتب هذا كل من ....أخر.

التوقيعات: كريسيس وبيشون بن أمبييفوس.

### ثالثاً: المضامين التاريخية والحضارية

أ) المضامين التاريخية: ويمكن إيجازها فيما يلي:

١- قيام الملك أسماتيك الثاني، في عام ٥٩٣/٥٩٤ ق.م، بحملة على أقصى صعيد مصر، وحتى آخر قلعة حدود مصر الجنوبية، وهي أسوان (عند بيفانين)، وقيادتها بنفسه وذلك، على الأرجح، لتحقيق بعض المهام والأهداف، ومنها:

\*\* هي مثل جزيرة "بحه"، في بيل أسوان ولكنها إلى الشمال منها، أما تلك التي تسمى الآن "قبة" فهي ترجمة حرفية لاسمها اليوناني أو "الرفيقت" القديم، ولسمى الروماني لها، من بعد ذلك هو "Philae" وأما لماذا سميت كذلك، فلا تدري، إلا إذا كان الاسم يشير إلى حواري ايزيس "الصدیقات"

\*\*\* لا نعلم بقسناً جغرافياً، ماذا كان المقصود بهذا الموضوع على التنبيل، جوباً بعد أسوان!!!، والأرجح عندما أنها هي جرجاً، الآن، استناداً إلى أصوات الحروف الصامتة لهذا الاسم اليوناني، الذي هو تحوير أجنبي، في الغالب، للاسم المصري القديم (!!!)

\*\*\*\* كما لا نعلم موقع مدينة "ثيني" هذه، وربما كانت هي ذات الموضوع الذي يشير إليه علماء الآثار المصرية باسم "Theni" في أعالي النيل.

أ- إستتباب الأمن الضروري، ولا سيما بعد مرور حوالي ( ٥٠ ) عاماً فقط على تأسيس الأسرة الصاوية، وإعلان أسمايتك الأول المؤسس نفسه ملكاً منفرداً للقطرين. الشمال والجنوب، عام ٦٥٦ ق.م، وقيام خلفائه بالسير على السياسة نفسها أي سير الخلف وسير على سمة السلف!!!

ب- استمرار الإستعانة بالمرتزقة اليونان، حتى في مثل تلك المهام الوطنية الداخلية، مما يعكس الثقة الزائدة فيهم، حتى حينه (!!!).

٢- بقاء الملك في إلفانتيني (Elephantine)، واستمرار سير الحملة براً فقط في اتجاه الجنوب، حتى معبد أبي سمبل (أي جنوباً لأكثر من ٥٠ كم ك.م) بقيادتين إحداهما مصرية، ممثلة في أماسيس المصري (Amasis)، والأخرى يونانية، بقيادة ثيوكليس (theolès).

٣- النقش، (فيما يخص ترتيب أخبار الحملة)، لا يعرض لحظ سيرها، بصورة طبيعية، وفق جغرافيا الصعود في النيل، إلى أعالي الصعيد، ففي السطر الأول يتحدث عن الوصول إلى إلفانتين (أسوان)، ولكنه في السطر الثالث، يعود بماكرته إلى المحطات الأسبق في مشوار الحملة، حيث مرت بمذن كيركيس (kerkes). (التي ربما كانت هي موضع «حرجا» الآن، وذلك بفضل تشابه مخارج الحروف وإمكانية تبديل حرفي الكاف (K) والجيم (G) في اللغات الأوروبية القديمة، وعلى رأسها اليونانية).

وكذلك مدينة ثينيس (Thènis)، وكلتاهما قبل أسوان، على ضفتي نهر النيل.

ولنا نحن، في ذلك تبرير مقبول، من وقع علمنا بفنيات (Techniques) وأولويات كتابة النقوش القديمة، وبخاصة اليونانية، فلقد كانت تعطى أولوية مطلقة لـ:

١- تسجيل اسم الملك/ الفرعون، أولاً، (وكذلك الملكة منذ العصر ليظمني وما بعده)

٢- تسجيل الكاتب / أو / لمن يُكتب النقش.

رابعاً: المضامين الحضارية:

١- يتضح الاحترام الواجب من المرتزقة اليونان، في الجش المصري للأسرة السادسة والعشرين لملكهم، الذي يعملون في خدمته، وهو أسمايتك الثاني، وتسجيل حرم وجوده بينهم، على رأس الحملة، بالرغم من كتابتهم بفثتهم هم، ليوباية القديمة، والتي لولاها ما عرفنا شيئاً أبداً عن تلك الحملة العسكرية، شكلاً، والسياسية هدفاً وعرضاً، وبالطبع إقتصادية كذلك، تبعاً للعدة

الفرعونية الراسخة لتحقيق مكاسب عدة من تجريد الحملات، سواء في الداخل، أو حتى صوب الحدود الخارجية لتأمين أملاك مصر القديمة ضد أعدائها.

٢- ويتضح أيضاً تماماً من لفظة «épleon»، بمعنى «أبحروا»، أن الحملة كانت نهريّة، على مراكب وسفن في النيل، مما يؤكد أنها تمت في الصيف أثناء الفيضان الدائم كل عام (في شهور يوليو، أغسطس وسبتمبر)، وهو استخدام أمثل لمكانات النهر الخالد، في أفضل حالاته المائية مما يعكس تخطيطاً مسبقاً وفكرياً عملياً إلى درجة بعيدة.

٣- لم يسجل المرتزقة اليونان، مثل هذا الأثر في أي مكان آخر، بأمر من قائدي تلك القوات الإيونية والكارية الأصل، وهما بيشون بن أميببيخوس وبيليكس ويبدو أنهما كانا يرأسان، كل منهما، جماعته العرقية اليونانية، مما يعكس حالة الإعتراز والإنتماء للأعراق أكثر من الولاء للحضارة نفسها، كما تعودنا من اليونان دوماً (١١١).

٤- تغيير القيادة الميدانية للقوات في الحملة بقرار من القائد العام المصري لها، وهو أماسيس (Amasis)، الذي أثبت اليونانيون في نقشهم صفته الخالصة، وإمكانية عدم انتسابه للأسرة الحاكمة الفرعونية للملكية، وأنه من الشعب المصري. وينتمي بجذوره إلى العامة، بقولهم «المصري» (Aigyptios) يؤكد، تريحاً وحضراً، أمرين:

١- أن هذا القائد العام المصري الخالص، أماسيس، كان هو نفسه، الذي أصبح ملكاً من بعد ذلك عام ٥٧٠ ق.م ولمرعوناً البلاد وصدق فيه قول وشهادة هيرودوت اليوناني، أبي التاريخ، بأنه كان من الشعب، وذلك بعد حوالي قرن كامل من الأحداث على الأقل (١١١) عندما جاء زائراً لمصر مما يريدنا يقيّن، في بعض روايات هيرودوت في كتابه الثاني، حول مصر، وعلى الأقل، فيما يخص الشئون السياسية المصرية آنذاك.

٢- تسليم قيادة الوحدات التسع لحاملي الرماح، وهم القوة الضاربة للجندية آنذاك، لقائد مصري أصغر هو بوتاسيمتو (Potasimto) كان خطوة ضرورية لمتطلبات المرحلة التالية، برأ، صوب الجنوب حتى سمبل، درأ لتجاوزات المرتزقة اليونان مع الأهالي وسكان تلك المنطقة من العاصر الإفريقية (١١١).

٥- جاءت التوقيعات لجنود يونان مشاركين في الحملة، سجلاً خالداً لحرص أولئك على





قراءة: كالملة لسطور النسخة القديمة والتوقيعات أسفلها

«

1- βασιλεως ἔλθοντος ἐς Ἑλεφαντίαν

— Ψαματίχῳ

2- αὐτὰ ἔγραψαν τῇ συνῆδομιν...χῳ  
τῷ Θεοκλῶς

3- ἐπὶ... ἔλθον δεῖξάντες κατ' ὑπὲρ  
Θένις α ποταμός,

4- ανισά λαγχος ὅς δεχ. Ποτασίμῳ  
αἰγύπτιος δε Ἄμασις

5- ἔγραφε δα με ἄρχων Ἀμοιβιχῳ  
καὶ Πέλεκος οὐδαμῳ

. Κρίθις <sup>καὶ</sup> ἔγραφαν ἐμ. Πύθων Ἀμοιβιχῳ »

## نقابة الأشراف فى مصر عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

تعد نقابة الأشراف أول تنظيم اجتماعى يقوم على أساس النسب وخلاصه الدم وهى فى ذلك تختلف عن النقابات المهنية **والنقيب لغة : فهو الرئيس الأكبر** ، وإنما قيل للنقيب نقيب ، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ، ويعرف مناقبهم ، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم<sup>(١)</sup> . والنقيب كالأمين والكفيل ، ويقال نقب الرجل على القوم ينقب نقابة فهو نقيب ، ويعرف مناقبهم ، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم<sup>(٢)</sup> . والنقيب أيضا شاهد القوم ، وضمنهم ، وعريفهم . وقد نقب عليهم نقابة - بالكسر - فعل ذلك<sup>(٣)</sup> . والنقيب فعيل ، قيل بمعنى فاعل مشتقا من النقيب وهو التفتيش ومنه "فمقبو: فى البلاد" وسمى بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم وأسرارهم ، وقيل . هو بمعنى مفعول كأن القوم اختاروه على علم منهم وتفتيش على أحواله . وقيل هو للمبالغة كعليم وخبير<sup>(٤)</sup> .

وقد طلب النبى من الأنصار أثنا - بيعة العقبة الثانية أن يخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا فقال: أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا ، لبيكنوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس<sup>(٥)</sup> .

والأشراف لغة : هم جمع الشريف وهو مشتق من الشرف والرفعة والسمو . وهو المحسب بالأباء ، والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء . ويقال رجل شريف ورجل صاحد له أب . متقدمون فى الشرف ، والشرف مصدر الشريف من الس ، وجمع شرفاء وأشراف<sup>(٦)</sup> .



واصطلاحاً : أطلق لقب شريف على من كان من آل الرسول صلى الله عليه وسلم شاملاً بنى هاشم وخاصة الطالبين وهم ذرية أبى طالب بن عبد المطلب والعباسيين ذرية العباس بن عبد المطلب<sup>(٧٧)</sup>، بينما حدد ابن تيمية آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم على وجه التحقيق على وفاطمة وأولادها ومن تناسل منهما حتى تقوم الساعة<sup>(٨٠)</sup>، لذا يعد نقيب الأشراف عميد المنتسبين لأولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٨١)</sup>. وأشار السيوطي أن لقب (الشريف) كان يطلق على كل من كان من أهل البيت العلوي أو العباسي في الصدر الأول للدولة الإسلامية ولما تولى الفاطميون قصرُوا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين<sup>(٨٢)</sup>.

وأشار القلقشندي أن المقصود بالأشراف في العصر المملوكي "هم أولاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٨٣)</sup>."

وقد عرف القلقشندي نقابة الأشراف بأنها "وظيفة شريفة ومرتبعة نفيسة ، وموضوعها التحدث على ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٨٤)</sup>، وكان بنو هاشم ينقسمون إلى : أولاد أبى طالب "الطالبين" وأولاد العباس "العباسيين" لهم نقيب واحد يطلق عليه "نقيب الهاشميين" فقد كان الشريف أبو نصر الزينى العباسي المتوفى عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م "نقيب الهاشميين"<sup>(٨٥)</sup>. وكان يطلق عليه "نقيب العلويين"<sup>(٨٦)</sup> وأطلق عليه "نقيب الشرفا"<sup>(٨٧)</sup>.

وقد نشأت أول نقابة للأشراف في منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى . وذلك في بغداد عاصمة الخلافة العباسية<sup>(٨٨)</sup> إذ يذكر ابن عتبة الحسنى أن الحسين النسابة والذي يرجع نسبه إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، والذي هاجر من الحجاز إلى العراق عام ٢٥١هـ / ٨٦٥م<sup>(٨٩)</sup>. ثم أنشأت نقابات فرعية في جميع الولايات والأمصار تتبع النقابة الرئيسية ببغداد ومن بينها مصر . وكانت نقابة الأشراف التي وجدت في بغداد تجمع كل من العباسيين والطالبين تحت نقيب واحد<sup>(٩٠)</sup>.

وقد ظلت نقابة الأشراف في مصر تابعة لنقابة الأشراف في بغداد حتى قيام الدولة الطولونية على يد أحمد بن طولون ، فأصبح يولى نقيب الأشراف في مصر ، مما جعل نقابة الأشراف في مصر تستقل عن نقابة الأشراف في بغداد<sup>(٩١)</sup>.

ولكن ما هي الأسباب التي دعت إلى وجود نقابة للأشراف ؟ هل بسبب كثرة عدد الأشراف من العلويين والجعفرين والعقيليين ، مما جعل من السهل على أي إنسان ادعاء النسب الشريف أم بسبب رغبة الدولة في حصر العلويين والعباسيين وبخاصة العلويين الذين كثرت ثورتهم على الدولة العباسية في أعصار الدولة الشرقية والغربية على حد سواء . الأمر الذي تطلب معرفة أعداد العلويين في كل ولاية ومدينة وتحت إشراف أحد شيوخ هؤلاء . مما يسهل للدولة السيطرة عليهم وبخاصة إذا علمنا أن من مهام نقيب الأشراف إحصاء الأشراف في إقليمه وقبيل المواليين وإسقاط المتوفين مما جعل الدولة على علم دائم بتحركات العلويين وأعدادهم<sup>(١٢١)</sup>.

ويعد علي بن الحسن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب المشهور بابن طباطبا المتوفى ٢٨٠هـ / ٨٩٣ م<sup>(١٢٢)</sup> أول نقيب للأشراف في مصر ، ويذكر ابن الموفق بأنه "كان مكينا من أحمد بن طولون"<sup>(١٢٣)</sup> . في حين يشير ابن زولاق إلى أن أحمد بن طولون "قد فزع الموفق به"<sup>(١٢٤)</sup> . وذلك أثناء الصراع بين أحمد بن طولون والموفق طلحة والي عهد الخليفة العباسي المعتمد بالله مما يوحى بأن أحمد بن طولون كان بلوح بإقامة خلافة علوية ردًا على الموفق طلحة . وعاصر علي بن الحسن كل من أحمد بن طولون وابنه حمارويه وتوفي عام ٢٨٠هـ / ٨٩٣ م. ويذكر الصفوي القلعاوي " وكانت له النقابة والتقدم في زمن حمارويه بن أحمد بن طولون"<sup>(١٢٥)</sup> . وتولى النقابة بعده ابن عمه محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسي حتى وفاته عام ٣١٥هـ / ٩٢٧ م<sup>(١٢٦)</sup> . ثم تولى بعده ابنه إسماعيل بن محمد حتى وفاته عام ٣٣٧هـ / ٩٤٨ م<sup>(١٢٧)</sup> .

ويذكر المقرئ أن " كان يتولى النظر في أمور الطالبين بمصر بالزام السلطان له لصيانته"<sup>(١٢٨)</sup>.

ثم تولى بعده أخوه أحمد بن محمد المتوفى عام ٣٤٥هـ / ٩٥٦ م<sup>(١٢٩)</sup> . وتولى النقابة بعده ابنه إبراهيم المتوفى عام ٣٦٩هـ / ٩٧٩ م<sup>(١٣٠)</sup> . ثم تولى النقابة بعد ابنه الحسن بن إبراهيم ، إذ يذكر المقرئ أنه " استقر في نقابة الطالبين بعد موت أبيه إلى أن مات يوم الجمعة للميلتين خلثا من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، فصلى عليه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله"<sup>(١٣١)</sup> .

أما في العصر الفاطمي فقد اقتصر الأشراف على أولاد علي بن أبي طالب " الطالبين " لذا أطلق عليها نقابة الطالبين " ، وكان يتولها أحد الأستاذين غير المحتكين " ، والذي كان له

الإشراف الكامل على كل الطالبين الموجودين بالدولة ، " أن قلندك النقابة على الأشراف الطالبين أجمعين ، المقيمين بالخرصة وسائر أعمال المملكة شرقا وغربا وبعدا وقربا " (٣١) .

كما كان لنقيب الأشراف في العصر الفاطمي اثنا عشر نقيباً ، ويخلف عليه فيسير بالطبل والبوق والبنود مثل الأمراء ، وله ديوان ومشارف وعامل ونائبه وجارية في الشهر عشرون ديناراً ، ولمشارف ديوانه عشرة دنائير ، ولنائبه في النقابة ثمانية دنائير ، وللعامل خمسة دنائير (٣٢) .

أما في العصر المملوكي فقد أطلق ابن ناظر الجيش عليه " نقيب السادة الأشراف " وجعله من أرباب الوظائف الدينية ، الذين يكتب لهم المجلس السامي بالياء ، وتوقيعه في قطع الثلث (٣٣) .

كما يذكر القلقشندي أنه كان يكتب لنقيب الأشراف توقيع في قطع الثلث بقلم التوقيعات : توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، الأميرى ، الفلاتى ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، فى نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه (٣٤) .

فضلا عن ذلك فقد ذكر القلقشندي نقابة الأشراف الوظيفية السادسة ضمن الوظائف العشرة التى كانت تصدر عن خلفاء بنى العباس (٣٥) . وهى النقابة على ذوى الأنساب كنقابة الطالبين ، ومن فى معناهم على معنى نقابة الأشراف فى زمان (٣٦) .

وقد وضع القلقشندي نقابة الأشراف ضمن وظائف أرباب السيوف ، ويكتب فى ألقاب نقيب الأشراف " الأميرى " وإن كان من أرباب الأقلام (٣٧) . ويرجع السبب فى ذلك أن نقيب الأشراف فى نيابة حلب شمس الدين حسن بن محمد بن زهرة أعطى إمارة طبلخانة بحلب عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م (٣٨) وكان للأشراف ديوان يضبط به جميع الأشراف وأنسابهم ، وما يتعلق بهم من الأوقاف ، وله ناظر ومباشرون (٣٩) .

وكان السلطان المملوكى هو الذى يتولى تعيين نقيب الأشراف وعزله فى مصر ، ويكتب له فى توقيع شريف فى قطع الثلث بقلم التوقيعات ، " توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، الأميرى ، الفلاتى ، فلان الدين : أدام الله تعالى علوه ، فى نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه (٤٠) .

كما كان يكتب فى توقيع نقيب الأشراف : " المجلس السامى الأميرى الكبيرى العالمى المجاهدى المؤيدى الشريفى الحسبى النسيبى الذخيرى النصيرى الأوحدى الأصيلى عز الإسلام

زين الأثام نسيب الإمام شرف الأمراء نقيب النقباء جمال العترة الطاهرة جلال الأسرة الزاهرة زخر الغزاة والمجاهدين ظهير الملوك والسلاطين ولى أمير المؤمنين <sup>(١١)</sup> .

كذلك يذكر المنهاجى الأسيوطى من أنه : " يكتب لنقيب الأشراف سيدى العبد الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ الإمام العالم الفاضل البار ، السيد الشريف ، الحسيب النسيب ، الطاهر الأصيل العريق ، التقى النقى الذكى ، فلان الدين ، جمال العترة الطاهرة ، كوكب الأسرة الزاهرة ، فرع الشجرة الزكية ، زين الذرية العلوية ، طراز العصاة الهاشمية ، خلاصة الأنساب النبوية ، فخر السادة الأشراف فى العالمين ، نسيب أمير المؤمنين ، نقيب السادة الأشراف بالمملكة الفلاتية ، أدام الله شرفه ، ورحم سلفه ، وأبقى خلقه <sup>(١٢)</sup> .

فى حين أن تعيين وعزل نقيب الأشراف فى النيابات الشامية سواء فى نيابة دمشق <sup>(١٣)</sup> أو نيابة حلب <sup>(١٤)</sup> أو نيابة طرابلس <sup>(١٥)</sup> من سلطات نواب هذه النيابات . فيذكر القلقشندى بأن " ولايتها عن النائب بتوقيع كريم <sup>(١٦)</sup> ]

وكان يتم اختيار نقيب الأشراف من شيوخ الأشراف وأهلهم قدرا <sup>(١٧)</sup> ، كما جرت العادة أن يكون النقيب من رؤوس الأشراف ، وأن يكون من أرباب الأقلام <sup>(١٨)</sup> وكان يخرج له توقيع كريم من ديوان الإنشاء <sup>(١٩)</sup> .

وفى أغلب الأحيان ساد مبدأ ورثة وظيفة نقابة الأشراف ، فعند موت النقيب يتولى ابنه النقابة من بعده ، وفى حالات يطلب شيوخ الأشراف من السلطان تولية ابن النقيب المتوفى النقابة بدلا عنه ، مثال ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة فى حوادث رجب عام ٧٧٨هـ / يناير ١٣٧٧م " وفى يوم الاثنين ثالث شهر رجب خلع على السيد الشريف شرف الدين على بن السيد فخر الدين ، واستقر فى نقابة الأشراف بعد وفاة أبيه ، بسؤال عدة من الأشراف ولايته <sup>(٢٠)</sup> .

وعندما يتم اختيار نقيب الأشراف يخلع عليه السلطان خلع الولاية ، ويخرج له توقيع كريم من ديوان الإنشاء ، ويتم قراءة هذا التوقيع فى المسجد الجامع على رؤوس الأشراف . م ذلك ما أشار إليه النويرى فى حوادث عام ٦٣٥هـ / ١٢٣٢م وعندما تولى الشريف شمس الدين محمد بن الحسن الحسينى الأرموى <sup>(٢١)</sup> المشهور بقاضى العسكر نقابة الأشراف بالدير المصرية " قرى - تقليده بجامع مصر - عمرو بن العاص - وحضر قراءته الأمير جمال الدين بغمور ، وفلك الدين

المسيري وابن النجلى " (١٤٢) . وهو ما يؤكد المقرئى " وقرئ - سجله بجامع مصر بحضرة الأمير جمال الدين موسى بن يغمور والفلك المسيرى " (١٤٣) .

واستمر اختيار نقيب الأشراف من قبل الأشراف فى مصر حتى سقوط دولة المماليك عام ١٥١٧م / ٩٢٣هـ ودخول العثمانيون مصر والتي أصبحت إحدى ولاياتها ومن ثم فقد أرسلت الدولة العثمانية نقيباً للأشراف . فذكر بن إباص فى حوادث عام ٩٢٥هـ / ١٥١٩م " وفى يوم الخميس خامس عشرينه حضر شخص شريف من عند ابن عثمان ، وزعم أنه قد قرر فى نقابة الأشراف ، وقد أظهر مرسوم الختدكار بذلك " (١٤٤) .

وكان يحق السلطان المملوكى أو من ينوب عنه عزل نقيب الأشراف وقد تعددت أسباب عزل نقيب الأشراف إما بسبب تقصيره فى أداء مهامه ، مثل إدخال من ليس شريف ضمن الأشراف ، فقد عزل السلطان المملوكى الأشراف شعبان نقيب الأشراف فخر الدين محمد ، وذلك فى رجب عام ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م بسبب اتهامه بأنه أدخل فى الأشراف ما ليس منهم (١٤٥) .

وقد يعزل نقيب الأشراف بسبب معارضته لبعض الأوامر الصادرة من السلطات المملوكية ، من ذلك عزل نقيب الأشراف شرف الدين على بن فخر الدين ابن قاضى العسكر عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م بسبب أنه رفض أن يعطيه حجة وقف الأشراف للأمير برفوق قبل أن يمسى السلطة (١٤٦) .

بالإضافة إلى ذلك فقد يعزل السلطان المملوكى نقيب الأشراف بسبب أن السلطان الذى سبقه قد عينه . مثلما حدث عام ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م عندما عزل السلطان الظاهر برفوق نقيب الأشراف شرف الدين على بعد عودته لسلطنة المماليك على الرغم من أن نقيب الأشراف خرج بالأشراف لاستقباله وذلك لأن الذى ولاه فى منصب النقابة السلطان المملوكى حاجى بن شعبان (١٤٧) .

كما كان لسوء مباشرة نقيب الأشراف لأوقاف الأشراف سبباً لعزله . مثلما حدث عام ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م عندما عزل السلطان المملوكى قايتباى نقيب الأشراف حسين بن الشاطر عن نقابة الأشراف والنظر على أوقافهم ، وأسأ عليه بلفظ « يا شيطان أنت نحس » (١٤٨) .

أما عن موقف سلاطين وأمراء المماليك من الأشراف فقد نظر المجتمع المصرى وعلى رأسهم سلاطين وأمراء المماليك نظره يملؤها الاحترام والتقدير والإحلال للسادة الأشراف على اعتبار أنهم آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم (١٤٩) فيذكر ابن تغرى بردى أن الظاهر حقق « كان معظماً

للسادة الأشراف»<sup>(٦٣)</sup> من ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة في حوادث ذى القعدة عام ٨٤٢هـ / أبريل ١٤٣٩م إلى أن أحد الأمراء المالكي يسمى يخشاي قام بسب أحد أشراف متفلوط ، مما جعل الظاهر جقمق يأمر بقتله بعد سجنه بالإسكندرية<sup>(٦٤)</sup> . وكانت نقابة الأشراف من الوظائف الدينية التي ليس لها حضور مجلس السلطان<sup>(٦٥)</sup> نقيب الأشراف يذهب للسلام على السلطان في مطلع كل شهر هجري مع القضاة ، حيث يجلس على ميسرة السلطان بعد قاضي القضاة الحنبلي<sup>(٦٦)</sup> .

أما عن مقر نقابة الأشراف في العصر المملوكي فهو غير معروف لنا على الإطلاق ، وإن كنا نرجح أن مقر نقابة الأشراف كان هو بيت النقيب نفسه . فكان بيت نقيب الأشراف شمس الدين محمد بن الحسين الأرموي المعروف بقاضي العسكر المتوفى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م يقع في سوق الصاحب<sup>(٦٧)</sup> فيذكر ابن أبيك الصفدي في ترجمة نقيب الأشراف الحسين بن محمد الحسين «وسأله عن مولده فقال . سنة ثمان وتسعين وست مائة بالقاهرة في دار جده شمس الدين قاضي العسكر في سوق الصاحب»<sup>(٦٨)</sup> .

كما أن نقيب الأشراف بدر الدين الحسن بن عز الدين أحمد الحلبي الحسيني المتوفى ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م<sup>(٦٩)</sup> ، فكانت داره تقع في حارة الديلم<sup>(٧٠)</sup> . فيذكر النويري في حوادث عام ٧٢١هـ / ١٣٢١م «ثم سكن ذلك إلى يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى ، فوقع الحريق في القاهرة ومصر ، وكان أول الحريق بخط حارة الديلم ، فاحترق دار الشريف بدر الدين نقيب الأشراف ، وما يجاورها من دور الأشراف والمسلمين ، فكان جملة ما احترق من الدور المتجاورات ما ينبف على الثلاثين داراً يقارب المائة مسكن»<sup>(٧١)</sup> .

أما عن الملابس التي كان يرتديها نقيب الأشراف فلم تشر المصادر التاريخية المعاصرة إلى نوع معين من الملابس لنقيب الأشراف عند توليه هذه الوظيفة في العصر المملوكي ، ولكن في العصر الفاطمي فكان يخلع على نقيب الأشراف عند توليه هذه الوظيفة أو التجديد له «ثوب ديبقي مذهب مصنف بأطواق عراض ومن تحته ثوب مصمت وغلالة مذهب وعلى رأسه عمامة شرب مذهب»<sup>(٧٢)</sup> .

وعندما يتولى أحد الأشراف أى وظيفة من لوظائف الديبة أو الديوانية فكان يخلع عليه ثياب من اللون الأخضر وهو اللون الذي يتميز به العلويون ، وقد ذكر السخوي في ترجمة أحمد

بن عدنان نقيب الأشراف بدمشق الذى تولى وظيفة كتابة السر بمصر عام ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م « وكانت طرحته خضراء برقعات ذهب »<sup>١٧٥</sup> وهو ما ذكره ابن تغرى بردى « عملت الطرحة خضراء برقعات ذهب »<sup>(١٧٦)</sup> .

أما عن أهم أعمال نقيب الأشراف فقد وقع على عاتق نقيب الأشراف العديد من الأعمال والمهام تجاه الأشراف والتى حددها الماوردى بإثنى عشر عمل (حقا) .

وبأتى فى مقدمتها حفظ أنساب الأشراف من الاختلاط بغيرهم ممن لا يكافئهم فى المكانة والشرف حتى لا يدخل فيهم أحدا ويخرج منهم أحد ، ومعرفة بطون الأشراف على اختلافها وتعددتها وإثباتهم فى ديوان الأشراف حسب طبقاتهم ، ومعرفة من ولد منهم من ذكر أو أنثى وتسجيل ذلك فى سجلات النقاية ، ومعرفة من مات منهم حتى لا يضيع نسب المولود إذا لم يشته . ولا يدعى نسب الميت غيره إذا لم يذكره<sup>(١٧٧)</sup> .

فيذكر ابن الطوير « ولهذه النقاية ميزة ، ولصاحبها النظر فى أمور هذه الطائفة ، ومنع من يدخل فيهم من الأدعياء ، وهم منزلون عنده فى جريدة ، وتنظيرها فى ديوان الرواتب فمن مات وضعه (ومن ولد أثبتته بعد علم بصحة الولادة بقرائن الأحوال ، وإذا إرتاب بأحد أخذه بإثبات ذلك ممن يوثق به من جيرانه ، ثم ينزل فى وقته فى الجريدة »<sup>(١٧٨)</sup> .

وأكدت تلك المهام وثائق تقليد نقابة الأشراف ، فجاء فى تقليد نقيب الأشراف ، يأمره « بحبابة هذا النسب الأطهر ، والشرف الأوفر ، عن أن يدعيه الأدعياء ، إذ يدخل فيه الدخلاء ، ومن انتفى كذبا ، وانتحل به باطلا ، ولم يوجد له بيت فى الشجرة ، ولا مصداق عند النسابين المهرة ..... »<sup>(١٧٩)</sup> ويذكر ابن فضل الله العنبرى فى وصية لنقيب الأشراف « وانظر فى أمور أنسابهم نظرا لا بدع مجالا للريب ، ولا يستطيع معه أحد أن يدخل فيهم بغير نسب ، ولا يخرج منهم بغير سبب »<sup>(١٨٠)</sup> .

وفى تقليد آخر لنقيب الأشراف يذكر أن أول مهام نقيب الأشراف « .....النظر فى أعراق هذه الأسرة الطاهرة التى قدم عهد ميلادها ، وتكاثر شعب أعدادها ، واحتاجت إلى الثقات الإثبات من النسابين فى إيصال آبائهم بأولادها ..... »<sup>(١٨١)</sup> الأمر الذى يجعل من عملية ضبط وتحقيق الأتساب فى غابة الأهمية ، لأنها عملية ذات وضع معقد وحساس فى الوقت نفسه ، ومن أهم

مسئوليات نقيب الأشراف<sup>٧٧</sup> ، ويذكر أن الإمام مالك بن أنس أفتى بصرب من يدعى الانتساب إلى آل بيت الرسول ، وأن شهر وبحس طويلا حتى يظهر توبته «<sup>٧٨</sup>» .

ولقد اهتم الأشراف كثيرا بأنسابهم ، لذا اهتموا بعلم الأنساب ، وقاموا بتأليف العديد من الكتب والرسائل في أنسابهم ، وكان نقيب الأشراف في أغلب الأحوال من مهروا في علم النسب ، وإلا استعان بالنسابة من شيوخ الأشراف ممن يتصف بالأمانة والعلم ، ليساعده في المحافظة على حفظ نسب الأشراف ، حتى لقب أكبرهم وأكثرهم بعلم «الأنساب بلقب» نسبة الأشراف<sup>٧٩</sup> . ومن هؤلاء النسابة الشريف جعفر بن محمد بن عبد العزيز الإدريسي لغاوى ٦١١ - ٦٩٦ هـ ١٢١٤م - ١٢٩٧م ) وكان أيضا أديبا ومؤرخا<sup>٨٠</sup> .

ولعل من أشهر نسبة الأشراف في مصر في العصر المملوكي الشريف بدر الدين حسن بن محمد الحسيني المتوفى ع ٨٩٩ هـ / ١٤٠٦م (٨٠) وقد نشر مقريري في المقفى الكبير إلى أنه « استقر نسبة الأشراف بديار مصر دهرًا طويلا »<sup>٨١</sup>

كما أشار في درر العقود إلى أنه « ولي نسبة الأشراف رفاه »<sup>٨٢</sup> ، ووصفه ابن حجر بأنه « كان عارفا بأنساب الأشراف كثير لظعن في كثير من يدعى لشرف »<sup>٨٣</sup> . ويضيف « بل رام الخلافة على اعتباره حسي واه من سى لعياس »<sup>٨٤</sup> وبارع لقب الأشراف<sup>٨٥</sup> ، ومن نسبة الأشراف أيضا الشريف حسن بن محمد بن أيوب الإدريسي المتوفى عام ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢م<sup>٨٦</sup> .

أما طريقة إثبات النسب ، فكانت لها أصول وقواعد يسير عليها نقيب الأشراف ، فكان يتم عقد مجلس لشيوخ الأشراف برأسه نقيب الأشراف مع النسابة ، ومن يريد إثبات نسبه يتقدم إلى النقيب ويرفق معه المستندات الخاصة به ، والتي تؤكد نسبه وشهادة من الأشراف المقيمين بالناحية التي يقيم بها هـ الشخص ، ويقوم نقيب الأشراف بالبحث في دفاتر النقاية عن اسم والد أو جد الشخص الذى تقدم لإثبات نسبه ، فإن وجد له أب أو جد يكفله في هـ الحالة بتقديم شهود عدول على ذلك ، أم فى حالة عدم وجود أب أو جد له فى تلك الدفاتر ، فإن نقيب الأشراف يطره بتقديم محضر من الشهود العدول ، يشهدون به بأنه شريف أما عن حد<sup>٨٧</sup> ويسا على ذلك فإن النقاية كانت تصدر محاصر أو شهادات بـ إثبات صحة النسب أو عدمه<sup>٨٨</sup>

وقد انتشرت محاصر إثبات النسب أوطيه ، حيث كان الشريف يحمل معه محضر نسبه



بصفة دائمة كإثبات شخصية ، ومع ذلك فإن هذه المحاضر كان يشكك فى صحتها فى بعض الأحيان<sup>(٨٨)</sup> . ويذكر السخاوى أنه قد رأى هذه المحاضر التى تثبت النسب ، ومحاضر أخرى تنفى النسب<sup>(٨٩)</sup> .

كما كان على نقيب الأشراف إثبات المولودين من أبناء الأشراف فى جريدة - السجل - الأشراف عند ميلادهم . وقد أشار المقرئى إلى أن الشريف الحسن بن قاضى العسكر الأرموى عندما ولد له ولده محمد وعلى « ثبت نسبهما بالجريدة »<sup>(٩٠)</sup> .

وقد اختلف العلماء فى قضية إثبات نسب الشرف هل يكون من أبناء الشريفات أم من أبناء الأشراف ؟ فقد رفض البعض اكتساب الشرف عن طريق الأم ، فى حين أكد كثير من العلماء على صحة نسب أبناء الأمهات ومساواة الإناث والذكور فى النسب ، على اعتبار أن أصل الشرف جاء عن طريق السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، أى تخصيص الشرف بذرية السبطين ليس بشرعى وإنما هو عرفى . وقد كتب فى إثبات النسب عن طريق الأم رسائل وكتب كثيرة<sup>(٩١)</sup> .

ويذكر المرنى بأن « الشرف ثابت لأولاد بنات ذرية السبطين لقربهم من النبى من جهة أمهم لأن الإبن وإن كان لفظه جامدا فمادته التى هى الباء والنون والياء أو الواو وتثبت له تأصيل شىء وتفرع آخر عنه »<sup>(٩٢)</sup> وقد ترتب على إثبات النسب عن طريق الأم أن تسابق بعض الناس وبخاصة الأثرياء إلى الزواج من النساء الشريفات مهما كانت تكاليف هذا الزواج ، الأمر الذى أدى إلى زيادة أعداد الأشراف فى مصر بشكل ملحوظ<sup>(٩٣)</sup> .

وكثيرا ما وقع الاختلاف بين نقيب الأشراف ونسابة الأشراف حول إثبات نسب بعض الأشراف ، من ذلك ما أشرت إليه المصادر التاريخية المعاصرة فى حوادث رجب عام ٧٧٤هـ / يناير ١٣٧٢م إلى أن نسابة الأشراف الشريف بدر الدين حسن الحسنى ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م ، نقيب الأشراف فخر الدين محمد بأنه « أدخل فى الأشراف من ليس بشريف ثابت النسب ، وقدح فيه بسبب ذلك »<sup>(٩٤)</sup> ولما رمى به من أخذ الرشوة على إدخال من ليس بثابت النسب جملة الأشراف<sup>(٩٥)</sup> . كما يذكر ابن حجر أن « ما أنهاء الشريف بدر الدين حسن النسابة أنه يرتضى ممن ليس بشريف فيلبسه العلامة الخضراء »<sup>(٩٦)</sup> وقد رفع النسابة الأمر للسultan الأشراف شعبان الذى أمر بعزل نقيب الأشراف فخر الدين محمد وتعيين الشريف عاصم بدلا عنه ، كما أمر بعرض الأشراف حتى

يتأكد من صحة نسب الأشراف ، وطلب من الشريف حسن النسابة أن يثبت صحة ما روى به النقيب ، فلما عرض السادة الأشراف على السلطان لم يظهر فيهم من ليس بشريف ولا له نسب ثابت ، ولم يستطع النسابة أن يقدم أى دليل أو بينة على اتهامه لنقيب الأشراف ، مما جعل السلطان يتغير على الشريف النسابة ، وأمر بإعادة النقيب فخر الدين إلى منصبه مرة ثانية وذلك فى شهر ذى الحجة من نفس العام <sup>(١٩٧)</sup> .

وهذا الحادث جعل السلطان الأشرف شعبان يلزم الأشراف فى مصر والشام بوضع علامة خضراء فى عمامات الرجال وأزر <sup>(١٩٨)</sup> النساء . وقد اعتبر مؤرخو ذلك العصر بأن ذلك تعظيما لقدرهم ، فيذكر ابن تغرى بردى بأن ذلك « إجلالا لحقهم ، وتعظيما لقدرهم ليقابلوا بالقبول والإقبال ويمتازوا عن غيرهم من المسلمين ، فوقع ذلك وليس الأشراف العمامات الخضراء التى هى الآن مستمرة على رؤوسهم » <sup>(١٩٩)</sup> .

ويعلق ابن تغرى بردى على ذلك بقوله : « قلت : وبهذه الفعلة يدل على حسن اعتقاد الملك الأشرف المذكور فى آل بيت النبوة وتعظيمه لهم ولقد أحدث شئ كان الدهر محتاجا إليه ، ولا ألهم الله توالى الملوك ذلك من قبله والله فى القائل : « كم ترك الأول للآخر » <sup>(٢٠٠)</sup> .

ويذكر فى المهمل الصامى « رسم السلطان الأشرف المذكور ، بأن الأشراف بالديار المصرية الشامية ، كلهم يسمون عمامتهم بعلامة خضراء بارزة للخاصة والعامة ، نظرا فى حقهم ، وتعظيمهم لبقائهم ن ليقابلوا بالتعظيم ، ويمتازوا عن غيرهم .... قلت : وهذا مما يدل على حسن اعتقاد الملك الأشرف هذا رحمه الله - فى آل بيت النبوة وتعظيمه لهم » <sup>(٢٠١)</sup> . كما أشار السخاوى إلى ذلك بقوله : « ميز الأشراف بعلائم خضراء فى عمامتهم تشريف لهم ليعتزلهم الناس المنازل » <sup>(٢٠٢)</sup> وقد اعتبر ابن إياس ذلك بحادثة غريبة فذكر « وفى شهر جمادى الأولى ، وقعت حادثة غريبة ، وهو أن السلطان رسم للسادة الأشراف قاطبة ، الرجال والنساء أن يجعلوا فى عمامتهم شطقات خضراء ليمتازوا بها عن غيرهم » <sup>(٢٠٣)</sup> . وسار على سيرهم العديد من الشعراء فى مصر والشام ، مثل ابن جابر الأندلسى :

جعلوا لأبناء الرسول علامة      إن العلامة شأن من لم يشتهر

نور النبوة فى كريم وجوههم      يعنى الشريف عن الطراز الأخضر <sup>(٢٠٤)</sup> .

وكذلك قول الشاعر الدمشقي شمس الدين محمد بن إبراهيم المزين :

أطراف تيجان أنت من سندس      خضر كأعلام على الأشراف  
والأشراف السلطان خصمهم بها      شرفا ليفرقهم عن الأطراف<sup>(١٠٠)</sup>.

وكذلك شهاب الدين حجلة قوله :

لآل رسول الله جاء ورفعته      بها رفعت عنا جميع النواب  
وقد أصبحوا مثل الملوك برنكهم      إذا ما بدوا للناس تحت العصائب<sup>(١٠١)</sup>

كما مدحهم المؤرخ ابن حبيب الحلبي بقوله<sup>(١٠٢)</sup> :

عمائم الأشراف قد تميزت      بخضرة رقت وراقت منظرا  
وهذه إشارة أن لهم      في حنة الخلد لباسا أخضرًا

ولابنه طاهر بن حبيب يمدح بني زهرة نقباء الأشراف بحلب قوله<sup>(١٠٣)</sup> :

وهذه إشارة لمن يبعي ظهور سيادة      تملكها الزهر الكرام بنو الزهرا  
لئن نصبوا للفخر أعلاما خضرة      فكم رفعوا للمجد ألوية حمرا

كما اتهم السخاوي نقيب الأشراف حسين الملقب بالشاطر المتوفى عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م<sup>(١٠٤)</sup>

بأنه « اشتد تساهله في إدخال الناس في الشرف طمعا في السير فانحط مقداره مع عاميته ونقصه »<sup>(١٠٥)</sup> ، ويؤكد ذلك « وكان مع نقصه متساهلا في الإدخال في الشرف »<sup>(١٠٦)</sup> ومن الأعمال الهامة أيضا التي يقوم بها نقيب الأشراف على الأوقاف الوقوفة على السادة الأشراف ، وقد ذكر الماوردي في أحكامه الواجب الثاني عشر الملقى على عاتق نقيب الأشراف : « مراعاة وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعه ، وإذا لم يرد إليه جباتها راعى الجبة لها فيما أخذوه ، وراعى قسمتها إذا قسموه ، وميز المستحقين لها إذا خصت ، وراعى أوصافهم فيها إذا شرطت حتى لا يخرج منهم مستحق ، ولا يدخل فيها غير محق »<sup>(١٠٧)</sup> . وهو ما حددته وثائق تعيين نقيب الأشراف في العصر المملوكي ، منها « وسمى بتدبيره ريعهم ..... ويضبط أوقافهم ، ويعتمد إنصافهم ، ويشر متحصلاتهم ، ويكثر بالتدبير غلاتهم ، ويأخذ نفسه بمساواتهم في جميع حالاتهم »<sup>(١٠٨)</sup> .

وقد جاء في إحدى وثائق تعيين نقيب الأشراف الأمر له « واصرف اهتمامك إلى حفظ أوقافهم وأملاكهم ومستغلاتهم في سائر الأعمال ، وحطها من العفاء والاضمحلال ، وتوفير على تشمير ارتفاعها ، وتزجية مالها ، واستخدم لضبط حاصلها ، وجهات منفقها ، من تسكن إلى ثقته وتثق بنهضته ، ووزع ما يرتفع من استغلالها بينهم على رتبهم التي يشهد بها ديوانهم » (١١٤) .

كما جاء في وثيقة أخرى تطلب من نقيب الأشراف « ولينظر في الوقوف على المشاهد والذرية ، نظرا يحمد عليه من يعلمه من البرية ، ويحظيه بالشواب عند مالك المشيه . ويبتدىء بعارة أصولها واستكمال فروعها ، وقسمة مغلها على ما تضمنه شرط الواقفين لها ، وليحتط على النذور ، وينفقها على عاداتها في المصالح والجمهور ، عالما أن الله تعالى سائله عما ترواه في جميع الأمور ، وأنه لا يخفى عليه كل حق مستور ..... » (١١٥) .

وكان الأشراف يأخذون الأموال من الدولة من سهم ذوى القربى ، ثم أوقفت عليهم الأوقاف ، وأشهر الأوقاف التي أوقفت عليهم في مصر ، ما أوقفه الوزير الفاطمى طلائع بن رزيك المتوفى عام ٥٥٥ هـ / ١١٦١ م ، في عهد الخليفة الفاطمى الفائز بعض الأراضى ليصرف ريعها على السادة الأشراف (١١٦) . وشملت الأوقاف التي أوقفها طلائع بن رزيك (١١٧) على الأشراف « بركة الحبش » (١١٨) وبلقس (١١٩) حيث حص الأشراف الحسينيين والحسينيين الموجودين بالقاهرة بستة عشر قيراطا ، وأشرف المدينة المنورة سبعة قراريط وبنى معصوم إمام مشهد الإمام على بالكوفة قيراط واحد . مما جاء في حجة الوقف « فمن ذلك ما يصرف إلى الأشراف المقيمين بالقاهرة المعزية ومصر خاصة دون من بعد عنها وسكن غيرها من الأقارب والطالبيين الحسينيين والحسينيين النصف » (١٢٠) .

كذلك أوقف صلاح الدين الأيوبي على الأشراف قطعة من أرض من ناحية حفص (١٢١) بولاية الدقهلية (١٢٢) .

وكان الأشراف يأخذون رواتب من ديوان الأشراف ، كما كان بعض الأشراف يترك نصيبه . فقد ذكر المقرئى في حوادث عام ٧٣١ هـ / ١٣٣١ م أن الشريف « موفق الدين أبو الفتح عيسى بن عبد الرحيم كان لا يتناول نصيبه من ديوان الأشراف » (١٢٣) .

وقد أعفى السلطان المملوكى حسام الدين لاجين أوقاف الأشراف من المكوس المفروضة عليها ، وكانت تبلغ ثلاثين ألف درهم في العام فيذكر المقرئى « ووصع عن أهل بلقس الأشراف ما كان

عليهم من المظالم ، وهو يبلغ ثلاثين ألف درهم لى كل سنة ، وعوض مقطعيه بدل ذلك » (١٢٤)

وكان لقاضى القضاة الشافعية الإشراف على أوقاف السادة الأشراف ، فذكر المقرئى فى حوادث جمادى الآخرة « خلع على أبى البقاء بها ، الدين محمد السبكى ، وقوض إليه السلطان قضاء القضاة ، وأضاف إليه نظر وقف الأشراف » (١٢٥) .

كما كان قاضى القضاة الشافعى أن ينيب عنه من يقوم بالإشراف على هذه الأوقاف . فقد أشار المقرئى فى حوادث ذى القعدة عام ٧٨٣هـ / فبراير ١٣٨٢م « فى يوم الخميس رابع عشرينها وفيه استناب قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة عنه فى نظر وقف الأشراف الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزة » (١٢٦) . والذي استمر فى نيابة نظر أوقاف الأشراف حتى شهر ربيع الأول علم ٧٨٥هـ / مايو ١٣٨٣م حيث صرف برغبته ، واستقر عوضه صدر الدين عمر بن رزين أحد نواب الحكم (١٢٧) .

وكان من حق نقيب الأشراف أن يحتفظ بحجج الوقف الخاصة بالسادة الأشراف ولذلك رفض نقيب الأشراف أن يسلم هذه الحجج لنظر وقف الأشراف ، حيث أشارت بعض المصادر التاريخية فى حوادث عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م إلى أن « الأمير برقوق والأمير بركة طلبا من نقيب الأشراف السيد على كتاب وقف ناحية بلقس على الأشراف ليتسلمه الشريف مرتضى صدر الدين مرتضى الذى عين ناظر الأوقاف الأشراف ، ولكن النقيب رفض إعطاء مما أدى إلى قيام الأميرين بإهانته إهانة بالغة وعزله عن نقابة الأشراف » (١٢٨) .

ويبدو أن نقيب الأشراف جمع بين وظيفتى نقابة الأشراف ونظر وقفهم حيث أشارت المصادر التاريخية المعاصرة فى حوادث شهر شوال عام ٧٨٥هـ / ١٣٨٢م إلى أنه « خلع على نقيب الأشراف السيد جمال الدين عبد الله بن عبد الرحيم الطباطبى ، واستقر فى نظر وقف الأشراف ، عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء ، فخرج من حينئذ نظر الإشراف عن القضاة الشافعيين ولم يعد إلى الآن » (١٢٩) .

وقد استمر نقيب الأشراف يجمع بين النقابة ونظر وقف الأشراف حتى وفاة نقيب الأشراف شرف الدين على فى ربيع الأول عام ٨٢١هـ / أبريل عام ١٤١٨م ، إذ أشارت المصادر التاريخية إلى ذلك « وفى ثامن عشرة خلع على الشريف حسن بن الشريف على بن محمد بن على الأرموى بنقابة الأشراف ، عوضا عن والده بعد وفاته ، واستقر الأمير فخر الدين فى نظر وقف الأشراف » (١٣٠)

وبربر المقرئى ذلك « لصغر سن الشريف »<sup>(١٣٣)</sup> وقد ظل نظر وقف الأشراف بيد الأمير فخر الدين بن أبى الفرج حتى وفاته فى شوال عام ٨٢١هـ / أكتوبر عام ١٤١٨م ، فتولى النظر على أوقاف الأشراف ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر .<sup>(١٣٤)</sup> ثم تولاها الأمير ططر ، ثم تولاها فى يوم الخميس ١٩ المحرم عام ٨٢٤هـ / يناير عام ١٤٢١م القاضى شرف الدين محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله المتوفى عام ٨٣٣هـ / ١٤٩٢م<sup>(١٣٥)</sup> . وقد أشار المقرئى إلى أنه « كلن قد باشر وقف الأشراف بعفة ونهضة ، وأنفق للأشراف فى كل سنة أزيد مما كانت عاداتهم »<sup>(١٣٦)</sup> ثم عاد لنقيب الأشراف النظر فى أوقاف الأشراف وذلك فى شهر شوال عام ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م حيث « كان على نقيب الأشراف السيد بدر الدين حسن بن الشريف النقيب على ، وأضيفت إليه نظر وقف الأشراف »<sup>(١٣٧)</sup> .

ويبدو أن أوقاف الأشراف قد أسالت لعاب كثير من الطامعين من سلاطين وأمراء المماليك . فقد قاموا النشو<sup>(١٣٨)</sup> ناظر الخاص فى عهد الناصر محمد بن قلاوون بالاستيلاء على « بركة الحيش » وصار ينفق على الأشراف من بيت المال ، واستمر ذلك حتى قدم السلطان المملوكى أبو بكر بن محمد بن قلاوون بالإفراج عنها وعودتها إلى الأشراف وذلك فى عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م<sup>(١٣٩)</sup> .

كما قام بعض أنظار أوقاف الأشراف بنهب أموال هذه الأوقاف مثال ذلك ما ذكره المقرئى فى ترجمة فخر الدين ابن أبى الفرج الأرمينى الاستادار الذى كان يتولى نظر وقف الأشراف فى عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م « فزاد مبلغ أجرة ناحيتى « بركة الحيش » وبلغس « زيادة كبيرة لنفسه وضيق على الأشراف وتعنت فى صرف ما بأسمائهم ، ومنع جماعة منهم ، فكثرت دعاؤهم عليه ووقع فى الأنفس أنه قد قرب زواله »<sup>(١٤٠)</sup> .

كذلك ذكر البقاعى فى حوادث صفر عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م « وطلع الأشراف إلى السلطان - المنصور عثمان بن الظاهر جتقم - فشكوا إليه ، أن من الموقوف عليهم بلدا اسمها بلقس وأن الإستدار كان يستأجرها منهم باليد العادية بمائتى ألف درهم ، ويأخذ منهم ألف ألف<sup>(١٤١)</sup> فقال جانبك الإستدار<sup>(١٤٢)</sup> : أما فى هذا العام فإنها فى إجارة من كان قبلك ، فنحن نستغلها بتلك الإجارة ، ثم ندفعها إليك ، فحسن ذلك قريبا الدويدار الثانى<sup>(١٤٣)</sup> ومن كان حاضرا ، فلما فرغوا من كلامهم قال الأمير قراجا الخزندار : لم يمنعون حقهم ، وهم آل الرسول صلى الله عليه

وسلم ؟ ادفع إليهم بلدهم . فقال السلطان : نعم قدعوا له وانصرفوا » <sup>(١٤٣)</sup> وفي نفس اليوم طلع جانبها الاستادار إلى السلطان . فراجعته في أمر بلقس ، فرسم له في إبقائها معه » <sup>(١٤٤)</sup> . ويضيف البقاعي : « ولما صبح عند الأشراف ، أن السلطان رسم لجانبك الإستدار باستمرار يده على بلدهم ، طلعوا يوم الثلاثاء حادى عشر صفر المذكور إلى السلطان ، فشكوا إليه أخذ بلدهم منهم قهرا وظلما ، فلم يجيبهم إلى شىء ، وراجعته من لديه دين وعقل من أخصائه ، فلم يغد شيئا » <sup>(١٤٥)</sup> .

وفي الشهر الذى يليه ربيع الأول ٨٥٧هـ / مارس عام ١٤٥٣م عزل المنصور عثمان وتولى الأشراف أينال سلطنة المماليك فرفع الأشراف إليه شكوى في أمر بلدة « بلقس » فانتزعها من الاستادار وردها عليهم <sup>(١٤٦)</sup> . كما ذكر ابن الجيعان أن ناحية المشعلية بإقليم الدقهلية وكانت وقف الأشراف وأصبحت ضمن أوقاف السلطان المملوكى الأشراف أينال (١٤٧) .

كذلك تسلم أوقاف الأشراف من « عتدات العربان من ذلك ما ذكره البقاعي في حوادث عام ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م من أن بسى حرام » <sup>(١٤٨)</sup> من قبائل العرب بإقليم الشرقية قاموا بنهب قرية « بلقس » وقف الأشراف ، جعل نقيب الأشراف يأخذ حصاة من الأشراف وشكوا إلى السلطان أينال العلاني « فقال : من فعل ذلك ؟ فقالوا : قرية كذا . وقرية كذا ، وسما له المفسدين ، فلما طال سكوته ، قال الأمير بردبك الدويدار » <sup>(١٤٩)</sup> اذهبوا ، حتى يكشف السلطان عن هذا الأمر فانفصلوا على ذلك » <sup>(١٥٠)</sup> . ومع ذلك فقد ذكر ابن الجيعان أن ناحية العصرية بإقليم البحيرة كانت وقف السادة الأشراف ، ثم أصبحت إقطاع العربان ومن معهم <sup>(١٥١)</sup> .

وفي بعض الحالات أساء بعض نقباء الأشراف مباشرة أوقاف الأشراف وعدم المساواة في نفقات المستحقين للوقف من الأشراف ، الأمر الذى جعل الأشراف يقومون بشكوى نقيب الأشراف إلى السلطان المملوكى قايتباى الذى عقد مجلسا لذلك الأمر ، فقد ذكر ابن الصبرنى في حوادث ٢٦ ربيع الأول عام ٨٧٤هـ / أكتوبر عام ١٤٦٩م « يوم الثلاثاء سادس عشرية عقد مجلس بالقلعة بحضور السلطان بقصة القضاء بسبب السيد الشريف نقيب الأشراف وأخيه الذى كان بمقام المقر الشهابى ابن العسى ، فإن الأشراف شكوا منهما أخريا البلاد ، وكان استعريض عن الشريف المذكور من نقابة الأشراف واستقرار الشريف بور الدين على الكردي صاحب السلطان نصره الله ، فسمى الشريف المقدم ذكره عند السلطان بالأمير برقوق وغيره حتى عقد لهما هذا

المجلس، وغضب السلطان — نصره الله — من نقيب الأشراف وحط عليه ونقم عليه سوء مباشرته في بلاد الوقف وعدم التساوى بين المستحقين في النفقة، ونسب ذلك إلى صنيع أخيه، وأساء عليه بلفظ: « يا شيطان أنت نحس » فصار يردد ويقول: « السلطان يعرفني »، وخرجت أخلاق السلطان وعنف الشريف نقيب الأشراف وبيخه، فكان جوابه: « يا مولانا السلطان، أنا أتوب إلى الله فاستغفر الله »<sup>(١٥٣)</sup>.

وضيف ابن الصيرفي « وانفصل المجلس على لأن يعمل حساب الوقف بحضور نواب قضاة القضاة من كل مذهب نائب، ويعملون ما يقتضيه الشرع، وأن يكون السيد الكردي ناظرا على البلاد والمال والمصرف، ونقيب الأشراف يصل إليه معلومه ولا يتكلم في شيء، وهذا مع جوار السلطان لنقيب الأشراف عدة سنين واتحاده بصحبته »<sup>(١٥٤)</sup>.

يذكر ابن الصيرفي أيضا « وسأل السلطان - قايتباي - عن متحصل الأشراف فقبل له ثمانية آلاف دينار، فقال: « كم تصرفوا للأشراف؟ فقبل له. النصف من ذلك وسأل عن المتأخر فذكر المباشرون أن عدتهم عشرون نفرا فرسم باستقرار أربعة وإبطال ما عداهم، وأن يضاف المتأخر ويعصرف على الأشراف بالسوية »<sup>(١٥٥)</sup>.

ثم خلع في يوم الخميس ٢٨ ربيع الأول على نقيب الأشراف واستقر كهادته، وخلع على السيد الشريف علاء الدين الكردي واستقر ناظر الأشراف<sup>(١٥٦)</sup>.

كما يذكر عبد الباسط بن خليل في حوادث عام ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م « وفيه عقد مجلس بسبب وقف يتعلق بجماعة من الأشراف، منهم السيد إبراهيم الذي كان كاتب السر بدمشق، وخطق السلطان على السيد هذا ووقع منه هو أيضا كلمات، وانفض المجلس لا على طائل »<sup>(١٥٧)</sup>.

وقد حاول السلطان المملوكي قنصوه الغوري الاستيلاء على أوقاف الأشراف من ذلك ما ذكره ابن إياس في حوادث صفر عام ٩١٨هـ / أبريل عام ١٥١٢م « وفي يوم الأحد تاسع عشرينه رسم السلطان بعرض السادة الأشراف، وسبب ذلك أن السلطان قصد أن يخرج عنهم شيئا من الجهات الموقوفة عليهم مثل « بركة الحبش » و« بقس » وغير ذلك من الجهات، وكان القائم في مرافعتهم الشريف بن مصبح دلال الأملاك، فالتزم بأن يوفر للسلطان من هذه الجهات في كل سنة عشرة آلاف دينار، فرسم السلطان بعقد مجلس بالقضاة الأربعة بسبب الأشراف وقد طعنوا في أنساب



جماعة منهم» <sup>(١٤٨)</sup> . وقد علق ابن إياس على ذلك بقوله : «وهذه من حملة الوقائع الفاحشة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» <sup>(١٤٩)</sup> .

ومن مهام نقيب الأشراف عدم ترويع الشريقات من العوام وقد أوردها الماوردي « أن يمنع أيامهم أن يتزوجن إلا من الأكفأ . لشرفهن على سائر النساء صيانة لأتسابهن وتعظيما لحرمتهن أن يتزوجهن غير الولاة أو ينكحهن غير الأكفأ » <sup>(١٥٠)</sup> .

وأكدت على ذلك كثير من عهود تولية نقيب الأشراف « وأن تحصن الفروج عن مناكحة من ليس لها كفؤا ، ولا مشاركتها في شرفها وفخرها ، حتى لا يطمع في المرأة الحسبية النسبية إلا من كان مثلاً لها مساويا ، ونظيراً موازيا ، فقد قال الله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » <sup>(١٥١)</sup> . كما ورد في سجل تعيين نقيب الأشراف « واحتط في أمر المناكح رصنها عن العوام » <sup>(١٥٢)</sup> .

فضلا عن ذلك فقد جاء في الوصية التي كان يوصي بها نقيب الأشراف أن « يمنع من اتصال أہم الأسرة إلى عامي ، ولا يسمح أن يعقد عليها عقد إلا لكف ملى ليبرا هذا المجد الشريف من التكدير ، ولا تزيفه شوائب التقيير » <sup>(١٥٣)</sup> .

ويبدو أن رغبة كثير من الناس في الزواج من إحدى الشريقات رغبة في انتساب أبنائهم إلى هذا الشرف مع قوة الرأي الذي يتيح الانتساب إلى الأشراف عن طريق الأم . من ذلك ما ذكره السخاوي في التحفة اللطيفة في ترجمة محمد بن فرحون المالكي صاحب كتاب الديباج المذهب في طبقات المالكية من أن أباء نزل المدينة المنورة فأشار عليه بعض علمائها أن يتزوج فامتنع « فلم يزال به حتى زوجه أكبر بنات الشريف عبد الواحد الحسين الأربع ، الثابت النسبة بالقاهرة ، ليتعاطى من وقف « بلفيس » الموقوف على الشرفا . بل لما حج نقيب الأشراف أوقفته على ذلك الثبوت ، فصار يصرف لابنته مباركة حتى ماتت . وكان في تزوج أبي بالشريفة البر التام بنا ، إذ ألحقنا بنسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيرنا من ذريته إجماعا ، وشرفا . عند أكثر العلماء . كما أفتى به ناصر الدين المشدالي ، وغيره ممن همة مثله في العلم » <sup>(١٥٤)</sup> .

ومع ذلك فإن وجهة نظر بعض المعاصرين عدم الزواج من الشريقات إلا إذا التزم لها بعدة آداب، فقد ذكر الشعراني في جملة الأدب مع الشرفا « لا نتزوج شريفة إلا أن كان أحدنا يعرف من نفسه القدرة على القيام بواجب حقها وأن يعمل على رضاها فلا يتزوج عليها ولا يتسرى

ولا يقتدر عليها في المأكل والملبس دون قدرتنا ونقول أن جدك رسول الله صلى عليه وسلم اختار ذلك (وكذلك) لاثمنها شهوة مباحة سألتنا فيها ونقدم لها نعلها إذا قامت واحتاجت ويقوم لها إذا وردت علينا لأثمنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(١١٤)</sup> وللأسف فإن المصادر التاريخية لم تسعفنا في الوقوف على حالة واحدة لمنع زواج امرأة شريفة وأى رجل من خارج الأشراف مهما كان هذا الرجل بل سنجد تكالب بعض الرجال للزواج من شريفة حتى ينتسب أولاده إلى هذا البيت هذا الشرف .

كما كان على نقيب الأشراف أن يعود مرضاهم ، وعشى في جنازتهم ، ويسعى في حوائجهم ، ويأخذ على يد المتعدي منهم ، ويمنعه من الاعتجاج ، ولا يقطع أمراً من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم وتحر ذلك<sup>(١١٥)</sup>.

كما لعب نقباء الأشراف دوراً هاماً في الحياة العلمية إذ كان معظم نقباء الأشراف من العلماء . كما كانت لهم مشاركات في الحياة العلمية في العصر المملوكي ، ومن الجدير بالملاحظة أن كل نقباء الأشراف في مصر زمر الأيوبيين والمالكيين أهل سنة على المذهب الشافعي ، بل كانوا من علماء هذا المذهب ، وروى بعضهم لتولى أعلى مناصب المذهب الشافعي وهي وظيفة « قاضي القضاة الشافعية » من هؤلاء : نقيب الأشراف محمد المعروف بقاضي العسكر المتوفى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م كان يتولى التدريس بالمدرسة الناصرية صلاح الدين الأيوبي - المجاورة لجامع عمرو بن العاص بالقسطاط ، والمعروفة بمدرسة ابن زين التجار ، وبسبب شهرته عرفت هذه المدرسة به وقيل لها « المدرسة الشريفة » وهي مدرسة للفقهاء الشافعية<sup>(١١٦)</sup> كما درس أيضاً بالمدرسة الشريفة التي بناها الشريف اسماعيل بن ثعلب الجعفرى بالقاهرة<sup>(١١٧)</sup> وله من المؤلفات العلمية كتاب « شرح فرائض الوسيط للغزالي » وكتاب شرح المحصول للغفر الرازي<sup>(١١٨)</sup>.

ونقب الأشراف الشريف أحمد المعروف بابن الحلبي المتوفى ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م . في علم الحديث حتى لقب بالحافظ وهو أعلى مراتب علماء الحديث ، وله من التصانيف « الأربعين البلدانية في الحديث » وله « وفيات الشيوخ » ذيل به على كتاب شيخه الحافظ عبد العظيم المنذرى « تكملة وفيات النقلة » وهو من عيون التاريخ<sup>(١١٩)</sup>.

كما تولى نقيب الأشراف شرف الدين علي المتوفى عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٣م التدريس بمشهد الحسين بالقاهرة<sup>(١٢٠)</sup> وبالمدرسة الفخرية والمدرسة الطيبرسية المجاورة للجامع الأزهر<sup>(١٢١)</sup> ويذكر ابن

قاضى شهية بأنه «اشتغل بالفقه والأصول والعربية وأفتى ودرس» <sup>(١٧٧٤)</sup> توضيح الحواشي «(١٧٧٤)» .  
«شرح المعالم في أصول الفقه» <sup>(١٧٧٥)</sup> .

وكان بعض نقباء الأشراف على درجة عالية من العلم فقد كان الشريف صدر الدين مرتضى نقيب الأشراف «فصبها بالألمن العربية والعجمية والتركية» <sup>(١٧٧٦)</sup> .

وبالإضافة إلى ذلك فقد تولى بعض نقباء الأشراف في مصر في العصر المملوكي العديد من الوظائف الإدارية والمالية والقضائية والعلمية.

ومن هذه الوظائف وظيفة «الحسبة» والتي انقسمت في مصر زمن المماليك إلى حسبة القاهرة ولصاحبها نواب بالوجه البحري ، وحسبة مصر - الفسطاط ولصاحبها نواب بالوجه القبلي ، وحسبة الاسكندرية على المدينة وما حولها .

وقد تولى نقيب الأشراف شرف الدين علي المتوفى عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٣ م حسبة القاهرة في الفترة من رجب عام ٧٣٨هـ / فبراير عام ١٣٣٨ م إلى عام ٧٤٢هـ / ١٣٣٧-١٤٣١م <sup>(١٧٧٧)</sup> .

كذلك تولى نقيب الأشراف عاصم بن محمد الحمصى «حسبة مصر» وذلك في شوال عام ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م وعزل في ربيع الأول عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م <sup>(١٧٨١)</sup> .

وتولى نقيب الأشراف الشريف علي «حسبة مصر» في ربيع الأول عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠ م عوضا عن سراج الدين عمر الحمصى ، وعزل في ٢٧ جمادى الآخرة من نفس السنة (١٧٩) .

كما تولى بعض نقباء وظيفه «قضاء العسكر» <sup>(١٧٨١)</sup> مثل نقيب الأشراف محمد بن الحسين الأرموى المتوفى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م الذي تولى «قضاء العسكر» والتي أصبحت لقب له ولأبنائه وأحفاده الذين عرفوا بـ «ابن قاضى العسكر» <sup>(١٧٨١)</sup> .

كذلك تولى بعض نقباء الأشراف وظيفة «نيابة دار العدل» وقد تولاه نقيب الأشراف محمد بن الحسين الأركوى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م للملك الكامل الأيوبي ثم لأنه الملك الصالح نجم الدين أيوب واستمر يتولاها حتى وفاته عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م .

ومن الوظائف التي تولاه بعض نقباء الأشراف وظيفة «نظر البيمارستان المنصوري» ، وهذه الوظيفة من أجل الوظائف وأعلاها ، ويتولى النظر فيه عادة من العسكريين من أكبر الأمراء بالديار المصرية ، تولى هذه الوظيفة نقيب الأشراف فخر الدين أحمد <sup>(١٧٨٢)</sup> .

ومن الوظائف الدينية التي تولّاها بعض نقباء الأشراف «مشيخة الشيوخ»<sup>(١٨٧١)</sup>، حيث تولّى هذه الوظيفة نقيب الأشراف فخر الدين أحمد وذلك في ١٩ شوال عام ٧٩٤هـ / أغسطس ١٣٩٢م<sup>(١٨٤٤)</sup>، واستمر بها حتى وفاته في ذى القعدة عام ٨٠١هـ / يوليو عام ١٣٩٨م<sup>(١٨٨١)</sup>.

أما عن دور نقباء الأشراف في المناسبات العامة فقد شارك نقيب الأشراف ومعه الأشراف في بعض المناسبات السياسية والاجتماعية. مثال ذلك ما حدث في يوم الثلاثاء ١٤ صفر عام ٧٩٢هـ / نوفمبر عام ١٣٨٩م بعد عودة السلطان الظاهر برقوق للسلطنة للمرة الثانية بدلا من «الناصر الحجي» فخرج إلى لقائه الأشراف مع السيد علي نقيب الأشراف، وخرجت طوائف الفقراء بصانقها، والعساكر بلبوسها الحربية وذلك في خارج القاهرة بالريمانية<sup>(١٨٨١)</sup>.

وشارك نقيب الأشراف والسادة الأشراف في حوادث عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م حيث تعرضت مصر لوباء من أشد الأوبئة، واختلفت هذه عن بقية الأوبئة السابقة له إذ وقع في فصل الشتاء، وعامة الأوبئة تقع في فصل الربيع - فترة الحماسين- وكان هذا الوباء من الشدة حتى أطلق عليه ابن تغرى بردى «الغناء العظيم»<sup>(١٨٧١)</sup> وأطلق عليه ابن إياس «الفصل الكبير»<sup>(١٨٨١)</sup>.

وقد قام الشريف أحمد بن عبدان كاتب السر بالديار المصرية ونقيب السادة الأشراف بنهاية دمشق بجمع أربعين شريفا اسم كل واحد منهم محمد، وانفق فيهم خمسة آلاف درهم من ماله الخاص، وأجلسهم بالجامع الأزهر بعد صلاة الجمعة يقرأون ما تيسر من القرآن الكريم، وقد غاص الجامع بالناس، ثم أخذ هؤلاء الأربعين في الدعاء والناس تؤمن على دعائهم، ثم صعدوا إلى سطح الجامع الأزهر، وأذنوا جميعا لصلاة العصر، ثم انقضوا، وقد أشار بذلك بعض العجم من المشرق الإسلامي، وأنه حدث عندهم وباء وقملوا ذلك فارتفع عقيب ذلك<sup>(١٨٨١)</sup> ويعلق ابن الصيرفي على ذلك بقوله: «وكل ذلك ببركة النبي صلى الله عليه وسلم، وبركة اسمه، وبركة ذريته»<sup>(١٩٠١)</sup>.

وساهم نقباء الأشراف في مصر بالعديد من المنشآت العمرانية كبناء المدارس من ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة إلى أن نقيب الأشراف الشريف شمس الدين محمد بن الحسين الأرموي ابن قاضي العسكر المتوفى عام ٧٦٣هـ / ١٣٦١م جعل منزله المرحوم بحارة بها «الدين مدرسة عرفت باسم المدرسة الشريفة»<sup>(١٩١١)</sup>، ويذكر ابن قاضي شعبة «وكان عند موته قد جعل داره بحارة بها «الدين مدرسة للشافعية»<sup>(١٩١٢)</sup> وقام بعض نقباء الأشراف ببعض الأعمال

التعبيرية في القاهرة ، ففى عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م قام نقيب الأشراف السيد بدر الدين حسين بن الفراء بشجديد بعض المساجد والمشاهد منها مشهد السيدة رقية <sup>(١٩٣)</sup> بالقرب من مشهد السيدة نفيسة <sup>(١٩٤)</sup> وكان قد اتخذ بعض الناس سكناً ، وتعطلت زيارته مدة سنين فجدده <sup>(١٩٥)</sup> ، وجدد جامع الفاكهيين <sup>(١٩٦)</sup> وجامع الفخر <sup>(١٩٧)</sup> وجامع الصارم <sup>(١٩٨)</sup> .

ويتضح لنا مما سبق أن نقابة الأشراف هي أول تنظيم اجتماعى يرتبط بصلة الدم فى الحضارة الاسلامية . وأنها بدأت فى مصر منتصف القرن الثالث الهجرى واستمرت حت الآن . كما نلاحظ أن الفرع الحسينى هم أول من تولى نقابة الأشراف فى مصر زمن الطولونيين والإخشيديين وبداية عهد الفاطميين حيث تحولت إلى الفرع الحسينى واستمر ذلك الفرع يتولى نقابة الأشراف زمن الأيوبيين والمماليك إلا فى فترات قصيرة تولاها نقباء من الفرع الحسينى . كما ساد منصب نقيب الأشراف فى معظم الأحيان مهذا الورثة .

كذلك تعددت الواجبات الملقاة على عاتق نقيب الأشراف من حفظ النسب ، والإشراف على أوقاف الأشراف ، والعمل على توزيع الشرفات من بينك منهم ، بالإضافة إلى واجبات أخرى .

### قائمة بأسماء نقيب الأشراف فى مصر زمن سلاطين المماليك

١- محمد بن الحسين بن محمد ، شمس الدين الأرموى الشافعى الحسينى ، المعروف بقاضى العسكر.

ولد عام ٥٧٨هـ وتولى نقابة الأشراف عام ٦٣٥هـ حتى وفاته عام ٦٥٠هـ <sup>(١٩٩)</sup>

٢- على بن الحسين الأرموى الأصل المصرى المولد والدار أخو الأول

مولده . عام ٦٠٣هـ ، وتولى النقابة عام ٦٥٠-٦٦٤هـ <sup>(٢٠١)</sup>

٣- شهاب الدين الحسين بن محمد الأرموى الحسينى ابن قاضى العسكر

٤- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد الحسينى المعروف بابن الحلبي مولده عام ٦٣٦هـ وتوفى عام ٦٩٥هـ وتاريخ تولية النقابة غير معروف <sup>(٢٠٢)</sup> .

٥- شمس الدين محمد بن شهاب الدين الحسين بن شمس الدين محمد المعروف بابن قاضى

العسكر . مولده عام ٦٧٦هـ وتولى النقابة عام ٦٩٥هـ عز الدين أحمد بن محمد ابن الحلبي إلى عام ٧٠٤هـ حيث قتل بدمشق وابن الثالث وحفيد الأول<sup>(١٢٠٦)</sup> .

٦- بدر الدين الحسن بن عز الدين أحمد بن محمد الحسيني المعروف بابن الحلبي ابن الخامس مولده عام ٦٧٦هـ<sup>(١٢٠٦)</sup> ابن الرابع . تولى النقابة عام ٧٠٤هـ حتى عام ٧٤١هـ وتوفي عام ٧٤٣هـ<sup>(١٢٠٦)</sup> .

٧- شرف الدين علي بن الحسين بن محمد بن الحسين الحسيني الشافعي المعروف بابن قاضي العسكر ابن الثالث وحفيد الأول وأخو الخامس . ولد عام ٦٩١هـ وتولى النقابة يوم الأحد ١١ رجب عام ٧٤١هـ وحتى وفاته عام ٧٥٧هـ<sup>(١٢٠٦)</sup> .

٨- شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين الحسيني الشافعي المعروف بابن قاضي العسكر ويشتهر بأبي الركب بضم الراء وفتح الكاف- ولد عام ٦٩٨هـ وتولى النقابة عام ٧٥٧هـ حتى وفاته عام ٧٦٢هـ<sup>(١٢٠٦)</sup> .

٩- شمس الدين محمد بن شهاب الدين الحسين الحسيني ابن قاضي العسكر ويعرف والده بأبي الركب وتولى النقابة : ٧٦٢هـ - ٧٦٣هـ<sup>(١٢٠٦)</sup> .

١٠- فخر الدين محمد بن علي بن الحسين ابن قاض العسكر (الأولى) تولى النقابة عام ٧٦٣هـ وعزل في شوال ٧٧٤هـ<sup>(١٢٠٨)</sup> .

١١- الشريف عاصم تولى النقابة في ١٩ شوال ٧٧٤هـ عزل في ٢٠ ذو الحجة عام ٧٧٤هـ<sup>(١٢٠٩)</sup> .

١٢- فخر الدين محمد بن علي ابن قاض العسكر (الثانية)

تولى النقابة للمرة الثانية في ٢٠ ذو الحجة عام ٧٧٤هـ واستمر حتى وفاته في أول رجب عام ٧٧٨هـ<sup>(١٢١١)</sup> .

١٣- شرف الدين علي بن فخر الدين محمد (الأولى) تولى النقابة في يوم الاثنين ثالث شهر رجب عام ٧٧٨هـ<sup>(١٢١٢)</sup> عزل في أول ربيع الآخر عام ٧٨٠هـ<sup>(١٢١٣)</sup> .

١٤- الشريف عاصم (الثانية) تولى النقابة في ١٧ ربيع الآخر عام ٧٨٠هـ<sup>(١٢١٤)</sup> واستمر حتى وفاته عاشر المحرم عام ٧٨٢هـ<sup>(١٢١٥)</sup> .

١٥- شرف الدين على بن فخر الدين محمد (الثانية) تولى النقابة للمرة الثانية فى ١٠ المحرم عام ٧٨٢هـ<sup>(٢١٦)</sup> وعزل فى ذو القعدة عام ٧٨٣هـ<sup>(٢١٧)</sup>

١٦- جمال الدين عبدالله بن عبد الكافى الطباطبى (الأولى) تولى النقابة فى ٢٢ ذو القعدة عام ٧٨٣هـ<sup>(٢١٨)</sup> وعزل فى جمادى الآخرة عام ٧٩١هـ<sup>(٢١٩)</sup>

١٧- شرف الدين على بن فخر الدين محمد (الثالثة) تولى النقابة فى ٢٦ جمادى الآخرة عام ٧٩١هـ<sup>(٢٢٠)</sup> وعزل فى ١٩ صفر عام ٧٩٢هـ<sup>(٢٢١)</sup>

١٨- جمال الدين عبدالله بن عبد الرحيم الطباطبى (الثانية) تولى النقابة فى ١٩ صفر عام ٧٩٢هـ<sup>(٢٢٢)</sup> حتى وفاته فى ذو القعدة عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م<sup>(٢٢٣)</sup>

١٩- شرف الدين على بن فخر الدين محمد (الرابعة) وتولى النقابة فى ١٥ ذو القعدة ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م<sup>(٢٢٤)</sup> ويستمر حتى وفاته فى ١٩ ربيع الأول عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م<sup>(٢٢٥)</sup>.

٢٠- بدر الدين حسن بن على ابن قاضى العسكرية

تولى النقابة بعد والده فى ١٩ ربيع الأول عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م<sup>(٢٢٦)</sup> وعزل فى جمادى الآخرة عام ٨٤٤هـ / ١٤٤١م<sup>(٢٢٧)</sup> وتوفى فى يوم الاثنين ٦ صفر ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م<sup>(٢٢٨)</sup>.

٢١- بدر الدين حسين بن أبى بكر بن حسن الحسينى ويلقب بالشاطر ويقال له ابن الفراء تولى النقابة فى يوم الخميس ٧ جمادى الآخرة عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م ، وتوفى فى شوال عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م<sup>(٢٢٩)</sup>

٢٢- محمد بن حسن الحسينى خازن الشريخانة تولى النقابة عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م بعد حسين بن أبى بكر ، وتوفى عام ٨٩٥هـ / ١٤٩٠م<sup>(٢٣٠)</sup>

٢٣- أبو المحاسن حسن بن محمد بن حسن كان موجودا عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م<sup>(٢٣١)</sup>

٢٤- أبو عبدالله محمد الطنبى الحسينى كان موجود فى الفترة من ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م<sup>(٢٣٢)</sup>.

## الهوامش

- (١) ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٢ ج ١ ، ص ٧٧٠ مادة (نقب) : الزبيدي : تاج العروس ج ١ ، ص ٩٨٣ : الفيومي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرازي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ج ٢ ص ٦٢٠ : ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، ٦ أجزاء ، اتحاد الكتاب العرب ١٤٢٣ هـ ، ج ٥ ، ص ٣٧٤ : ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناني ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ٥ ، ص ٢١٣ .
- (٢) الأزهري : تهذيب اللغة ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .
- (٣) الطاهر أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٣ ، ج ٤ ، ص ٤٢١ .
- (٤) أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي : الدر المنصور في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .
- (٥) ابن هشام . السيرة النبوية ، تحقيق محمد دهسي السرجاني ، المكتبة التوفيقية (د.ت) ، ج ٢ ، ص ٢٩ .
- (٦) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٩ ، ص ١٦٩-١٧٥ ، مادة «شرف» . البلاذري . أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، المقدمة ، ص ٢٠ .
- (٧) القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١٥٩-١٦٩ .
- (٨) حقوق آل البيت بين السنة والبدعة ، دراسة وتحقيق عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د ت) ، ص ٥ .
- (٩) محمد قلعجي : معجم لغة الفقهاء ، دار الفانس للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ج ١ ص ٤٨٧ .
- (١٠) السيوطي : الحاوي للفتاوى وطبعة المنيرية ، دمشق ١٣٥٢ هـ ، ج ٢ ص ٣٢ .
- (١١) صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٢ .
- (١٢) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٧ .
- (١٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ص ٩٠٩ .



(١٤) ابن أبيك الصمدى : أعيان المعصر وأعوام النصر ، ج ١ ، ص ٥ .

(١٥) رضوان محمد الجنائى : طبقة الأشراف فى مصر منذ فجر الاسلام حتى نهاية النولة العاطبية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة المنيا ، ١٩٨٦ ، ص ٢٦ .

(١٦) ابن عتبة الحسنى : عمدة الطالب فى أنساب آل طالب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د . ت ، ص ٢١٥ .

(١٧) الهمدانى : تكملة تاريخ الطبرى ، ص ٩٢ : المسعودى : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٥٠-١٥١ : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٤ : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٨ ، ١٣ ، ٣٤٢ ، ٥ ، ج ١٢ ، ص ١٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٤ ، ص ٥٦-٥٧ ، ١٥٧ ، ٢١٠ ، ٢٢ ، ج ٥ ، ص ٢١٧ وانظر أيضاً أحمد عبد الرازق : الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٠ م ، ص ٢٤٨ .

(١٨) رضوان الجنائى : طبقة الأشراف ، ص ٢٦١-٢٦٢ .

(١٩) كثرة ثورات العلويين ضد العباسيين خلال القرنين الثانى والثالث الهجرى . وقد توافد على مصر كثير من العلويين ز . وأصبحت مصر أهم مركز لهم يستمعون منه ويتخذ طريقاً إلى بلاد المغرب ، وساعدهم فى ذلك العاطفة المباشرة فى نفوس أهل مصر نحوهم وحسبهم لآل البيت . مما جعل العباسيين ينظرون إليهم بعينين واستعجاب ، لذا أمر الخليفة العباسى المتوكل على الله بتلى عهده المستنصر بأمر والى مصر اسحق يحيى بإخراج الطالبين من مصر إلى العراق وذلك فى رجب عام ٢٢٦ هـ / ٨٥١ م انظر : . الكندى ، ولاية مصر وقضاتها ، ص ٢٢٤ : محسن محمد حسن سليم . « ثورات العلويين فى مصر عصر الولاية مجلة كلية الدراسات الانسانية ، جامعة الأزهر ، العدد السابع ، ١٩٨٩ ، ص ١٨٥-٢٢٩

(٢٠) طباطبا : هو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن على أبى طالب ، ولقب بذلك لأبى أباد أراد أن يقطع له ثوباً وهو طفل فخيرته بين قميص وقبا . فقال : طباطبا يعنى قبايبا ، ولقبوه بذلك أما ابن خلكان فيذكر أنه كان يلبس قميصاً فلبس القبايب طاب . ويذكر ابن تغرى بردى أنه سمي « طباطبا » لأن أمه ترقصه وتقول طباطبا - يعنى نم نم . انظر - ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ج ١ ، ص ١٣٠ ، ابن حجر : نزعة الأتلياب فى الاثقال ، ص ١٩٦ : الحسنى : عمدة الطالب ، ص ١٣٦ : ابن تغرى بردى : السجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢١٩ .

(٢١) موفق الدين بن عثمان . مرشد الزوار إلى قبور الأولياء . الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، ١٩٩٥ ، ج ١ ، ص ٢٥ : البهى : سيرة أحمد بن طولون . تحقيق محمد كرد على ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الدخائر ، القاهرة ١٩٩٩ ، رقم ٥٥ ، ص ١٩٩ .

(٢٢) ابن زولاقي : فضائل مصر وأخبارها وحواصها ، تحقيق على محمد عمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٤٤ . - لاحظ أن الموقع الرسمي لنقابة الأشراف بمصر يذكر أن الخليفة المعز لدين الله هو أول نقيب للأشراف في مصر أنظر : [www.Niqabat-alashraf.org](http://www.Niqabat-alashraf.org)

(٢٣) مشاهد الصفا في المنقوتين بمصر من آل المصطفى ، تحقيق على عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٥٢ .

(٢٤) ابن زولاقي : فضائل مصر ، ص ٤٤ ، محمد بن اسماعيل بن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحنسي توفي بمصر عام ١٥هـ / ٩٢٧م أنظر . ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ٥٢ ، ص ١٠٢-١٠٣ ، رقم ١٠٩٤٣ : ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ، ج ١ ص ٢٩٥٢ : النهاية . تاريخ الإسلام : حوادث عام ١٥هـ .

(٢٥) إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسي

(٢٦) المقرئ : الملقب الكبير ، ج ٢ ص ١١-١٢ ، رقم ٧٦٢ .

(٢٧) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا . وكان من شعراء مصر في القرن الرابع الهجري . انظر : ابن زولاقي : فضائل مصر ، ص ٤٤ . الثعالبي . نيسمة الدهر ، ج ١ ، ص ٣٢٨ : ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلى المغرب ، الجزء الأول تحقيق زكي محمد حسن وآخرون ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٣٦ : السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٥٩ ، حاجي خليفة . كشف الظنون ، ج ٢ : ١١٨١ : البغدادى : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٣٣ : سيدة اسماعيل كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٣٣ : محمد عبد المنعم خفاجي ومحمد مصطفى الماخي : شعراء مصر من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١١٠-١١١ .

(٢٨) ابن زولاقي ، فضائل مصر ، ص ٤٥ : ويذكر المقرئ أنه ولي نقابة الأشراف في أيام العزيز بالله ، أى أنه عاصر الدولة الإخشيدية والفاطمية حتى أيام العزيز بالله . انظر - الملقب الكبير ، ج ١ ، ص ٧-٨ ، رقم ١١ : السخاوي . التعرّف الطبقة في تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، رقم ١٢ .

(٢٩) الملقب الكبير ، ج ٣ ص ٤٦٥-٤٦٦ ، رقم ١٢٢٢ .

(٣٠) التلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١-٤٨٢ : المقرئ اتعاط الحما ، ج ٢ ، ص ٧٢-٧٣ ، ص ٨٦ ، ص ٨٨ : عبد المعص ماجد : نظم العاطمين ورسومهم في مصر ، مكتبة الأبحر المصرية ، القاهرة ، ج ٢ ،

ص ٣٣-٣٤، عبد المعظم سلطان الحداة الاحمادة في العصر العاطمي دراسة تاريخية وثائقية ، دار  
الثقافة العلمية ، الاسكندرية ، ١٩٩٩ ، ص ٢٦

(٣١١) الفلقشدي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٩٨ ، ٩٩

(٣٢) ابن الطوير : برقة العلي ، ص ١١٣-١١٤ ، المقريري : انعاظ الحفا ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ ، ابن لغوات  
تاريخ ابن لغوات ، مج ٤ ، ج ١ ، ص ٤٥

(٣٣) ابن ناصر الجبش : تنقيب التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق رودلف سلى ، المعهد العلمي الفرنسي  
للأصاير الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ١٩٢ .

(٣٤) صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١١٨

(٣٥) الفلقشدي : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ، ١٩٨٥ ، ج ١ ،  
ص ٣٠٦

(٣٦) الفلقشدي : مآثر الإنافة في معادن خلافة ، ج ١ ، ص ٣٨

(٣٧) الفلقشدي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٧٢-٢٧٤

(٣٨) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، ص ١٦٩

(٣٩) ابن شاهين الظاهري : ردة كشف الممالك ، وبيان الطرق والمسالك ، الطبعة ، دار العرب ، القاهرة ،  
١٩٨٨ ، ص ١٠٤ ،

(٤٠) الفلقشدي : صبح الأعشى : ج ١١ ، ص ١١٨

(٤١) الفلقشدي ، صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ١٤١

(٤٢) شمس الدين محمد بن احمد المدهي الاسروفي (القرن التاسع الهجري) : جواهر العقود ومعين القصص  
والموقعين والشهود ، تحقيق مسعود عبد الحميد محمد السعدني ، دار الكتب العقلية ، بيروت ،  
١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج ٢ ، ص ٢٧٥

(٤٣) الفلقشدي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٩٣ حب وصعبه ضمن الوظائف الدينية الموجودة في بيابه  
دمشق كما كانت توجد ضمن وظائف ارباب السيوف إذ كان يكسب في توفيق متوليها الأمير

(٤٤) الفلقشدي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٦ ص ١٣٢ ١٣٣ ، ج ١٢ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ، ص ٢٩٦ ،

انظر ايضا عادل عبد الحافظ : نياحة حلب فى عصر سلاطين المماليك الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٤٥) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٩٩٦ : ابن حجر ، إنباء الغمر ، ص ٩٢ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٦٦ .

(٤٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ص ١٩٣ . وقد أورد لنا القلقشندى بعض سجل تعيين نقباء الأشراف فى كل من دمشق وحلب وطرابلس .

(٤٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١٦ .

(٤٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٢ .

(٤٩) ابن ناظر الجيش : تثقيب التعريف ، ص ١٩٧ .

(٥٠) المقرئى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ : ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٦٩ .

(٥١) نسمة لمدينة أرمية : بالضم ثم السكون وباء ، مفسوحة وها ، مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان ، كثيرة الخيرات وافرة الغلات ، يزعم المنجوس أن وردت منها البلادى فتحرق البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ : ابقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

(٥٢) نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٣٦ .

(٥٣) المقفى الكبير ، ج ٥ ، ص ٥٩٧-٥٩٨ ، رقم ٢١٤٨ .

(٥٤) بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٠٢ .

(٥٥) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٥ : ابن قاضى شعبة : تاريخ ابن قاضى شعبة ، مج ٢ ، ج ٤١٣ : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١١٣ .

(٥٦) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٧٢ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٥٧) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج ٩ ، ص ١٠٨ : المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٩٥ : ابن الصريفى : نزعة النفوس ، ج ١ .

(٥٨) ص ٢٩٧ ابن الصريفى : إنباء الهصر بآباء العصر ، تحقيق حسن حبشى ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٥٩) المقرئى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧٧-٧٧٨ ، انظر أيضا سعيد عبد الفتاح عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٥٣ : محمود إسماعيل : سوسولوجيا الفكر الإسلامى ، ج ٣ ، طور الانتهاء ، ص ١٣١ .

(٦٠) النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ١٩٨ .

(٦١) المقرئى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١١٣٩ : ابن حجر : إنباء العمر ، ص ١٢٩ : ابن تهرى بردى - السجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٨٦ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٤ ، ص ١٠٩-١١٠ ، ص ١٣٣ : السخاوى : الضوء ، ج ١٠ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ، رقم ١٠٦٨ .

(٦٢) الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٧ .

(٦٣) البقاعى : إظهار العصر لأسرار أهل المصر ، تحقيق محمد سالم بن شديد العوفى ، القسم الثالث ، ص ١٦٢ .

(٦٤) وهى من أسواق القاهرة القديمة من أيام لدولة الفاطمية وتعرف بسوقة الورير يعلى الوزير أبا الفرج يعقوب بن كلس ، ثم عرفت باسم السوق الكبر فى أحراب الدولة الفاطمية ، قلما ولى صفى الدين عبدالمه بن شكر النيمى وزارة العدل أنوبكر س أنوب سكن فى هذا الخط فعمرت من حينئذ هذه السوقة بسوقة صاحب . انظر : المقرئى : الخطوط ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(٦٥) الوافى بالوفيات ، مخطوط رقم ٧٠٤ ، ج ١٣ ، ص ٣٣ .

(٦٦) ابن رافع السلامى : الوفيات ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ : ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٩٣ : ابن قاضى شعبة : تاريخ ابن قاضى شعبة ، تحقيق عدنا درويش ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٦٧) حارة النديم من حارات القاهرة القريبة من الجامع الأزهر ، وهى ، وهى منسوبة إلى النديم الذين نزلوا القاهرة فى العصر الفاطمى . ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعربة القاهرة ، تحقيق أبين فؤاد سيد ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، المقرئى : الخطوط ، ج ٣ ، ص ١٢ .

(٦٨) نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء الثالث والثلاثون ، تحقيق مصطفى حجازى ، الطبعة الثانية ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١٨ .

(٦٩) المسبحى ، أنبار مصر فى سنتين (١٤١٥-١٤١٥ هـ) تحقيق ولیم ج ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥ : المقرئى : امتاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

(٧٠) الضوء اللمع ، ج ٢ ، ص ٥-٦ ، رقم ١٤ : ماير : الملابس الملكية ، ترجمة صالح الشبثي ، مراجعة وتقديم دكتور عبد الرحمن فهمي محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٩٧ .

(٧١) النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ١٦٧ .

(٧٢) المارودي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٨٥ .

(٧٣) ابن الطوير ، نزعة المقلتين في أحبار الدولتين ، أعاد بساطه وحققه وقدم له أيمن فؤاد سيد ، جمعية المستشرقين الألمانية ، فيسبادن ، ١١٣-١١٤ : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق حسن محمد الشماخ ، البصرة ، د.ت. ، المجلد الرابع ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(٧٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٢٥١ .

(٧٥) التعريف بالمصطلح الشريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٨ / ١٤٠٨ م ، ص ١٦٩-١٧٠ . وقد نقل القلقشندي هذه الرخصة عن ابن فضل الله في كتابه صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٥-١٦٦ .

(٧٦) ضياء الدين بن الأثير : رسائل ابن الأثير ، بشر أتبس المقتضى ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ١٣٥ .

(٧٧) الخالدي ، المقصد الرقيق المشأ الهادي إلى صناعة الانشاء ، مخطوط مصرور بجامعة القاهرة ، تحت رقم ٢٤٠٤٥ ، ورقة ١٣٣ : عبد المعص ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٧٨) السخاوي : استجلاء وارثاء الفرف ، ص ٧٢-٧٣ الشيلنجي : نور الأبصار ، ص ١١٧ الجرجاني : مدارج الأشراف ، ص ٥٩ : رضوان الجنائني : طبقة الأشراف ، ص ٢٦٨ .

(٧٩) الأذفوي : الطالع السعيد ، ص ١٧٩-١٨١ ، رقم ١١٥ : : السيوكي : حسن المعاصرة ، ج ١ ، ص ٤٥٣ ، محمود رؤف سليم : عصر سلاطين المماليك ، ص ٤ ، ص ٢٩ .

(٨٠) المقرئزي : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٨ : ابن حجر : إنبأ الفهر ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ : ابن تغري يردى : المهمل الصافي ، ج ٥ ، ص ١٣٧-١٣٧ ، رقم ٩١ : النجوم الزاهرة ج ١ ، ص ١٦٤ : الدليل الشامي ، ج ١ ، ص ٢٧ ، رقم ٩٢٨ : ابن الصرمي : نزعة النفوس والأبدان ، ج ٢ ص ٢٣٧ : السخاوي : الصور اللماع ، ج ٣ ، ص ١٢٣-١٢٤ : ابن أبياس : بديع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٧٧٤-٧٧٥ .

(٨١) المقرئزي : القلق الكبير ، ج ٣ ، ص ٤٤٩-٤٥٠ ، رقم ١٢١٣ .

(٨٢) درر العقود ، ج ٢ ، ص ٦-٧ ، رقم ٧٥ .

(٨٣) ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣٦٧ : وقد نقل السخاوي عنه ذلك في الصوة اللامع ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٨٤) ذيل الدرر الكامنة ، ص ١٨٣-١٨٤ : للمجمع الزنبي المفهرس ، ج ١ ، ص ٥٦٨ .

(٨٥) السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٢١-١٢٢ ، رقم ٤٧٢ : اليقايى : عنوان الزمان بتراجم الشيوخ

والأقران ، تحقيق حسن حبشى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ج ٢ ، ص ١٦٢-١٦٧ ، رقم

١٩٦ : السيوطى : نظم العقبان فى أعيان الأعيان ، تحقيق فليب حتى ، نيويورك ، ١٩٢٧ ، ص ١٠٤-

١٠٥ : ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٣٠٥ .

(٨٦) ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، تحقيق زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ج ٢ ، ص ١٢٣٠-١٢٣١

على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ، ج ٣ ، ص ٤٠٥ : الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٣٠٥

(٨٧) ابن عتبة الحسى : عمدة الطالب ، ص ١٥٧ : النفسى : رسالة أحكام الأشراف ، ص ٧ ، ٩ ، ١٠ .

(٨٨) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧٤-٧٧٥ : ابن عتبة : عمدة الطالب ، ص ١٠١-١٠٢ : ابن عباس :

بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٩ ، ص ٥٥٥

(٨٩) استجلاء القرب ، ص ٧٣-٧٤ .

وللأسف لم تعدنا المصادر المعاصرة بصورة لما كان يكتب فى هذه المحاضر ، ولكن وصلتنا لمادج تعود إلى فترة

متأخرة فقد أمدنا السمهوى بصورة لهذه المحاضر : " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام

على رسول الله أما بعد فإنى اشرف بأن أشهد بصحة هذا النسب الكريم المتفق على صحته من مشايخنا

وعلمائنا وأفاضنا رضى الله عنهم ونفعنا بهم وأسأل الله بوجه نبيه الكريم ورجال هذا النسب العظيم

أن يأخذنا إليه بما سواه ويمتحننا من أهله بقرينه ورضاه ... كاتيه تراب أقدامهم حادم خدامهم .. أحمد

الشرقاوى فى ١٩ الحجة المحرم سنة ١٣١٤ وختم عليه بمقام الشريف " انظر - السمهوى : مدارج

الأشراف ، ص ١٨٥ : رضوان الجنان : طبقة الأشراف ، ص ٢٦٩ .

(٩٠) درر العقود الفريدة ، ج ٢ ، ص ٤٦١ .

(٩١) من هذه الرسائل -

- أسماع الصم فى اثبات الشرف من قبل الأم " لابن أبى ريد المراكشى ت ٧٣٩ هـ / ١٢٣٩ م

" أسماع الصم فى اثبات الشرف من الأم " لابن مرزوق التلمسانى ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م

- " رسالة الغور والغنم في مسألة الشرف من الأم " خير الدين البرمجلي ت ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م.
- " تبيان الحكم بالنصوص الدالة على الشرف من الأم " للصدقي ت ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥ ز /
- انظر : البغدادي : إيضاح المكتون ، ج ١ ، ص ٨١ ن ٢٢٣ : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٥٢٩ ، ٣١٩ ، ١٨٨ . ومن الكتب :
- " كتاب رفع اللبس والشبهات عن ثبوت الشرف من قبل الأم " لأبي العباس أحمد بن سودة المزي .
- " شرف الأسباط " للقاسمي .
- (٩٢) رفع اللبس ، ص ٢-٤ .
- (٩٣) سليمان محمد حسين : الأشراف ودورهم في مصر في العصر العثماني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، ١٩٩٣ ، ص ٤٧ .
- (٩٤) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .
- (٩٥) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ ، عبد الباقى بن خليل . نيل الأمل في ذيل الدول ، ج ٢ ، ص ٤٨ .
- (٩٦) ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٥ : ابن قاضي شهبه : تاريخ ابن قاضي شهبه ، مج ٢ ، ج ٢ ، ص ٤١٣ : ابن عباس بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١١٣ .
- (٩٧) ولي الدين العراقي : ذيل الغمر ، ق ٢ ، ص ٣٤٥ : المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٥-٢٠٧ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٥ : ابن قاضي شهبه : تاريخ ابن قاضي شهبه ، مج ٢ ، ج ٢ ، ص ٤١٤ .
- (٩٨) الأزار : عبارة عن ملاءة متسعة فضفاضة تلف جميع جسد المرأة وكان الأزار بالنسبة للمسلعات عامة أبيض اللون ، وللمسيحيات أزرق اللون ، ولليهوديات أصفر اللون ، وللسامريات أحمر اللون . ماير : الملابس الملوكية ، ص ١٢٥-١٢٦ .
- (٩٩) النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٦ انظر أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصري ، ص ٢١٤ : عبد النعم ماجة : نظم الماليك ، ج ٢ ، ص ٨٤ .
- (١٠٠) النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٧ .
- (١٠١) المنهل الصافي ، ج ٦ ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .



(١٠٢) وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

(١٠٣) بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠٠ .

(١٠٤) المقرئى - السلوك ، ج ٣ ، ص ١٩٩ : ابن حجر : انباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٠ : ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٧ : المنهل الصافى ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ : السيوطى : تاريخ الخلفاء ، دار التراث بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٤٦٢ : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ : ابن إياس بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠٨ : ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ .

(١٠٥) ابن حجر : انباء الغمر ، ج ١ ، ص ١١ : ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ١١ ، ص ٤٧ : المنهل الصافى ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ : السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ : عبد الباسط : نيل الأمل ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠٨ : ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٢٢٦ .

(١٠٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٧ : المنهل الصافى ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ : ابن إياس . بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠٨ .

(١٠٧) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٧ : المنهل الصافى ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ : ابن إياس . بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠٨ .

(١٠٨) المقرئى - السلوك ، ج ٣ ، ص ١٩٩ : ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٤٧ : المنهل الصافى ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ .

(١٠٩) بدر الدين حسين بن أبى بكر بن حسين الحسينى ويلقب بالشاطر ، ويقال له ابن الفراء ، تولى نقابة الأشراف فى يوم الخميس سابع جمادى الآخرة عام ٨٤٤ هـ / نوفمبر ١٤٤٠ / وتوفى فى شوال عام ٨٨٥ هـ / يناير ١٤٨١ م . المقرئى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١٣ : ابن الصرى : نزهة القوس ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ : عبد الباسط بن خليل : نيل الأمل فى ذيل الدول ، ج ٧ ، ص ٢٧٥ .

(١١٠) الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ، ص ٥٤٧ .

(١١١) وجيز الكلام ، ج ٢ ، ص ٩١٤ .

(١١٢) الأحكام السلطانية ، ص ٨٦ .

(١١٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٤ .

(١١٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٤٠٠-٤٠١ .

(١١٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٥٠ .

(١١٦) محمد حمدي المنأوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ؛ عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٣٨ .

(١١٧) أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٣١٣-٣١٤ : المقرئ : الخطوط ، ج ٤ ، ص ٨١-٨٣ : انعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٤٦-٢٥٢ : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣١٤ : جمال الدين الشبال : مجموعة الوثائق الفاطمية ، ص ٣٣٧ : محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في عصر سلاطين المماليك ، ص ٦٠ ، عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، الطبعة الرابعة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤ ص ٣٥٨-٣٥٩ . ومن حسن الحظ أن وصلتنا حجة وقف طلائع بن رزيق سليمة ، حيث تحتفظ بها دار الوثائق القومية بالقاهرة (مجموعة محكمة الأحوال الشخصية) وهي وثيقة رقم ١ محفظه رقم ١٠ وقد قام بشرها كل من كلور كاهن ويوسف رجب ومصطفى أنور طاهر . محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك . المعهد العلمي الفرنسي للآثار بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٣ .

Claud Cahen , Yusuf Raghib et Mustafa Anouar Taher, L'Achat et le Waqf d'un Grand Domaine Egyptien Par Vizir Fatumide Tolai B. Ruzsik , Annales Islamologiques , Tome XVI, le Caire , 1978 , pp. 12-126 .

(١١٨) الوزير الفاطمي أبو الغارات طلائع بن رزيق الملقب بالملك الصالح كان واليا بني حبيب من أعمال الصعيد ، فلما قتل الخليفة الفاطمي الظاهر سير أهل القصر إلى الصالح واستنجدوا به على عباس وولده نصر المتفقين على قتله فتوجه طلائع إلى القاهرة وقاتل عباس وولده وتولى الوزارة للفائر . وقد بنى جامع خارج اب رويلة لكي يدفن فيه رأس الحسين : انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ ، رقم ٣١١ .

(١١٩) بركة الحبش . وتعرف ببركة المعافاة وبركة حمير . وتعرف أيضا بأسطبل قره ، وتقع في طاهر مدينة السطاط من قلبها فيما بين الجبل والنيل ، وكان يقع إلى شرقها بساتين تعرف بقتادة بن قيس بن حش الصدفي لذا عرفت هذه البركة ببركة الحبش . انظر :- ابن دقماق ، الانتصار لرواسطة عقد الأمصار ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، د.ت ، ج ٤ ، ص ٤٥ : المقرئ : الخطوط ، ج ٣ ، ص ٢٤٧-٢٤٩ : القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ١٣٤ : ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص ٢٧ : السيوطي : حسن المعاصرة ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .

(١٢٠) بلفس : قرية قديمة كانت تقع ضمن إقليم الشرقية ، ثم إقليم ضواحي القاهرة في العصر المملوكي ، وهي إحدى قرى محافظة القليوبية الآن . انظر : ابن ماضي - قوانين نشر عزيز سوربال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٢١٠ ؛ ابن دساق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٤٥ ؛ ابن الجيعان : التحفة السنية بأكسما ، البلاد المصرية ، نشر مورتيز ، القاهرة ، ١٨٩٢ ، ص ٩ ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(١٢١) وثيقة طلائع بن رزيك ، ص ١١٣-١١٥ ، أسطر ٢٢-٤٥ ، المقريري : الخطط ، ج ٤ ، ص ٨٢

(١٢٢) حفصا : هي من القرى القديمة اسمها الأصلي دجسة وردت في قوانين الدواوين لابن ماضي من أعمال الشرقية ، وذكرها ابن دساق في الانتصار ، ق ٥ ، ص ٦١١ باسم "دجسة الشرفا" ضمن الأعمال الشرقية ، وذكرها ابن الجيعان في التحفة السنية ، ص ٣٠ باسم "دجسة الشرفا" ، وهي دجسة الزهبان لم تسمع في الروك " ، ويذكر محمد رمزي والصواب دجسة الشرفا كما ورد في دليل سنة ١٢٢٤ هـ وفي تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ، وهي بلدة بمرکز ميت عمر محافظة الدقهلية ، القاموس الجغرافي ، ج ٢ ، ص ١ ، ص ٢٥٥ .

(١٢٣) سجلات محاكم الأقاليم ، محكمة الدقهلية ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، سجل ٩ ، ملف ٦١٦ ، ص ٢٧٠ : مصطفى كامل شملون - عروة مصر من قبائله ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١١٨-١١٩ ؛ سليمان محمد : السادة الأشراف ، ص ١١ .

(١٢٤) السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

(١٢٥) المقریزی : السلوك ، ج ١ ، ص ٨٦٤-٨٦٥ .

(١٢٦) السلوك ، ج ٣ ، ص ٩٩ .

(١٢٧) السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٥٦ .

الشريف مرتضى صدر الدهن مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزة الحسنى العراقي ولى نظر وقف الأشراف عام ٧٩٨ هـ المقریزی . السلوك ، ج ٣ ، ص ٨٦٧ ؛ ابن الصبري . نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٣٧ .

(١٢٨) المقریزی : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٨٨

(١٢٩) المقریزی : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ ؛ ابن حجر - إنباء - العمر ن ج ١ ، ص ١٧٢ ؛ ابن إياس : بذائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ .

(١٣٠) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٥٠٣ : ابن حجر : انباء الغمر ، ج ١ ، ص ٢٧٨ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٨ : إياس : بستان الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٨ .

(١٣١) السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٤٠ : ابن حجر : انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٥٨ : السعافى : الضوء اللامع ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ ، رقم ٦٤٩ فى حين يذكر كل من العيسى وابن الصيرفى بأن الشريف هو الذى استقر فى نظر الأوقاف المتعلقة بالاشراف عوضا عن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج .. عقد الجمان ، حوادث عام ٨٢١ هـ ، ص ٣٣٩ ، نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ .

(١٣٢) السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٤٠ .

(١٣٣) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٦٧ .

(١٣٤) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٥٨٦ ، ٥٦٦ : العيسى : عقد الجمان ، ص ١٢٧ : ابن تهرى بردى .  
النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ١٠ : المهمل الصافى ، ج ١ ، ص ١٧٨ ، رقم ٢٢٤٦ : ابن الصيرفى . نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ : السعافى : الضوء اللامع ، ج ٨ ، ص ١٣٩ .

(١٣٥) السلوك ، ج ٤ ، ص ٦٤٤ .

(١٣٦) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٦٤٤ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ٢١ .

(١٣٧) النشو : شرف الدين عبد الوهاب بن فصل الله ، كان يتولى ديوان أنوك بن الناصر محمد بن قلاوون . ثم تولى الخاص السلطانى ، ثم تولى ديوان الجيش ، وقد اشتهر بالاحتشال والاستبلاء على أهوال الناس ، ومصادراتهم حتى كثر أعتاقه ، ثم تخلص الناصر محمد منه وقتله عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م . انظر - ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٢٩-٤٣٠ ، رقم ٢٥٤٩ : ابن تهرى بردى . المهمل الصافى ، ج ٧ ، ص ٣٩٠-٣٩٣ ، رقم ١٥٠٤ : الدليل الشافى ورقة ٤٣٤ : النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣٢٣ : ابن العباد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٢٦ .

(١٣٨) المقرئى : السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٥٢ : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ .

(١٣٩) المقرئى : دور العقود المفيدة رقم ٦١٦ ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(١٤٠) البقاعى : إظهار العصر ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(١٤١) جانبك الظاهرى جقمق الجركسى الدوادار وشاد حدة عام ٨٤٩ هـ وأطلق عليه نائب حدة ، ثم تولى الاستادارية عام ٨٥٧ هـ ، وتوفى عام ٨٦٧ هـ . ابن تهرى بردى . المهمل الصافى ، ج ٤ ، ص ٢٤٣-٢٤٨ .

رقم ٨٢٩ : الدليل الشافى . ج ١ ، ص ٢٣٩ ، رقم ٨٢٧ : السخاوى : الضوء اللامع . ج ٥٧-٥٩ ، رقم ٢٣٥ .

(١٤٢) قريبا الرومى الظاهرى حتمق ، وظل يترقى فى الوظائف حتى تولي السلطنة باسم الظاهر أبو سعيد غريفا عام ٨٧٢هـ . ابن عمى بردى المنهل الصافى . ج ٤ ، ص ١٠٠-١٠٢ ، رقم ٧٨٤ : الدليل الشافى . ج ١ ، ص ٢٢٣ ، رقم ٧٨٢ : النجوم الزاهرة . ج ١٦ ، ص ٣٧٣-٣٩٣ : السخاوى : الضوء اللامع . ج ٣ ، ورقة ٤٠-٤١ رقم مخطوط رقم ١٦٧ .

(١٤٣) البقاعى : إظهار العصر . ج ١ ، ص ٣٠٦-٣٠٧ .

(١٤٤) البقاعى : إظهار العصر . ج ١ ، ص ٣٠٧ .

(١٤٥) البقاعى : إظهار العصر . ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(١٤٦) البقاعى : إظهار العصر . ج ١ ، ص ٣٤٠ .

(١٤٧) ابن الجيعدن : التحفة لسية . ص ٥١ . محمد رمزى : القاموس الجغرافى . ق ٢ ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(١٤٨) بنو حرام : بطن من حدام من القططنة بالشرقية سر حرام القلقشدى . صبح الأعشى . ج ١ ، ص ٣٣٣ : نهاية الآرب فى أنساب العرب .

(١٤٩) بردبك الأشرقى ابنال ملكه فى عام ٨٢٩هـ فرباه واعتقه وعمله خازناره وزوجه ابنته الكبرى ثم دوا داره . فلما تسلطن عمله دوا دارا ثالثا ، ثم نقله إلى الدوا داره فى سنة ٨٥٩هـ ، وتوفى عام ٨٦٨هـ . السخاوى : الضوء اللامع . ج ٣ ، ص ٤-٥ ، رقم ٢٠ .

(١٥٠) البقاعى : إظهار العصر وج ٣ ، ص ١٤٢-١٤٣ .

(١٥١) ابن الجيعدن - التحفة . ص ١٢٠ : محمد رمزى : القاموس الجغرافى . ق ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(١٥٢) على بن محمود بن محمد بن أبى بكر بن الجتيد بن شبل بن الشيخ خضر بن عبدملك بن عثمان . ويعرف بالشريف الكردي ، ولد عام ٨٧١هـ ، وتولى مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس وكان بينه وبين الأشرف قيتباى صلبة قديمة . مات بالقاهرة عام ٨٨٢هـ دفن بحوش خانقاة سعيد السعداء . البقاعى . عنوان الرمان بترجم الشيوخ والأقران . تحقيق حسى حبشى . دار الكتب الوثائق القومية ، القاهرة . ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ ، ج ٤ ، ص ١٦٦-١٧٠ ، رقم ٣٩٦ : السخاوى : الضوء اللامع . ج ٦ ، ص ٣٦-٣٨ .

(١٥٣) ابن الصيرفي : إنباء الهصر بأبناء العصر ، تحقيق حسن حشيش ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤١-١٤٢ .

(١٥٤) ابن الصيرفي : إنباء الهصر ، ص ١٤٢ .

(١٥٥) ابن الصيرفي : إنباء الهصر ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(١٥٦) ابن الصيرفي : إنباء الهصر ، السخاوي : الدليل التام على دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .

(١٥٧) نيل الأمل ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

(١٥٨) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ .

(١٥٩) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ : البيهقي إسماعيل الشربيني : مصادرة الأملاك ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

(١٦٠) الأحكام السلطانية ، ص ٨٦ .

(١٦١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٥١ صورة الأهراب ، الآية ٣٣ .

(١٦٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٤٠٠ .

(١٦٣) صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٥٠ .

(١٦٤) السحري : النخبة للطبعة في تاريخ المدينة الشريفة ، تحقيق طرايزوني الحسيني ، مكتبة المكرمة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٠ م ، ج ٣ ، ص ٧٠٧ ، رقم ٤٠٦٦ .

(١٦٥) البغراسي : لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحديث بنعمة الله على الإطلاق ، لطبعة الدارسة العثمانية - القاهرة ، ١١١١ هـ ، ص ١٠١ .

(١٦٦) ابن الطبري : مرآة المفاتيح ، ص ١١٥ : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١-٤٨٢ ، ج ٤ ، ص ٣٧-٣٨ .

(١٦٧) المقرئ : الخطوط ، ج ٥ ، ص ١٩٣ .

(١٦٨) المقرئ : المغنى الكبير ، ج ٥ ، ص ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، رقم ٢١٤٨ : ابن قاضي شهبة : طبقات الفقهاء ، الشافعية ، ج ١ ، ص ٤٣٩ ، رقم ٤٢٠ .

(١٦٩) ابن قاضي شهبة - طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٤٤٠ - الأنسوى - طبقات الشافعية ، ج ٢ ، ص ٩٩ - المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٥ × البقداوى - هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٥١٥ .

(١٧٠) المقرئى - المفتى الكبير ، ج ١ ، ص ٥٨٧ : البقداوى : هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(١٧١) الحسينى : ذيل العبر ، ص ١٧٢ .

(١٧٢) ابن قاضي شهبة : طبقات العقهاء - الشافعية ، ج ٢ ، ص ١١٢ .

(١٧٣) تاريخ ابن قاضي شهبة ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ١٠٨ .

(١٧٤) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٢ .

(١٧٥) السخاوى : وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ٨٩ .

(١٧٦) ابن تغرى بردى : المعجم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ١٥٣ .

(١٧٧) زيربستين - تاريخ سلاطين المماليك ، ص ١٩٧ ، ٢١٧ : الصمدى - أعيان العصر ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ ، رقم ١١٤٩ : المقرئى : السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، ٤٨٩ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ج ٣ ، ص ٣٢ : ابن حجر الدرر الكافى ، ج ٣ ، ص ٤١ : ابن حبيب - تذكرة السيرة ، ج ٣ ، ص ٢ : سهام أبو زيد المحمدي فى مصر الإسلامية ، ص ٢٧٦ :

Abd ar - Raziq (Ahmad) , "La Hisba et le muhtasib en Egypte au temps des Mamluks  
"an isl. XIII, le Caire , 1977 , p. 140 .

(١٧٨) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٣٣٢ ، ٣٧٧ ، ٤٠٦ : ابن حجر - إنباء العمر ، ج ١ ، ص ٢٢٤ :

Abd ar - Raziq (Ahmad) , "La Hisba et le muhtasib en Egypte au temps des Mamluks  
"an isl. XIII, le Caire , 1978 p 131 , No .10 .

(١٧٩) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٨٧ ، ٣٩٥ : ابن حجر - إنباء العمر ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(١٨٠) من لوظائف الدسة . وهى وظيفة جليلة قديمة من رهن صلاح الدين يوسف بن أيوب . وموضوعها أن صاحبها يحصر بدار العدل مع قصاة القلقشندى . صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٦

(١٨١) النويرى . نهاية الأوب ، ج ٢٩ ، ص ٢٣٦ : ابن أبيك الصفى ، الوافى ، ج ٣ ، ص ١٧ ، رقم ٨٧٧ :

الأسنوى . طبقات الشافعية ، ج ٢ ، ص ٩٩ ، رقم ٨٤٥ : المقرئى ، المقفى ، ج ٥ ، ص ٥٩٧ ، ابن القاضى شهيه ، طبقات الفقهاء - الشافعية ، ج ١ ، ص ٤٣٩ .

(١٨٢) المقرئى . السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧١ : ابن الصيرفى : نزعة النفوس والأبدان ، ج ١ ، ص ٣٤٨

(١٨٣) مشيخة الشيوخ : وهى من الوظائف الدينية التى لا مجلس لها بالحضرة السلطانية الفلقتسدى صبح الأعشى . ج ٤ ، ص ٣٨ . وكانت تطلق منذ العصر الأيوئى على من يتولى الحانقاء الصلاحية المعروفة بسعيد السعداء . حتى عام ٧٢٥هـ عندما بنى السلطان المملوكى الناصر محمد قلاوون الحانقاء الناصرية بسرياقوس ، فأصبح يطلق على من يتولى مشيختها شيخ الشيوخ . عبد الرحمن أبو راس شيخ الشيوخ بالديار المصرية فى الدولتين الأيوبية والمملوكية ، دراسة تاريخية حضارية ، عالم الفكر ، ١٩٨٧ ، ص ٥٨ وما بعدها .

(١٨٤) المقرئى . السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٠٤ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٣ ، ابن الصيرفى : نزعة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٩٤ :

(١٨٥) ابن إيماس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٤٤ .

(١٨٦) ابن الفرات . تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ١٩٩ : المقرئى . السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٠٤ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٣ : ابن الصيرفى : نزعة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٩٤ :

(١٨٧) النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٣٨ .

(١٨٨) بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

عن هذا الوجه . انظر : - المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٨٢١-٨٢٦ : ابن حجر : إنباء العمر ، ج ٣ ، ص ٨٧٣ : ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٣٩-٣٤٤ ، ج ١٥ ، ص ١٥٦ : العيسى عقد الجمان ، حوادث عام ٨٣٣هـ ، ص ٣٨١ : ابن الصيرفى : نزعة النفوس ، ج ٣ ، ص ١٨٦-١٨٧ ، ٢٠١-٢٠٢ : إبراهيم على طرخان مصر - مصر فى عصر سلاطين المماليك الجراكسة ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٥٤ : حامد ريان - الأزمات الاقتصادية فى مصر عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٩٨ :

Darrage (Ahmad) , L'Egypte Sous Barsbay , Damas , 1961 , p 5 "The Second Plague pandemic and its recurrences in Middle East " , JESHO, vol 22 , 1979 , pp 162-189

(١٨٩) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٨٢٨ : ابن حجر : إنباء العمر ، ج ٣ ، ص ٤٣٨



(١٩٠) نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ١٩١ . لطفى أحمد سيد : وسائل الترفيه ، ص ٤٥-٤٦ .

(١٩١) المقرئى . السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٨ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٣١٤ ، رقم ٨٤١ ؛ ابن قاضى شعبة : تاريخ ابن قاضى ، مج ٢ ، ص ١٠٨ . السعارى : وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(١٩٢) تاريخ ابن قاضى شعبة ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

(١٩٣) رقية بنت على أبى طالب قدمت مصر بعد كربلاء ومسجدها يعرف بجامعة شجر الدر على يسار الطالب للسيدة نفيسة وقد بنت هذا المشهد السيدة علم الأميرة أم ابنه الأمر بأحكام الله الفاطمى عام ٥٣٣هـ . ١١٣٨م وذكر هذا المشهد على مبارك ضمن التكميات أنظر :- ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية ، ص ٩٣-٩٤ ، المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ ، الشلبجى ، نور الأبصار ، ص ٢٩-٢٩١ ، على مبارك ، المخطوط التوفيقية ، ج ٦ ، ص ١٦ : سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج ٢ ، ص ١٢٦-١٣٠ .

(١٩٤) نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب توفيت بمصر عام ٢٠٩هـ / أنظر :- ابن زولاق ، فضائل مصر ٤٨-٤٣ ، السخاوى ، تحفة الأحياء ، ص ٤٤ ، المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ٣١٣ ؛ السيوطى ، حسن الحاضرة ، ج ١ ، ص ٥١١ ؛ ابن ظهيرة ، الفصل الباهر ، ص ١٩٣ .

(١٩٥) المقرئى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢٢٩ ؛ ابن تيمى بردى ، المجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ ؛ ابن الصبغى نزهة النفوس والأبدان ، ج ٤ ، ص ٢١٦ .

(١٩٦) جامع النفاكهيين ويعرف بجامعة الظاهر والجامع الأفخر عمره الخليفة الفاطمى الظاهر بنصر الله أبو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله عام ٥٤٣هـ / ١١٤٥م ، ويقع بسوق السراجين أنظر :- ابن عبد الظاهر الروضة البهية الزاهرة ، ص ٧٤ ، المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ٨٠-٨١ ؛ السيوطى ، حسن الحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ؛ على مبارك ، المخطوط التوفيقية ، ج ٥ ، ص ١٥٦-١٥٧ أنظر أيضا حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(١٩٧) جامع الفخر أنشأه فخر الدين محمد بن فضل الله العمري ، ناظر الجيش المتوفى عام ٧٢هـ / ١٣٢م ، بناه بولاق ، وكان يعرف مكانه بحط الكبالة وهو مكان يؤخذ فيه مكس الغلال المباعة أنظر : المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ١٠٩ ؛ على مبارك ، المخطوط التوفيقية ، ج ٥ ، ص ١٥٧-١٠٩ .

(١٩٨) أنشأ هذا الجامع محمد بن صارم ويقع بإحاطة بقلان فيما بين بولاق وباب البحر . أنظر :- المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ١٣٢ .

(١٩٩) النورى ، نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٣٦ ، ج ٣ ، ص ١٤٥-١٤١ ؛ الذهبى ، تاريخ الاسلام ، ج ١٠ ، ص ٦٥٠ ؛ ابن أبيك الصمدى ، الوافى ، ج ٣ ، ص ١٧ ، رقم ٨٧٧ ؛ الإسوى ، طبقات الشافعية ،

ج ٢، ص ١٥٢، رقم ٤٢٠: المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٢٣٠، ٢٢٣، ٣٠٦، ٣٨٥: الخطط،  
ج ٤، ص ١٩٣: المقرئى الكبير، ج ٥، ص ٥٩٧-٥٩٨، رقم ٢١٤٨: ابن قاضى شهاب: طبقات الفقهاء-  
الشافعية، ج ١، ص ٤٩٠-٤٤٠، رقم ٤٢٠: العينية: عقد الجمان، ج ١، ص ٧٦: ابن تغرى بردى:  
الدليل الشافى، ج ٢، ص ٦٦٦.

(٢٠٠) سبط ابن الجوزى: ذيل مرآة الزمان، ج ٢، ص ٣٥٥: العينية: عقد الجمان، ج ١، ص ٤٠-٤١.

(٢٠١) ابن أبيك الصفى: الوافى، ج ٨، ص ٤٤، رقم ٣٤٤٩: أعيان العصر وأعيان النصر، ج ١، ص ٩٢:  
المقرئى: السلوك، ج ١، ص ٨٣١ ولكنه يذكر وفاته عام ٦٩٦ هـ المقرئى الكبير، ج ١، ص ٥٨٦،  
رقم ٥٦٧: العينية: عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٣٧: ابن تغرى بردى: المنهل الصافى، ج ٢، ص ١١٩-  
١٢٠، رقم ٢٧٤: الدليل الشافى، ج ١، ص ٧٨، رقم ٢٧٢: ابن الصاعد الخنبلى: شذرات الذهب،  
ج ٥، ص ٤٣٠: محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك، مج ٤، ص ٤٧.

(٢٠٢) المقرئى: السلوك، ج ٢، ص ١٤: درر العقود الفريدة، ج ٢، ص ٤٦١: ابن تغرى بردى: النجوم  
الزاهرة، ج ٨، ص ٢١٤. ولكنه يذكر وفاته فى ١٩ شوال عام ٧٧٠ هـ.

(٢٠٣) يذكر ابن حجر أنه ولد عام ٦٩٦ هـ وهذا خطأ وهو موقوف إذا أن أبوه توفى فى العام السابق، وكيف  
يشولى النقابة ولديه ثمان سنوات وهذا غير معقول الدرر الكملة ج ٢، ص ٩.

(٢٠٤) ابن رافع السلامى: الوفيات، ج ٢، ص ٤٢٦: التويزى: نهاية الأرب، ج ٣٣، ص ١٨: ابن قاضى  
شهاب: تاريخ ابن قاضى شهاب، تحقيق عرتان درويش، مج ١، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٢٠٥) المقرئى: درر العقود المفيدة، ج ٢، ص ٤٦١-٤٦٢، رقم ٧٨٠، ابن أبيك الصفى: الوافى، ج ٣،  
ص ٣٣٤-٣٣٥، رقم ١١٤٩: الحسينى: ذيل العبر، ص ١٧٢: ابن رافع السلامى: الوفيات،  
ج ١، ص ٣٣٥، رقم ٦٩٢: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ١٠، ص ١٧: زكريا: تاريخ  
سلاطين المماليك، ص ١٩٧، ٢١٧: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٥: المقرئى: السلوك، ج ٢،  
ص ٤٤٤، ٨٨٨، ٨٨٩، ٤٨٩: السخاوى: وحيز الكلام، ج ١، ص ٨٩: ابن حبيب: تذكر النبى،  
ج ٣، ص ٢٠٠: درة الأسلاك، ص ٣٩٨: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٣٢٢: ابن قاضى  
شهاب: طبقات الفقهاء-الشافعية، ج ٢، ص ١١٢-١١٣، رقم ٥٩٩: تاريخ ابن قاضى شهاب، مج  
٢، ص ٣، ١٠٨: سهام أبو زيد: الحصة فى مصر الإسلامية، ص ٢٧٩.

(٢٠٦) ابن رافع السلمي : كتاب الوفيات ، ص ٢٤٢-٢٤٣ ، رقم ٧٥٨ : العراقي : الذيل على العبر ، ص ٦٩-٧٠ : ابن حبيب : تذكر النبيه ، ج ٣ ، ص ٢٤٢-٢٤٤ : ابن فهد الحلي : لفظ الألفاظ ، ص ١١ : المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٩ : ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٥٣-١٥٥ ، رقم ١٦١١ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مج ٢ ج ٢ / ص ١٩٢ : ابن تفرى بردى : السجود الزاهرة ، ج ١١ ، ص ١٠ : المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ١٦٩-١٧٠ ، رقم ٩٥٥ : الذليل الشافعي ، ج ١ ، ص ٢٧٦ ، رقم ٩٥٢ : السخاوي : وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٢٠٧) العراقي : ذيل العبر ، ج ١ ، ص ١٠٨-١٠٩ : ابن قاضي شهبة : مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١٢ . ويذكر كل من المقرئ والسخاوي شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بدلا من الحسين . المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٨ : السخاوي : وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(٢٠٨) تاريخ ابن قاضي شهبة ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤١٣ .

(٢٠٩) العراقي : ذيل العبر ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ : المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٦-٢٠٧ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٥ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مج ٢ ، ج ٢ ، ص ٤١٣ .

ويذكر ابن حجر أنه تولى النقابة في ٩ شوال . إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٥ : لمي حين يذكر ابن إياس أنه تولى النقابة في ١٩ رمضان . بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١١٤ .

(٢١٠) العراقي : ذيل العبر ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ : المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٥ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤١٤ .

(٢١١) العراقي : ذيل العبر ، ج ٢ ، ص ٤٣٩-٤٤٠ : المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٠ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٧٤٥ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٢٣ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٩٨ .

(٢١٢) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٦٩ .

(٢١٣) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٧٢ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٧٢ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٢١٤) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٧٢ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٢١٥) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٠٦ ، ٣٧٧ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٨٠-٢٨٣ .

(٢١٦) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٧٧ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

(٢١٧) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٥٦ .

(٢١٨) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٣٣ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٩٧ .

(٢١٩) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٣٣ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٢٢٠) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج ٩ ، ج ١ ، ص ٨ : المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٣٣ : العيسى

عقد الجمان ، حوادث عام ٧٩١ هـ ، ص ٢٤٦ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٢٧

(٢٢١) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٠٧ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٩٥ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(٢٢٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج ٩ ، ج ١ ، ص ١٠٢ : المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٠٧ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٩٥ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

(٢٢٣) ذكر كل من العيسى وابن الصيرفى أنه توفي في أوائل ذي القعدة عقد الجمان ، حوادث عام ٨٠٠ هـ ، ص ٤٦٢ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٧٩ . أما المقرئى وابن تغرى بردى فذكر أن وفاته في ١٤ ذو القعدة . السلوك ، ج ٣ ، ص ٩١١ : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ١٦٢ . وذكر ابن حجر أن وفاته في ١٢ ذو القعدة إنباء الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، ١٥ : أما ابن إياس فذكر وفاته في شوال . بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٠ .

(٢٢٤) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٩٠٣ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٦٤ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٥ .

(٢٢٥) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٧٢ : درر العقود ، ج ٢ ، ص ٤٦٣ ، رقم ٧٨٣ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٨٤ : ديل الدرر الكامنة ، ص ٢٦٣ ، رقم ٤٩٥ : ابن تغرى بردى : المهمل الصامى ، ج ٨ ، ص ٣٩ ، رقم ١٥٦٠ : الدليل الشافى ، ج ١ ، ص ٤٤٩ ، رقم ١٥٥٤ : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ١٤٩ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ : السخاوى : الضوء ، ج ٥ ، ص ١٧٢ ، رقم ٥٩٤ : عبد الباسط بن خليل : نيل الأمل ، ج ٤ ، ص ١٢ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٥٨ : السخاوى : الضوء ، عام ٨٢١ هـ ، ص ٣٩ .

(٢٢٦) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٤٠ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٥٨ : السخاوى : الضوء ، ج ٣ ، ص ١٠٥ ، رقم ٤٢٠ .

(٢٢٧) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١٣ : الصيرفى : نزعة النفوس ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ .

(٢٢٨) ابن تحرى بردى : حوادث الدهور ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، ١٧ : المنهل الصامى ، ج ٨ ، ص ٤ : السخاوى : الضوء ، ج ، ص ١٠٥ .

(٢٢٩) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢١٣ : ابن الصيرفى : نزعة النفوس والأبدان ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ : السخاوى : الضوء ، ج ٣ ، ص ١٨ ، رقم ٥٤٧ ، وجيز الكلام ، ج ٣ ، ص ٩١٤ : الذيل التام ، ج ٢ ، ص ٣٣٧-٣٣٨ : عبد الباسط بن خليل : نيل الأمل ، ج ٧ ، ص ٢٧٥ .

(٢٣٠) السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ، رقم ٥٤٧ : وجيز الكلام ، ج ٣ ، ص ٩١٤ : الذيل التام ، ج ٢ ، ص ٣٣٨ : عبد الباسط بن خليل : نيل الأمل ، ج ٨ ، ص ١٦٩ .

(٢٣١) وثيقة وقف رقم ٢٣١ ملف ٢٦ ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، انظر محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة ، ص .

(٢٣٢) وثيقة رقم ٣٧٠ ج أرشيف وزارة الأوقاف بتاريخ ٥ ذو الحجة ٩٠٩ هـ وثيقة رقم ٥٥٣ ج أرشيف وزارة الأوقاف بتاريخ ١٨ رجب ٩١٤ هـ انظر محمد محمد أمين : فهرست القاهرة ، ص ٢٥١-٢٥٢ .

## العثمانيون و المغول في مذكرات أسير الحرب

يوهان شيلتبرجر ١٣٩٦-١٤٢٧م

تناولت العديد من المصادر التاريخية المعاصرة أحداث تاريخ كل من العثمانيين و المغول على أن ما رواه الأسير الألماني يوهان شيلتبرجر Johan Schiltberger في مذكراته<sup>(٢)</sup>، يعد في غاية الأهمية بسبب وقوعه في الأسر لفترة جاوزت الثلاثين عاما ، جاب فيها العالمين العثماني و المغولي معا.

حدث ذلك بعد سقوطه في أسر القوات العثمانية على إثر موقعه نيقوبوليس Nicopolis ١٣٩٦م<sup>(٣)</sup>، التي دارت بين السلطان العثماني بايزيد الأول Beyazit (الصاعقة Yildrem) و بين القوى الأوروبية المسيحية بقيادة ملك المجر سيجموند Sigmond . فمكث بعدها في خدمة السلطان العثماني حتى هزنته أمام العاهل المغولي تيمورلنك Timur Lenk في موقعه أنقرة ١٤٠٢م<sup>(٤)</sup> . ليدخل شيلتبرجر بعدها في طور جديد من أطوار الأسر والعبودية، عبر التحاقه بخدمة تيمور، حتى وفاة الأخير في فبراير ١٤٠٥م.

بعد ذلك انتقل للعمل في خدمة شاه رخ، ثم إلى خدمة ابنه أبي بكر ، الذي قد بإرساله للعمل والخدمة لدى حكام مغول القبيلة الذهبية .

حدث هذا قبل أن يتمكن شيلتيرجر من الهرب والتخلص من رقة الأسر والعبودية ، بعد نجاحه في العودة إلى وطنه ألمانيا عام ١٤٢٧م.

و هكذا عاش أسيرنا البافاري أكثر من ثلاثين عاماً ، هي مدة الأسر ، في كنف السلطين العثمانية والمغولية . الأمر الذي جعل روايته عن الأحداث السياسية والعسكرية التي عاصرها خلال تلك الأعوام ، تحمل خصوصية ومصادقية إلى حد كبير عن باقي الروايات التاريخية المتعلقة بالعثمانيين والمغول خلال فترة البحث ، على الرغم من تشوشها في بعض الأحيان .

حكى شيلتيرجر في مذكراته - التي أملاها بعد عودته إلى بلاده - عن العديد من الأحداث التي عاصرها ، و كان شاهد عيان عليها لدى العثمانيين والمغول ، وكذا عند المماليك والأرمن أيضاً ، الذين ساقته الظروف إلى بلادهم ومكث بها فترات معينة .

و بالإضافة إلى ذلك ، فقد تناول العديد من الأحداث والقصص والأخبار الأسطورية التي سمع عنها ولم يشهدها بنفسه .

و يمكن القول دون مبالغة ، أن ما رواه الأسير الألماني يوهان شيلتيرجر في مذكراته يعد مصدراً أصيلاً مليئاً بالحوادث التاريخية . فلم يهتم فقط بذكر الأحداث السياسية والعسكرية التي عاصرها ، بل قام برصد العادات الاجتماعية للشعوب التي عاش لسنوات في كنفها ، فضلاً عن مساهمتها الثقافية والدينية . و هو الأمر الذي يجعلنا نذكر أنه يمكن إدراج مشاهداته ورواياته ضمن إطار ما يمكن تسميته بالأنثروبولوجيا الثقافية للعصور الوسطى.

وسوف يهتم هذا البحث بالتركيز على الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والأنثروبولوجية التي تناولها في المجتمعين العثماني والمغولي إبان فترة الأسر ، دون التطرق إلى رؤيته وانطباعاته عن الدين الإسلامي والمسلمين ، وهو ما يستحق أن نقره له بحثاً منفصلاً .

غادر يوهان شيلتيرجر منزله القريب من مدينة ميونخ عام ١٣٩٤م ، برفقة سيده الألماني ، الأمير لينهارت ريتشارتنجر Leinhart Richartinger<sup>(١)</sup> ، بهدف محاربة الأتراك العثمانيين استجابة لمناشدة الملك المجري سيجموند الذي زحف بجيش يتألف من آلاف المجريين والبلغار ، فضلاً عن مئات الفرسان الفرنسيين والإنجليز ، عبر المنطقة المعروفة باسم البوابة الحديدية Iron Gate<sup>(٢)</sup> ، قبل أن يعبر نهر الدانوب ويستولى على مدينة بودم Pudem عاصمة بلغاريا من قبضة العثمانيين ، متخذاً طريقه لضرب حصار بحري و بري ، استمر لسنة عشر يوماً حول مدينة نيقوبوليس<sup>(٣)</sup> .

رصد شيلتبرجر وصول السلطان العثماني بايزيد لإنقاذ المدينة و مواجهة سيجموند ، كما رصد الاستعدادات المسيحية لمواجهة العثمانيين . من ذلك تقدم سيجموند لمسافة ميل واحد عن المدينة لمواجهة بايزيد ، و مساحه لدوق والاشيا Werterwaywod باستطلاع أحوال الجيش العثماني ، الذي عاد ليلبغ الملك بأنه شاهد عشرين راية تضم كل منها عشرة آلاف رجل <sup>(١٧)</sup> .

و هو نفس العدد الذي قرره المؤرخ فرواسار Froissart الذي ذكر بأن أعداد المحاربين العثمانيين بلغ مائتي ألف مقاتل <sup>(١٨)</sup> ، و بينما ذكر أيضاً أن قوات الملك سيجموند تألفت من ٣٠ ألف مقاتل بالإضافة إلى ٧٠٠ فارس فرنسي ، فإن شيلتبرجر ذكر وجود ١٦ ألف مقاتل كانوا مع سيجموند بالإضافة إلى ٦ آلاف مقاتل فرنسي مع دوق بورجنى <sup>(١٩)</sup> .

على أن شيلتبرجر ، ربما بسبب صغر سنه ، فضلا عن خلفيته العسكرية المتواضعة ، ودوره كتابع لسيده ، لم يذكر لنا بالتفصيل أسلوب الجيش العثماني في إدارة المعركة . على حين ذكر فرواسار أن بايزيد قام بتنظيم جيشه على هيئة أجنحة ، بحيث كانت تتقدمه فرقة مؤلفة من ثمانية آلاف جندي ، و بمجرد أن اقترب الجيش المسيحي ، قامت تلك الفرقة باستدراجه ، و حينها انقض آلاف الجنود العثمانيين من الجناحين عليها ، حتى حلت الهزيمة بجيش سيجموند <sup>(٢٠)</sup> .

على أية حال ، يبدو أن الأمير الألماني لينهارت ريتشارتجر و برفقته تابعه شيلتبرجر ، كانا قريبين من الملك سيجموند و كبار القادة المسيحيين ، إذ ذكر شيلتبرجر أن دوق والاشيا أراد أن يكون البادى . بالهجوم على الجيش العثماني ، غير أن دوق بورجنى de coucy ناشد الملك المجري أن يبدأ هو بالقتال <sup>(٢١)</sup> . على حين كان سيجموند يرى أن يبدأ المجريون القتال أولاً مع العثمانيين لسابق معرفتهم بأساليب قتالهم <sup>(٢٢)</sup> . وعلى الرغم من ذلك اندفع دوق بورجنى لمحاربة العثمانيين ، الذين تمكنوا من إيقاع الهزيمة به بعد حصاره و إجباره على الاستسلام <sup>(٢٣)</sup> .

عندما شاهد الملك المجري ما حدث ، حمل على الجيش العثماني ، غير أنه أجبر على الانسحاب . و عندما حلت الكارثة بالجيش المسيحي في نيقوبوليس ، فر سيجموند إلى نهر الدانوب ، حيث نجح في الهرب على متن سفينة حملته حتى وصل إلى القسطنطينية <sup>(٢٤)</sup> . بينما قتل العثمانيون الآلاف من الجنود المسيحيين الفارين من المعركة . فضلاً عن غرق المئات منهم إبان محاولتهم الهرب عبر نهر الدانوب <sup>(٢٥)</sup> .

و لأن التابع شيلتبرجر كان قريباً من سيده الألماني لينهارت في ميدان المعركة ، فلم يفته أن



يشير إلى إصابة حصان سيده بسهم قاتل ، الأمر الذى أوجب عليه ضرورة تقديم حصانه إليه ، قبل أن يعود إلى موقعه مع الأتباع الآخرين . حدث هذا قبل أن تسفر المعركة عن مصرع سيده الألمانى فى النهاية <sup>(١١٦)</sup> .

و نتيجة للهزيمة الساحقة التى حلت بجيش الملك سيجموند و القوى الأوربية المسيحية فى موقعة نيقوبوليس ١٣٩٦م ، فقد سقط الآلاف من الجنود المسيحيين فى أسر القوات العثمانية ، إلى جانب العشرات أيضاً من النبلاء الفرنسيين <sup>(١١٧)</sup> .

وعلى الرغم من إشارة شيلتجرجر إلى رغبة السلطان العثمانى بايزيد فى قتل جميع الأسرى لولا تدخل دوق بورجنى الذى توسل للسلطان من أجل بقاء العديد من النبلاء الفرنسيين الذين يعرفهم ، و هو ما حدث بالفعل <sup>(١١٨)</sup> . فإنه لم يشر إلى ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة كفرواسار و دوکاس من أن تدخل دوق بورجنى جعل العثمانيين يدركون أهمية العشرات من الأسرى الفرنسيين ، و هو ما جعلهم يوقفون عمليات القتل ، من أجل الحصول على فديات ضخمة مقابل إطلاق سراحهم ، بينما تم قتل باقى الجنود العاديين <sup>(١١٩)</sup> .

و الحقيقة أن الأسرى من النبلاء الفرنسيين فى موقعة نيقوبوليس كانوا يرتدون ملابس فاخرة ميزتهم عن باقى الجنود ، فتمت المحافظة على حياتهم بواسطة العثمانيين التواقين إلى الحصول على أموال طائلة <sup>(١٢٠)</sup> .

و لكى يتأكد السلطان العثمانى بايزيد بنفسه من هويتهم ، قام بإطلاق سراح الفارس الفرنسى جاك دى كريك Jacques de Crequy ، سهر هيللى Sire de Heilly ، الذى يجيد اللغة العثمانية - بفضل عمله من قبل فى خدمة السلطان العثمانى قبل العودة لمعاربة العثمانيين فى نيقوبوليس - من أجل التعرف على شخصيات النبلاء الفرنسيين .

و هو الأمر الذى حدث بالفعل ، إذ عاد دى كريك ليحيره بأنهم من أعلى الطبقات الاجتماعية فى فرنسا . ومن جانب آخر فإن النبلاء ، تاشدوه أيضاً إخبار السلطان بأنهم يستطيعون دفع فديات عالية مقابل الحفاظ على حياتهم <sup>(١٢١)</sup> .

و على الرغم من سقوط شيلتجرجر فى الأسر العثمانى لست سنوات تالية حتى العام ١٤٠٢م ، فضلاً عن قرب من البلاط العثمانى ، فإنه لم يشر أيضاً إلى المفاوضات التى جرت بين السلطان بايزيد و القوى الأوربية من أجل اقتداء أسرى نيقوبوليس .

إذ أنه بات من المعروف أن بايزيد قد أطلق سراح الفارس جاك دى كريك فى الصباح التالى للمعركة حتى يرحل لمقابلة ملك فرنسا ، حيث وصل إلى باريس ليلة عيد الميلاد عام ١٣٩٦م . وبعد مفاوضات طويلة تم دفع الفدية التى تم تحديدها أولاً بـ مليون فرنك ، ثم مائتى ألف فلورين ، بعد أخذ تعهد عليهم بالإقامة فى مدينة البندقية حتى استكمال دفع الفدية التى وصلت فى النهاية إلى مائة واثنين و سبعين ألف فلورين ، تم دفعها فى شهر فبراير من العام ١٣٩٧م ، ليتم تحرير الأسرى بعد ذلك فى شهر يونيه من نفس العام <sup>(١٢٣)</sup> .

و هناك مثال آخر على عدم اهتمام شيلتيرجر بذكر و متابعة أحوال الأسرى من النبلاء الفرنسيين الذين جرى تحريرهم ، فقد أغفل تماماً الإشارة إلى وجود النيبيل الفرنسى الشهير المارشال بوسيكويو Bouciquoi ، ضمن الأسرى الذين عرضوا عراة الصدور أمام السلطان العثمانى <sup>(١٢٤)</sup> ، و كان من المفروض أن يتم إعدامه كالأسرى الباقين .

غير أنه مجرد أن رآه إيرل ناغار ، توجه مباشرة للسلطان العثمانى وخر ساجداً أمامه ، مترسلاً إرجاء تنفيذ حكم الإعدام فى بوسيكويو ، بوصفه فارساً عظيم الشأن فى فرنسا ، و أن السلطان يستطيع أن يجلب من وراء إطلاق سراحه فدية كبيرة . و هكذا استجاب بايزيد لطلبه ، لينتقل بوسيكويو بعدها للجلوس وسط النبلاء الفرنسيين الذين تم إنقاذ حياتهم <sup>(١٢٥)</sup> .

و تنبع أهمية إطلاق سراح النيبيل بوسيكويو من كونه لعب دوراً خطيراً ضد العثمانيين فيما بعد ، إبان حصار السلطان العثمانى بايزيد للقسطنطينية ١٣٩٦-١٤٠٢م ، فقد أرسله الملك الفرنسى شارل السادس Charles VI (١٣٨٢-١٤٢٢م ) لمساعدة الامبراطور البيزنطى مانويل باليولوجس Manuel Palaeologus ( ١٣٩١-١٤٢٥م ) ضد العثمانيين .

و بالفعل نجح المارشال بوسيكويو فى كسر طوق الحصار البحرى الذى فرضه العثمانيون على القسطنطينية ، كما نجح فى التسلل إليها ليقود عمليات دفاع ناجحة عن المدينة ، وهو ما ساهم فى إفشال الحصار الذى قام به السلطان بايزيد <sup>(١٢٦)</sup> .

و بعيداً عن النبلاء الفرنسيين الذين تم حصرهم وتسجيلهم من أجل الحصول على فديات عالية مقابل إطلاق سراحهم ، فإن الإنجاء الغالب لدى العثمانيين ، كان قتل جميع الأسرى الباقين . حيث يذكر شيلتيرجر أن السلطان بايزيد أمر الجنود العثمانيين بعيد انتهاء المعركة ، بضرورة إحصار الأسرى الأوربيين الذين كانوا بحوزتهم وإعدامهم . و أنه كان حاسماً فى هذا الأمر لدرجة أنه كان يعين جديداً بديلاً للجندى الذى رغب عن قتل أسراه <sup>(١٢٧)</sup> .

وهكذا تم جمع الأسرى الباقين عراة الصدور أمام السلطان العثماني الذي أصدر أمره بإعدامهم جميعاً .

وصف شيلتبرجر عملية إراقة الدماء التي استمرت حسب كلماته " من الصباح حتى صلاة المساء ( المغرب ) حيث تم إعدام عشرة آلاف أسير " . واسترعى انتباهه أن ما حدث قد أثار عطف مستشاري السلطان بايزيد ، فتوسلوا إليه أن يوقف سفك الدماء ، و أن يكظم غضبه إرضاء لله ، حتى لا يحل عليه عقابه نتيجة كثرة الدماء التي أمر بإهلاكها <sup>(٢٢٨)</sup>.

و الحقيقة أن قيام السلطان العثماني بايزيد بإعدام الأسرى الأوربيين في نيقوبوليس كان بمثابة رد فعل على تصرف القوى الأوربية المسيحية ضد الأسرى المسلمين . بعد قيام الكونت دي نافار و ملك المجر بإعدام جميع الأسرى المسلمين بعيد سقوط راهونا Rahova <sup>(٢٢٩)</sup> . و هو الأمر الذي أثار غضباً عارماً لدى السلطان بايزيد ، مما دفعه لاتخاذ ذلك التصرف ضد الأسرى المسيحيين .

ولم تكن تلك هي السابقة الوحيدة في التاريخ الأوربي الوسيط ، فقد قام بعد ذلك الملك الإنجليزي هنري الخامس Henri V ( ١٤١٣ - ١٤٢٢م ) بإعدام الأسرى الفرنسيين لديه بعيد معركة أزىنكورت Azincourt ١٤١٥م .. <sup>(٢٣٠)</sup>

كما أشار شيلتبرجر أيضاً إلى أن العرف الموجود لدى العثمانيين ، والقاضي بعدم إعدام الأسرى الذين يقتل سنهم عن العشرين ، قد منحه الحياة . فقد كان لم يتجاوز السادسة عشر عاماً بعد ، وهو ما دعا ابن السلطان بايزيد لضمه حيث الصبية الآخرين ، فالتحق بعاشبة السلطان العثماني كخادم أو جندى مراسلة runner <sup>(٢٣١)</sup> .

غير أن بعض التشوش يدخل على حديث شيلتبرجر ، الذي يذكر أنه بعد استمراره في عمله عبر العدو أمام السلطان لست سنوات ، فإنه قد أصبح جديراً بأن يركب جواداً لست سنوات أخرى <sup>(٢٣٢)</sup> . و هو ما يجافي الحقيقة لأنه بنهاية السنوات الست الأولى ، سقط شيلتبرجر في أسر تيمورلنك بعد هزيمته للسلطان بايزيد في موقعة أنقرة ١٤٠٢م <sup>(٢٣٣)</sup>.

على أية حال، تابع شيلتبرجر رحلته مع أسرى معركة نيقوبوليس الذين لم يتم إعدامهم ، فذكر أنه تم إرسالهم أولاً إلى مدينة أدرنه Adrianople ، ثم إلى مدينة غاليبولي Gallipolis <sup>(٢٣٤)</sup> قبل أن يستقروا في العاصمة العثمانية بورصا Brusa .

و اعترافا من السلطان العثماني بايزيد يلدرم بفضل كيار السن من الأسرى ، جعل إقامتهم في أدرنه داخل إحدى القلاع ، وفي بورصا في أحد القصور ، قبل أن يتم نقلهم بعد ذلك إلى مدينة Mikaleditch ( قراجابك Karacabey ) ( ٣٦٠ ) .

بعد ذلك أشار شيلتبرجر إلى عادة السلاطين العثمانيين في إرسال الأسرى المسيحيين كهدايا ، تعبيرا عن النصر ، إلى باقي الممالك الاسلامية . فذكر أن بايزيد أرسل ستينا من الأسرى للسلطان المملوكي الظاهر برقوق ( ١٣٩٠ - ١٣٩٩ م ) بالقاهرة . وأنه كاد أن يرسل في معية هؤلاء الأسرى ، لولا إصابته بحروح خطيرة في معركة نيقوبوليس ( ٣٦١ ) . ليدفع به القدر إلى حاشية السلطان العثماني .

و لدينا مصدر تاريخي يتحدث عن وجود هؤلاء الأسرى في مصر ، هو ما كتبه البتدقي مانويل بيلوتي Emmanuel Piloti ، الذي أشار إلى إرسال العثمانيين لمائتين من أسرى نيقوبوليس للسلطان المملوكي . وأنه رأى بنفسه أولئك الأسرى من الفرنسيين و الايطاليين وغيرهم . وحسب كلماته " ... لقد رأيتهم جميعاً في قصر السلطان بالقاهرة ، و تحدث معهم و كانوا جميعاً من الشبان حسنى الخلقة ، الذين تم اختيارهم بعناية " ( ٣٦٢ ) .

على أن جين ريتشارد Richard J. يرى أنه من الضروري أن نصدق رواية شيلتبرجر حول إرسال السلطان العثماني لستين صبباً فقط إلى البلاط المملوكي في القاهرة ، و أن الباقيين الذين شاهدهم بيلوتي إنما كانوا من المماليك الآخرين للسلطان الظاهر برقوق ( ٣٦٣ ) .

ويبدو هذا منطقيا في ظل شهادة شيلتبرجر ، وبفضل معرفتنا بوجود العديد من الأسرى الأوربيين في البلاط المملوكي :

بعد أن استقر شيلتبرجر في حاشية السلطان بايزيد بدأ في رصد التطورات السياسية و العسكرية للعثمانيين . فأشار إلى ما حدث في العام التالي لأسره من صراع ما بين السلطان بايزيد و صهره علاء الدين القرمانى انتهى بمقتل الأخير بعد موقعة أتى جاي Ak Schay عام ١٣٩٧م ( ٣٦٤ ) .

و على الرغم من تعرضه لتفصيلات عديدة فان شيلتبرجر لم يتناول جوهر الصراع بين العثمانيين و القرمانيين الذي بدأ قبل ذلك منذ وقت بعيد . فقد ورث القرمانيون سلاجقة قونية في الوقت الذي حاول فيه العثمانيون إقامة نظام حكم مركزي خاضع لهم في الأناضول . و هو ما دفعهم إلى الإطاحة بكافة الأسر التركمانية الحاكمة ( ٣٦٥ ) .

و هكذا فإن تقاطع الأحداث بين العثمانيين و القرمانيين كان قد ساهم في نشأة الصراع بينهما منذ عهد السلطان العثماني مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩م) ، حيث استغل علاء الدين القرماني إنشغال السلطان مراد بتقوية جبهته الأوربية وقام بالاستيلاء على بعض الأقاليم التابعة للعثمانيين في الأناضول . فما كان من السلطان مراد سوى العودة وحاصر علاء الدين القرماني في قونية ، قبل أن يلتقي الجيشان في معركة Efrank - Yazizi عام ١٣٧٨م ، حيث دان النصر للعثمانيين . وهو ما دفع علاء الدين للتفاوض مع حبيه مراد الأول ، الذي وافق على الصلح<sup>(١١)</sup>.

وبعد مصرع السلطان مراد الأول في موقعة كوسوفو الأولى ١٣٨٩م ، قام علاء الدين بمحاولة جديدة لتقويض " Travels " ، pp.8-9 و القرمانيين ساهم في نشأة الصراع بينهما منذ عهد السلطان العثماني مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩م) ما السلطة العثمانية المركزية في الأناضول ، فاستغل انشغال السلطان بايزيد بن مراد بحصار مدينة القسطنطينية ليقوم بالاستيلاء على مدينة أنقرة Angora عام ١٣٩٧ م ، و أسر أميرها تيمور طاش Timur Tas . و هو ما دفع بايزيد إلى الرحيل عن أسوار القسطنطينية والعودة مسرعاً إلى عاصمته بورصا من أجل حمايتها و الاستعداد لملاقاة القرمانيين .

خشى علاء الدين القرماني من عواقب مواجهة العثمانيين . فأرسل سفارة لتهدئة السلطان بايزيد . و زيادة في إبداء الود قام باطلاق سراح تيمور طاش . غير أن السلطان العثماني كان قد اتخذ قراره بالحرب . وبالفعل نجح العثمانيون في هزيمة القرمانيين في السهل المجاور لمدينة قونية ، مما دفع علاء الدين إلى الهرب إليها .

و بعد حصار دام عدة أسابيع ، إستولى العثمانيون على المدينة و قاموا بأسر علاء الدين القرماني ، ليأمر تيمور طاش أمير أنقرة بقتله بسرعة ، قبيل وصول السلطان بايزيد .

و يذكر شيلتيرجر رواية غير دقيقة عن مقتل علاء الدين القرماني . مفادها أن بايزيد غضب بشدة لمقتل صهره ، وأمر بقتل من قام بذلك . غير أن ذلك لا يتسق مع حديثه بعيد ذلك ، وكذا أمره . بأن ترفع رأس علاء الدين القرماني على رمح ليطاف بها في باقي أنحاء البلاد<sup>(١٢)</sup> .

و تابع شيلتيرجر خضوع مدينة قونية للسلطان بايزيد ، و خروج أخته ولديها لمقابلته ، وقراره بإرسالهم إلى العاصمة العثمانية بورصا .

و ما لم يشر إليه شيلتيرجر ، و ربما كان ذلك بسبب انتقاله إلى الأسر المغولي ، أن هذه المعركة لم تقض قماماً على القرمانيين ، بل أنهم نجحوا بعد ذلك في استغلال هزيمة بايزيد في موقعة أنقرة ليعزلوا تحالفهم مع تيمورلنك من أجل استعادة ممتلكاتهم السابقة من قبضة العثمانيين ، خاصة بعد قيام تيمورلنك بالإقراج عن ولدي علاء الدين القرماني وتثبيتهما على إمارة قرمان ، بعد أن طلب منهما إعلان التبعية السياسية له عبر إقامة الخطبة وضرب السكة باسمه <sup>(٤٣)</sup>

عرج شيلتيرجر بعد ذلك إلى الإشارة إلى العلاقات العثمانية المملوكية ، فجاءت رواياته متفقة مع العديد من المصادر المملوكية التي تحدثت عن اجتياح السلطان العثماني بايزيد لمدينة ملطية التابعة للمماليك ١٣٩٩م . فذكر إرسال السلطان بايزيد رسالة للسلطان برقوق يأمره فيها بتسليم ملطية بوصفها من ممتلكات العثمانيين . و إزاء رفض السلطان المملوكي لذلك ، توجه إليها مع مائتي ألف مقاتل ، لتسقط المدينة بعد حصار دام شهرين <sup>(٤٤)</sup>.

ولد استيلاء بايزيد على ملطية كراهية و توحساً لدى المماليك من أطماع العثمانيين ، لدرجة أن السلطان برقوق رفض عرض السلطان العثماني بايزيد بمساعدته بعد ذلك بعدة سنوات في مواجهته مع تيمورلنك <sup>(٤٥)</sup> ، و أثر عنه قوله " ما أحشى من تيمورلنك ، فإن كل أحد يساعدني عليه.. و إنما أحشى من بني عثمان " <sup>(٤٦)</sup>.

و هكذا حدث لدى السلطة المملوكية في مصر شعور عام بالإستياء مما فعله العثمانيون ، دعمه الرأي الذي رده ابن خلدون إمام المالكية في القاهرة آنذاك ، حيث ورد على لسانه " لا تخشوا على ملك مصر إلا من أولاد ابن عثمان ، و أشدهم بايزيد الذي تسلطن " <sup>(٤٧)</sup>.

و يخطئ شيلتيرجر حين يذكر أنه بعيد وفاة السلطان المملوكي الظاهر برقوق ، خلفه ابنه يوسف ، لتجد أن السلطان فرج هو الذي خلف أبيه . قبل أن تستقيم روايته من جديد ليذكر أن السلطان الجديد طلب مساعدة العثمانيين العسكرية لمواجهة اضطرابات داخلية . فأرسل له السلطان بايزيد عشرين ألف رجل ، كان من بينهم شيلتيرجر نفسه ، نجحوا في تثبيت السلطان فرج على سدة العرش المملوكي <sup>(٤٨)</sup>.

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإنه يجب ملاحظة أن بعض روايات شيلتيرجر تبدو غير مرتبة زمنياً من ذلك ذكره لجاح السلطان العثماني بايزيد في الاستيلاء على سبسطية ( سيواس ) بعد نجاح ابنه الأمير محمد في دخولها و طرد حاكمها برهان الدين <sup>(٤٩)</sup>.

والحقيقة أن السلطان بايزيد قد استولى على سيسطية عام ١٣٩٦م ، وذلك بناءً على طلب أهلها بعد مصرع صاحبها القاضى برهان الدين على يد قرايلىك التركمانى ، الذى اتجه للتحالف مع تيمورلنك . كما أن ابنه الأمير سليمان هو الذى نجح فى دخول المدينة <sup>(١٤٠)</sup> .

و فى متابعة لأحوال مدينة سيسطية ، رصد شيلتيرجر أيضاً احتياح القوات المغولية لها عام ١٤٠٠م ، وقتلهم الآلاف من سكانها ، وذلك غير دفنهم أحياء تحت التراب <sup>(١٤١)</sup> . بعدما سبق أن منحهم تيمورلنك الأمان ، وتعهد لحاكم المدينة بعدم إراقة دماءهم .

و لم يظن الفارس الألمانى إلى أن القتل دون إراقة الدماء هى عادة تركية و مغولية قديمة ، احتفظوا بها بعد دخولهم الإسلام . و تعود تلك العادة إلى أنهم كانوا يقدسون الأرواح ، ويعتقدون أن روح الإنسان تسكن فى دمه . فكانوا يحرسون على عدم إراقة الدماء حتى لا تزهق الروح معها <sup>(١٤٢)</sup> .

كان من الطبيعى أن يعانى شيلتيرجر من جراح الأسر و العبودية لدى العثمانيين ، و هو ما جعله يفكر فى الهرب من هذا المصير . فأخبرناه أنه قد اعظم الفراع صمن ستين أسيراً مسيحياً ، هربوا إلى أحد الجبال ، قبل أن تستعيدهم قوة عثمانية . لأمير السلطان بايزيد بإعدامهم ، لولا شفاعاة أحد القادة العثمانيين الذى وعدهم بحماية أرواحهم . وهكذا تم إلقاؤهم فى السجن لتسعة أشهر حتى مات بعضهم . و عندما حل أحد الأعياد الإسلامية تشفع فيهم الأمير سليمان بن بايزيد فتم إطلاق سراح الباقين ، بعد وعد منهم بعدم تكرار محاولة الفرار ثانية <sup>(١٤٣)</sup> .

على أن أهم الأحداث العسكرية التى عاصرها شيلتيرجر إبان فترة الأسر العثمانى ، والتى مثلت له فى نفس الوقت نقطة تحول فاصلة ، كانت حضوره لمعركة أنقرة <sup>(١٤٤)</sup> التى دارت بين السلطان بايزيد و العاهل المغولى تيمورلنك ، حيث نجح الأخير فى إلحاق هزيمة ساحقة بالسلطان العثمانى وأسره ، و برفقته رجال حاشيته ، الذين كان من بينهم بطبيعة الحال الأسير الألمانى يوهان شيلتيرجر .

والحقيقة أن وجود الأخير فى معية بايزيد قد جعله ينتبه إلى مقدمات الحرب وآسيابها بين العاهلين المسلمين ، فأشار إلى غزو السلطان العثمانى لمدينة أروزنجان Erzencen بأرمينيا الصغرى ، و استنجاد أميرها تحرتين Teherten بتيمورلنك <sup>(١٤٥)</sup> ، وكذا رفض بايزيد إعادتها ، مما تسبب فى حتمية نشوب معركة أنقرة .

غير أن شيلتبرجر لم يتطرق للجهود الدبلوماسية التي سبقت ذلك الصدام ، حيث أرسل تيمور لبايزيد يطالبه بتسليم قلعة كمتاخ ، وكذا تسليمه أعداءه الفارين لديه ، قرا يوسف التركمانى ، والسلطان أحمد بن آوىس الجلاترى<sup>(١٦٦)</sup> . غير أن السلطان العثمانى رقص ذلك مما أدى إلى نشوب المعركة وهزيمته فى النهاية.

و نظراً لأن شيلتبرجر كان شاهد عيان على هذه المعركة ، فإننا نجد روايته عنها تتصف بالمصداقية الواضحة ، فقد أشار إلى انضمام القوات المغولية الموجودة فى الجيش العثمانى إلى قوات تيمورلنك . كما رصد فرار قوات الإمارات التركمانية : أيدين ، منتشا ، صاروخان ، جرمبان ، من الميدان . كما أنه يعد المصدر التاريخى الوحيد الذى انفرد باشتراك تيمورلنك لإثنين و ثلاثين قبلاً مدرباً على القتال فى معركة أنقره<sup>(١٦٧)</sup> . و يبدو أن الأخير قد تعرف على استخدام الألبال فى المعارك نتيجة حروبه فى الهند.

كما تناول أيضاً ما حدث بعيد المعركة من أسر بايزيد ووقته . و زحف قوات تيمور باتجاه العاصمة العثمانية بورصا للاستيلاء على ثروات و خزائن السلطان العثمانى<sup>(١٦٨)</sup> .

أما أبرز نتائج موقعة أنقرة ١٤٠٢م على الصعيد الشخصى بالنسبة للأسير يوهان شيلتبرجر فكان انتقاله من العمل فى خدمة و حاشية السلطان العثمانى المهزوم بايزيد ، إلى خدمة و حاشية السلطان المغولى المنتصر تيمورلنك<sup>(١٦٩)</sup> .

و يتصف شيلتبرجر بأمانته فى سرد الأحداث التى عاصرها . و هو ما يحدث فارقاً بين روايته للأحداث التى شهدتها بنفسه ، وتلك التى سمع عنها من ذلك ما تجده لدى حديثه عن العلاقة بين سيده الجديد تيمورلنك و دولة الماليك فى مصر و الشام . فعلى الرغم من عدم تطرقه لجنود العداء بينهما ، فإنه عرض لما سمع به من اجتياح تيمورلنك لبلاد الشام و تدمير مدينة حلب ١٤٠٠م . كما أنه بالغ فى تقدير عدد جيش تيمور و أعداء المدافعين عن المدينة . فضلاً عن أنه لم يشير إلى المقاومة الشديدة التى أبداءها دمرداش قائد قلعة حلب ، و كذا لم يذكر فظائع تيمور مع سكان المدينة التى لم تغفل عنها المصادر التاريخية العربية و الفارسية و العثمانية<sup>(١٧٠)</sup> .

بعد ذلك أشار شيلتبرجر إلى استيلاء تيمورلنك على مدن حماه ، وحمص ، ودمشق ، والى الفظائع التى قام بارتكابها داخلها . و يلاحظ على رواية شيلتبرجر حول تلك الأحداث ، على الرغم من أنه سمع عنها ولم يشهدها بنفسه ، أنها تكاد تتطابق مع المصادر التاريخية المعاصرة<sup>(١٧١)</sup> .



باستثناء بعض التفاصيل المهمة مثل ذكره أن السلطان فرج بن برقوق طلب من تيمور عند حصاره دمشق ألا يعيثُ فساداً في المسجد الأموي ، و أن الأخير قد وافق على ذلك .

كما تابع شيلتيرجر أيضاً تحركات تيمورلنك و قواته من الشام إلى بغداد ، و فرار أحمد بن أوس الجلالتري إلى السلطان بايزيد . و هو ما مكن القوات المغولية من اقتحامها و سلبها ، و ارتكاب الفظائع بأهلها <sup>(١٢٢)</sup> .

و تعرض شيلتيرجر لكيفية استيلاء أحد أتباع تيمورلنك على خراج مدينة سلطانية لخمس سنوات ، و تحالفه مع صديقه أمير مازندران . و أن القوات التي أرسلها تيمور لمطاردته قد عادت دون إنجاز مهمتها بسبب الغابات الكثيفة التي تحيط بالمنطقة التي هرب إليها التابعان <sup>(١٢٣)</sup> .

غير أننا نجد صدى مغايراً لهذه الرواية لدى المؤرخ الفارسي خواندمير الذي تحدث عن اسكندر شيخ ، الذي شق عصا الطاعة على تيمورلنك ، فأرسل الأخير وراءه قوة عسكرية في مطاردة طويلة ، بسبب اختيائه في العابات . حتى نجح في القبض عليه و قتله . بينما لم يشر المصدر الفارسي إلى مسألة الخراج <sup>(١٢٤)</sup> .

كما اختلفت رواية شيلتيرجر حول اجتياح تيمورلنك لمدينة أصفهان ١٣٩٣ م ، و المذابح الوحشية التي ارتكبتها ضد السكان و الأطفال ، بعد مقتل الآلاف منهم مع المصادر التاريخية المعاصرة <sup>(١٢٥)</sup> . غير أنه انفرد بذكر أن تيمورلنك أمر بقطع إبهام ١٢ ألف رام للسهام بالمدينة ، نتيجة غدر سكانها بالحامية المغولية <sup>(١٢٦)</sup> .

ويبدو أن ذلك الأمر لم يكن جديداً أيضاً على طرق العقاب المغولية والتركية ، إذ يمكن عقد مشابهة تاريخية بين ما فعله تيمورلنك في أصفهان في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، و ما سبق أن فعله عماد الدين زنكي قبل ذلك في القرن الثاني عشر ، حين أمر بحز إبهامات الحربية في حصن صور عقاباً لهم على قتل أحد جنوده ، بعد تحديدهم من ذلك <sup>(١٢٧)</sup> .

و من بين الأحداث التي لم يشهدها شيلتيرجر بنفسه ، بل سمع عنها عندما كان في معية تيمورلنك ، هو تمكن الأخير من احتياح الهند و الإستيلاء على العاصمة دهلي ١٣٩٨ م . فذكر أن الجيش المغولي سار لفترة أربعة أشهر من سمرقند حتى بلاد الهند عبر الصحراء . و ذكر كيفية عبوره أحد الممرات الجبلية الخطرة بأن أمر تيمور بربط الخيل و البعير عبر ألواح خشبية كي تتمكن من الانخفاض حتى تتمكن من اجتيازه . كما أشار إلى أن تيمور كاد يخسر المعركة

بسبب اشتراك أربعمائة قبيل مدرية على الحرب . بحيث كان على كل قبيل برج خشبي يحمل عشرة محاريزين بأسلحتهم . و لما كانت خيول تيمور تخشى الأقبال فقد تراجعت فى ميدان المعركة

و لم ينته هذا الأمر الا بعد الاستماع إلى مشورة سليمان شاه ، أحد مستشاريه ، بأن تشد الأخشاب على ظهور الإبل ، و أن يتم اشعال النيران بها . وجرى الأمر كما كان محظا له . فعندما أحست الإبل بلسع النيران ، إندفعت فى هجوم خاطف وعنيف على الأقبال التى اضطرت للهرب من أمامها (٦٨).

و من الواضح أن السلطان العثماني بايزيد يلدرم لم يكن قد عرف بتفاصيل تلك المعركة التى جرت قبل مواجهته مع تيمورلنك بأربع سنوات . و هو ما أدى إلى جهل العثمانيين بكيفية التعامل مع الأقبال التى اشتركت إلى جانب الجيش المغولى فى معركة أنقرة ١٤٠٢ م .

و على الرغم من عدم ذكر شيلنجر لاسم حاكم الهند ، ملو ، فى مذكراته ، فإن ما يحسب له أنه لم يغفل شروط الإتفاق بينه و بين تيمورلنك ، عبر حصول الأخير على مائتى كيلوجرام من ذهب الهند ، فضلاً عن كمية من الأحجار الكريمة . مع وعد بتزويد العاهل المغولى بثلاثين ألف رجل لمساعدته فى حملاته الحربية (٦٩).

غير أنه من اللافت للنظر أن شيلنجر . الملام لحشية تيمورلنك . لم يتحدث سوى باقتضاب و عبر سطور قليلة ، عن رغبة العاهل المغولى و مشروعه فى زيادة رقعة ممتلكاته شرقاً باتجاه الصين Cathay بداية العام ١٤٠٥ م . كما لم يجهد الأسير الألماني نفسه فى توضيح خلفيات العلاقة بين تيمورلنك و بين إمبراطور أسرة مينج Ming بالصين Ching Tsu ( ١٤٠٣ - ١٤٢٥ م ) ، الذى سبق أن أرسل سفارة قبل ذلك بهامين إلى تيمورلنك تطلب منه سرعة تسديد الضريبة السنوية التى كان يقوم بدفعها للصين (٧٠) . خاصة وأن انشغال الأخير بحملاته ضد الأتراك العثمانيين فى بلاد الأناضول و ضد الماليك فى بلاد الشام ، كان قد عطل إرسال تلك الضريبة لسبع سنوات .

و يمكن أن نجد صدق تلك السفارة عبر ما سطره المبعوث الأسباني كلافيخو Clavijo مبعوث الملك القشتالي هنرى الثالث ( ١٣٩٠ - ١٤٠٦ م ) إلى بلاط تيمورلنك ، الذى رصد فى مذكراته أن السفراء الصينيين كانوا يجلسون على مقاعد عالية عن تلك التى جلس عليها هو ورفاقه داخل البلاط المغولى . كما لفت نظره أنه ، نتيجة لحق تيمورلنك على الإمبراطور الصينى و

رغبته فى شق عصا الطاعة، فضلاً عن عدم دفع الضريبة المتوجبة عليه، فإن العاهل المغولى عاد وأمر بأن يجلس كلايخو ورفاقه على مقاعد أعلى من تلك التى جلس عليها أفراد السفارة الصينية<sup>(٧٦)</sup>.

و فى تعبير واضح عن نوايا تيمور تجاه الصين، فقد أمر للسفير الأسبانى بكراهيته للإمبراطور الصينى بسبب غطرسته، لدرجة وصفه بأنه لص و شرير، وأنه بمثابة عدو له.

كما لاحظ كلايخو أيضاً أن المغول كانوا يستهزئون بامبراطور الصين، وأطلقوا عليه لفظ Tanguz. أى الخنزير باللغة التركية الجغتائية<sup>(٧٧)</sup>.

و على أية حال، أشار شيلتبرجر إلى أن سيده تيمورلنك قد شق عصا الطاعة على الإمبراطور الصينى، فتشاور مع أمرائه على ضرورة الخروج بحملة عسكرية للرد على غطرسته، وكذلك من أجل تحقيق مشروعه وضم الصين إلى إمبراطوريته. غير أنه يشير فى مبالغة واضحة، إلى أن العاهل المغولى قاد جيشاً مؤلفاً من مليون و ثمانمائة ألف رجل فى حملته لغزو الصين<sup>(٧٨)</sup>. ساروا لمدة شهر كامل قبل أن يشروعوا فى اجتياح صحراء جليدية يقتضى احتيازاها سبعون يوماً. ثم تستطيع المحافل المغولية السير عبرها سوى عشرة أيام فقط، بسبب الجليد و البرودة القارصة، فضلاً عن مقتل العديد من الرجال، وكذا نفوق الخيول و الماشية. وهو ما دفع تيمور إلى اتخاذ قراره بالتوقف عن المضى فى حملته.

ومن الواضح أن شيلتبرجر لم يكن موجوداً بنفسه فى حملة تيمورلنك على الصين، و لهذا فإنه لم يقم بتفصيلتها بشكل كاف. إذ يذكر المؤرخ الفارسى خواندمير أن تيمور خرج من سمرقند بجيش يبلغ ثمانمائة ألف رجل من المشاة و الفرسان، وإبان عبورهم الصحراء الجليدية فحاتهم الأمطار الغزيرة، فكان من الطبيعى أن يتوقف تيمور، ليأمر بعض أمرائه بالتوجه إلى طشقند لاحتضار الإمدادات و المؤن و الحبوب<sup>(٧٩)</sup>.

و مرة أخرى فى الطريق من أق صولات Aqsulat إلى أوترار Otrar هبت العواصف الجليدية و الأمطار الغزيرة التى حولت الجبال و الوديان إلى ما يشبه البحار. و نتيجة لهذا البرد القارس، و الجليد اللاتهاى، فقد العديدون من رجاله الكثير من أصابع أطرافهم<sup>(٨٠)</sup>.

و عند ذلك الحد توقف تيمور، غير أنه قام بمحاولة أخيرة لاستطلاع الطريق، فأرسل الأمير موسى كمال مع آخرين من أجل بحث إمكانية مواصلة المسير، غير أنهم عادوا ليخبروه باستحالة اجتياز الصحراء الجليدية. و عندها فقط قرر تيمورلنك العودة عن غزو الصين<sup>(٨١)</sup>.

و قد توافق ذلك مع ما ورد لدى ابن عريشاء ، فعلى الرغم من كراهيته لتيمورلنك ، فإنه وجد تبريراً واقعياً لفشل حملة تيمورلنك على الصين بفضل الطقس القارس إذ ذكر " ... وأصبحت مشارق الأرض و مغاريها من الثلوج المنقضة ... بحر صاغه الله من القصة " (١٧١).

وكان من الطبيعى أن يتناول شيلتيرجر مسألة وفاة سيده تيمورلنك ، غير أنه لم يهتم بذكر تاريخ وفاته . كما أنه عزى موته لثلاثة أسباب هى هروب تابعه السابق بالخراج ، و خيانة صغرى زوجاته له ، ثم حنقه بعد قيامه بقتلها (١٧٢).

وعكسنا أن نشير إلى أنه من الغريب بالنسبة لشخص أجنبى عاش لأكثر من عقدين فى المجتمع المغولى ألا يتعرض بشكل عام لقوانين المقول حول عفة النساء ، و الخيانة الزوجية ، و عقاب الزانية والزانى و هو الأمر الذى أفاض فيه الرحالة الغربيون أمثال بيانو كارينى Plano Carpini و ماركو بولو Marco Polo (١٧٣).

و إذا كان خواندمير قد ذكر " تيمورلنك قد تزوج إهار حياته بشمانى عشرة زوجة " (١٨) ، بينما أشار كلايفخو إلى وجود ثمانى زوجات للعاهل المغولى (١٩) . فسبب أن أسيرنا الألمانى الذى كان فى حاشية تيمورلنك قد لاحظ أن ذلك العدد قد تقلص إلى ثلاث زوجات فقط عندما وافقت المنية سيده (١٨٢).

كما أن شيلتيرجر لم يحدد مكان دفن تيمورلنك بدقة ، فلم يذكر سوى أنه دفن فى سمرقند بعد جنازة مهيبه . بينما يذكر خواندمير أنه تم نقل جثمان تيمورلنك من أوترار حيث مات إلى العاصمة سمرقند ليوارى التراب فى خانقاه أمير زاده محمد سلطان (١٨٣).

و هكذا ، فعلى الرغم من إشارة وليم روبروك William of Rubruck قبل ذلك بقرن و نصف إلى أن مكان دفن الشخصيات الهامة لدى المغول كان يجب أن يظل مجهولاً (١٨٤) ، فيبدو أن هذا العرف قد تغير بعد ذلك ليصبح قبر تيمورلنك فى سمرقند مزاراً معروفاً حتى اليوم .

على أية حال ، لم يبد شيلتيرجر أى عاطفة تجاه موت سيده الثانى فى رحلة الأسر الطويلة . غير أنه أشار إلى رواية يذكر أنها حدثت بعيد دفن جثمان تيمورلنك ، لم يجد لها الباحث صدى فى باقى المصادر التاريخية المعاصرة ، سوى فى مصدر أرمينى وحيد يتحدث عن تاريخ تيمورلنك و خلفائه ، تتعلق بسماع شيوخ الخانقاه التى دفن فيها جثمانه صوت عواء ليلى من مدفن تيمور

لمدة عام كامل . ويضيف شيلتبرجر أن أصدقاء تيمور قاموا بإخراج الصدقات حتى يتوقف هذا الصوت . غير أن ذلك كان بلا جدوى . فتحت الاستعانة بالفقهاء ، الذين طلبوا من أبناء تيمور ضرورة إطلاق سراح جميع الأسرى من الحرقين ، الذين سبق أن قام تيمورلنك بإحصارهم قسراً للعمل في العاصمة سمرقند . و ما أن تم ذلك ، حتى توقف صوت العواء بالحناءة<sup>(٨٥)</sup> .

و يبدو أن شيلتبرجر ، المسيحي الكاثوليكي ، الذي عاش شطراً من حياته فيما بعد في بلاد أرمينيا ، كان قد استمع إلى هذه الرواية لدى حديثه مع بعض أصدقائه من الأرمن<sup>(٨٦)</sup> . الأمر الذي جعلها تتردد لدى المؤرخ الأرمني Tovma Metsobets في القرن الخامس عشر الميلادي ، الذي ذكر أن " تيمور القنر قد عاد إلى بلاده و مات بها كالكلب . و ظل بعد ذلك يعوى ، قبل نقل جثمانه ووضعه في النار ، ثم بعد ذلك حرقه بقرية عبر الماء . و لم يتوقف ذلك العواء البغيض لفترة طويلة " <sup>(٨٧)</sup> .

و عندما أنهى شيلتبرجر حديثه عن تاريخ تيمورلنك<sup>(٨٨)</sup> ، عاد مرة أخرى إلى التشوش الذي لازمه عند الحديث عن سوات الأسر لدى المغول ، فذكر أنه " روى كل ما شاهدته و سمعته خلال الستة أعوام التي قضاه مع تيمورلنك غير أننا نعرف أنه لم يحدث في كنف تيمور سوى أقل من ثلاث سنوات ، و هي الفترة الفاصلة ما بين شهر يوليو عام ١٤٠٢م حيث معركة أنقرة ، و شهر فبراير عام ١٤٠٥م حيث توفي العاهل المغولي .

خلف تيمورلنك بعد وفاته ولديه شاه رخ على مملكة خراسان و عاصمتها هراة ، و ميران شاه الذي حكم مملكة تبريز Taurus و بلاد فارس . فالتحق شيلتبرجر أولاً بخدمة الابن الأكبر شاه رخ<sup>(٨٩)</sup> ، و هكذا فإنه لم يغفل الصراع العسكري الذي دار بين قرا يوسف التركماني حاكم كردستان و أرمينيا الصغرى و ميران شاه ، الذي استنجد بأخيه فأمدّه شاه رخ بقوات مكنته من طرده . و هو ما مكن شاه رخ من الإستيلاء على بلاد التركماني ، و منحها لأخيه ميران شاه قبل أن يعود إلى خراسان ، تاركاً خلفه عشرين ألف رجل لمساعدته ، كان من بينهم الأسير الألباني يوهان شيلتبرجر<sup>(٩٠)</sup> .

و بعد عدم واحد قام قرايوسف بهزيمة ميران شاه و أسره في سهل كراباخ بأرمينيا و فرس لنا شيلتبرجر سبب قيام قرايوسف بقتل ميران شاه بعيد ذلك ، بدعوى أن الأخير قد قتل أخى قرايوسف ، الذي سبق له أن قتل أحد إخوة ميران شاه الذي كان يدعى Zvchanger (جهانجير)

وهو نفس ما ورد لدى المؤرخ الفارسي شرف خان البديلي الذي أشار إلى نجاح قرا يوسف في النهاية في قتل ميران شاه و الاستيلاء على أرضه<sup>(٩١)</sup>.

بعد ذلك انتقل شيلتيرجر إلى خدمة أبي بكر بن ميران شاه لفترة أربع سنوات حسبما ذكر ، و لم تفته الإشارة إلى القوة الجسدية الواضحة لسيد الجديد متفقاً في ذلك مع ما ورد لدى ابن عريشاه<sup>(٩٢)</sup>.

و بينما كان لدى سيده الجديد ، أشار شيلتيرجر إلى وجود الأمير التتري جكرة أوغلان Tchekre ، برفقة أبي بكر بن ميران شاه قبل أن تصله سفارة من القبيلة الذهبية تطالبه بالعودة لتولي شئون الحكم بها<sup>(٩٣)</sup>.

و ما لم يذكره أسيرنا الألماني أن حكرة أوغلان كان من سلالة أوروس خان المعادية لأسرة طقتمش الحاكمة آنذاك<sup>(٩٤)</sup>. و هو ما دعاه للحوء إلى بلاط الأمير أبي بكر . حدث هذا قبل أن يرسل إليه الأمير التتري إديجاي Edigay ، الذي كان يعد شخصاً ذا مرجعية هامة لدى القبيلة الذهبية ، سفارة تدعوه للعودة إلى العاصمة سراي من أجل تنصيبه خاناً جديداً هناك.

و على الرغم من إشارة شيلتيرجر إلى التقليد السياسي انتتري الذي يقضى بضرورة وجود مرجعية عليا من سلطتها تعيين الحن وخلفه ، كما تحتفظ أبيض بسلطة كبير على أتباعها<sup>(٩٥)</sup> ، فإنه قد أغفل الدور الكبير الذي لعبه الأمير إديجاي عبر التاريخ السياسي والعسكري للقبيلة الذهبية لعدة عقود . فقد انحدر من قبيلة قونكرات ، و كان حليفاً للخان طقتمش . قبل أن يتخلى عنه ليتحول إلى معسكر تيمورلنك إبان المواجهة بينهما في موقعة كوندروشا عام ١٣٩١م<sup>(٩٦)</sup>.

و بعد مقتل طقتمش ، نجح الأمير إديجاي في الاستيلاء بشئون القبيلة الذهبية بشكل تام ، فأعاد لها هيبتها السياسية والعسكرية ، قبل أن يقوم بتعيين تيمور قتلغ خان ( ١٣٩٥ - ١٤٠٠م ) . الأمر الذي جعله صاحب التأثير الكبير على مقدرات الأمور . و هو ما دفعه بعد ذلك إلى قيادة جيش من تزار القبيلة الذهبية و إيقاع مذبحة كبرى بالقوات الليتوانية على نهر Varskla عام ١٣٩٩م<sup>(٩٧)</sup>.

وبعد وفاة تيمور قتلغ ، قام إديجاي بتعيين شادي ، أخى تيمور و روج إبنته ، خاناً على القبيلة الذهبية ( ١٤٠٠ - ١٤٠٧ م ) . و كان من الطبيعي أن يقع الخان الجديد تحت تأثير

الشخصية الطاغية لإديجاي ، والذي ما أن اختلف معه حتى أمر بقتله <sup>(١٩٨)</sup> . ليقوم بعد ذلك بتعيين بولاد خاناً جديداً (١٤٠٧ - ١٤١٠ م) <sup>(١٩٩)</sup> .

وبأن ذلك ، أظهر إديجاي عداً نحو مدينة موسكو التي قام بحصارها بنفسه عام ١٤٠٨ م بسبب امتناع أميرها فاسيلي Vasilii عن دفع الجزية ، فضلاً عن عدم اشتراكه معه في حربه ضد الليتوانيين من قبل ، و كذلك بسبب منحه الحماية لأهناً طقتمش .

و على الرغم من عدم نجاح الأمير التتري في اقتحام موسكو ، فإنه لم يوافق على رفع الحصار عن المدينة الا بعد حصوله على جزية تقدر بثلاثة آلاف روبل ، بالإضافة إلى استيلاء المغول على العديد من المدن الروسية مثل Ryazan ، Novgorod ، Rostov ، فضلاً عن قتلهم و أسرهم للعديد من الروس المسيحيين ، حتى أنهم وصلوا إلى تخوم مدينة Tver التي تقاعس أميرها عن نصرة التتار لدى حصارهم لمدينة موسكو <sup>(٢٠٠)</sup> .

بعد ذلك قام إديجاي برفع حصاره عن المدينة ، وعاد إلى العاصمة سراي في استجابة لنداء الخان الجديد بولاد (١٤٠٧ - ١٤١٠ م) <sup>(٢٠١)</sup> .

و هكذا استمر الأمير إديجاي في فرض هيمنته السياسية على الأمور في القبيلة الذهبية حتى عهد كبك خان (١٤١٤ - ١٤١٧ م) ، حيث أعاد مهاجمة موسكو ثانية و قام بإحراقها بالإضافة إلى مدينة Smolensk عام ١٤١٥ م <sup>(٢٠٢)</sup> .

و حدث أن دب الخلاف بين كبك خان و إديجاي ، فقام الأخير بإرسال سفارة إلى الأمير بكرة أوغلان الموجود لدى أبي بكر بن ميران شاه تستدعيه لتولى الأمور في القبيلة الذهبية .

و هكذا أشار شيلتبرجر إلى موافقة سيده أبي بكر على عودة الأمير التتري إلى بلاده وبالإضافة إلى ذلك ، فقد قام بإرسال ٦٠٠ فارس معه ، كان من بينهم خمسة من المسيحيين ، على رأسهم شيلتبرجر نفسه <sup>(٢٠٣)</sup> .

لم ينس شيلتبرجر أن يصف بسرعة البلاد العديدة التي مر بها حتى أراضى التتار برفقة حكرة أوغلان ، مثل بلاد الكرج ، وشروان ثم درسد ( البوابة الحديدية ) ، فاستراخان حتى العاصمة سراي <sup>(٢٠٤)</sup> .

و تم اللقاء في النهاية بين الأخير و الأمير إديجاي ، الذي كان برحلة صيد في أراضى

سيبيريا . و بعيد عودتهما معاً إلى بلاد القفجاق ، قاما بإعلان الحرب على كيك خان و قتله ، و هكذا نجحوا في القبض على مقدرات الأمور في العاصمة سراي .

حدث هذا قبل أن يدب الخلاف فيما بعد بين الأمير إديجاي و الخان الجديد جكرة أوغلان بعد ذلك بتسعة أشهر ، ليقوم إديجاي بعزله و تعيين السيد أحمد أوغلان<sup>(١١٠٤)</sup> بدلا منه .

و بعد مرور فترة من الإضطرابات السياسية لدى مغول القبيلة الذهبية ، قام الأمير إديجاي ، بما له من مرجعية عليا ، بمحاولة أخيرة للسيطرة على مقاليد الأمور . غير أن ذلك كان بلا جدوى<sup>(١١٠٥)</sup> ، فقد نشب صراع طويل بين أبناء أسرة الخان الأسبق طقتمش ،والأمير إديجاي ، بعدما خرج الإبن للأخذ بشار أبيه ، و حقق انتصاراً على إديجاي ، الذي فضل الفرار ، قبل أن ينجح كوجك محمد ابن أخى طقتمش في قتله<sup>(١١٠٦)</sup> في العام ١٤١٩ م .

و بحسب ليوهان شيلتيرجر أنه مع اهتمامه بذكر التقلبات السياسية التي مرت على القبيلة الذهبية ، فإنه قد اهتم أيضاً بتدوين مشاهداته في منطقة سيبيريا التي مكث بها وقتاً طويلاً برفقة إديجاي و الأمير النشري جكرة أوغلان . فقد خلف لنا وصفاً رائعاً لتلك البلاد ، التي اعتقد أهلها أن الصحراء الواقعة خلف الجبل المائل أمامهم ، إنما قتل نهاية المعمورة بالنسبة لهم . فضلاً عن أنها منطقة موحشة لا يمكن العيش بها بسبب الحيوانات المفترسة التي تجوس فيها .

و في ملاحظة أنثروبولوجية هامة يذكر شيلتيرجر وجود قوم متوحشين لا يشبهون بقية البشر ، إذ يغطي الشعر أجسادهم بالكامل عدا الوجه و الكفين ، و يدورون حول بعضهم البعض مثل الحيوانات المتوحشة ، يعيشون على ذلك الجبل ، فضلاً عن أنهم يقومون بأكل أوراق الأشجار و الأعشاب و كل ما يقع تحت أيديهم . و أشار إلى أن حاكم تلك المنطقة كان قد أرسل إلى الأمير إديجاي برجل و امرأة من هؤلاء السكان المتوحشين<sup>(١١٠٧)</sup> .

ويبدو أن حديث شيلتيرجر هنا كان حقيقياً فيما يتعلق بهذا البعد الأنثروبولوجي للمنطقة ، فقد شاهد الباحث السوفيتي يادزار باراديين Badzar Baradiin أحد هؤلاء الرجال بالفعل في العام ١٩٠٦ م ، الأمر الذي ساهم في قيام العديد من الدراسات الأنثروبولوجية في هذا الميدان حول هذا الجنس البشري الذي عرف علمياً باسم Mongolian Almas<sup>(١١٠٨)</sup> .

و بعيداً عن إشارته عن تطابق أحجام الخيول و الحمير ، و إلى الحيوانات التي لم يرها من قبل في بلاده ألمانيا ، فإن أهم ما ذكره شيلتيرجر عن سيبيريا كان وجود العربات و الزلاجات



التي تستخدم لحمل الأشخاص و المتاع . و لم يفته ضخامة حجم الكلاب التي تماثل حجم الحمير<sup>(١١١)</sup>.

و يكاد يتطابق وصفه لتلك العربات و الزلاجات مع وصف ماركوبولو ، الذي وصف تلك العربات و الزلاجات فى سيبيريا بشكل أكثر تفصيلاً بوصفها خالية من العجلات ، و مسطحة القاع ، كما يستخدم السكان الكلاب التي تبلغ حجم الحمير أيضاً فى جرّها ، بحيث تقوم ستة أزواج من الكلاب بجبر العربة الثنى يقوم صاحبها بقيادتها ، و برفقته أحد التجار مع سلعه و بضائعه<sup>(١١٢)</sup>.

كما يتطابق ذلك أيضاً مع رواية ابن بطوطة الذى تحدث عن أراضى جليدية فى سيبيريا ، فذكر أن العربة يجرها أربعة من الكلاب التي تحظى بأهمية كبرى فى تلك البلاد لأنها الوحيدة التي تستطيع السير فوق الجليد " فلا تثبت قدم آدمى ، و لا حافر الدابة فيها ، و الكلاب لها الأظفار ، فتثبت أقدامها فى الجليد " <sup>(١١٣)</sup>.

وفى لمحة أنثروبولوجية أخرى سابقة على ذلك أشار شيلتيرجر إلى أنه حينما كان فى حاشية شاه رخ فى مدينة هراة ، سمع عن وُحود شبح طاعن فى السن يبلغ من العمر ٣٥٠ عاماً " ... تدلى حاجبه على وجنتيه ، ووصلت لحينه حتى الركبة . بينما تدلى شعر أذنيه على فكه ، وبلغ طول أطرافه بوصة واحدة " . وأشار إلى احترام وإجلال السكان المسلمين له <sup>(١١٤)</sup>.

ومن المثير أن نرى أن تلك الملاحظة تكاد تتفق مع ماورد فى المصادر الإسلامية القريبة والمعاصرة لفترة أسر شيلتيرجر ١٣٩٦-١٤٢٧م. فقد أشار الرحالة ابن بطوطة فى القرن السابق له ، إلى أنه بعد مغادرته مدينتى نيسابور ووسطام باتجاه جبال الهندكوش ، وصل إلى زاوية الشيخ أطا أوليا ( أبو الأوليا ) بجبل بشاي ، ليجد شيخا يبلغ من العمر ٣٥٠ عاماً ، يتبرك به حكام المنطقة من السلاطين والخواتين . غير أنه ، ويعكس شيلتيرجر الذى سمع عن الرجل ولم يقابله ، لاحظ أن سنه تبدو أصغر مما قيل له <sup>(١١٥)</sup>.

وقد أشار ابن عريشاه أيضاً إلى ذلك الدرويش ، وذكر أنه دعى بالشيخ العريان ، غير أنه ذكر أنه كان يعيش فى مدينة سمرقند . واتفق مع ابن بطوطة أيضاً فى أنه على الرغم مما قيل عن عمره الذى بلغ ٣٥٠ عاماً ، فإنه تمتع بصحة جيدة ، ولم يبد أنه قد طعن بالسن <sup>(١١٦)</sup> .

على أية حال ، فبعد عودة شيلتيرجر برفقة جكرة أوغلان و الأمير إديجاي من بلاد سيبيريا

إلى سراى عاصمة مغول القبيلة الذهبية ، مكث بها حوالى عشرة أعوام حتى تمكن من الفرار بعد ذلك إلى مدينة القسطنطينية عبر البحر الأسود . و من ثم نجح فى العودة إلى بلاده ألمانيا فى العام ١٤٢٧م.

و كان من الطبيعى أيضا للأسير الألمانى أن يتناول بعض العادات الاجتماعية لدى المغول الذين عاش بينهم ، فعلى سبيل المثال ذكر شيلتبرجر أنهم لم يكونوا يزرعون سوى الذرة ، و يأكلون لحوم الخيل ، بينما لا يأكلون الخبز و لا يشربون الخمر ، و لديهم مشروبهم المعروف المستخرج من ألبان أنثى الخيول<sup>(١١٥٥)</sup> . و هو ما يتطابق مع مشاهدات الرحالة المسيحيين و المسلمين الذين زاروا بلاد المغول من قبل<sup>(١١٥٦)</sup>.

كما ذكر أنه رأى المغول إبان إقامته لديهم يدمون الخيول و يشربون دماها<sup>(١١٥٧)</sup> . كما أنهم يقومون بوضع قطع اللحم بعد تقطيعها إلى شرائح و تملحها تحت أسرجة الخيول خلال سفرهم الطويل ، فإذا شعروا بالجوع ، توقفوا من أجل تناول طعامهم هذا ، بعد تمام نضجه بسبب سخونة الخيول أثناء حركتها . كما أشاد بشجاعة المغول و بسالتهم فى الحروب ، و شدة اهتمامهم بها ، و حسب كلماته " ... لا يوجد من هو مولع بالحرب مثل أهالى مملكة التتر ، فالقتال و السفر عندهم سواء " <sup>(١١٥٨)</sup>.

وهكذا حدثنا شيلتبرجر عن ولع السكان التتار ، رجالا ونساء بالحرب ، فلم تفته الإشارة كذلك إلى شجاعة وبأس النساء التتريات حينما كان برفقة جكرة خان والأمير إديجاي عندما قدمت إليهما سيدة تترية تقود أربعمائة فتاة وسيدة ، على صهوات الجياد ومسلحات كالرجال، لتطلب الثأر عن قتل زوجها . ويذكر شيلتبرجر أنها نجحت فى النهاية من القصاص منه بعد أن تم أسره وتقدمه لها ، فأمرته أن يجثو على ركبتيه ، قبل أن تستل سيفها لتطيح برأسه فى ضربة واحدة<sup>(١١٥٩)</sup>.

وإذا كان ثمة مبالغة فيما سبق فإنها قد تتعلق فقط بأعداد الفتيات والنساء المرافقات لها ، على الرغم من تأكيد لروايته " ..لقد كنت حاضرا هناك ، وشاهدت هذا بنفسى أيضا " <sup>(١١٦٠)</sup> ، وذلك لأننا نعرف من المصادر التاريخية المعاصرة لتاريخ المغول إحادة النساء المغويات لعون القتال والحرب . فقد ظهرت المغويات كمحاربات مثل الرجال تماما فى ثنايا التاريخ العسكرى للمغول ، واتصفن بالشجاعة والإقدام . كما اعتلن صهوات الجياد ببراعة ، فضلا عن مهارتهن

فى استخدام السهام والأقواس<sup>(١٢٢)</sup>. وكن يتميزن عن المقاتلين الرجال بغطاء للرأس ، وحزام حول الخصر ، فضلا عن شد أثدائهن بحزام آخر<sup>(١٢٣)</sup>.

ويبدو أن اشترك النساء المغوليات فى القتال كان موجودا منذ عهد جنكيز خان ،الذى كانت إحدى بناته زوجة للقائد المغولى تقاجار كوركان الذى قتل بينما كان على حصاره لمدينة نيسابور ، فانفجعت الزوجة إلى داخل المدينة بعد اقتحامها لتأمر جميع سكانها فى الحال<sup>(١٢٤)</sup>.

كما أن قوتولون جغان، ابنة قايدو حفيد أوكتاي ، أظهرت شجاعة فى القتال بعدما حاربت عدة مرات فى صفوف القوات المغولية غير النظامية فى القرن الثالث عشر الميلادى<sup>(١٢٥)</sup>.

واستمرت مشاركة النساء المغوليات بعد ذلك فى الحروب ، فيحدثنا البديلى عن إحدى النساء المغوليات التى قتلت عشرة من الرجال بمفردها من أكراد اللر فى إحدى المعارك بينهما<sup>(١٢٦)</sup>.

ومن الواضح أن التقليد المغولى الذى قضى باشتراك النساء فى القتال لم يستمر فقط حتى زمان شيلتيرجر ، حسبما تأكد من ابن عرشاه الذى أشار إلى شجاعة نساء التتار فى المعارك التى خاضتها جيوش تيمورلنك . بل ظلت النساء المغوليات لفترة طويلة بعد ذلك على عاداتها فى المشاركة فى القتال إلى حوار الرجال ، وهناك العديد من الأدلة على اشترك السيدات من مغول الهند فى الحملات العسكرية طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين<sup>(١٢٧)</sup>.

على أية حال ، بعد أن مكث شيلتيرجر فى سراى Saray عاصمة مغول القبيلة الذهبية ، حوالى عشرة أعوام ( ١٤١٧ - ١٤٢٧م ) ، تمكن من الفرار بعد ذلك عبر البحر الأسود إلى مدينة القسطنطينية . و من ثم نجح فى العودة إلى بلاده ألمانيا ، ليملى كتابه الحافل بالأحداث التاريخية الهامة حول مجتمعات العثمانيين والمغول والماليك والبيزنطيين والأرمن .

غاية الأمر أن الأسير الألمانى طوف بها خلال رحلة أسره التى امتدت لواحد وثلاثين عاما (١٣٩٦ - ١٤٢٧م) فى كنف العثمانيين والمغول ، فرصد الكثير من مظاهر الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية والأنثروبولوجية لديهم . وعلى الرغم من اختلاط بعض الأمور عليه ، فإنه بعد مصدرا فى غاية الأهمية للعالمين العثماني والمغولى فى نهاية القرن الرابع عشر وخلال الربع الأول من القرن الخامس عشر الميلاديين .

## الهوامش

١- The bondage and Travels of Johan Schiltberger, A Native of Bavaria, in Europe, Asia, And Africa 1396-1427, Trans. by Telfer, B , with notes by Bruun , New York , 1879.

٢- عن موقعة نيقوبوليس ، انظر :-

Froissart , chronicle of Froissart. Trans By . John Bouchier. Lord Berners . edited by , Macaulay , G C , London , 1930 , pp 422-447; Doukas, M, Decline and Fall of Byzantium to The Ottoman Turks, Trans. by, Magoulias, H.J, Detroit, 1975, pp.83-85, Chalcocondylas, L, Historiarum Demonstrations, ed, B. G. Niebuhrii , book II , in, C.S H.B, Bonne, 1841, PP.75-77

وانظر أيضا موقعة نيقوبوليس في الكتاب الثاني من الترجمة الإنجليزية للكتب الثلاثة الأولى لنفس المؤلف :

Chalcocondylas, L, A Translation and commentary of the Demonstrations of Histories (Books I-III) , ed. by Nicoloudas , N , Athen , 1996 , pp. 199 - 201 ;

وانظر أيضا

Veszpremy, L, «Some Remarks on Recent Historiography of The Crusade of Nicopolis 1396», in , The Crusades and The Military orders Expanding The Frontiers of Medieval Latin Christianity , ed. by, Zsolt Hunyadi and Jozsef Laszlovsky , Budapest, 2001 , pp.223-230

و انظر أيضا هذه الدراسة الهامة على الرغم من كلاسيكيتها :

Atiya, A S, The Crusade of Nicopolis , London , 1934.

و عن الصراع بين العثمانيين و القوى المسيحية الأوربية حتى سقوط القسطنطينية ، انظر :

Charanis, p, «The Strife among The Palaeologi and The Ottoman Turks 1370-1402 », in , Byzantion, xvi, 1942- 1943

Inalcik , H, «The Ottoman Turks and The Crusades , 1329-1451», in, A History of The Crusades , ed By, Setton , K., M., vol., vi, Wisconsin, 1989, pp. 222-275

٣- عن موقعة أنقرة بين تيمورلنك و السلطان العثماني بايزيد الصاعقة انظر المصادر العثمانية والعربية والعربية التالية :-

Asikpasaoglu, Asikpasa Tarihi, Hazirlayan, H. Nihal Atsiz, Ankara, 1985, p. 78 ; Khwandamir, Habibus-siyar, Tome Three . The Reign of The Mongol and The Turk , part one Genghis khan ~Amir Temur Trans. and ed. By , W M, Thackston ,Harvard university , 1994, pp. 282-285

شرف الدين يزدى ، ظفر نامه ، تاريخ عمومى مفصل إيران درويرة تیموریان بتصحيح وإتمام محمد عباسى ، أزرى نسبی که ، در عصر مصنف نوشته شده ، جلد دوم ، تهران ، ۱۳۳۶ هـ ، ص ۳۰۷- ۳۲۳ ، تزوگات تیمور ، مقالات أول فی تدبیرات وکنکاشها ، ص ۱۵۳ - ۱۶۰ ، ابن عرشاه ( شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى ) ، عجائب المقدور فی نوائب تیمور ، بتحقيق أحمد فايز الحصى ، بيروت ، ص ۱۹۸۹ ، ص ۳۲۰- ۳۲۹ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فی ملوك مصر والقاهرة ، ج ۱۲ ، القاهرة ، د.ت ، ص ۲۶۷- ۲۶۸ وانظر أيضا المصادر البيزنطية التالية :

Chalcocondylas ,L, op cit, pp 156 -158 , Doukas , op cit, pp 91-95; Sphrantzes, G, The Fall of Byzantine Empire The Chronicle by George Sphrantzes , Trans. by, M Philippides, Amherest, 1980, p 21

وراجع كذلك هذه الدراسة الهامة :

Alexandrescu - Dersca , La Campagne de Timur En Anatolia , 1402, London , 1972

4- Schiltberger, J, op cit, p 1.

٥- هذه المنطقة عبارة عن عور أو مضيق بطول ٢٠ ميل بطول نهر الدانوب في مكان يقطع جبال الألب الترنسالفية على الحدود ما بين رومانيا و يوغوسلافيا السابقة . انظر

Webester New Geographical Dictionary , New York , 1996 , p 145

6- Schiltberger, op. cit, p. 2

7- Loc cit

8- Chronicle of Froissart , p 443

9- Schiltberger, op cit, pp 2-3 .

شرح عزيز سوريال عطيه فى مناقشة جادة لأعداد الجيش العثماني و الجيش المسيحي و ذلك عبر استعراض كافة المصادر الأوربية و العثمانية المتاحة ، و خلص إلى أن الجيش العثماني ربما كان قد بلغ عدده ١١٠ ألف رجل و بخلاف جيش القوى المسيحية الذى قدر عدده ب ١٠٠ ألف رجل ، يذكر أن القوى كانت متكافئة فى ميدان المعركة . رافضاً المبالغة فى تقدير القوات العثمانية بوصفها حققت نصراً ساحقاً ، و التقليل من أعداد الجيش المسيحي بوصفه منى بهزيمة ثقيلة . عن ذلك انظر :

The Crusade of Nicopolis , pp 66-69.

10- Chronicle of Froissart , p.443.

11- Schiltberger, op cit, p.3

12- Loc. Cit

و يذكر عزيز سوريال عطيه أنه لسابق خبرة المحررين بقتال العثمانيين و معرفتهم بأساليبهم القتالية من الجنود الأوربيين القادمين من العرب ، فقد رأى الملك سيحmond أن يبدأوا بالقتال بالإضافة إلى أنه ، و خوفاً من الخيانة من جانب كلاً من ميرشيا Mercea و لازكوفيتش Laczkovic حكام ولاشيا و ترانسالفانيا ، فقد وضعهم فى موقع يجعل اتساعهم من المعركة صعباً كما أن الملك المجرى كان يدرك أن العثمانيين يدخرون زهرة جيشهم للمعركة الفاصلة ، فأراد أن يدخر أفضل قواته لذلك . عن ذلك انظر

The Crusade of Nicopolos , p 85

13- Froissart , op. cit, p.445

و يرى عزيز سوريال أيضاً ، أن دوق بورجنى de coucy و كبار قادته قد تفهروا وجهة نظر الملك المجرى ، غير أن صفار القادة الفرنسيين رفضوا خطة سيحmond ، و ارتأوا ضرورة المبادرة بالهجوم . انظر :

The Crusade of Nicopolis , p 85

14- Schiltberger, op cit, pp 3-4 ; Froissart , op cit, p.445

الذى ذكر أن الملك فر من ميدان المعركة تاركاً خلفه كافة متعلقاته و خاصة المجوهرات و المعادن النفيسة ، و بدأ سعيه أن يهرب بحياته . انظر أيضاً : Atiya, op cit, p.94

15- Schiltberger, op cit, p.4 , Doukas , op cit, pp 84-85 ; Froissart , op. cit, pp 445-446

الذى ذكر أيضاً أن عدد الجنود المسيحيين الذين قتلوا فى المبادرات التى تلت المعركة كان أكبر من الذين قتلوا فى المعركة نفسها . و انظر أيضاً Atiya, op. cit, p 94

16- Schiltberger , op cit, pp.3-4

17- Loc cit

18- Loc cit

19- Chronicle of Froissart , . op.cit,pp.446-447 ; «Decline and Fall of Byzantium » pp 84-85 .

20- Froissart , op cit, p. 445.

21- Froissart, op . cit, p. 447 ; Atiya , op .cit, p 96

عندما أدرك جاك دي كريك الهزيمة التي حاقّت بالجيش المسيحي قام بتسليم نفسه للعثمانيين ، الذين استفادوا من خبراته كما سبق القول . قبل أن يقوموا بإطلاق سراحه فيما بعد مقابل فدية ذهبية و فضية . انظر :Froissart , op cit , p.445

كذلك أطلق السلطان بايزيد سراح العارس الفرنسي جاك دو فاي Jacques du Fay ، الذي كان يعمل من قبل في خدمة تيمورلنك ، و بمجرد أن علم بدخول الفرنسيين والحرب ضد الأتراك ، قرع دعوته و توجه لمساعدة زملائه ، غير أنه سقط في الأسر بعد المعركة بواسطة الجنود القنار الذين كان تيمورلنك قد أرسلهم لمساعدة السلطان العثماني في حربه ضد القوى المسيحية . انظر :

Froissart, op. cit, p.445; Richard , J, « Les prisonniers de Nicopolis » , in , Annales de Bourgogne , t. 68 ,1996, p.76 .

22- Atiya , op. cit , pp 100 -101 .

23- Richard , J, op cit, pp. 76-77.

و عن السفارة التي أرسلها السلطان بايزيد إلى أوروبا التي كان أبرز نتائجها تحرير الأسرى المسيحيين بعد دفع فديات عالية لهم انظر : Atiya , op cit, pp. 101 -112

24- Froissart , op cit, p 447

يعد المارشال بوسيكويو أهم القادة العسكريين الأوربيين الذين نجحوا بعد التحرير من الأسر في الوقوف في وجه الطموحات العسكرية العثمانية خاصة عند حصار السلطان بايزيد لمدينة القسطنطينية ١٣٩٦ - ١٤٠٢ م . ولد في مدينة تور بفرنسا عام ١٣٦٤ م ، تم تعيينه حاكما على جزيرة جيوة عام ١٤٠١م بعد منحها لملك فرنسا لويس السادس عام ١٣٩٦ م .

عن النور التاريخي للمارشال بوسيكوي ضد العثمانيين و المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط

انظر :

; Godefroy , T. , ( ed. ) , Histoire de messier Jean de Boucicaut , mareschal de France , gouverneur de Genne , collections.vols vi , vii, Paris , 182-.

Delaville le Roulx ( Joseph ) , La France en Orient au XIV siècle: expéditions du marchal Boucicaut , 2vols , paris , 1886 ; Dopp , p. H. , (ed.) L'Egypte Au Commencement du Quinzieme siècle , d'Après Le Traite d'Emmanuel piloti de Crète (Incipit 1420) , Le Caire , 1950 ,pp.84-95.

25- Froissart , op cit , p. 447 ; Atiya , op. cit, p. 97.

٢٦- عن حصار السلطان بايزيد للقسطنطينية بعد موقعة نيقوبوليس .انظر :

Doukas , op. cit,pp 83 86 , Aşık paşa oğlu , op cit., pp 68 -70 ; Barker , J , Manuel II Palaelougus ( 1391- 1425), A study in Late Byzantine Statesmanship , New Jersey , 1969, pp.127-128,138-144 ; Gautier , Un Recit indet Du Siege De Constantinople Par Les Turcs , 1394-1402 , in , Revue d. etudes Byzantion, Tom XIII, 1965,pp 100-110

27- Schiltberger , op. cit, p.5

28- Ibid, p. 5 ; Atiya ,op. cit, p.97

29- Atiya , op .cit ,p 86 , Hously,N, The Later Crusades from Leon to Alcazar, 1274-1580,Oxford,1992,pp 76 , Richard ,op.cit,p. 76 .

30-Atiya , op .cit ,p. 86 ; Richard ,op.cit,p. 76.

انتصرت قوات هنرى الخامس على قوات الملك الفرنسي شارل السادس على الرغم من التفوق العددي للقوات الفرنسية في أرنيكور في أكتوبر عام ١٤١٥م وذلك بفضل استخدامها ل سلاح المدفعية . ليتم الاعتراف بعد ذلك بمقتضى معاهدة تروى ١٤٢٠م بهنرى الخامس وريثا للتاج الفرنسى . بل والزواج أيضا من كاترين ابنة شارل السادس . عن أرنيكور وتداعياتها أنظر :

Treveliane,G,M, History of England ,London,1942,p,230; Painter,S, A History of the Middle Ages from 284 to 1500,London,1953,pp 354-358, Previte-Orton,C W, The shorter Cambridge Medieval History, vol 2, the Twelfth Century to the Renaissance , Cambridge,1979,p 978



31- Schiltberger ,op. cit,p. 4,7

الذي ينو إلى أنه أجبر على الهرولة على أقدامه لست سنوات مع رفاقه الآخرين أمام السلطان العثماني أينما ذهب . فقد جرت العادة أن يتخذ السادة ( السلاطين ) أتباعاً يهرولون أمامهم .

و انظر أيضاً :- Atiya , op. cit,ppp.96-97

الذي يشير إلى أن الدافع الرئيسي لدى العثمانيين للابقاء على حياة الأسرى من سكان صغار السن هو أنهم مازالوا في مستقبل العمر . وأمامهم سنوات طويلة من العبودية . و هو هنا يتزع صفة الإنسانية عن العثمانيين . على الرغم من أنه تم اغفاء الأسرى الشبان دون العشرين من القتل طوال فترة الحروب الصليبية . عن ذلك انظر : Richard , op. cit,p.77 .

32- « The Bondage and Travels » .p.7

حيث يذكر . . . هكذا مكثت مع العثمانيين اثني عشرة عاماً .

33- Loc.cit,p.21

هكذا أصبحت أسيراً لتيمورلنك الذي اصطحبني إلى بلاده . وعلى الرغم من حديثه المفصل عن موقعة أنقرة و هزيمة سيده بايزيد ووفاته في الأسر . فإني سئى أن بعدد عام ١٤٠٢م موعداً لهذه الموقعة و هو ما يشي بوقوعه في خطأ يتعلق بسنوات الأسر لدى العثمانيين منذ موقعة نيقوبوليس ١٣٩٦م و حتى موقعة أنقرة ١٤٠٢م.

حيث ذكر أنهم مكثوا في أدرنه خمس عشرة يوماً قبل أن يتم نقلهم بهراً إلى 34- Loc . cit, p.6

. غالببولي . حيث تم سجن ثلاثمائة أسير منهم في أحد الأبراج لمدة شهرين .

35- Atiya , op. cit, p.97 ; Richard ,op. cit, pp.77

كما أن الأخير يتحدث عن تحرير تيمورلنك لبعض الأسرى الأوربيين في مدينة بورصا . بعد سقوطها على أثر موقعة أنقرة و هزيمة بايزيد ١٤٠٢م . في إشارة صداقة إلى الملك الفرنسي شارل السادس .

36- Schiltberger , op. cit,p 7

الذي ذكر إصابته بثلاث جروح شديدة خلال موقعة نيقوبوليس . فخشي السلطان بايزيد عليه من أن يلتقي حنقه في الطريق إلى مصر

37- Dopp., op.cit , pp.109-110

و انظر أيضاً :

ولد مانويل بيلوتى عام ١٣٧١م فى جزيرة كريت الواقعة تحت السيطرة البندقية ، ومارس التجارة لمدة طويلة فى القاهرة والاسكندرية ، وكذلك مع الشام . أصبح مقربا من السلطان المملوكى الناصر فرج الذى دفعه للتعاوض مع دوق ناكسوس من أجل دفع الفدية المطلوبة من أجل إطلاق سراح الأخير للأسرى المسلمين لديه . أطلق عليه زملاؤه اسم « مانولى » . انظر : Dopp, op cit pp.xi-xii

أن دولف ، كم تهجد القاهرة ؟ ترجمة وتقديم قاسم عبده قاسم ، القاهرة ، ٦-٢٠٠٢م ، ص ١٣٥-١٣٧ .

82. p. « Les Prisonniers de Nicopolis » - 38

كما أنه يفسر ذلك بأن السلطان العثماني قد أهدى السلطان المملوكى برفوق 60 أسيراً كما ذكر شيلنجر من قبل ، أما باقى المائتين فكانوا من أسرى معركة نيقوبوليس أيضاً . و قد اشتراهم السلطان المملوكى فيما بعد .

10-7 pp « The bondage and Travels » - 39

الحقيقة أن هناك تضارباً فى الآراء حتى بين المصادر العثمانية حول زمان موقعة أقي جاى . حيث يذكر كلا من عاشق باشا زاده وأوروج بك أنها قد حدثت إبان حملة السلطان بايزيد الأولى على الأناضول قبل نيقوبوليس بعدة سنوات . انظر :

Aşık Pasaoglu , pp 72-73; Oruç Beğ, Oruç Beğ Tarihi ,hazırlayan , Atsız, İstanbul, 1973, pp.55-56 ; وكذلك : Atiya , op.cit,p.17

أما شيلنجر فيحدها فيما بعد معركة نيقوبوليس ، أى حوالى العام 1397م . و هو ما يزيد فيه الباحث التركى أوزون تشارشيلي .

انظر : Uzuncarsili, "Karamanogullari", Artin Anadolu Beylikleri ve Akkoyunlu, Karakoyunlu, Devleteriim, Ankara. 1969 , p 15

معتماً على المصدر التاريخى المعروف بزم و رزم ، الذى تناول أخبار مدينة سيواس و حاكمها الفاضل برهان الدين . و الذى أشار إلى وجود علاء الدين القرمانى على قيد الحياة حتى العام ١٣٩٦م .

٤٠- فى الحقيقة فإن سياسة السلطان بايزيد كانت تهدف إلى تصفية الأسر التركمانية الحاكمة فى الأناضول ، بهدف تحويل إماراتهم إلى ولايات عثمانية . عن ذلك انظر :-

خليل اينالجا « العثمانيون - النشأة و الازدهار » ، بحث فى كتاب . دراسات فى التاريخ العثمانى ، ترجمة و تقديم سيد محمد السيد ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ٥٤

٤٣- ابن عرشاه، المصدر السابق، ص ٣٤-٣٤١، ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٦٩. انظر أيضاً: Hously, op. cit, p.81

عن ذلك راجع المصادر التاريخية المملوكية و العثمانية التالية :-

الصيرفى ( الخطيب الجوهري على بن داود ) ، نزعة النفوس و الأبدان فى تواريخ الزمان ، ج ٢ ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ٥٥ ؛ ابن إياس ( محمد بن أحمد بن إياس الحنفى ) ، بذائع الزهور فى وقائع البهور ، ج ٢، ق ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٥٤٧ ، : Oruç Beg , op. cit. , p. 75 ; Aşık paşa öğüz , op. cit. , p. 57.

انظر أيضاً : عبد الرازق الطنطاوى القرموط ، العلاقات المصرية العثمانية ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص ٤٢.

٤٥- أدرك السلطان بايزيد أبعاد الخطر المغولى مبكراً ، فأرسل فى العام ٧٩٥ / ١٣٩٢م رسالة للسلطان المملوكى برقوق يحذره من أطماع تيمورلنك و يخبره أنه يصعب تحت تصرفه ٢٠٠ ألف رجل لهذا الأمر . انظر : المقرئى ( تقى الدين أحمد بن على ) ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٣ ، ق ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٨١٣ ؛ ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١، ق ٢، ص ٤١٧.

و إذا كنا نستطيع تفهم دوافع السلطان العثمانى بايزيد فى مواجهة الأطماع المغولية ، فإن ما يثير الاستغراب هنا هو حجم القوات العثمانية التى عرض إرسالها لمساعدة السلطان المملوكى برقوق . فلم يكن لدى السلطان العثمانى الذى كان يحاصر القسطنطينية منذ عدة أعوام - هذا العدد من القوات لإرسالها للسلطان المملوكى فى القاهرة. و ربما كان الأكثر صحة ما أورده ابن تغرى بردى من أن السلطان العثمانى قد أعد نفقة بمائتى ألف درهم لمساعدة السلطان المملوكى فى حربه ضد تيمورلنك . عن ذلك انظر :—

للمصدر السابق ، ج ١٢ ، القاهرة ، د.ت، ص ٥٩.

٤٦- ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١، ق ٢، ص ٤٧٦. و يبدو أن ابن تغرى بردى كان صاحب رؤية أكثر اتساعاً من السلطان المملوكى إذ انتقد قراره بشده ، لأنه كان يرى ضرورة تحالف القوى المملوكية و العثمانية عبر كثافة أعداد الجيوش المصرية و الخبرة العسكرية العثمانية . و على حد قوله : .. إن المصلحة كانت تقتضى الصلح مع ابن عثمان . - انظر المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢١٧.

٤٧- ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١، ق ٢، ص ٤٧٦.

كانت تلك المرة الأولى التي توجه فيها شيلتيرجر إلى مصر . قبل أن تعود القوات العثمانية إلى السلطان بايزيد من جديد . انظر أيضاً : Richard , op .cit,p.80

49- Ibid , p.10

٥٠- انظر المصادر التالية :

Aşık pasa oğlu , op.cit, p.74 ; Tursun Bey , Tarihi , Ebu'l-feth , Haziriyan , Mertol Tulum , İstanbul , 1977 , p. 159 ; Oruç Beg , op . cit , p.57

المقريزي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص٤ : ابن حجر العسقلاني ( شهاب الدين أحمد بن علي ) إنباء الغمر بأنباء العصر ، ج٢ ، تحقيق ، القاهرة . 1971م ، ص 107 ; 283 , p.88 , op . cit , Doukas , not .85 .

51- « The Bondage and Travels » , p. 20

عن غزو العاهل المغولي لمدينة سيستية ( ميواس ) انظر :

Khwandamir , op .cit , p. 274 ; Aşık pasa oğlu , op .cit, p.77 ; Oruç Beg , op .cit,p.58 ;

ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ - ١٩٤ : شرف الدين يردى ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ - ١٩٥ :

Doukas , op .cit,p.89 , Dennis , G , « Three reports from Crete on The Situation in Romania 1401-1402 , , in Studi Veneziani ,12,1970 ,p.254 . Doc. 1 ; Clavijo , Embassy to Tamerlane 1403 - 1406 , Trans.by , Le strange , G , London , 1928 , pp. 132 . .

غير أنه يذكر أن قوات سليمان بن بايزيد تألفت من مائتي ألف مقاتل ، بخلاف الجيش السلطاني نفسه . و من الواضح أن ذلك من قبيل المبالغة لأن السلطان العثماني كان على حصاره لمدينة القسطنطينية ذلك الوقت ، و لم تكن قواته بثل هذا العدد .

انظر أيضاً هذا المصدر الأرمني الهام الذي اتفق مع كافة المصادر التاريخية السابقة في بيان الوحشية و الفظاعة التي عامل بها العاهل المغولي تيمورلنك سكان مدينة سيستية عند غزوة لها عام ١٤٠٠م :

Tovma Metsobetsi's , « History of Tamerlane and His successors » p 13 in . <http://rbedrosian.com/tm1.htm>

٥٢- سعد زغلول عبد الحميد « الإسلام و الترك في العصر الإسلامي الوسيط » . مجلة عالم الفكر ، العدد ، الكويت ، ١٩٨٦م ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

و سبق أن حدثنا ماركو بولو في رحلته عن أمر قبلاي خان بإعدام خصمه تايان غير وضعه في بساطين مع تنقيضهما بقوة شديدة حتى قاضت روحه ، و يفسر الرحالة الأوربي الأشهر ذلك بأنه لم يكن يجوز في عرف التتار أن تشهد الشمس أو الهواء سكا دما ، فرد ينتمي إلى الأسرة الامبراطورية . و يعلق مارسدن على ذلك بأن عملية ازهاق روح أى شخص يعطى بمكانة عالية لدى المغول دون إراقة دمائه قد تكررت كثيراً . و ربما ورنها الأتراك عنهم غير استخدام وتر القوس في السراي السلطانية العثمانية . انظر :

ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، ترجمها إلى الإنجليزية وليام مارسدن ، ترجمها إلى العربية عبد العزيز جاويد ، القاهرة ، ١٩٠٤م ، ص ١٢ ، ٢٠٣ هامش ١٥ .

و يخصص ازهاق تيمورلوك لأرواح أهالي سيواس دون أى عملية لسفك الدماء ليمجد أن العاهل المغولي قد اعتبر أنه قد احترم أهالي المدينة عندما تنازل و اعتبرهم مثل الطبقة العليا بالمجتمع المغولي ، فحق عليهم الموت غير ازهاق أرواحهم دون سفك للدماء .

53- The Bondage and Travels , pp 9-10 , Richard , op cit , p 79 .

٥٤- تعد معركة أنقرة ١٤٠٢م من أهم المعارك التي دارت في العصور الوسطى ، و على الرغم من أنها جرت بين أكبر عاهلين مسلمين في ذلك الوقت ، فإن نتائجها كانت متباعدة على العالمين المغول الذي اتسعت رقعته عقب الاستيلاء على آسيا الصغرى ، و العثماني الذي دخل في دوامة حرب أهلية بعد أن كان على وشك فتح مدينة القسطنطينية .ص هذه المرفقة انظر ما سبق ص ٢ هامش (٣)

55- The Bondage and Travels . p 21 و انظر أيضا

Khwandamir , op cit , p. 280 , , Aşık paşa oğlu , op. cit , p.74.

٥٦- انظر : Khwandamir , op.cit , p.282 .

ابن عريشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ - ٣١٣ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٧ ؛ الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

57- The Bondage and Travels . p.21 .

عن انضمام القوات المغولية بالجيش العثماني إلى تيمورلوك ، و انسحاب القوات التركمانية من جيش بايزيد . راجع : ; Aşık paşa oğlu . op. cit , p 78 ؛ ابن عريشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٧ ؛ Doukas , op cit , p 93 .

٥٨- Schiltberger , op cit , p 21 يطابق هنا ما ذكره شيلتبرجر مع ما ورد في المصادر المعاصرة . من

دلك :

Khwandamir . op.cit , p.284 ؛ ابن عريشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر

السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٦٩ .

## 60- The Bondage and Travels ، p.22

ذكر شيلتهجر في مبالغة واضحة أن أعداد جيش تيمورلنك لدى حصار حلب كان مليون و مائتي ألف جندي ، و جعل قوات حاكم حلب تبلغ ثمانية ألف رجل ، و الحقيقة أن دمردش ، قائد قلعة المدينة كان قد أبدى مقاومة بطولية أمام جحافل القوات المغولية . قبل أن تنجح تلك القوات في النهاية في دخول المدينة و ارتكاب العديد من المذابح و الفظائع فضلاً عن أعمال السلب و النهب . إذا كان شيلتهجر قد أشار فقط إلى أن تيمور أمر بقتل كافة أهل حلب في خندق المدينة المائي قبل أن يملأه بالماء ، فإن باقي المصادر العربية و الفارسية و العثمانية تتحدث عما هو أكثر من ذلك بكثير .

عن اجتياح المغول لحلب - ١٤٠٠م و الفظائع التي قاموا بارتكابها بها انظر:

ابن اياس ، المصدر السابق ، ج١ ، ق٢ ، ص ٥٩٧ - ٥٩٨ ؛ ابن عريشة ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ - ٢٠٩ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ الصيرفي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٧٤ - ٧٧ ؛ المقرئ ، المصدر السابق ، ج٣ ، ق٣ ، ص ١٠٣٣ - ١٠٣٤ ؛ ابن العباد الحنبلي ( أنى الفلاح عبد الحى ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٧ ، بيروت ، د.ت ، ص ٦٤ ؛ شرف الدين بردي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، ٢١٨ - ٢٢١ ،

Khwandamir ,op.cit, pp 275- 276 ؛ Aşik paşa oğlu,op.cit, p 77, Oruç Beg ,op.cit,p 58 ؛ Tovma Metsobets:İs , op.cit , pp.13-14

تروكات تيمور ، مقالات أولى في تدبيرات وكتكاشها ، تهران ، د.ت

## 61- Loc.cit.

عن دخول القوات المغولية إلى دمشق . راجع المصادر العربية و الفارسية و العثمانية السابقة

٦٢ - Ibid , p.24 . عن غزو تيمورلنك لمدينة بغداد و ارتكاب الفظائع بها انظر:

Khwandamir ,op.cit. p278 ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٦٦ ؛ المقرئ ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٠٦٧ ؛ ابن اياس ، المصدر السابق ، ج١ ، قسم ٢ ، ص ٦٣٣ ؛ ابن العباد الحنبلي ، المصدر السابق ، ص ٦٥ ؛ انظر أيضاً:

ابن عريشة ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢ - ٣٠٦ ، الذي أشار إلى أنه نتيجة للوحشية و الفظائع التي ارتكبتها قوات تيمورلنك في بغداد . فقد صارت بعد أن كانت مدينة السلام ، دار السام »

63- Ibid . pp. 26-27

64 . Habibu.s - siyar .. pp.290 - 291

حيث يتحدث مؤرخنا الفارسي عن اسكندر شيخ ، تابع تيمور الذي شق عصا الطاعة عنه . فأرسل المعامل المغولي وراه أمير زاده رستم و الأمير سليمان شاه . واستمرت المطاردة طويلاً بسبب اختباء اسكندر شيخ في الغابات الكثيفة . حتى تم القبض عليه في النهاية و قتل . غير أن رواية حبيب السير لم تشر أيضاً إلى مسألة استيلائه على الحراج . عن ذلك أنظر أيضاً : حافظ إبراهيم ، ذيل كتاب ظفر نامه نظام الدين شامي ، تهران . د.ت. ، ص ١٤ - ١٥ .

٦٥- The Bondage and Travels ، pp 27-28 : انظر : ابن عربشاه ، المصدر السابق ، ص ٩٨ - ٦٠١ ، ابن خلدون ( عبد الرحمن بن خلدون ) كتاب العبر و ديوان الجندأ و الحبر ، ج ٥ ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص ٥٤٠ . Khwandamir , op.cit. p.257.

66- The Bondage and Travels ، p.27

٦٧- أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، برنستون ، ١٩٣٠ م ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

68- The Bondage and Travels ، p.26

من استيلاء تيمورلنك على الهند - ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م . انظر للمصادر و المراجع التالية:

Khwandamir , op.cit. pp.264-268 : ثوب الدين بزي ، المصدر السابق ، ص ٩٧ - ٩٩ ، ١١٢ .

Tovma Metsobets'Is ، op.cit. p14 . غير أنه يذكر أن ذلك تم في العام ١٣٩٦م ؛ أنظر أيضاً : تزوكات تيمور ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ - ١٣٩ .

انظر كذلك : المقرئ ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٨٩٢، ٩٣٤ ؛ ج ٢ ، ص ١٠٢٤ ؛ ابن اباس ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ ، ٥٩١ ؛ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ص ٢ ؛ اشبولر ، ب ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد سعد ، مراجعة سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٢ م ، ص ١٢٤ ؛ أحمد الساداتي ، تاريخ الدول الاسلامية في آسيا و حضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٠٢ ، فابري ، أ ، تاريخ بخاري منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد الساداتي ، مراجعة و تقديم يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٣٢ . حيث يصف بالتفصيل المعركة التي دارت بين تيمورلنك و حاكم الهند ملو ، و كيف نجح جنود تيمور في خداع و إثارة الأقبال الهندية بحيث انقلبت على أصحابها . و عن حملة تيمورلنك على الهند انظر أيضاً : Clavijo , op.cit. pp. 255 - 256 .

الذي يتحدث أيضاً عن تحميل المغول للحمال بالأخشاب و اشعال التيران بها ، و فرار الأقبال من أمامها . غير أنه يتحدث عن وجود خمسين قبلاً فقط في الجيش الهندي .

استخدم شيلتيرجر هنا وحدة الوزن zentner التي تعادل مائة كيلو جرام . مع إشارة أخرى تظهر معرفته بالسلع والمعادن في عصره ، عندما نوه إلى أن ذهب الهند آنذاك كان يفضل على ذهب الجزيرة العربية.

٧٠- قام المحول تحت قيادة قبلاي (١٢٥٧-١٢٩٤ م) بغزو الصين و ترتب على ذلك أن دفع خلفاء الجغتانيين في سمرقند ضريبة سنوية له . بعد ذلك تدهورت أحوال خلفاء قبلاي . قبل أن تظهر العام ١٣٧٠ م أسرة ملكية مغولية في الصين ، عرفت باسم أسرة يوان Yuan بعد ذلك ظهرت أسرة ملكية أخرى هي أسرة مينج Ming ، التي أسسها الامبراطور Hongwan الذي مات عام ١٣٩٩ م . ليحكم بعده الامبراطور Chung tsu الذي أصبح اسمه رسمياً الامبراطور Yuanglo خلال الأعوام ١٤٠٣-١٤٢٥ م . وهو الحاكم الذي أسماه كلاقيجر Chayscan أو Chayskan ، والذي أطلق عليه المحول لقب Tanguz .

و على أية حال أراد هنا الامبراطور الذي عرف أيضاً باسم جودي أو جوتشي أن يرغم تيمور على دفع الضريبة السنوية المفروضة على حكام سمرقند إلى البلاط الصيني . انظر :

Clavijo , J . Embassy to Tamerlane 1403- 1406 Trans by Le strange , G . London , 1928

، p 358 not 2

و انظر أيضاً ، لويز ليفانيس ، يوم سادت الصين البحار معطرة عرش التنين ١٤٠٥ - ١٤٣٣ م ، ترجمة على أحمد كنعان ، بيروت ، ٢٠٠٥ م ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

71- Embassy to Tamerlane , op . cit. p. 222

٧٢- Ibid , pp. 223 ; p. 327. not 2 : لويز ليفانيس ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢

73- The Bondage and Travels ، p.28

بذكر المؤرخ الفارسي خواندمير خروج تيمورلنك لغزو الصين في جيش يبلغ تعدادة ثمانمائة ألف رجل . انظر :

« Habibu's-siyar » .p. 294 ، أنظر أيضاً : شرف الدين يزدى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٥ - ٤٥٢ ، حافظ ابره ، المصدر السابق ، ص ٢٥ - ٢٧ . و تذكر لويز ليفانيس أن تيمور خرج على رأس مائتي ألف رجل فقط عبروا نهر سيحون Jaxartez المتجمد قبل أن تعود على أعقابها دون تحقيق هدفها المرجو . انظر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

و انظر أيضاً كلاقيجو الذي أشار إلى بعد المسافة ما بين سمرقند عاصمة تيمور ، و بكين عاصمة الامبراطور الصيني ، التي تبلغ مسيرة ستة أشهر انظر : « Embassy to Tamerlane » ، p 291

74- " Habibu's-siyar",p.294 74-



٧٥- Ibid. pp. 294-295 75. و ذكر خواندمير أيضاً أن نهر سيحون يتجمد في الشتاء و يصبح لونه فضياً . كما أن الرياح القوية تدفع بكتل الجليد من الجبال و السهول إلى صقعة النهر ، مما يجعل المشهد كله أقرب إلى تكون الهمار .

٧٦- Loc.cit الذي ذكر أيضاً أن تيمور أرسل شخصاً آخر للتحقق من الطريق عبر مضيق قولان Qulan ، غير أنه عاد إليه ليخبره أن المضيق مغطى بالثلج بطول رحلين مما يستحيل اجتيازه . انظر أيضاً : شرف الدين يزدي ، المصدر السابق ، ص ٤٥٧-٤٦٩ .

٧٧- « عجائب المقدور في نواب تيمور » ، ص ٣٨٨ .

٧٨- The Bondage and Travels ، p.29 . وانظر أيضاً ابن عريشاء ، المصدر السابق، ص ٤٦٦ ، حيث أشار أيضاً إلى قتل تيمور لإحدى زوجاته « ... لشئ يلفه عنها ، وكان غير واقع »

بمسا بعدد خواندمير تاريخ وفاة تيمور تلك في الثامن عشر من فبراير عام ١٤٠٥م الموافق للسابع عشر من شعبان عام ٨٠٧ . وعن وفاة تيمور ، انظر أيضاً : Tovma Metsobetsi's op.cit. p. 14

الذي ذكر خطأ أن وفاته كانت في العام ١٤٠٨م . غير أن ذلك لم يرد في المصادر التاريخية المعاصرة لحياة العاهل المعزى التي أشارت إلى تخرج تيمور لكعبات من الحمر المنظر المزجج بالبهارات والتوابل كي يعينه على تحمل البرد القارس إبان حملته باتجاه الصين . انظر ابن عريشاء ، المصدر السابق ، ص ٣٩١-٣٩٢ ، ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٣٦٩ .

٧٩- ذكر كل من كاريبي و بولو أن نساء المهول يقتلن بالعفة و الاحتشام و الإخلاص لحياتهن الزوجية ، و لا يرتكبن الأعمال المشبته التي تحط من قدرهن . وأنه إذا ما حدث غير ذلك يتم على الفور إدانة الزانية و الزاني و توقيع عقوبة القتل عليهما في الحال . انظر : Dawson . ch. (ed.) Mission to Asia ، London ، 1966 ، pp. 15, 17 .

ماركو بولو ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥-١٣٦ .

٨٠- Habibu's - Siyar ، pp 299-300 حيث ذكر أيضاً وجود ٢٢ خليفة لديه .

٨١- Embassy to Tamerlane ، p. 261 " لا يعترض لي سترانج - مترجم كتاب كلايفر - على ذلك مقترحاً أنه إذا كانت الشريعة الإسلامية تتيح لتيمور الزواج من أربعة فقط . فإنه قد استثنى نفسه من ذلك ، تماماً مثلما كان يشرب الحمر دائماً ، في مخالفة واضحة للشريعة الإسلامية أيضاً . انظر : p 359, not 3 .

83- Schiltberger .op.cit.p.29

84- Habibu's - Siyar . p

Schiltberger . op.cit. p. 30 :

دعى الأسرى فى سمرقند راجع ما ذكره السفير الأسباني كلايفيو عن آلاف الأسرى من الحرفيين الذين جلبهم تيمورلنك من بلادهم من مسلمى دمشق و بلاد الأناضول و من المسيحيين بمختلف طوائفهم ، كالبيزنطيين و الأرمن و الكاثوليك و البعاقبة و النساطرة ، بخلاف الهند و الروس و الصينيين انظر : Embassy to Tamerlane . pp. 287-288

٨٦ - 86 . The Bondage and Travels . حيث ذكر أنه بعد وفاة تيمورلنك تم نقله إلى حاشية ابنه الأكبر شاه رخ الذى كان يملك أراضى خراسان و أرمينيا ، و أنه عندما كان يرافقه شتاء إلى أرمينيا كان يعيش وسط الأرمن الذين امتازوا بالود تجاه الألمان ، فأحاطوه بحفظهم و رعايتهم .

History of Tamerlane and His successors . p. 14 .

٨٨ - 30 . p. The Bondage and Travels . و يبدو أن التشوش الذى أصاب شيلنبرجر هنا عند حديثه عن أحوال الأسر لدى لمحول قد تأثر به المؤرخ الأرمي Tovma Metsobets . و هو ما يخالف باقى المصادر التاريخية الفارسية و للحظه لديه إذ قرر أن وفاة تيمورلنك كانت العام ١٤٠٨م ، و هو ما يخالف باقى المصادر التاريخية الفارسية و العربية . لكن ذلك يتسق مع الحفاً لحسابى لدى شيلنبرجر ، الذى تأثر به مؤرخا الأرمي . و هكذا سقط الأول فى الأسر بعبد موغقة أميرة ١٤٠٢م و حكمت ست سنوات عند تيمورلنك إلى وفاة الأخير عام ١٤٠٨م . انظر : History of Tamerlane . p 14

و يشى تأثر الرواية الأرمية بالتشوش الذى لارم حسابات شيلنبرجر . ثم أن نقلها رواية صوت العواء الصادر من قبر تيمورلنك بسمرقند يشى بأن المؤرخ الأرمي قد استمع إلى أحاديث الأسير الألماني يوهان شيلنبرجر من أصدقائه الأرمن . كما سبقت الإشارة خاصة و أن مؤرخنا الأرمي قد ولد العام ١٣٧٨م و مات عام ١٤٤٦م ، و كان لديه ٢٧ عاماً عندما وصل شيلنبرجر إلى أراضى أرمينيا مع سيده الجديد شاه رخ .

٨٩ - 30 . p. The Bondage and Travels . وعن مملكة شاه رخ فى خراسان . انظر : بارتولد ، المرجع السابق ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

Ibid . p. 31

٩١ - شرفنامه . الجزء الأول . ترجمة محمد على عوني . مراجعة يحيى الخشاب ، دمشق ٢٠٠٦م ، ص ٣٥٦ . الذى ذكر حدوث تلك المعركة فى (نشب غازان تبريز) ، ومن أهم نتائجها كان سقوط بلاد أذربيجان كلها فى قبضة قرا يوسف .

٩٢ - " 33 . p. The Bondage and Travels . انظر أيضا : عجائب المقدور ، ص ٣٩٩ .... و كان أبو بكر هذا فى الجفغف من الفوارس و الضارفين بالبيض السهام و القواس ... و كان يوقف بكرة .. و يضربها

بالسيف ضربة لا ضرتين ، فيجعلها قطعتين مفصولتين" . و عن أبي بكر بن ميران شاه انظر أيضاً :

Clavijo , op. cit. pp.317.

93- The Bondage and Travels , p.33 .

٩٤- محمد سهيل طقوش ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية و الهند ، بيروت ، ٢٠٠٧م ، ص ١٢٣ .

95- The Bondage and Travels , p.35 .

٩٦- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٩ .

97- Halperin , ch. Russia and The Golden Horde . London , 1985 .p.57

٩٨- انظر : ابن عريشاه ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

٩٩- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١١٧ - ١١٩ .

100- Robert Michell & Nevill Forbes (eds ) The Chronicle of Novgorod 1016 - 1471 . London , 1914 , p. 183 .

101- Loc.cit. P 33

102- "The Bondage and Travels ,

103- Ibid , p. 34

١٠٤- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

105- Halperin . op cit.pp 29.57

١٠٦- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

107- The Bondage and Travels , p.35

١٠٨- عن ذلك أنظر :

- Heaney ,M. The Mongolian Almas : A Historical Reevaluation of The Sighting By Baradiin , in , Crytozoology 2. 1983, pp. 40- 52 .

- Newton, M. " Almas / Almasi " . in. Encyclopedia of Cryptozoology A Global Guide. London. 2005. pp 19- 20

109- Loc.cit



١٢٢- سعد الغامدي المغول: بينتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، الرياض، ١٩٩٠م، ص ١١٣-

١١٤ .

١٢٣- عطا ملك الجويني، المصدر السابق، ص ١٧١. الذي يشير أيضا إلى أنها استثنت - كما عادة المغول- الحرفيين والصناع الذين تم أسرهم وإرسالهم إلى التركستان .

١٢٤ رشيد الدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاى قان إلى تيمورقان، ترجمة فؤاد الصياد، ص ١٠٧ الذي ذكر أن أنها تميزت بقوة بدنية مكنتها من هزيمة عشرات الرجال، وأعلنت أنها لن تتزوج سوى من الرجل الذي يستطيع هزيمتها. وسمح لها القائد قايدو بعد ذلك بأن ترافقه في كافة المعارك التي خاضها.

ويبدو أن تلك القصة قد تم تداولها في القرن التالي مباشرة، إذ نجد لها صدى عند حديث ابن بطوطة عن الصين الذي يشير إلى إحدى ملكاتهم التي كانت تقاوم الرجال وتصرعهم، فأخبرت أبيها أنها لن تتزوج سوى من يبارزها ويغلبها. انظر المصدر السابق، ص ٤١٣-٤١٤ .

١٢٥- المصدر السابق، ج ١، ص ٧٦ والزر الكبير والزر الصغير من أقاليم الجزيرة العراقية، كان غالبية سكانهما من الأكراد. راجع أيضا ص ٧٠

١٢٦- المصدر السابق، ص ٤٨١ وحسب كلماته «... بعضهم يهلب ما يصعب الفحول من الرجال في النزاع، من طعن بالرمح وضرب بالسيف ويقتل بالقبال»

١٢٧- عن ذلك أنظر، ريغا ميسرا المرأة في عصر المغول، ترجمة أحمد الجوارنة، إريد، ١٩٩٨،

ص ١٤٦-١٤٧ .

## قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

- ١- ابن بطوطة ( أبو عبدالله بن عبدالله اللواتي )  
رحلة ابن بطوطة المسماة بحقة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، بيروت ، د.ت.
- ٢- ابن تغرى بردى ( جمال الدين أبو المعاسن )  
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج١٢ ، القاهرة ، د.ت.
- ٣- ابن حجر العسقلاني ( شهاب الدين أحمد بن علي )  
إنباء الغمر بأبناء العمر ، ج٢ ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- ٤- ابن العماد الحنبلي ( أبي الفلاح عبد الحى )  
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٧ ، بيروت ، د.ت .
- ٥ ابن إياس ( محمد بن أحمد بن إياس الحنفى )  
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج١ ، ق٢ ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- ٦- ابن عريشاه ( شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى )  
عجائب المقدور في نوائب تيمور ، تحقيق أحمد فايز الحمصى ، بيروت ، ص ، ١٩٨٦ م .
- ٧- أسامة بن منقذ ،  
كتاب الاعتبار ، تحقيق قاسم السامرائى ، الرياض ، ١٩٨٧ م .
- ٨- الصيرفى ( الخطيب الجوهري على بن داود )  
نزهة النفوس و الأبدان في تواريخ الزمان ، ج٢ ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- ٩- المقرئى ( تقى الدين أحمد بن علي )  
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٣ ، ق٢ ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ١٠- ابن خلدون ( عبد الرحمن بن خلدون ) كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ، ج ٥ ، بيروت ، ١٩٨١ م .

## ثانياً : المصادر الفارسية و العثمانية :

1- Aşıkpaşaoğlu . Aşıkpaşa Tarihi . Hazırlayan . Nihal Atsız , An-  
kara. 1985 .

2- Khwandamir . Habibus-siyar . Tome Three . The Reign of The Mongol  
and The Turk Part one . Genghis Khan – Amr Temur . Trans and ed. By ,  
w.M. Thackston . Harvard university . 1994 .

3- Oruç Beg . Oruç Beg Tarihi . Hazırlayan . Nihal Atsız , I  
stanbul. 1973 .

4- Tursun Bey . Tarih-I Ebu'l-Feth . Hazırlayan . Mertol Tulum . Istanbul  
، 1977 .

٥- البديسي ( شرف خان ) شرفنامه ، الجزء الأول ، ترجمة محمد علي عوني ، مراجعة  
يحيى الحشاش ، دمشق ٢٠٠٦ م .

٦- الجويني ( عطا ملك ) ، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي ، ترجمة محمد التوحيجي ، المجلد  
الأول ، دمشق ، ١٩٨٥ م .

٧- الهمذاني ( رشيد الدين فضل الله ) ، جامع التواريخ ، تاريخ خلفاء جمكيزخان من أوكتاي  
قأن إلى تيمور قأن ، ترجمة فؤاد الصياد ، مراجعة يحيى الحشاش ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

٨- تزوكات تيمور ، مقالات أول في تدبيرات وكنكاشها ، تهران . د. ت .

٩- حافظ إبرو ، ذيل كتاب ظفر نامه نظام الدين شامي ، تهران . د. ت .

١٠- يزدي (شرف الدين ) ، ظفر نامه ، تاريخ عمومي مفصل إيران دروورة تيموريان  
بتصحيح وإقام محمد عباسي ، أزروي نسخي كه ، در عصر مصنف توشته شده ، جلد دوم ،  
تهران ، ١٣٣٦ هـ .

## ثالثاً : المصادر البيزنطية و اللاتينية و الروسية و الأرمنية :

1- Chacocondylas . Historiarum demonstrations ed. By. I Bekker .  
C.S H B . Bonne , 1843

2 - Clavijo , J. Embassy To Tamerlane 1403 -1406 .Trans. By. Le Strange  
 , G . London . 1928

3 - Dawson , ch.(ed.) Mission to Asia . London . 1966.

4 -Delaville le Roulx ( Joseph ) , La France en Orient au XIV siècle: expe-  
 ditions du marchal Boucicaut . 2vols , paris . 1886.

5 - Dennis.G. "Three reports from Crete on The situation in Romania 1401  
 - 14-2 " ,in S.V. 12 , 1970.

6 - Dopp.p.H. (ed.) LEgypte Au Commencement du Qunzieme  
 Siècle . d'Apres Le Traite d'Emmanuel e Au Commencement du Qunzieme  
 Sieomania 1401 - 14-Piloti de Crete (Incipit 1420 ) . Le Caire . 1950

7 - (ed.) Traite d'Emmanuel e Au Commencement du Qunzieme Sieoma-  
 nia 1401 - 14-Piloti sur Le passage en Terre saint (1420 ) , parise . 1958.

8 - Doukas . M. Decline and Fall of Byzantium to The Ottoman Turks . by  
 .Magonlias , H . J. , Detroit . 1975 .

9 - Froissart .Chronicle of Froissart , Trans . by John Bouchier ,Lord Bern-  
 ers ,edited by , Macaulay , G . C . London. 1930

10 - Gauter. P. " Un Recit Indet Du Siege de Constantinople par Les Turcs  
 , 1394- 1402 " , in , Revue d.etudes Byzantion. Tom , XIII ,1965.

11- Godefroy , T. ( ed. ) , Histoire de messier Jean de Boucicaut , mare-  
 schal de France . gouverneur de Gennes . collections.vols. vi , vii. Paris.182  
 5.

12-Robert Michell & Nevill Forbes (eds.) . The Chronicle of Novgorod  
 1016 - 1471 . London . 1914

13 - Marco Polo. The Travels. trans. By. William Maresden. London,  
 1980.



اعتمدت على الترجمة العربية لهذا الكتاب :

- ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ترجمة وليم مارسدن ، ترجمها إلى العربية عبدالعزيز جاويد ج٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م .

14- Schiltberger , J . The Bondage and Travels of Johan Schiltberger , A Native of Bavaria , in Europe , Asia , And Africa 1396 – 1427 . Trans . by Telfer , B . with notes by Brunn . P. New York , 1878.

15 - Sphrantzes.G. The Fall of Byzantine Empire . The Chronicle by George Sphrantzes , Trans. by M.Philippides. Amherest. 1980.p.21.

16- Tovma Metsobets;I;s , " History of Tamerlane and His successors " , in , [http. // rbedrosian . com /Tm 1 htm](http://rbedrosian.com/Tm1.htm)

#### رابعاً : المراجع الأجنبية :

1 - Alexandrescu – Dersca .La Campagne de Timur En Anatolia , 1402. London , 1972.

2 - Atiya. A. S. The Crusade of Nicopolis , London , 1934.

3 - Barker , J . Manuel II Palaelougus ( 1391- 1425). A study in Late Byzantine Statesmanship , New Jersey , 1969.

4 - Charanis.p. "The Strife among The Palaelogui and The Ottoman Turks 1370-1402 " .in .Byzantion. xvi. 1942- 1943.

5 - Dennis , G. " Three reports from Crete on The Situation in Romania 1401-1402 " . in ,Studi Veneziani ,12.1970.

- Halperin ch. Russia and The Golden Horde , London 6 1985.

7 - Heaney .M. The Mongolian Almas . Historical Reevaluation of The Sighting By Baradun , in. Crytozoology. 2. 1983.

8 - Hously.N. The Later Crusades from Leon to Alcazar. 1274-1580.Oxford.1992

9 - Inalcik . H. "The Ottoman Turks and The Crusades , 1329-1451".in. A History of The Crusades , ed. By. Setton , K. M. vol. vi. Wisconsin. 1989.

10 - Newton. M. " Almas / Almasti " , in. Encyclopedia of  
Cryptozoology : A Global Guide , London. 2005.

11- Painter.S. A History of the Middle Ages from 284 to 1500.London.1953.

12- Previte - Orton.C.W. The Shorter Cambridge Medieval History. vol.2. the Twelfth Century to the Renaissance . Cambridge.1979.

13- Richard . J. "Les prisonniers de Nicopolis " ,in . Annales de Bourgogne . t. 68 .1996

14-Treveliane.G.M. History of England .London.1942

15-Uzun çarşili . " karaman öğulları". Art in Anadolu Beylikleri ve Akkoyunlu.Karakoyunlu Devletlerin. Ankara. 1969.

14 -Veszpremy.L. "Some Remarks on Recent Historiography of The Crusade of Nicopolis 1396".in . The Crusades and The Military orders Expanding The Frontiers of Medieval Latin Christianity , ed. by. Zsolt Hunyadi and Jozsef Laszlovszky . Budapest. 2001.

### القواميس

1-Webster.s New Geographical Dictionary . New York , 1996.

سادسا :المراجع العربية والمعرية :

- ١ - أحمد الساداتي ، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا وحضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٦م.
- ٢- خليل إينالچك " العثمانيون - النشأة و الازدهار " ، بحث في كتاب : دراسات في التاريخ العثماني ، ترجمة وتقديم سيد محمد السيد ، القاهرة ، ١٩٩٦م.
- ٣- ريخا ميسرا ، المرأة في عصر المغول ، ترجمة أحمد الجوارنة ، إريد ، ١٩٩٨ م .
- ٤- سعد الغامدي ، المغول : يشتهم الطبيعة وحياتهم الاجتماعية والدنية ، الرياض . ١٩٩٠ م .

- ٥- سعد زغلول عبد الحميد ، " الإسلام و الترك فى العصر الإسلامى الوسيط " ، مجلة عالم الفكر ، العدد ، الكويت ، ١٩٨٦ م .
- ٦- شبولر ، ب ، العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، ترجمة خالد سعد ، مراجعة سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٢ م .
- ٧- عبد الرازق الطنطاوى القرموط ، العلاقات المصرية العثمانية ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .
- ٨- فامبرى ، أ ، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد الساداتى ، مراجعة و تقديم يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
- ٩- لويز ليفائيس ، يوم سادت الصين البحار . مفخرة عرش التنين ١٤٠٥ - ١٤٣٣ م ، ترجمة على أحمد كنعان ، بيروت ، ٢٠٠٥ م .
- ١٠- محمد سهيل طقوش ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية و الهند ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .



## كتب التراجم في المدرسة التاريخية المكية القرن العاشر الهجري (١٦م) نموذجاً

### مقدمة :

تميزت المدرسة التاريخية المكية بالتنوع في مجالاتها الكتابية مما أثرت لنا الموروث الثقافي والذي نستمد منه المعلومات الأساسية لدراسة التاريخ المكي في مختلف الجوانب السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

ولقد أردت بهذا البحث المشاركة المتواضعة ضمن البحوث التي تتناول خصائص المدرسة التاريخية المكية ، التي وإن نالت العناية من الدارسين والباحثين فإنها لا تزال تحتاج إلى الهمم العالية والجهود المبذولة لاستجلاء جوانبها وبيان خصائصها التي امتازت بها عن بقية المدارس التاريخية في البلاد العربية الإسلامية الأخرى .

يكاد لا يجد الباحث ميداناً من ميادين الكتابة التاريخية خلا من إنتاج المكين . ومن بين مشاركاتهم المتنوعة نلاحظ عناية واضحة منهم بالتأليف في مجال التراجم والطبقات ، وهو مجال أساسي في الكتابة التاريخية<sup>(٢)</sup> بما يقدمه من معلومات تفيد في معرفة الأشخاص والجماعات ، مما يوضح الخصائص الاجتماعية لمكة ويبين أبعاد القيمة العلمية للمكين . لذلك رأيت من المفيد أن استجلي أهمية ما أنتجه المكين في ميدان المؤلفات التي تناولت التراجم والطبقات في القرن العاشر الهجري كمثال لجهودهم في هذا المجال من الدراسات التاريخية .

وإن الناظر في تنوع كتب التراجم يلاحظ أنها تتنوع إلى نوعين أساسيين :

١- كتب ترجم لشخص واحد معين فأولته كل اهتمامها .

٢- كتب ترجم للعديد من الأشخاص وهي التي تعرف بكتب الطبقات .

ثم إن كتب الطبقات هذه على نوعين :

١- كتب طبقات عامة : وهي التي ترجمت لكل من ذكر في الحياة العلمية والسياسية

وغيرها .

٢- كتب الطبقات الخاصة : وهي التي ترجمت لجماعة معينة اجتمعت في اختصاص واحد

أو بلد أو انتساب واحد أو غير ذلك .

وسنتناول في هذا البحث كل ما عُرف من الإنتاج المكي المتخصص في فن التراجم الخاصة

بالأشخاص والتراجم الخاصة بالطبقات خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ،

إلا ما كان من كتب السيرة النبوية وكتب التراجم الخاصة برجال الحديث المؤلفة في تلك المرحلة

تاركين ذلك للدراسات الحديثة وأصحابها ، وهو ما جعلنا نُعرض عن دراسة الكتب التي حملت

العناوين الآتية :

١- كتب السيرة النبوية .

٢- معاجم الشيوخ .

٣- فهارس الشيوخ .

٤- كتب الأئمة .

٥- كتب المشيخات .

٦- تخريج المشيخات .

٧- المنتقيات من كتب المشيخات .

٨- فهارس المرويات .

أما غيرها من كتب تراجم الأشخاص وكتب الطبقات التي اعتنت بها هذه الدراسة فلقد أمكننا

أن نضع قائمة هامة منها بعد أن بحثنا في ترجمات المؤرخين المكيين الذين عاشوا خلال القرن

العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وحصلنا منها على إنتاج ثري في الموضوع ، ونعرضه

بإيجاز في الجدول التالي :

المؤلف	تاريخ وفاته	عناوين الكتب
العزيز بن فهد : عبد العزيز بن عمر	٩٢٢هـ/١٥١٧م	• غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام . • نزهة ذوي الأحلام بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة البلد الحرام . • ترتيب طبقات القراء للذهبي .
ابن العليّ : أحمد ابن الحسين	٩٢٦هـ/١٥٢٠م	• الدر المنظوم في مناقب بايزيد سلطان الروم .
ابن ظهيرة : محمد بن أبي السعود	٩٤٠هـ/١٥٣٤م	• الأخبار المستفادة فيمن ولي مكة من آل قتادة .
ابن ظهيرة : أحمد بن عطية	٩٤٢هـ/١٥٣٤م	• جواهر العقود في ترجمة القاضي جمال الدين أبي السعود .
جار الله بن فهد : محمد بن عبد العزيز	٩٥٤هـ/١٥٤٧م	• الأقوال المتبعة . في بعض ما قيل في مناقب أئمة المنهاج الأربعة . • بلوغ الأرب ، بمعرفة أي الأتقياء من العرب . • تاريخ يُفيد في معرفة المترجمين في الضوء اللامع من الأحياء . • تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس روج والطائف . • تحقيق الصفا في تراجم بني الوفا . • الجواهر الحسان ، في مناقب سليمان بن عثمان . • القول المؤلف في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف . • معجم الشعراء .
ابن حجر الهيتمي المكي : أحمد بن محمد	٩٧٤هـ/١٥٦٧م	• الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان . • معدن البواقيت الملتزمة في مناقب الأئمة الأربعة . • ترجمة معاوية بن أبي سفيان .

المؤلف	تاريخ وفاته	عناوين الكتب
الفاكهي : عبد القادر بن أحمد	٩٨٩هـ / ١٥٨١م	• فضائل ابن حجر الهيتمي . • القول النقي في مناقب المتقي . • مشكاة الاقتباس في فضائل ابن عباس . • مناقب عبد الرحمن العمودي .
النهر والي : قطب الدين محمد بن علاء الدين	٩٩٠هـ / ١٥٨٢م	• طبقات فقهاء الحنفية . • زيادات على كتاب دستور الأعلام لابن عزم .

## أنواع كتب التراجم التي ألفها المكيون

خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

إذا كانت هذه القائمة قد عرضت أسماء المؤلفين من المؤرخين وما أنتجوه من الكتب في مختلف أنواع الكتابة ضمن مجال التراجم والطبقات على اختلاف أنواعها ، فإنه بعد البحث والمطالعة تبين لنا أن عدد المؤرخين المكيين من رجال القرن العاشر الذين تناولوا فن التراجم يبلغ ثمانية مؤلفين<sup>(١)</sup> ، وأن عدد مؤلفاتهم في هذا المجال بلغ ثلاثة وعشرين كتاباً ورسالة .

وبعد النظر فيها أمكننا أن نصنفها حسب الموضوعات إلى صنفين أساسيين :

١- كتب التراجم التي اختصت بشخص واحد ، وقد يكون ذلك الشخص من رجال العلم أو من رجال السياسة .

٢- كتب التراجم التي تتناول التعريف بمجموعة من الأشخاص على اختلاف فئاتهم :

فمنها كتب اختصت بجماعات معينة كالأئمة أو الصحابة .

ومنها التي اختصت بالأنساب والتي اشتملت على تراجم لجماعات كآل البيت .

ومنها تلك التي اختصت بالحكام والملوك .

وتلك التي اختصت بالعلماء وأصحاب الوظائف الدينية كالأئمة والفقهاء والخطباء

ومناقبهم.

الصنف الأول : الكتب التي تناولت التعريف بشخص واحد .

\* ابن العليف : أحمد بن الحسين (ت ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) <sup>(١٧)</sup> .

هو مكّي ولد بها سنة ٨٥١هـ / ١٤٤٧م من عائلة اشتهرت بالشعر .

أخذ العلم عن كبار العلماء المكيين والمصريين . أنتج أشعاراً كثيرة اتسمت بالجزالة والبلاغة نُقلت في المصادر المكبية . واعتبره المؤرخون كبير شعراء مكة حتى وصفه جاز الله بن فهد بمنبئي زمانه وشاعر البطحا ، وشيخ الأدباء <sup>(١٨)</sup> له ديوان شعر لا تُعرف منه نسخة <sup>(١٩)</sup> .

ومن مؤلفاته التي اقتصت بالترجمة لشخص واحد :

كتاب : ( الدر المنظوم ، في مناقب بايزيد سلطان الروم ) .

نسبه إليه حاجي خليفة <sup>(٢٠)</sup> منه نسخة سلطانية كُتبت بخط المؤلف محفوظة في مكتبة فاتح بتركيا رقم ٤٣٥٧ ، تقع في ١١٨ ورقة ، تم نسخها يوم ١٦ ذي الحجة سنة ٩١٠هـ / ٢١ مايو ١٥٠٥م .

يقول ابن العليف في المقدمة : " أما بعد ، فلما كان تقبيد المآثر من أهم الأسباب ... جمعتُ هذا الديوان اللطيف ... في مناقب سلطان الزمان ... الملك الأعظم بايزيد ... وجعلته علماً لتخليد مآثره ... وأضفتُ إليه لمعاً مفيدة من نفائس الأخبار " .

أما محتوى الكتاب وعرض أبوابه وفصوله فإننا ننقله مما كتبه د. الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة فجاء فيه :

" الورقة ٣ أ : المقدمة في ذكر نسب الروم ومن اصطفاه الله منهم للنبوة ... والولاية " . ذكر فيها النبي أيوب - عليه السلام - والإسكندر ذا القرنين وأصحاب الكهف وما ورد في فضل الروم وأخبارهم .

الورقة ٢٣ ب : الباب الأول في مناقب السلطان بايزيد ومآثر سلفه من أكابر العثمانيين .

الورقة ٣٢ أ : ترجمة السلطان بايزيد .

الورقة ٣٣ أ : فصل في العلوم الثقيلة والعقلية التي يُتقنها هذا السلطان

الورقة ٣٤ أ : فصل في ذكر كرمه وإحسانه لأهل الحرمين .



الورقة ٣٦ ب : فصل في ذكر المباني التي أخذتها بإسطنبول وغيرها .

الورقة ٣٧ ب : فصل في ذكر جهاده ومرابطته وفتوحاته .

الورقة ٤٣ أ : فصل في نبذة من حُسن سيرته وعدله وحُلمه وسياسته .

الورقة ٥٣ أ : فصل في ذكر أولاده .

الورقة ٥٥ أ : الباب الثاني في ذكر طُرب من أخبار ملوك الروم .

الورقة ٨٣ ب : الباب الثالث في ذكر خبر القسطنطينية .

الورقة ١١٤ أ : الخاتمة في فضل الشعر والشعراء وإكرام الخلفاء والملوك لهم ، ثم أورد قصيدة وضعها في مدح السلطان بايزيد طالعها :

خُذْ مِنْ ثَنَائِي مُوجِبَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

وَمِنْ ذَرِّ لَفْظِي مُحْكَمَ النَّظْمِ وَالنُّثْرِ

وهي تقع في ٦٣ بيتاً .

وبآخر المخطوط ما نصّه : " على يد راقم برّده ومُقرّبه ، وناظم عقده ومؤلّفه ، الفقير إلى الله تعالى أحمد بن الحسين بن محمد بن العليّف المكي المدني الشافعي غفر الله لوالديه ولمشائخه وأحبابه .. " (٧) .

ويبدو من محتوى الكتاب ونصوصه أن ابن العليّف أراد بتأليفه هذا أن يتقرب من السلطان وعدده طلباً لكرمه وإحسانه فإن من صفات وعادات ملوك العثمانيين أنهم كانوا يقدّون إكرامهم على أهل الحجاز . فكانت هذه النسخة سلطانية جميلة الشكل كبيرة الحجم اعتنى المؤلف بنسخها بيده واهتم بتجميل خطها .

أسلوب ابن العليّف ومصادره في كتابه :

كان ابن العليّف شاعراً بارعاً يمكن أن يُعتبر أكبر شعراء مكة في عصره ؛ لذلك نراه في كتابه هذا أديباً ناثراً امتلك عنان اللغة ، فجاء أسلوبه فيه بالغ الدقة في التعبير ، يختار ألفاظه ومعانيه ويتصرف في ذلك بلغة حركّة مع استعمال المحسنات البلاغية واللّجوة في أحبان كثيرة إلى السجع والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال وأقوال العلماء وبدائع الشعراء .

وبما أنه كان يقصد التقرب من السلطة العثمانية فقد أوغل في مدح السلطان بايزيد كعادة أبناء عصره في مدحهم ، واعتمد في أغلب فصول الكتاب المبالغة في التقرب إليهم بإطراء أصول العثمانيين الذين كان يُطلق عليهم عامة الأدباء والمؤرخين اسم الروم ، فإن لفظ الروم في تلك المرحلة ويعدها يُقصد به الأتراك . وقلما نجد المؤرخين والأدباء يذكرون الأتراك إلا باسم الروم ، وربما كان ذلك بسبب استعمال لفظ الروملي أو أرض روم في تسمية إحدى مناطق مملكتهم . وقد وقع المادحون للأتراك في خطأ كبير عندما وسعوا نسبة الأتراك فأدخلوا فيها من يسمون بالروم من الرومانيين أو من عامة الأوروبيين حتى ربطوا نسب الأتراك بذي القرنين ونسبهم إلى ملوك روما وبلغ بهم الأمر أن نسبهم إلى ملوك البلاد الأسبانية . وفي هذا الخلط الواضح وقع ابن العلي أيضاً فجمع من النصوص الدينية كل ما ورد فيه لفظ الروم وألحقه بتاريخ الأتراك سواء من القرآن أو الأحاديث النبوية أو كتب التفسير أو من النصوص التاريخية والأدبية ، فجمع بذلك العديد من النصوص التي أوردها في كتابه من مصادر عديدة ومتنوعة .

#### مصادر الكتاب :

وبغض النظر عن وقوع المؤلف في هذا الخطأ الشائع في عصره فإن مصادر الكتاب التي نقل عنها الأخبار والحوادث والأقوال تُعتبر غنية ثرية دالة على ثقافته وسعة اطلاعه ومعرفته بالمؤلفات كبيرها وصغيرها . ولا أبالغ إذا قلت إن مصادر الكتاب قد قاربت المائة بين تفسير القرآن والكتب الجامعة للأحاديث النبوية والمفسرة لها . يضاف إلى ذلك كتب الآداب الدينية وكتب التاريخ والبلدان والطبقات مع كتب الأدب الكبيرة التي جمعت الكثير من الأخبار ، وهو يعرضها في أغلب الأحيان بعد أن يذكر عناوينها ومؤلفيها ، ولو أنه في بعض المناسبات يُهمل إيراد اسم المؤلف وعنوان الكتاب .

\* ابن ظهيرة : أحمد بن عطية القرشي المكي ( كان حياً ٩٤٢هـ / ١٥٣٤م ) (٨) .

هو من عائلة بني ظهيرة المكية التي اشتهر منها العديد من العلماء على مر القرون

ولد سنة ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م . أخذ العلم في صغره على العديد من شيوخ مكة والواردين عليها ومنهم السخاوي الذي وصفه في كتابه الصوره اللامعه بأنه ذكي قوي الجنان والحافظه .

ورغم أنه من كبار علماء الشافعية إلا أنه تولى القضاء الحنبلي بمكة لخلوها من فقهاء الحنابلة رغم توليه نيابة قاضي الشافعية .

من مؤلفاته في التعريف بشخص واحد :

كتاب : ( جواهر العقود ، في ترجمة القاضي جمال الدين أبي السعود ) .

وضع فيه ترجمة موسعة للشيخ القاضي جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة القرشي المكي الذي توفي سنة ٩٠٧هـ / ١٥٠١م . وهو جد المؤلف حسبما ورد في الكتاب ص ٤ .

لا نعرف من الكتاب غير نسخة واحدة محفوظة بدار الكتب المصرية ( تيمور ) رقم ٥٠٣٧  
تقع في ٥٣ ورقة ، نسخها الحافظ المؤرخ المكي جبار الله بن فهد مؤرخة بسنة ٩٢٣هـ / ١٥٢٧م  
ونقلها عن نسخة بخط المؤلف مؤرخة سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٣م .

وبعد الاطلاع على صورة المخطوط المحفوظة بمركز البحوث التابع لجامعة أم القرى ( رقم ٢٣٠  
تاريخ ) تبين لنا أنه رتب على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة .

فالمقدمة في نسب وولادة المترجم وما حصل عند ظهوره لوالده وأهله من السعادة والباب الأول:  
في مبدا أمره وما حفظه من الكتب وطلبه للعلم .

والباب الثاني : في تحصيله وذكر من لازمته من الشيوخ ورجال العلم . وما أخذ عنهم من  
الكتب .

والباب الثالث : في تدريسه وإفاته ووظائفه السنية وعلو قدره ، وعرض فيه الكتب التي  
درسها في الحرم في علوم القرآن والحديث والفقه والآداب والتاريخ وعين بعض مواطن تدريسه  
وأماكنه في مكة .

والباب الرابع : في ماله من التصانيف وما كتبه العلماء عليها من تقارير وإجازات العلماء  
له مثل السخاوي ومن عاصره .

والباب الخامس : في صفاته وشمالته .

والباب السادس : في مهماته النفيسة .

والباب السابع : أورد فيه شيئاً من شعره فعرض فيه العديد من أشعاره وقصائده الطويلة وما  
مدحه به البلغاء من أديبا عصره .

أما الخاتمة : فقد خصصها لوفاء المترجم وما اتفق له من حسن الخاتمة .

ويشتمل المخطوط على تقریضات كثيرة من كبار علماء عصره من حجازيين ومصريين وشاميين ، من بينها إجازات هامة منها إجازة السخاوي للمترجم وهي طويلة .

\* جار الله بن فهد : محمد بن عبد العزيز ( العز ) بن عمر ( النجم ) بن فهد الهاشمي المكي (ت ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م) <sup>(١)</sup> .

من عائلة راسخة الجذور في العلم تعدد علماؤها وكثرت تأليفهم وظهرت مؤلفاتهم طيلة قرنين ونصف من الزمن ، اشتهروا بعلم الحديث وبرعوا في علم التاريخ العام والخاص فأولوا عناية فائقة بالتاريخ المكي سجلوا فيه الكثير من المؤلفات ، تنحوا عن تولي الوظائف السباسبية والشرعية فلم تظهر لهم غير شهرتهم العلمية <sup>(٢)</sup> .

ولد جار الله بمكة سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م وتلقى العلم على والده وكبار شيوخ الحرم من المكيين والمجاورين ثم رحل لطلب العلم من القاهرة والبمن ودمشق وغيرها .

ألف العديد من الكتب والرسائل في مختلف الفنون ، واهتم اهتماماً خاصاً بفن التاريخ فبلغت مؤلفاته فيه ٣٥ بين كتاب كبير ورسالة تناولت العديد من المجالات التاريخية .

ومن مؤلفات جار الله في التراجم الخاصة :

كتاب : ( الجواهر الحسان ، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان ) .

هو كتاب ألفه جار الله بن فهد عندما كان في مدينة بورصا العثمانية سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م وقدمه هدية للسلطان سليمان القانوني العثماني ذكر فيه مناقبه ، كما ضمنه رسالة رفعها إليه ، وعرض فيه تاريخاً موجزاً للدولة العثمانية وسجل انتصاراتها وإنجازاتها ، مع اهتمامه الواضح بوقائع فتح القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح . وفي القسم الأخير من الكتاب عرض الكثير من المشاكل المادية التي كانت واجهت مكة وأهلها في عصر الماليك ، ثم سجل ورود الإتاومات العثمانية عليها مع شكره للسلطان سليمان على عنايته بمكة وأهلها .

ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب الأولى (الورقة ٨ أ) أنه رتبته على مقدمة وبابين وخاتمة.

المقدمة : من الورقة ( ٩ أ إلى ١٩ أ في الهدية للملوك ) بدأها بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " إنا الأعمال بالنيات " وعرض فيها الأحاديث الواردة في الهدية للملوك ، ثم ألحق بها رسالة رقعها للسلطان العثماني سليمان . وفي النص يصف المؤلف نفسه بأنه ( خادم الحديث الشريف ، ومؤرخ بلد الله المعظم المنيف ) .

الباب الأول : ( من الورقة ١٩ ب إلى ٧٠ أ ) عرض فيه تاريخاً موجزاً للدولة العثمانية مع ذكر بطولاتها في فتح القسطنطينية والفتوحات الأخرى ، ومواجهتها للتحرك الشيعي الصفوي القادم من إيران ، مع الاعتراف بانتصارها على المماليك في الشام وفي مصر ، ثم انضواء مكة المكرمة ضمن الولايات العثمانية في عهد السلطان سليم .

الباب الثاني : ( من الورقة ٧٠ أ إلى ٩٣ أ ) خصصه لذكر فضائل الروم - وهم أصول العثمانيين - مُحيلًا على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد فيها لفظ الروم ، مجازياً لما كان يقع من خلط عند الكثير من مؤرخي عصره وتعميمهم لفظ الروم على الأتراك وغير الأتراك . وأورد جاز الله بن فهد الكثير من النصوص التي تذكر مكارم الأتراك وفضائلهم ، خاصة في إعاناتهم لمكة المكرمة وعتاباتهم بأهلها . مع إبراز ما قدم به السلطان سليمان القانوني في هذا المجال . ثم نقل نص رسالة الوصية التي كان كتبها شيخ مكة محمد بن عراق ووجهها إلى السلطان سليم والد السلطان سليمان . ثم ختم الباب بأدعية كثيرة وبلغية خصصها لسلطان عصره .

الخاتمة : ( من الورقة ٩٣ أ إلى ١٢٧ أ ) أورد فيها أيضاً أحاديث في فضل العثمانيين وفضل نصيحة السلطان ، ثم تطرق إلى أوضاع الحرمين الشريفين ، وشرع في تذكير السلطان بمكانتهما ، ونصحه بالعناية بهما - وبين شرف أهل مكة عند الله وعند الناس ، وفضل المجاورة ، منتقلاً إلى بيان معاناة أهل مكة من الغلاء ، ودعاه إلى الشفقة بهم وإعانتهم مع عرضه للمشاكل الاقتصادية وما شاهده من نتائجها في عصره خاصة ارتفاع أسعار المواد الغذائية ، مشيراً إلى ما أرسله الملوك العثمانيون من عطايا وهبات .

اعتمد جاز الله في تأليفه هذا على مصادر عديدة منها كتب الحديث النبوي على مختلف درجاتها وأهميتها مروداً الأحاديث ببعض أسانيد أحياناً ومختلف روايات أحياناً أخرى ، ومن مصادره كتب التاريخ المكي خاصة والتاريخ الإسلامي عامة دون إهمال لبعض المصادر من كتب

الجغرافيا وأوصاف البلدان . كما استشهد ببعض الأشعار والنصوص الأدبية . وكان سالكاً في جميع كتابه مسلك المحسنات البديعية والتزويق اللفظي والسجع .

من الكتاب نسخة في مكتبة جامعة اسطنبول ( دار مثنوي رقم ٣٦٠ ) تشمل على ١٢٨ ورقة نُقلت عن نسخة المؤلف .

\* ابن حجر الهيتمي المكي : أحمد بن محمد بن حجر شهاب الدين (ت ٩٧٤هـ / ١٥٩٧م<sup>(١)</sup>).

فقيه محدث مؤرخ مصري المنشأ ، ورد إلى مكة المكرمة ففُضي بها ٣٤ سنة من حياته إقامة دائمة بعائلته تاركاً نسله فيها . بدأ تكوينه العلمي في مصر حيث أخذ عن كبار علمائها من الشافعية مثل زكريا الأنصاري وعبد الحق السباطي والشهاب الرملي . ولما دخل مكة كان متكامل التأسيس العلمي فدرّس الدروس العديدة في الحرم وفي بيوت العلماء ، وألف المصنفات الكبيرة والصغيرة ، وكان واعياً بمشاكل مجتمعه ، فأفتى الفتاوى الكثيرة ، وعاش في مكة محترماً ومفيداً بكتبه العديدة التي تناولت العلوم الدينية والتاريخية والقضايا الاجتماعية والسياسية مما جعله يحتل الدرجة الهامة بين علماء مكة في عصره .

كانت عناية ابن حجر الهيتمي بالتأليف في فنون التاريخ كبيرة ، حيث ألف فيها واحداً وأربعين تأليفاً ، تناولت العديد من مجالاته وفنونه . ومن بين مؤلفاته التاريخية التي تتعلق بالتراجم ، عدة كتب تناولت التعريف بشخص واحد هو الإمام أبو حنيفة النعمان وستناولها بالعرض الموجز فيما يلي نقلاً عن دراستي لها في رسالتي للدكتوراه .

كتابات ابن حجر المتعلقة بترجمة أبي حنيفة النعمان :

وضع ابن حجر عدة ترجمات مختلفة الأساليب لأبي حنيفة النعمان فجاءت في خمس ترجمات ، ثلاث منها قصيرة وضعها في ثنايا كتبه الحديثية وغيرها ، وترجمتان جعلهما في كتابين خاصين بالموضوع .

١- ترجم ابن حجر لأبي حنيفة في كتابه الحديثي ( فتح الإله ، في شرح المشكاة ) ضمن ترجمته لجماعة من كبار أئمة الحديث والفقه ، شملت نسبه ومولده وعلومه التي تلقاها من الصحابة والتابعين وتلاميذه ومحتته في توليه القضاء - لبني أمية وبني العباس وبعضاً من أقوال العلماء فيه ووفاته .

٢- وضع ابن حجر لأبي حنيفة ترجمة موجزة جاءت في شرحه لكتاب عين العلم وطُبعت في مقدمة كتابه الخيرات الحسان الذي سنذكره بعد قليل .

٣- ترجم ابن حجر ترجمة ثالثة قصيرة أيضاً للإمام أبي حنيفة ضمنها في معجمه المعروف بالإجازة ، اشتملت على اسمه ومولده وشيوخه وسبب تأليفه كتاباً مستقلاً في مناقب أبي حنيفة ، وذلك للرد على من اتهم الإمام الغزالي الشافعي بوضع كتاب في الخط من أبي حنيفة وهو بريء من ذلك .

٤- الترجمة الرابعة التي وضعها ابن حجر للإمام أبي حنيفة جاءت في رسالة مستقلة بعنوان " رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان " أحال عليها ابن حجر نفسه في مقدمة كتابه الثاني في الموضوع والمعنون بـ " الخيرات الحسان " وقال ابن حجر عن سبب تأليفه لهذه الرسالة بأنه كان استجابة لطلب أحد علماء القسطنطينية ووضع أنه كتب منه عدة نسخ وزعت في البلاد وفُقدت منه نسخته الأصل لذا أعاد التأليف في نفس الموضوع وكتبه من جديد تحت عنوان " الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان " .

ورغم أن ابن حجر قد أصاح نسخته في زمانه إلا أننا عثرنا في بحثنا على ثلاث مخطوطات منه وهي : نسخة دار الكتب المصرية ضمن المجمع رقم ( ٢ / ٢١٢ ) تشتمل على ٢٧ ورقة ، ونسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ( ٩٠٠ / ٢١٥ ) تقع في ٢١ ورقة ، ونسخة ثالثة بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم ( ١٠١٠٥ ) . ولقد ألف ابن حجر رسالته هذه في سنة ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م بحكمة المكرمة وقسمها على مقدمة وثلاثين فصلاً ، ذكر في المقدمة سبب التأليف وخصص الفصول الثلاثين لترجمة الإمام ونسبه ومولده وفضله وشيوخه وتلاميذه وفتاويه وصفاته ومحنته ثم وفاته .

٥- الترجمة الخامسة التي وضعها ابن حجر للإمام أبي حنيفة هي كتاب بعنوان : الخيرات الحسان ، في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان . وجاء هذا الكتاب أيضاً بعنوان آخر وهو : قلاد العقبان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان .

ذكر ابن حجر مؤلفه هذا وأحال عليه في كتابه الإجازة المعروف بالمعجم كما أحال عليه في كتاب آخر له بعنوان المناهل العذبة في إصلاح ما وهي من الكعبة .

طُبِعَ كتاب الخيرات الحسان طبعات عديدة بمصر ، وله طبعة أخيرة ببلتان . ومنه عدة نسخ

مخطوطة اطلعت على واحدة منها بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ١/١٨٣٦ وهي نسخة حسنة واضحة الخط .

يشتمل الكتاب على ٣ مقدمات وأربعين فصلاً .

يقول في أوله إنه ألفه استجابة لرغبة رجل من فضلاء القسطنطينية دعاه إلى وضع كتاب في مناقب أبي حنيفة ، كما يذكر أنه لخصه ونقحه من كتاب آخر في الموضوع وهو كتاب عقد الجمان لمحمد الشامي .

ولابن حجر سبب آخر أهم في تأليفه لهذا الكتاب وضحه في المقدمة الأولى .

وهو ما شاع عن الإمام الفزالي في تأليفه لكتاب يحط فيه من أبي حنيفة ورسنه ، وما أحدث هذا الكتاب من ردود فعل عند بعض العلماء مثل الكردي الذي ألف كتاباً في الحط من الإمام الشافعي ، إلا أن ابن حجر رفض تظاول العلماء والمؤرخين على الأئمة وانبرى في تأليف هذا الكتاب .

جعل المقدمة الأولى في الرد على ما ورد في الكتاب الذي تُسبب إلى الفزالي في الحط من أبي حنيفة مع عرض ما مدحه به كبار العلماء . وفي المقدمة الثانية نهى الناس عن الوقوع في الأئمة والمجتهدين من العلماء . وفي الثالثة فيما ورد من تبشير النبي صلى الله عليه وسلم بالإمام أبي حنيفة ، وفيها استشهاد على فضل أهل فارس ( وهم أصول أبي حنيفة ) بالأحاديث التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموضوع .

أما الفصول الأربعون فقد قسمها بين العناصر التالية :

- ترجمة أبي حنيفة وذكر شيوخه وتلاميذه .
- مجالسه العلمية والأسس التي بنى عليها مذهبه .
- أخلاقه ودينه : من عبادة وتقى وآداب .
- وقاته وما قيل فيها من روايات .
- الرد على ما قيل فيه من التجريح .

ومن الملاحظ أن منهج ابن حجر في كتابه الخيرات الحسان هذا يختلف عن منهجه في رسالته



الأولى السابقة لأنه توسع في الأخبار التي أوردتها في الكتاب الثاني وأضاف معلومات لم يذكرها في الرسالة الأولى<sup>(١١)</sup>.

ولنا أن تتسائل هنا بعد هذا العرض : ما الذي يجعل قبحها من كبار فقهاء المذهب الشافعي في عصره يؤلف خمس مؤلفات في المدح والثناء على إمام مذهب آخر كالإمام أبي حنيفة ؟ وقد يأتي الجواب من خلال العرض السابق ، فلعل السبب يعود إلى ما أشيع من أن الإمام الغزالي ألف كتاباً في الخط من أبي حنيفة ، فقام بعض الأحناف بردة الفعل ووضع مؤلف في ذم الإمام الشافعي . فيتضح لنا هدف ابن حجر الهيثمي من تعدد كتاباته في مناقب أبي حنيفة بأنه أراد ردع الناس من الكتابات التي تمس رجال العلم وأعلامه الفقهاء ، نتيجة للتعصب بين المذاهب السنية ويان وجوب احترام المذاهب الأخرى على اختلافها . كما يمكن أن يكون ابن حجر قد قصد من تأليفه المتعددة هذه علم تعصب الشوافع وفقهاءهم ضد المذهب الحنفي مذهب الدولة العثمانية القائمة بمكة آنذاك وإطفاء نار فتنة ربما تقوم بين مذهب الدولة والمذاهب الأخرى المتعايشة في المجتمع المكي . وذلك هو الدور الحقيقي للعلماء .

\* كتاب ( تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلث معاوية بن أبي سفيان ) .

وضع ابن حجر كتابه هذا في ترجمة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه<sup>(١٢)</sup>.

نسبه له تلميذه السيوفي في ترجمته وقال : " إن ابن حجر وضع كتابين في فضائل معاوية أحدهما أبسط من الآخر " <sup>(١٣)</sup> . وبعد البحث عن نسخ الكتاب لم نعثر إلا على كتاب واحد يحمل هذا العنوان لذا لم نعرف إن كان هو الأطول أم الأبسط .

طُبع الكتاب مع كتاب آخر لابن حجر الهيثمي وهو الصواعق المحرقة ، لإخوان الشياطين أهل البدع والضلال والزندقة . طبعة مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، وله طبعة حديثة بتحقيق أبي عبد الرحمن المصري دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

سبب تأليف الكتاب :

كما هو واضح من عنوان الكتاب فإن ابن حجر ألّفه في الرد على من تناول على الصحابي معاوية - ع - ، وهذا دأب العلماء في تحمل مسئولياتهم والدفاع عن الصحابة من اعتداء الرافضة والشيعة وأهل البدع عليهم .

وقال في مقدمته : أنه ألفه استجابة لطلب من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند ( توفي سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م )<sup>(١٥٦)</sup> لظهور هؤلاء الرافضة في بلاده .

فوضع ابن حجر كتاباً بين فيه فضل معاوية وصفاته وما قيل فيه من أحداث وذكر جهاده في نشر الإسلام وتنظيم دولته الأولى بعد عهد الخلفاء الأربعة وغير ذلك من مزاياه .  
ورتبته على مقدمة وفصول وخاتمة .

اشتملت المقدمة : على بيان وجوب محبة جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم معاوية رضي الله عنهم أجمعين .

وجاءت فصول الكتاب للحديث عن مناقبه وعلومه وجهاده .

واشتملت الخاتمة : على فوائد منها قضية مقتل عثمان - ع - . وأحداث معركتي الجمل وصفين ، والصلح بين الحسين ومعاوية . وبعض أخبار خلفاء بني أمية .

ولقد اعتمد ابن حجر في كتابه على مصادر الحديث وكتب المعاري والسير وبعض كتب التاريخ المكي كالفاكهي .

\* عبد القادر الفاكهي المكي : عبد القادر بن أحمد بن علي (ت ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م<sup>(١١٦)</sup>).

ولد الفاكهي بمكة سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م ودرس على كبار الشيوخ والعلماء فجمع من العلوم زائداً واسعاً في مختلف الاختصاصات ، من تفسير وفقه وأدب وتاريخ . كثرت مؤلفاته حتى شبهه بعض المؤرخين بالجلال السيوطي<sup>(١١٧)</sup> .

له بعض المؤلفات في التاريخ والسيرة . أما كتبه من التراجم التي تناولت التعريف بشخص واحد فقد عرفنا عناوين ثلاثة منها ذكرها المؤرخون وهي :

- كتاب فضائل ( أو مناقب ) ابن حجر الهيتمي :

الذي ذكره الشوكاني ونقل عنه الغزي<sup>(١١٨)</sup> منه نسخة محفوظة بمكتبة الحرم المكي برقم ١٤ تراجم ( الفيلم رقم ١٨١٤ ) تقع في ثمان ورقات .

بعد الاطلاع على نسخة المخطوطة تبين أنها اشتملت على ضبط اسم ابن حجر الهيتمي ونسبه

وانتمائه وأصول قبيلته وولادته ووفاته ، مع ترجمة موجزة له يقلب عليها عرض أوصافه ودرجته العلمية ومختلف اختصاصاته مع ذكر بعض مؤلفاته . ثم أضاف إلى ذلك قصيدة في مدح ابن حجر الهيتمي كتبها الشاعر عبد العزيز الزمزمي ، وقصيدتين كتبهما المؤلف عبد القادر الفاكهي إحداهما في مدح الشيخ والثانية في وثائه .

ويذكر الفاكهي أنه لخص الرسالة مما كتبه أبو بكر با عمرو السيفي في ترجمته لشيخه ابن حجر .

#### كتاب القول النقي في مناقب المتقي :

لم نعرف منه نسخة وإنما عنوانه وبعض النقول عنه تدل على أنه يشتمل على ترجمة علي المتقي بن حسام الدين بن عبد الملك ابن قاضي خان المتوفى سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م . وهو من كبار علماء مكة ومن المشهور عنه الصلاح والتقوى .

نسب هذا الكتاب لعبد القادر الفاكهي العبدروسي ونقل عنه نصوصاً عديدة ، ولا نعرف منه نسخة<sup>(١٩)</sup> .

#### رسالة في مناقب عبد الرحمن العمودي :

كذلك لم نعرف من هذه الرسالة نسخة إلا أن عنوانه والنقول عنه تدل على أن فيه ترجمة للإمام العمودي المتوفى سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م ، وهو من علماء مكة وعبادها ، تتلمذ على ابن حجر الهيتمي وغيره ، وله مؤلفات في الفقه الشافعي . وقد نقل العبدروسي عن كتاب الفاكهي في مناقب عبد الرحمن العمودي أنه قال : " ومناقبه أفردتها في رسالة " فيؤكد وجود هذه الدراسة ، كما نقل نصوصاً أخرى منها تدل على مكانته العلمية وقيمته في مجتمعه<sup>(٢٠)</sup> .

#### الصف الثاني : الكتب التي تناولت التعريف بالعديد من المترجمين

وهي كتب الطبقات .

تنوع كتب الطبقات إلى نوعين رئيسيين هما : كتب الطبقات العامة وكتب الطبقات الخاصة.

فكتب الطبقات العامة هي تلك التي وُضعت لتراجم خاصة الناس وعامتهم على مختلف اختصاصاتهم وأنواعهم وبلادهم ، مثل كتاب وقبات الأعيان لابن خلكان ، وذيله الوافي بالوفيات للصفدي ، وغير ذلك كثير .

وخلال بحثنا عن كتب الطبقات التي ألفها المكيون في القرن العاشر لم نجد كتاباً واحداً ألف في هذا المجال . ولعل آخر كتاب مكي من كتب الطبقات العامة ألف قبل القرن العاشر الهجري هو كتاب " دستور الأعلام " الذي ألفه محمد بن عمر بن عزم التونسي ثم المكي (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م) .

وأما كتب الطبقات التي وضعها المؤرخون المكيون في القرن العاشر فقد خُصصت للتعريف بجماعات معينة وتنوعت إلى العديد من الجوانب :

فمنها كتب اختصت بجماعة معينة من الأنبياء .

ومنها التي اختصت بجماعة يتحدون في انتساب واحد كالتي وضعت لتراجم آل البيت .

ومنها التي اختصت بالحكام والملوك .

ومنها التي خصصت لتراجم العلماء ، وأصحاب الوظائف الدينية كالأئمة والفقهاء والخطباء .

ومن هذه الاختصاصات ألف المكيون في القرن لعاشر الهجري عدداً من المؤلفات نورد الحديث عنها في ما يلي بمنهجية نذكر فيها مصنفات المؤلفين مرتبين على ترتيب تواريخ وفياتهم .

\* العز بن فهد : عبد العزيز بن عمر (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٧م) (١٣١) .

هو ثالث كبار المؤرخين والحفاظ من عائلة الفهود ، تتلمذ على كبار علماء عصره من المكيين والمشاركة عامة ، فمن شيوخه : والده النجم بن فهد ، وابن حجر العسقلاني ، وإمام الفقه الشافعي في عصره الشيخ زكريا الأنصاري . وتتلمذ عليه الكبار ومنهم السخاوي .

اشتهر في المجتمع المكي ونال فيه الدرجة الثالثة به ، تنوعت مؤلفاته بين التاريخ والحديث والعقيدة وغير ذلك ، اهتمت كتب التاريخ الكبيرة بذكر أخباره وترجمته والنقل عنه . وترك عدداً وافراً من المؤلفات ، كما نسخ بخطه العديد من كتب التاريخ والتراجم التي ألفها والده النجم أو التي ألفها التقى القاسي .

وللعز بن فهد ثلاثة كتب وضعها في تراجم الطبقات الخاصة وهي كتاب غاية المرام ، وكتاب نزهة ذوي الأحلام ، وكتاب ترتيب طبقات القراء . للذهبي .

فله كتاب اختص بأصحاب الوظائف كالأئمة والخطباء والفقهاء وهو :

١- كتاب ( نزهة ذوي الأحلام بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة البلد الحرام ) .

هو كتاب في الطبقات ، ذكره ونسبه إليه المحبي والكتاني <sup>(١٢١)</sup> ولم نعرف للكتاب نسخة مخطوطة ، ويبدو من عنوانه أنه خصصه لتراجم الخطباء والأئمة والقضاة في مكة المكرمة . وله كتاب اختص بأمراء مكة وهو :

٢- كتاب ( غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ) .

أما عن كتاب غاية المرام هذا فنشير إلى أنه وعلى ما يبدو قد اشترك فيه الوالد النجم وابنه العز بن فهد في تأليفه ، ونُسب إلى الابن لأنه هو الذي أكمل نصوصه الكثيرة وألحق به قسماً كبيراً من تاريخه ، حسبما أثبتته د . محمد الحبيب الهيلة بعد مقابلاته المخطوطات <sup>(١٢٢)</sup> .

ألف العز بن فهد كتابه هذا ليقدمه لشريف مكة أبي زهير بركات بن محمد بن بركات الحسيني <sup>(١٢٣)</sup> ليكون في خزائنه لذا قال عنه في مقدمة كتابه : " وخدمت بهذا التأليف خزانة من ألف برسمه ، وشرك قدره باشتغاله على اسمه . وهو السيد الشريف ، والطود المنيف ... أبو زهير بركات ، عين المملكة وسر الذات . سلطان مكة " <sup>(١٢٤)</sup> .

لذا نرى أن العز بن فهد أكثر علماء عائلته مدحاً لأمراء مكة وأشدّهم مبالغة في ذلك ، فجاءت مقدمة كتابه مشتملة على الكثير من أوصاف الأمتاح والتحلية لأمر مكة في عصره أبي زهير بركات ملحقاً ذلك بالعديد من الأشعار المادحة له . ثم تدرج إلى أبائه أمراء مكة التسمية واصفاً كل واحد منهم بالأوصاف العلية والمدح والتشريف مع اختبار الأشعار في تفضيل كل واحد منهم <sup>(١٢٥)</sup> .

تناول كتاب غاية المرام تراجم وأخبار الولاة والحكام الذين حكموا مكة من سنة فتحها في العهد النبوي إلى الربع الأول من القرن العاشر الهجري وهو العام الذي توفي فيه المؤلف ٩٢١هـ / ١٥١٥م ، فأشتمل الكتاب على ٢٠٥ ترجمة .

واختلف أسلوب الترجمة حسب الأمير المترجم له فجاءت بعضها موجزة مختصرة وبعضها مطولة كما في ترجمته لعبد الله بن الزبير في قرابة ٣٦ صفحة <sup>(١٢٦)</sup> وكما في ترجمته المطولة لشريف عصره بركات حيث بلغت ٣٠٤ ورقة <sup>(١٢٧)</sup> .

أما عن مصادر هذا الكتاب الهام في تاريخ أمراء مكة وحكامها فقد اعتمد مؤلفه في جزئه

الأول على العديد من كتب الحديث والسيرة وتراجم الصحابة وأورد اختلاف الروايات فيها ، واعتماد العز بن فهد على كتب الحديث والسيرة يعود إلى سعة معرفته بالحديث ومؤلفاته ، كما اعتمد في كامل الكتاب على كتب التاريخ القديمة والقريبة من عصره .

ومن أهم مصادره التاريخية تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير ، وكتاب العقد الثمين للفاسي ، وتاريخ إتحاف الوري وكتاب الدر الكمين وهما لوالده النجم بن فهد ، وكان يعزو كل نص استفاده من المصادر إلى أصله .

ومن المهم في مصادر العز بن فهد أنه نقل وسجل لنا نصوصاً تاريخية هامة رغم ضيقها وعدم توفرها بين أيدينا مثل نقولاته المطولة عن تاريخ ابن محفوظ المكي<sup>(٣٩١)</sup> .

### ٣- كتاب ( ترتيب طبقات القراء ، للذهبي ) :

اختص بطبقات خاصة محددة وهم القراء ، ولم يعرف له نسخة وإنما ذكره الغزي وابن العماد والكتاني ونسبوه إليه<sup>(٣٩٠)</sup> .

\* محمد بن أبي السعود بن ظهيرة (ت- ٩٤٠هـ / ١٥٣٤م) <sup>(٣٩٢)</sup> .

هو فقيه عالم ويُعد من المؤرّحين الذين ألفوا في الطبقات ، تولى القضاء بمكة فكان قاضي القضاة بها إلى وفاته .

ذكر جاز الله بن فهد بعض أخباره في كتابه نيل المنى<sup>(٣٩٣)</sup> .

- كتابه هو ( الأخبار المستفادة ، فيمن ولي مكة من آل قتادة ) .

ومن عنوان الكتاب نفهم أنه وضعه لترجمة وتاريخ أمراء مكة من القناديين الذين حكموها بداية من سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م إلى عصر المؤلف<sup>(٣٩٤)</sup> ؛ ولم نعرف من الكتاب نسخة موجودة وإنما ذكره ونسبه إليه العصامي في مقدمة كتابه وحاجي خليفة في كشف الظنون<sup>(٣٩٥)</sup> .

\* مؤلفات جاز الله بن فهد في الطبقات<sup>(٣٩٦)</sup> :

كما اهتم جاز الله بالكتابة في التراجم للشخص الواحد فقد اهتم أيضاً بالتأليف في الطبقات الخاصة ، فصنف منها ثمانية كتب تنوعت موضوعاتها وأغراضها وهي .

١- كتاب الأقوال المتبعة ، في بعض ما قيل في مناقب أئمة المذاهب الأربعة .

وهي رسالة انفراد بنسبتها لجار الله بن فهد الزركلي<sup>(٣٨)</sup> وذكر بأنها مخطوطة من خمس ورقات حفظت بالمكتبة الظاهرية برقم ٢١٣ . وأنها عبارة عن تلخيص لمناقب الأئمة الأربعة فجاءت موجزة ملخصة من مصادر سابقة . ولم تتمكن من الاطلاع عليها ، رغم حرصنا على ذلك .

٢- كتاب ( بلوغ الأرب ، بمعرفة أي الأنبياء من العرب ) .

ذكره ونسبه إليه حاجي خليفة<sup>(٣٩)</sup> ، وقال : ألفه سنة ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م .

وهو رسالة صغيرة مختصرة قال مؤلفها جار الله في مقدمتها : " فقد تكرر السؤال عن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هل نسبتهم للعجم أو العرب ، وهل اسمهم ولفظهم أعجمي أو مُعرب ... فأستخرت الله في بيان ذلك فجمعت على أحسن الطرق والمسالك ... الذي ظهر لي من كلام العلماء والمفسرين وقصص الأنبياء وكتب النسب والتاريخ أن العروبية فيهم تنقسم على ثلاثة أقسام عربي الاسم [ وقد اعتبر أن اسم آدم عربياً من أديم الأرض ] وعربي النسب وعربي اللسان " (٣٨) .

عرض المؤلف في رسالته هذه أصول الأحاسن البشرية من أنبياء نوح عليه السلام الساميين والهاميين وبني يافث ، بروايات متعددة تتماشى مع آراء وأقوال عصره ، وعرض أسماء الأنبياء من العرب معتقداً على نص من فتاوى الشيخ أحمد العراقي متعلقاً بمعرفة الأنبياء والمرسلين المذكورين في الكتاب والسنة ، وفي نهاية الرسالة يقول : " لما قدم علينا شيخنا الإمام أبو الحسن محمد بن محمد البكري القاهري في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وتسعمائة سألته نظم هذه الأقوال فقال في مجلسه بديهة :

إذا رُمت عَدَّ الأنبياء من العرب	فهم خمسة في قول جمع قد اقترب
محمد هود صالح وشعيب مع	أخي المجد إسماعيل يا صاحب الأدب
وأكثرهم يُعزى ليعقوب غير من	تقدمه أو للأخير قد انتسب <sup>(٣٩)</sup>

وقد اعتمد المؤلف في هذه الرسالة على العديد من المصادر الهامة سواء في الأنساب مثل تهذيب الأسماء واللغات للنووي ، وكتاب نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب للقلشندبي ، كما اعتمد على العديد من الكتب اللغوية من أهمها كتاب : المعرب للجواليقي وكتاب المزهر في علوم اللغة للسيوطي .

اعتمدنا في هذا التعريف على مخطوطة حُفِظَت بِمَكْتَبَةِ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ ضمن المجموعة رقم ٤٢٣ حديث وقد وقع ترقيمها بالصفحات من ص ٣١-٣٩ ، وهي نُقِلَت من خط المؤلف كتبها علي الحسيني سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م .

٣- كتاب ( تاريخ يُفِيد في معرفة المترجمين في الضوء اللامع من الأحياء ) .

جعله جار الله ذِيلاً لكتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ، فأكمل فيه تراجم العلماء الذين عاشوا بعد وفاة السخاوي ولم يذكرهم في كتابه ، فأضاف جار الله العديد من المعلومات لتراجمهم .

إلا أننا لم نعرش على نسخة من الكتاب ، وإفا وجدنا عنه نقولاً كثيرة في كتاب النور السافر للبيدروسي حيث اعتمد عليه في النقل عن سبعة عشر من تراجم العلماء .

وفي كتاب المسحوب الوابلة لابن حميد حيث نقل عنه في أربعة عشر ترجمة .

وتفاوتت هذه النقول في الكتابين بين النصوص الطويلة للترجمة <sup>(١٤٠)</sup> وبين النقول المتوسطة والقصيرة غالباً <sup>(١٤١)</sup> .

ولقد تعددت التراجم التي نقل فيها البيدروسي أخباراً منقولة عن هذا الكتاب لجار الله بن فهد إلا أن أغلبها كانت تهم علماء المكيين من مختلف المذاهب الفقهية ، في حين أن نقول ابن حميد في المسحوب الوابلة اختصت بالحنابلة من الفقهاء وأغلبهم من غير المكيين .

نضيف إلى ذلك أن ابن حميد قد اعتمد في النقل على أكثر من نص عن جار الله <sup>(١٤٢)</sup> ؛ وذلك في الترجمة لشخص واحد من الفقهاء فنجد يقول في أول النقل : قال الشيخ جار الله بن فهد القرشي المكي في تذييله على الضوء ، ثم يقول في نقل آخر : قال في الضوء ، ويلحقها في نقل ثالث بقوله : قال جار الله <sup>(١٤٣)</sup> .

وقد يرجع ابن حميد ما ينقله عن جار الله ويبين الأسباب كقوله في ترجمة إبراهيم الشويهي : " ما ذكره الشيخ جار الله في تاريخ وفاته أصح لأنه أجازة سنة أربع عشرة وهو أعرف بذلك " <sup>(١٤٤)</sup> .

وعلى كل فإن النصوص التي نقلها الكتابان تعتبر هامة إذ احتوت على إضافات تاريخية لتراجم العديد من المكيين وغيرهم جُمِعت من كتاب جار الله بن فهد الذي وضعه تكملة وملحقات على كتاب الضوء اللامع للسخاوي مع اعتمادها على الكثير من المصادر الأخرى .



٤- كتاب تحفة اللطائف ، في فضل الحبر ابن عباس ووج والطائف .

نسب هذا الكتاب لجار الله بن فهد حاجي خليفة وقال : " ألفه سنة ٩١٥هـ / ١٥٠٩م (٤٥) إلا أن مطالعة الكتاب تدلنا على أنه ألفه بعد ذلك التاريخ ، ففي ص ٣٤ منه يذكر جار الله أنه زار الطائف سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م ويترجم على والده العز بن فهد المتوفى سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م مما يدل على أن الكتاب ألف بعد ذلك .

على الرغم من أن العنوان يدل على أن الكتاب تناول مدينة الطائف ووج ، وترجمة ابن عباس - t - ، فإن واقع الأمر أنه يحتوي على تراجم ثلاثة ممن دفنوا بالطائف وهم : العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبر الأمة عبد الله بن عباس ، وأبي القاسم محمد ابن الحنفية . وبذلك اشتمل الكتاب على تراجم ثلاثة رجال لا شخص واحد كما دل عليه العنوان .

يذكر جار الله بن فهد في المقدمة أنه وضع كتابه على مقدمة وبابين وخاتمة .

فكانت المقدمة : في فضائل الطائف ووادي وج .

والباب الأول : في أخبار الطائف .

والباب الثاني : يحتوي على ثلاثة فصول .

١- فضائل العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- فضائل ترجمان القرآن عبد الله بن عباس .

٣- فضائل ابن الحنفية ( وهو ابن الإمام علي بن أبي طالب ، وهو من التابعين ) .

ويذكر المؤلف أنه أورد ترجمة محمد ابن الحنفية في كتابه هذا لأن نسب بني فهد يتصل به فيقول : " وما نقلت سلسلة نسبه إلا بسبب اتصال نسبي به ، لأنه من ذرية الشريف الفاضل أبي علي أحمد ... " (٦٦) .

والخاتمة : في ذكر الآثار في وادي وج وقرى الطائف . وذكر شهداء يوم فتح الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عرض أشعاراً كثيرة في ذكر زيارة ابن عباس ومدحه وعرض فضائله .

وقد سلك جار الله منهجاً علمياً وثق فيه النصوص التي نقلها من مصادرها المتنوعة . فقد اعتمد العديد من كتب طبقات الصحابة ، والكثير من كتب السيرة النبوية ، وكتب تاريخ

الطائف، بالإضافة إلى أمهات الكتب القديمة في التاريخ الإسلامي ، ومصادر معاصرة له وخاصة كتاب شيخه السخاوي الذي وضعه في تاريخ المدينة نفسها .

وطُبع الكتاب بعناية نادي الطائف الأدبي ( دون ذكر تاريخ الطبع ) حققه وعلق عليه وراجعه محمد سعيد كمال ، ومحمد منصور الشقحا .

٥- كتاب تحقيق الصفا ، في تراجم بني الوفا .

ذكره حاجي خليفة وقال : جمع فيه الوفاة والشاذلية ورتبهم على الحروف <sup>(١٧)</sup> ، ولم نعرف منه نسخة .

٦- رسالة في كتاب السر في ديوان مصر . .

لم نعر على نسخة من هذه الرسالة ، وقد ذكرها المؤلف في كتابه تحفة اللطائف ونسبها إليه العديد من المؤرخين منهم حاجي خليفة ومرداد <sup>(١٨)</sup> .

٧- القول المؤلف في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف .

ذكره ونسبه إليه المحبي والكتاني <sup>(١٩)</sup> . تحتفظ مكتبة الحرم المكي بسبعة منه برقم ١١٨ تراجم ، تقع في ثلاث ورقات . درسها د . الهيلة فقال عنها " كتب جاز الله بن فهد رسالته هذه جواباً عن سؤال ورد عليه في ذلك فأجاب ذاكراً العائلات المكية الخمسة : بيت الفاسي ، بيت الطبري ، بيت عبد القوي ، بيت البخاري ، بيت الطباطبائي ... أثبت جاز الله بن فهد في رسالته هذه أن بيت الفاسي ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، أما بيت الطبري فهو حسيني . وذكر بعض مشاهيرهم كالمحب الطبري (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م) ومحدث عن أقدميتهم بمكة . ويُن أن المؤرخ ابن جرير الطبري لا قرابة له مع هذا البيت ... منكرًا انتساب البيوت الثلاثة الباقية وهم بنو عبد القوي ، بنو البخاري ، بيت الطباطبائي إلى السلالة النبوية . اعتمد جاز الله في رسالته هذه على مصادر كثيرة منها مؤلفات التقي الفاسي ومؤلفات جده النجم بن فهد ( وهي كثيرة ) ومن مصادره كتاب التشويق ، إلى بيت الله العتيق تأليف جمال الدين الطبري " <sup>(٢٠)</sup> .

٨- كتاب معجم الشعراء .

جمعه جاز الله وخصه بالشعراء - الذين سمع منهم الشعر ، ولم نعرف منه نسخة وإنما ذكره الغري ونسبه إليه في ترجمته لأحمد الباعوني الحلبي الشاعر المعروف بابن الصراف . ونسبه إليه أيضاً الكتاني في كتابه <sup>(٢١)</sup> .

\* مؤلفات ابن حجر الهيتمي المكي في الطبقات الخاصة :

لقد ألف ابن حجر الهيتمي في التراجم التي اختصت بشخص واحد كما ألف كتاباً في الطبقات الخاصة بفئة معينة وهو .

كتاب معدن البواقيت الملتمة في مناقب الأئمة الأربعة .

نسب هذا الكتاب لابن حجر ، البغدادي ومن نقل عنه <sup>(١٢٢)</sup> ، ولم نعرف منه نسخة .

ومن الواضح اهتمام ابن حجر العالم المكي بمناقب الأئمة وقضائهم لذا نراه يضع مؤلفاً خاصاً بأئمة المذاهب السنية كما كان يترجم لهم في ثانيا مؤلفاته الأخرى .

ومع أننا لم نحصل على نسخة من هذا المخطوط إلا أننا عثرنا على تراجم الأئمة الأربعة في معجم شيوخ ابن حجر المعنون بالإجازة <sup>(١٢٣)</sup> حيث وضع ترجمة مطولة للأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل .

كما وضع لهم ترجمات أخرى في كتابه الحديثي فتح الإله في شرح المشكاة وهي ترجمات واقبة في فضائلهم .

\* النهروالي : قطب الدين محمد ابن علاء الدين (ت. ٩٩٠هـ / ١٥٨٧م) <sup>(١٢٤)</sup> .

ينتسب لأسرة عذنية الأصل انتقلت إلى نهروالة من بلاد الهند فانتسبت إليها . ولد في مدينة لاهور الهندية ثم قدم إلى مكة مع والده وأقام بها وجمع زاده العلمي من شيوخها ومؤرخيها كجار الله بن فهد ، برع في الفقه وعلوم الدين واللغة والتاريخ وألف بالعربية والتركية والفارسية . كما استعان به الأمراء وكبار الشخصيات العثمانية في حجهم واعتماهم . تولى الإفتاء والتدريس بمكة المكرمة .

تناول قطب الدين النهروالي الكتابة في التراجم والطبقات في مؤلفين له وهما : كتاب طبقات الفقهاء الحنفية ، وزيادته على كتاب دستور الأعلام لابن عزم .

١- كتاب طبقات فقهاء الحنفية :

لم نعرف منه نسخة وإنما يدل عنوانه على أنه كتاب طبقات لفقهاء المذهب الحنفي ، ذكره الغزي ونسبه إليه ونقل عنه ، وقال عنه حاجي خليفة بأن النهروالي جمع كتاباً في أربع مجلدات في طبقات الحنفية ، كما ذكره البغدادي والكتاني ونسبوه للنهروالي <sup>(١٢٥)</sup> .

وعندما ترجم الغزي لقطب الدين النهروالي في كتاب الكواكب السائرة قال عنه : " وألم باللغتين التركية والفارسية ، ومن مؤلفاته طبقات الحنفية احترقت في جملة كتبه " <sup>(١٢٦)</sup> .

## ٢- زيادات النهروالي على كتاب دستور الإعلام .

كتاب دستور الإعلام ، بمعارف الأعلام ألفه المؤرخ محمد بن عمر بن عزم التونسي المكّي ( ت١٤٨٩/هـ٨٩١م )<sup>(٥٧)</sup> ليكون جامعاً للعديد من تراجم العلماء في مختلف اختصاصاتهم وبلدانهم ، فجاءت تراجمه موجزة ومفيدة لا تزيد غالباً على بعض الجمل القليلة . وقد رتبته على خمسة أقسام بحسب الشهرة والكنية والنسبة إلى الحرفة أو البلد أو الجلد وغير ذلك .

انتشر الكتاب وظهرت فوائده وتعددت نسخ مخطوطاته ، وعلى الرغم من كثرة التراجم الواردة فيه فإن علماء التواريخ شاركوا بالزيادات فيه فوضع عليه أربعة من المؤلفين إضافات عديدة هامة .

فجاءت زيادة القطب النهروالي المكّي (ت١٥٨٣/هـ٩٩١م) .

زيادة زين الدين البصري (ت١١٠٢/هـ١٦٩١م) .

زيادة إبراهيم الجينيني (ت١١٠٨/هـ١٦٩٦م) .

زيادة ابن حمزة (ت١١٢٠هـ/١٧٠٧م) .

وفي أغلب المخطوطات وضعت علامات على كل تلك الزيادات ، فكانت علامة زيادات قطب الدين حرف ( ق )<sup>(٥٨)</sup> .

وعند تنهي لمخطوطة الكتاب المحفوظة بمكتبة خدا بخش بالهند ( برقم ٢٣٧٦ ) مكنتني أن أحصي من إضافات النهروالي ٣٦ ترجمة في ٥٠ ورقة متفرقة من الكتاب . ورأيت أنه سار فيه على نفس أسلوب أصل الكتاب كما وضعه ابن عزم فكانت ترجماته موجزة تكتفي بإيراد اسم المترجم وتاريخ وفاته مع عرض اختصاصاته العلمية ومكانته في مجتمعه .

## الخاتمة

تنوع الإرث الثقافي التاريخي الذي خلفه لنا المؤرخون المكيون فمن مؤلفات تاريخية على منهج الحوليات ، إلى مؤلفات تسجل الأحداث حسب الدول والمناطق ، إلى مؤلفات عديدة في تراجم الشخصيات وكتب الطبقات ، وغير ذلك من النصوص التاريخية ذات المجالات العديدة .

وتتنوع مؤلفات المكّيين في التراجم - في القرن العاشر الهجري - إلى نوعين :

١- كتب تراجم خصصت لشخص واحد سواء كان سياسياً أو عالماً أو ذا درجة عالية في دينه وخلقه .

٢- كتب طبقات يترجم فيها المؤرخ للعديد من الأشخاص الذين تجمعهم صفة واحدة أو انتساب واحد كأن يكونوا من الأنبياء أو من آل البيت أو أن يكونوا من الملوك والحكام أو أئمة المذاهب الفقهية السنية أو فقهاء من أحد المذاهب أو أصحاب الوظائف الدينية الشرعية بمكة المكرمة .

وإن المتعمّن في أسباب وضع بعض هذه المؤلفات يلاحظ أنها ألّفت لغايات شريفة أهمها :

- التعريف برجال لمعوا في مجتمعهم بعلو درجاتهم الدينية والعلمية والأخلاقية .
- محاولة إطفاء الفتن التي يمكن أن تحدث بين أتباع المذاهب السنية ، فنرى أن العديد من المؤلفين يكتبون تراجم وفصائل كل الأئمة الأربعة في كتاب واحد ليعلموا الناس عدم تفاضلهم وعلم تمييز مذهب على آخر .
- كما نرى أن بعض هؤلاء المؤلفين يكون شيعياً كبيراً في مذهبه الشافعي فيضع المؤلفات العديدة في فضائل الإمام أبي حنيفة ( كاهن ححر الهيثمي الشافعي ) ولا يخفى ما في ذلك من تقوية أواصر الوحدة والمحبة بين أتباع مختلف المذاهب الفقهية ، والرد على ما قد يحدث من بعض الكتاب من تحريج وتناول يس أحد الأئمة .
- كما تعدد مؤلفات المؤرخين المكيين في تراجم بعض سلاطين الدولة العثمانية بحكم بسط سلطاتها على مكة المكرمة في تلك الفترة ، وأثرها على المجتمع المكي بما أغدقته عليه من أموال وهبات .
- واعتنى بعض المؤلفين بتراجم أمراء مكة على مر العصور وجمع أخبارهم وإنجازاتهم في مكة .

وبسبب هذه الغايات والأسباب ظهرت مؤلفات عديدة في فن التراجم والطبقات لتكون مصادر تاريخية مفيدة وثرية تعين على استجلاء العديد من الأخبار التي لم ترد في كتب التاريخ الكبيرة ، وتفتح آفاق لمعرفة شخصيات المجتمع المكي ودراسة خصائصه .

والله ولي التوفيق فله الحمد سبحانه ،

## الهوامش

- ١- انظر : التمهيد الذي وضعته واليا عبد الستار المحلومي في رسالتها : كتب التراجم في التراث العربي . ص ٤٣-٥٧ .
- ٢- من هؤلاء المؤرخين الثمانية من ألف كتاباً واحداً فُتُعرفَ بالمؤلف عند ورود تأليفه ، وبعض المؤرخين تعددت مؤلفاتهم في هذا المجال ؛ لذلك نُعرفَ بكل واحد منهم عند ورود أول كتاب له .
- ٣- انظر ترجمته في : العبدوسي : النور السافر ١٢٦-١٣٠ . ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ١٤١-١٤٢ . مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ص ١٠٧ .
- ٤- جاز الله بن فهد : نيل المني ص ٢٩٧ ، ٣٠١ .
- ٥- نقل عنه العز بن فهد في كتابه غاية المرام أشعاراً كثيرة بلغ عدد أبياتها ٣٦٥ بيتاً . انظر فهرس الأشعار في تحقيق كتاب غاية المرام ص ٦٦٤-٦٦٩ . بالإضافة إلى قصيدته التي وردت في كتابه البر المنظوم وبها ٩٣ بيتاً .
- ٦- حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٧٣٥ .
- ٧- اعتمدنا في التعريف بهذا الكتاب ونقلنا فسخاً عاماً بما أوردته د. الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٨١-١٨٢ . ونضيف عليه بعض ما ظهر لنا من التعريف بمصادره وبيان أسلوبه .
- ٨- انظر ترجمته : السخاوي : الضوء اللامع ٢ : ٤ . ابن حميد : السُّبُح الوابلة ص ٨٠-٨١ . مرداد : المختصر من كتاب نشر النور والزهر ص ١٠٢ . الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٨٤-١٨٥ . ويذكر د / الهيلة أنه كان حياً سنة ٩٣٣هـ ولكن ما وجدناه في مصادر ترجمته يدل على أنه كان حياً سنة ٩٤٢هـ .
- ٩- تعددت مصادر ترجمة جاز الله بن فهد - انظر مثلاً : السخاوي : الضوء اللامع ٣ : ٥٢ ، العبدوسي : النور السافر ٢٤١-٢٤٢ ، الغزي : الكواكب السائرة ٢ : ١٣١ . ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٣٠١ . كحالة : معجم المؤلفين ١٠ : ١٧٥-١٧٦ . الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٩٥-١٩٧ .
- ١٠- الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٩٩-١٠٨ .
- ١١- انظر ترجمته : العبدوسي : النور السافر : ٢٨٧-٢٩٢ ، الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ١١١-١١٢ . ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٣٧٠-٣٧٢ ، العصامي : سمط السجود العوالي ص ٢٨٣ . الشوكاني : البدر الطالع ١ : ١٠٩ . مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ١٢٢-١٢٤ . الكتاني : فهرس الفهارس ١ : ٣٣٧-٣٤٠ . الهيلة : التاريخ والمؤرخون ٢١٦-٢٢٨ ، لباء شافعي : ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية .

١٢- لمياء شافعي : ابن حجر الهيتمي المكّي وجهوده في الكتابة التاريخية ص ٢٨٩-٤١٠ . اعتمدت الدراسة على مؤلفات ابن حجر ومصادر ترجمته منها : ابن حجر : فتح الإله ، في شرح المشكاة وروقة ١٢ب-١٣أب ، رسالة في مناقب أبي حنيفة وروقة ١٢أ ، الإجازة وروقة ٥٧ب-٦٠ب ، الخيرات الحسان ص ٤-٨ ، العبدوسي : النور السافر ص ٢٩١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ ، ٣٧١ ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ص ١٢٢ .

١٣- أحبل في استنتاجاتي لدراسة هذا المؤلف على ما ورد لي من دراسة سابقة عنه ضمن رسالتي للدكتوراه والتي عنوانها ابن حجر الهيتمي وجهوده في الكتابة التاريخية ص ٣٥٢-٣٦٤ .

١٤- السيفي : نفائس الدرر وروقة ٥ ب - كما أحال عليه ابن حجر نفسه في كتابه إخوان الصفايند من أخبار الخلفاء وروقة ١٩ ب ، وأحال عليه حفيد ابن حجر خليفة الزمزمي في كتابه نشر الأس في فضائل زمزم وروقة ١٢ ب ، ٢٣ أ . ونسب هذا الكتاب لابن حجر الكتاني : فهرس الفهارس ص ٢٩٣ ، البغدادى : هدية العارفين ١ : ١٤٦ ، سرگيس : معجم المطبوعات ١ : ٨٢ ، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة ١ : ١٣٤ .

١٥- انظر ترجمة السلطان شهابي في : العبدوسي : النور السافر ص ٢٥٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٣٣٣ .

١٦- انظر ترجمته : الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ١٦٩ ، العبدوسي : النور السافر ص ٣٥٣ ، الشوكاني : البدر الطالع ١ : ٣٦٠ ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ٢٧٢-٢٧٣ ، البغدادى : هدية العارفين ١ : ٥٩٨ ، الزركلي : الأعلام ٤ : ٣٦ ، كحالة : معجم المؤلفين ٥ : ٢٨٣ .

١٧- مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ص ٢٧٣ .

١٨- الشوكاني : البدر الطالع ١ : ٣٦٠ ، الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ١١٣ .

١٩- انظر ترجمة علي المتقي : العبدوسي : النور السافر ٣١٥-٣١٩ ، والبقول عن الكتاب وردت في ص ٣١٧ ، ٣١٨ منه .

٢٠- انظر ترجمة عبد الرحمن العمودي في العبدوسي : المصدر السابق ص ٢٦٥-٢٦٦ ، والبقول وردت في نفس الصفحات .

٢١- انظر ترجمته : السحاري : الضوء اللامع ٤ : ٢٢٤ ، الغزي : الكواكب السائرة ١ : ٢٢٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ١٠-١٠٢ ، البغدادى : هدية العارفين ١ : ٥٨٣ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٧٥٤-٧٥٦ ، الزركلي : الأعلام ٤ : ٢٤ ، والأستاذ فهم شلنوت في مقدمة تحقيقه لكتاب العز بن قهد : غاية المرام ، ص ٧ .

٢٢- المحيي : خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٧ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٧٥٥

- ٢٣- الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص١٧٥-١٧٦ .
- ٢٤- بركات بن محمد بن بركات ولد بمكة سنة ١٤٦١هـ/١٤٥٧م وحكمها منفرداً لمدة طويلة من سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م إلى أن توفي سنة ٩٣١هـ/١٥٢٥م غير الفترة التي حكمها مشاركاً لوالده وإخوانه .  
انظر ترجمته : عارف عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ص٦٥٩-٦٩١ .
- ٢٥- العز بن فهد : غاية المرام ، المقدمة ص٤ .
- ٢٦- العز بن فهد : المصدر السابق ص٤-١٠ .
- ٢٧- العز بن فهد : المصدر السابق ١ : ١٣٩-١٧٥ .
- ٢٨- العز بن فهد : المصدر السابق ٣ : ٣٥-٣٣٩ .
- ٢٩- انظر فهرس كتاب غاية المرام ٣ : ٣٥٧ .
- ٣٠- الغزي : الكواكب السائرة ١ : ٢٣٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ١٠٠ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص٧٥٥ .
- ٣١- انظر ترجمته : ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٢٤٣ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ص٣٠ ، كحالة : معجم المؤلفين ١٠ : ٢٤ .
- ٣٢- جبار الله بن فهد : نيل المنى انظر فهرس الفهارس الكتاب ص٨٦٤ .
- ٣٣- عارف عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ص٤٦٢-٦٩١ .
- ٣٤- العصامي : سبط النجوم العوالي ١ : ١٦ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ١ : ٣٠ .
- ٣٥- سبقت الترجمة لجبار الله بن فهد . انظر (ص ١٠) .
- ٣٦- الزركلي : الأعلام ٦ : ٢٠٩ .
- ٣٧- حاجي خليفة : كشف الظنون ١ : ٢٥٣ .
- ٣٨- جبار الله بن فهد : بلوغ الأرب ص٣٢ .
- ٣٩- جبار الله بن فهد : بلوغ الأرب ص٣٧ .
- ٤٠- العبدروسي : التور السافر ص٢٠٦-٢٠٧ . وما ورد في السحب الوابلة لابن حميد ص١٣٦-١٣٧ و ص١١٢-٢١٤ .
- ٤١- انظر : العبدروسي : التور السافر ص٢١ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ . أما نقولات ابن حميد في السحب



الوايلة فجات في الصفحات ٢٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠١ ، ١٣٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٣٥٣ ، ٤٣١ ، ٤٧٣ ، ٤٨٧ .

٤٧- كثيراً ما يقع محقق كتاب السحب الوايلة ، طبعة دمشق في خطأ بأن يورد اسم جار الله بن فهد بلفظ جار الله كما في الصفحات ٢٤ ، ١٠١ وغيرهما .

٤٣- انظر : ابن حميد : السحب الوايلة ص ٢٤ .

٤٤- المصدر السابق : نفس الصفحة .

٤٥- حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٣٧٢-٣٧٣ .

٤٦- جار الله : تحفة اللطائف ص ١٣٧ .

٤٧- حاجي خليفة : كشف الظنون ١ : ٣٧٨ .

٤٨- حاجي خليفة : مصدر سابق ١ : ٨٨٥ . مرداد المختصر من نشر النور والزهر ص ١٥٣ .

٤٩- المحمي : خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٧ . الكتاني : فهرس الفهارس ص ٢٩٧ .

٥٠- الهيلة : التاريخ والمؤرخون ٩-١٠ : ٢١٧-٢١٨ .

٥١- الغزي : الكواكب السائرة ١ : ١٣٩ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٦٢٠ .

٥٢- البغدادي : هدية العارفين ١ : ١٤٦ ، إصباح المكنون ٢ : ٥١٠ ، ٥٤٣ ، الزركلي : الأعلام ١ : ٢٣٤ ، كحالة : معجم المؤلفين ٢ : ١٥٢ .

٥٣- ابن حجر : الإجازة ورقة ٥٧ ب - ٧١ ب .

٥٤- راجع ترجمته : النهروالي : البرق اليماني : مقدمة تحقيق حمد الجاسر والتي اشتملت على ٨٠ صفحة ، الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ٤٤-٤٨ ، العبدوسي : النور السافر ص ٣٨٣-٣٨٨ ، العصامي : سطر النجوم العوالي ٤ : ٣٣٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٤٢٠ ، الهيلة : التاريخ والمؤرخون ص ٢٤٢-٢٤٥ ، لمياء شافعي : تذكرة النهروالي المكي وأهميته رحلاته ص ٤١٠-٤١٢ .

٥٥- حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٠٨٩ ، البغدادي : إصباح المكنون ٢ : ٧٨٠ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٩٤٥ .

٥٦- الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ٤٥ .

٥٧- انظر ترجمته : الهيلة : التاريخ والمؤرخون ص ١٦٣-١٦٥ .

٥٨- علامة (هـ) للعبينيني . وعلامة (ر) لابن حمزة . وعلامة (ب) للبصري .

## ثبت المصادر والمراجع

- البغدادى : إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) :  
إيضاح المكتون ، في الذيل على كشف الظنون ، عن أسامي الكتب والفنون ، ط :  
إسطنبول سنة (١٩٤٥م) مجلدان .
- هدية العارفين ، في أسما المؤلفين ، وآثار المستفيين ، ط : إسطنبول سنة (١٩٥١م)  
مجلدان .
- ابن حجر : أحمد بن محمد الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م) :  
الإجازة معجم شيخ ابن حجر ، نسخة مكتبة برلين - ألمانيا - رقم (١٧٤) .  
تطهير الجتان واللسان ، عن المخطوط والتفوه بثلث معاوية بن أبي سفيان ، تحقيق  
أبي عبد الرحمن المصري الأثري ، ط : دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر  
(١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) .
- الحيريات الحسان ، في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ، ط : دار الكتب العلمية ،  
بيروت - لبنان (٣٠٤٠هـ / ١٩٨٣م) ، تقديم وتحقيق الشيخ خليل الميس .
- الحلومي : داليا عبد الستار ( معاصرة ) :  
كتب التراجم في التراث العربي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ٨ - ٢٠ م .
- ابن حميد التجلي :  
السحب الواهية ، على أنشحة المناهضة ، ط : مكتب الإمام أحمد ، دمشق ، سنة  
١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- خليفة : حاجي مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م) :  
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ط : إسطنبول (١٩٤١م - ١٩٤٣م) ،  
نشر محمد شرف الدين ، مجلدان .
- الزركلي : خير الدين (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) :  
الأعلام ، ط : دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٠م ، ٨ أجزاء .
- السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) :

الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع ، نشر مكتبة حسام الدين المقدسي ، ط .  
القاهرة ، ١٣٥٣هـ ، ١٢ جزءاً .

- شافعي : لمياء أحمد بن عبد الله :

تذكرة النهروالي المكي وأهمية رحلاته الست ، بحث منشور ضمن سلسلة مداولات  
جمعية التاريخ والأثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ص ٤٠٧-٤٤٥ ،  
اللقاء التاسع ١٤١٩هـ / ٨-٢٠٠٨ م .

ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية ، رسالة دكتوراه منشورة ،  
ط : مكتبة الغد ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

- الشوكاني : محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) :

الهدر الطالع ، بحاسن من بعد القرن السابع ، مطبعة السعادة ، القاهرة سنة  
١٣٤٨هـ ، جزآن .

- ابن ظهيرة : أحمد بن عطية ( كان حياً ٩٤٢هـ / ٥٣٤م) :

جواهر العقود ، في ترجمة القاضي جمال الدين أبي السعود ، مخطوط ، دار  
الكتب المصرية ، تيمور ، رقم ٣٧-٥ .

- عبد الغني : عارف :

تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ط : دار البشائر ، دمشق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

- المعصامي : عبد الملك بن حسين المكي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) :

سمط النجوم العوالي ، في أنباء الأوائل والتوالي ، ط : المطبعة السلفية ، القاهرة ،  
١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ٤ أجزاء .

- ابن العلي : أحمد بن الحسين (ت ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) :

الدور المنظوم ، في مناقب با يزيد سلطان الروم ، مخطوط مكتبة فاتح - تركيا  
رقم ٤٣٥٧ .

- ابن العماد الحنبلي : عبد الحي بن علي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م) :

شذرات الذهب ، في أخبار من ذهب ، ط : دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٨٩م ،  
٨ أجزاء .

- العبدروسي : محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م) :  
النور المسافر ، عن أخبار القرن العاشر ، تصحيح محمد رشيد أفندي الصفار ،  
مطبعة الفرات - بغداد - (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م) .
- الغزي : نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م) :  
الكواكب السائرة ، بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق جبر سليمان جبور ، دار الآفاق  
الجديدة ، بيروت ، سنة ١٩٧٩ م ٣ أجزاء .
- ابن فهد : جابر الله محمد بن عبد العزيز (ت ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م) .  
تحفة اللطائف ، في فضائل الخير ابن عباس ووج والطائف ، تعليق ومراجعة محمد  
سعيد كمال ، ومحمد منصور الشقعا ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، د.ت.  
بلوغ الأرب ، في معرفة أي الأنبياء من العرب ، مخطوط ، مكتبة الحرم المكي ،  
ضمن المجموع رقم ٤٢٣ حديث .
- الجواهر الحسان ، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان ، مخطوط مكتبة جامعة  
إسطنبول ( دار مثنوي رقم ٣٦٠ ) .
- القول المؤتلف ، في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف ، مخطوط مكتبة الحرم المكي  
(رقم ١١٨ تراجم) .
- نبل المنى ، بذييل بلوغ القرى ، لتكملة إتحاف الوري ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ،  
طبع مؤسسة دار الفرقان للتراث الإسلامي ، ط : بيروت ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ،  
جزآن .
- ابن فهد : العز عبد العزيز بن عمر الهاشمي المكي (ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م) :  
غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهم شلتوت ، ط : مركز البحث  
العلمي التابع لجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ،  
ثلاثة أجزاء .
- الكتاني : عبد الحمي بن عبد الكبير (ت ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) :  
فهرس الفهارس والأثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، طبع باعتناء  
وفهرسة إحصان عباس ، ط : دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ،  
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، في ثلاثة أجزاء .

- كحالة : عمر رضا :

معجم المؤلفين ، مطبعة الترقى ، دمشق ، سنة ١٩٥٧م-١٩٦١م ، ١٥ جزءاً .

- المحيي : محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) :

خلاصة الأثر ، في أعيان القرن الحادي عشر ، ط : دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ٤ مجلدات .

- مرداد : أبو الخير عبد الله بن أحمد (ت ١٣٤٣هـ/١٩٥٤م) :

المختصر ، من كتاب نشر النور والزهر ، في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي ، ط : عالم المعرفة ، مجلة ، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

- النهروالي : قطب الدين محمد بن علاء الدين المكي (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) :

البرق اليساني ، في الفتح العثماني ، طبع بإشراف حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .  
زيادات على كتاب دستور الإعلام لابن عزم ، نسخة مكتبة خدا بخش بالهند (رقم ٢٣٧٦) .

- الهيلة : محمد الحبيب ( معاصر ) :

التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر ، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، مكة ، ط : دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

## التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل العماني

(من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى ستينيات القرن العشرين)

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل العماني (دولة الإمارات العربية المتحدة) منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، حتى ستينيات القرن العشرين. ويرجع السبب الرئيس في اختيار هذا الموضوع إلى التنافس الشديد الذي ظهر بصورة جلية بين الدولتين على هذه الامتيازات التي شكلت آنذاك استراتيجية واضحة في سياسة الدولتين، بريطانيا التي هيمنت على الخليج منذ القرن التاسع عشر، والولايات المتحدة التي ظهرت بوصفها قوة عملاقة، مع نهاية الحرب العالمية الثانية. ويجب أن نشير إلى أن الدراسة لا تهدف إلى تقديم دراسة عن النفط، ولكن عن امتيازات التنقيب عنه.

كما تكمن أهمية موضوع الدراسة في أن عمليات التنقيب عن النفط من قبل الشركات البريطانية والأمريكية لم تكن عملية اقتصادية بحت، ولكنها أثرت بشكل واضح في مسار العلاقات السياسية بين الدولتين، والأهم من ذلك أنها أثرت في الأوضاع الاقتصادية والسياسية في منطقة الخليج بصفة عامة، والإمارات بصفة خاصة. وقد ظهر ذلك جليا من خلال تدخل الدولتين في العلاقات التي حدثت بين الإمارات وعدد من دول الخليج، أبرزها

إيران، ليس بهدف مصلحة الإمارات، ولكن من أجل مصالح تلك الشركات، وذلك من خلال عملها كل ما في وسعها من أجل الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في الإمارات.

### السيطرة البريطانية على إمارات الساحل العماني:

يقصد بإمارات الساحل العماني الإمارات السبع (\*) التي شكلت فيما بعد دولة الإمارات العربية المتحدة، وكانت تعرف أيضا بساحل القرصنة (\*\*) ومشيخات الساحل العماني والإمارات المتصالحة والساحل المتهادن<sup>(١)</sup>، وكانت تابعة لعمان الكبرى (\*\*\*) التي انقسمت من جراء تكالب القوى الاستعمارية والتناحر الداخلي إلى سلطنة مسقط وعمان الداخل<sup>(٢)</sup>، وعلى أثر التفكك السياسي في عمان، حدثت موجة من الهجرات القبلية إلى سواحل الخليج، تخضع عنها ولادة كيانات سياسية جديدة في المنطقة<sup>(٣)</sup>، أهمها بنو ياس والقواسم، اللذان بسطا سيطرتهما على إمارات الساحل العماني<sup>(٤)</sup>.

كان المشهد السياسي في منطقة إمارات الساحل يكشف هيمنة القواسم على مقدرات الأمور في المنطقة<sup>(٥)</sup>، ولكن سرعان ما اصطدم القواسم بالفرقة البريطانية المتغلغل في الخليج<sup>(٦)</sup>، ومع تعاطف الخطر القاسمي كتب المقيم البريطاني في البصرة إلى حكومته يحذر من خطر القواسم! لذا وجهت السياسة البريطانية وجهتها صوب السيطرة على الساحل العماني، والقضاء على قوة القواسم<sup>(٧)</sup>، فقامت بثلاث حملات للإجهاز عليهم (\*\*\*\*)، كانت الحملة الثالثة عام ١٨١٩م<sup>(٨)</sup> قمة الصراع بين القواسم وبريطانيا، وانتهت بتوقيع عدد من المعاهدات عام ١٨٢٠م<sup>(٩)</sup> التي تحولت إلى معاهدة سلام عامة مع شيوخ الساحل الذين وقعوا عليها تباعا في مارس ١٨٢٠، وبدأت حقبة ما أسمته بريطانيا بالسلام البريطاني في المنطقة Pax-Britannica (\*\*\*\*) (١٠). وقد وضعت تلك المعاهدة أسس سياسة التجزئة في المنطقة، من خلال تفتيت إرث القواسم وبقيّة إمارات الساحل إلى كيانات صغيرة، منحتها بريطانيا الاستقلال، فشجعت استقلال عجمان وأم القيوين والفجيرة وكلية، وانسلاخ رأس الخيمة عن الشارقة، ومن ثم تفرق الساحل إلى إمارات صغيرة لا حول لها ولا قوة<sup>(١١)</sup>.

وعلى ضوء تزايد حدة التنافس الإقليمي والدولي للهيمنة البريطانية على منطقة الخليج، أبرمت بريطانيا مع شيوخ الساحل الاتفاقية المانعة Exclusive Agreement عام ١٨٩٢م<sup>(١٢)</sup>، ومثلت هذه الاتفاقية تعهدا ضميا من بريطانيا بالحماية والاضطلاع بالشئون الخارجية لإمارات

الساحل، وفرض إلزامية الرجوع إليها قبل الشروع في منح أية امتيازات لدول غيرها (١٣). وقد شكلت هذه الاتفاقية حجر الزاوية للسياسة البريطانية في المنطقة التي ارتكزت على عزل إمارات الساحل عن العالم الخارجي، وإبقائها في حالة من التفكك؛ ليسهل فرص السيطرة عليها، وعلى مواردها<sup>(١٤)</sup>. وبعد تصريح لانزدون Lansdowne في مايو ١٩٠٣ بمجلس اللوردات البريطاني، وزيارة نائب الملك في الهند اللورد كيرزون Curzon لساحل عمان في نوفمبر من العام نفسه، دليلاً دامغاً على تعاطف أهمية الخليج في الاستراتيجية البريطانية التي أقرت بأن العلاقة بين منطقة الخليج والأمن البريطاني في الهند علاقة لا انفصام لها. ويتضح من خلال ذلك التصريح وخطاب كيرزون، الرغبة القوية لدى بريطانيا في دعم النفوذ البريطاني في المنطقة، وفرض ستر حديدى عليها، وإبقائها بعيداً عن أية تيارات أجنبية أو عربية<sup>(١٥)</sup>.

### التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب عن النفط في منطقة الخليج:

كان النفط - ولا يزال - عصب الحياة وشرائها في السلم والحرب. وخير دليل على ذلك ما صرح به الفرنسي كلمنصو في مطلع القرن العشرين، حينما قال: "كل قطرة من النفط تساوي قطرة من الدم"<sup>(١٦)</sup>، وكذلك الرئيس أيزنهاور عندما قال: "إن الخلد - سبحانه - نحو النصر على بحيرة من النفط"<sup>(١٧)</sup>. من هذا المنطلق، أدركت بريطانيا ضرورة السيطرة على امتيازات التنقيب عن النفط. وبالفعل، حصلت في عام ١٩٠١ على امتياز التنقيب عن النفط في إيران، حيث تدفق النفط بكميات تجارية، لأول مرة عام ١٩٠٨ من مسجد سليمان (مدينة صغيرة واقعة جنوب إيران). وقد مثل هذا الاكتشاف، منعطفاً مهماً في تاريخ البترول العالمي<sup>(١٨)</sup>.

ومنذ ذلك الحين، فرضت على مستعمراتها في الخليج - التي كانت تنبئ باحتمال وجود فرص عظيمة لظهور النفط بها - توقيع اتفاقيات تحرم عليها إعطاء حقوق التنقيب لأية شركة غير بريطانية قبل موافقة المقيم السياسي البريطاني. وتأسساً على هذا، وقع شيخ الكويت على تعهد بهذا في عام ١٩١٣، وشيخ البحرين في عام ١٩١٤، وحاكم عمان في عام ١٩٢٠، وحاكم إمارات الساحل العماني في عام ١٩٢٣<sup>(١٩)</sup>.

وترجع إرهابات التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب في الخليج إلى الفترة اللاحقة للحرب العالمية الأولى، حينما سعت فرنسا وبريطانيا إلى اقتسام بترول العراق بينهما. غير أن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت هذا الإجراء، وطالبت بحصة من هذه الكعكة. وبعد



جدل دام بضع سنوات وافق الحليفان على بيع نسبة ٢٣.٧٥٪ من أسهم الامتياز للأمريكيين. وقد ظفر بهذه الحصة ائتلاف يضم خمس شركات بزعامة موبيل وستاندرد نيوجيرسى، فى نوفمبر ١٩٢٤.<sup>(٢)</sup>

ومع تدفق النفط فى البحرين، تطلعت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى الاستئثار بامتيازات التنقيب فى المنطقة<sup>(٣)</sup>. وبالفعل انجذبت الولايات المتحدة إلى البحرين، فى حين كانت إمارات الساحل العمانى حتى ذلك الوقت حكرا على الشركات البريطانية، وبدرجة أدنى، الفرنسية، التى تمتعت بهذه الامتيازات لسيطرة حكوماتها على بلدان المنطقة<sup>(٤)</sup>. وبدأ نشاط الولايات المتحدة الأمريكية من خلال شركة ستاندارد نيوجيرسى<sup>(٥)</sup>. وفى ظل تزايد الاعتماد على النفط فى تحريك عجلة النشاط الاقتصادى الأمريكى، وتناقص الاحتياطات الأمريكية من النفط، اتجه كثير من الشركات النفطية الأمريكية الكبرى للبحث عن النفط خارج حدودها، ومد الاستثمارات النفطية إلى العالم الخارجى. وراد من ذلك، شعور الشركات الأمريكية الكبرى بالقدرة على توسيع نشاطاتها. وبالفعل بدأ التنافس الأثملو أمريكى على امتيازات التنقيب عن النفط فى المنطقة إلى عام ١٩٢٠، خاصة فى ظل تدفق النفط فى إيران، وظهوره فى عدة مواقع من العراق.

وفى ٢٤ إبريل ١٩٢٤، وقع البريطانيون والفرنسيون اتفاق سان ريمو الذى تضمن ستة بنود تنظم تقسيم الحصص فى بترول الشرق الأوسط<sup>(٦)</sup>؛ وهو ما أثار حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية التى رأت فيه محاولة من بريطانيا للاستئثار بالسهم الأوفر من تركة المنطقة، بدون مراعاة شركائها الآخرين الذين قدموا لها كثيرا من الدعم والمساندة إبان الحرب، وقد ظهر ذلك فى الرسائل المتبادلة بين اللورد كمبرزون وزير خارجية بريطانيا، وسفيره فى واشنطن السير أ. جيدس، والسفير الأمريكى فى لندن<sup>(٧)</sup>، التى توضح مدى الجدل والتنافس بين لندن وواشنطن حول النفوذ السياسى والمصالح البترولية فى الخليج؛ إذ أصبح الصراع على المصالح يدور الآن بين الحكومتين، بعد أن بقى مدة محصورة فى إطار الشركات البترولية التابعة لبلديهما. ولعل اتخاذ الموضوع بعدا سياسيا عائد إلى التأثير الحاسم للشركات الثلاث الرئيسية (الأثملو فارسية، وروبال داتش شل، وستاندارد نيوجيرسى)، فى صانعى السياسة فى البلدين، وطالبت واشنطن بريطانيا بضرورة تطبيق سياسة الباب المفتوح؛ وفى رسالة من السفير باعتماد مبدأ الباب المفتوح، لإتاحة الفرصة أمام الشركات الأمريكية للعمل فى الأراضى العربية الواقعة تحت الانتداب البريطانى، أكد أن

عدم اعتماد هذا المبدأ يسمى. إلى مصالح بلاده في الشرق، وأشار إلى أن الشركات الأمريكية لا تحصل على فرص متكافئة مع الشركات البريطانية التي تحظى بدعم حكومتها، على حساب بقية الشركات، على الرغم من إقرار بريطانيا، بإمكان إعطاء نسبة محدودة من الاستثمارات للشركات الأمريكية، كما أكد السفير أن بريطانيا تعمل في الحفاء للسيطرة على مصادر النفط في البلاد العربية، على الرغم من أنها اتفقت مع واشنطن على مبادئ عامة في مؤتمر الصلح، تتضمن الإقرار بأن استغلال هذه المصادر هو حق مشاع لكل الأمم، وليس حكرا على أمة واحدة<sup>(٢٧)</sup>.

وعددت واشنطن الأسباب التي تؤكد أحقيتها في الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في مناطق الشرق الأوسط والخليج، نوجزها فيما يأتي<sup>(٢٨)</sup>:

أولاً- أن (ستاندارد نيوجرسي) الشركة البترولية الرئيسية في الولايات المتحدة، فقدت أسواقها المألوفة، إثر تركيز جهودها في تمويل قوات الحلفاء بالبترول في أثناء الحرب في أوروبا، لذا فمن الواجب على بريطانيا مساعدة الشركة ودعمها.

ثانياً- منع استثمار بريطانيا وفرصها باستغلال الثروات الطبيعية للبلدان التي تحت الوصاية، إلا بموافقة الأسرة العلية، الممثلة في عصبة الأمم.

ثالثاً- أن احتياطي البترول المؤكد وجوده في الأراضي الأمريكية أخذ في التقلص، وأنه يوشك - حسب الدراسات المتاحة - على النفاد في خلال مدة تتراوح بين عشر وعشرين سنة.

رابعاً- أن بريطانيا تضع العقوبات والعراقيل في وجه بعثات التنقيب التي أرسلتها الشركات الأمريكية إلى الخليج<sup>(٢٩)</sup>.

أنكر وزير الخارجية البريطاني هذه الادعاءات، وقال: إن بريطانيا لم تنتهج سياسة تمييز أو محاباة لصالح شركاتها ضد الشركات الأمريكية<sup>(٣٠)</sup>، وأكد الوزير كيرزون أن الموقف الأمريكي يضم في طياته سياسات متناقضة، ففي الوقت الذي تطالب فيه واشنطن بتطبيق مبدأ الباب المفتوح في الخليج، تضع كثيراً من العقبات في وجه الشركات الأوروبية الراغبة في استثمار احتياطيات النفط المتوافرة في الأراضي الأمريكية، كما أنها افتعلت المشاكل والصعوبات أمام الاستثمارات البريطانية في القارة الأمريكية الجنوبية، خاصة في كوستاريكا وهايتي، ولم يسفر ذلك الجدل عن نتيجة مهمة، وازداد شعور الأمريكيين بأنهم على وشك أن يحسروا مصالح مهمة، كانوا يتوقعون أن تصبح بين أيديهم<sup>(٣١)</sup>.

ومع رغبة الحكومة البريطانية في ترسيم الحدود الإقليمية لتركيا (٣١)، ووجود معارضة حادة من جانب الأطراف المشاركة في مؤتمر لوزان ١٩٢٣؛ وهو ما اضطرها إلى طلب الدعم السياسي من الولايات المتحدة، كان هذا الطلب عاملاً مساعداً في تليين الموقف البريطاني من قضية الامتيازات البترولية التي دار الصراع عليها مع الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وعلى أثر ذلك أعطت الحكومة الضوء الأخضر لإدارة الشركة الأنجلو فارسية للبدء في البحث عن إطرار المشاركة الأمريكية. وعلى أثر تلك التطورات الإيجابية في العلاقة بين المصالح الأمريكية والبريطانية، بدأت الشركات الأمريكية تدخل بقوة في حلبة المنافسة للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في كثير من بقاع مناطق الخليج<sup>(٣٢)</sup>.

وقد ظهر اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بساحل الخليج العربي واضحا منذ عام ١٩٢٤، وفي عام ١٩٢٨ أخذ بعض الأمريكيين يجوسون في أنحاء المملكة العربية السعودية، بخاصة منطقة الإحساء، بحثاً عن البترول، نتيجة سافس الاحتياطي الأمريكي<sup>(٣٣)</sup>.

وكانت أراضي المملكة العربية السعودية من أوائل المناطق التي مثلت ساحة لهذا الصراع والتنافس المحموم<sup>(٣٤)</sup>.

وعلى هذا، بدأ التنافس والصراع بين الشركات الأمريكية والبريطانية على التنقيب عن النفط في المملكة العربية السعودية، ودام الصراع والتنافس مدة قصيرة، انتهت باختيار الملك عبد العزيز للشركة الأمريكية "ستاندرد أويل أف كاليفورنيا (سوكال)"، بعد مفاوضات مطولة للفوز بامتياز التنقيب، كما أن اكتشاف البترول في البحرين عام ١٩٣٢ كان عاملاً مهماً زاد من شهية الشركات الأمريكية؛ وهو ما شجعها على دخول حلبة الصراع النفطي للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل العماني، وكسر جدار العزلة الذي فرضته الشركات البريطانية للفوز بامتيازات النفط في تلك المنطقة<sup>(٣٥)</sup>.

التنافس الأنجلو أمريكي على الامتيازات في الإمارات حتى نهاية الحرب العالمية الثانية:

كان للخلفية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تكتنف إمارات الساحل العماني أثر واضح في احتدام التنافس الأنجلو أمريكي حول الاستحواذ على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل. فالتطلع للأوضاع السياسية والاقتصادية للمنطقة يتجلى له كيف أن تلك

الأوضاع أسهمت في تأجيج حدة التنافس بين واشنطن ولندن، وأن الأوضاع السياسية التي مرت بها بريطانيا، ولاسيما عقب الحرب العالمية الثانية، كان لها تداعياتها بالنسبة إلى الاستمرار في السيطرة والهيمنة على مناطق الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا، بحكم علاقاتها التاريخية مع شيوخ إمارات الساحل.

لقد حازت إمارات الساحل العماني حيزاً كبيراً في الاستراتيجية البريطانية، إثر اكتشاف البترول في إمارات الخليج المتاخمة لإمارات الساحل العماني<sup>(٣٦)</sup>، ووجود الشركات الأمريكية بشكل مكثف في المنطقة خاصة في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى الدراسات التي قامت بها شركة النفط الإنجليزية الفارسية في منطقة الساحل العماني، والتي أكدت بقوة احتمالات وجود النفط في تلك الإمارات<sup>(٣٧)</sup>، ومن ثم انجذبت بريطانيا إلى تكبيل شيوخ الساحل بتعهدات اقتصادية وسياسية، تهدف منها في المقام الأول إلى احتكار امتيازات التنقيب عن النفط في كل إمارات ساحل عمان<sup>(٣٨)</sup>، ومرجعيتها القانونية في ذلك أن مفاوضات التنقيب عن النفط بين الشركات والشيوخ تقع تحت بند العلاقات الخارجية الموطأ بها إلى الإدارة البريطانية طبقاً للاتفاقية المانعة التي وقعها بريطانيا مع شيوخ الإمارات عام ١٨٩٢<sup>(٣٩)</sup>، وبشكل واضح وصريح حصلت بريطانيا عام ١٩٢٢ على تعهدات تلزم شيوخ الساحل بعدم منح امتيازات التنقيب عن البترول في أراضيهم لأي شخص عدا الذي تختاره الحكومة البريطانية؛ وهو الأمر الذي يعد احتكاراً سافراً من أجل الحصول على امتيازات التنقيب في الإمارات<sup>(٤٠)</sup>، ويتضح من خلال صيغة التعهدات أنها قد أملت على الشيوخ، ولم يكتبوها بحض إرادتهم<sup>(٤١)</sup>.

فلا شك في أن نجاح شركة ستندارد كاليفورنيا Standard Oil of California في الحصول على امتيازات التنقيب عن البترول في المملكة العربية السعودية (٤٢)، كان له صدى قوي لدى الدوائر الرسمية البترولية البريطانية؛ لذا أبرم المقيم السياسي في الخليج عام ١٩٢٢ اتفاقية مع حكام إمارات الساحل، منحتها امتيازات التنقيب عن النفط في تلك المنطقة للشركات البريطانية<sup>(٤٣)</sup>، وكان لحصول شركة ستندارد على امتيازات التنقيب عن النفط في البحرين عام ١٩٢٨<sup>(٤٤)</sup>، وتمكن شركة Gulf Oil Cooperation من مشاركة الشركة الأنجلو فارسية Anglo - Persian Company في بفق الكويت، أثر فاعل في تزايد حدة التنافس بين الشركات الأمريكية والبريطانية في منطقة إمارات الساحل<sup>(٤٥)</sup>.

ونخلص إلى أن تعهدات عام ١٩٢٢ جاءت لتكريس امتيازات التنقيب عن النفط للمشركات البريطانية، وهو ما سعت إليه بريطانيا منذ بدايات اكتشاف البترول في إمارات الخليج المتاخمة لإمارات ساحل عمان، ومن ثم شددت بريطانيا قبضتها على تعاملات الإمارات الحارجية، خشية تسلل الشركات الأمريكية الطامحة للنفوذ ببعض امتيازات التنقيب عن النفط في الإمارات، مع التركيز على إمارتى أبوظبي ودبي، فقد أشارت معظم التقارير الجيولوجية إلى ارتفاع نسبة وجود النفط فى المناطق البرية والبحرية لتلك الإمارات<sup>(٤٩)</sup>.

كان الوضع الاقتصادى لإمارات الساحل قبل الحقبة البترولية يتسم بالبداية والسمط التقليدى؛ إذ فرض الموقع الجغرافى والبيئة الصحراوية والظروف المتاخية العمل فى النشاط البحرى، ومثلت صناعة اللؤلؤ وصيد الأسماك والتجارة أهم الأنشطة الاقتصادية لإمارات الساحل، فى حين كانت الزراعة والرعى والصناعات الحرفية أنشطة اقتصادية ثانوية<sup>(٥٠)</sup>.

وعلى ضوء تلك المعطيات الاقتصادية التى تضيف إليها تردى الأوضاع أكثر إبان حقبة ثلاثينيات القرن العشرين، بسبب أزمة الكساد العالمى التى أدت إلى كساد تجارة اللؤلؤ؛ إذ حدثت تطورات ساعدت على تحسين الوضع المالى، والخروج من تلك الأزمة، كان أهمها البدء فى التنقيب عن النفط<sup>(٥١)</sup>؛ إذ أبرمت بريطانيا عددا من الاتفاقيات الخاصة بالامتيازات النفطية مع شيوخ إمارات الساحل فيما بين عامى ١٩٣٧ و١٩٣٩؛ وهو ما أسهم فى تحسين الوضع المالى لشيوخ الإمارات<sup>(٥٢)</sup>. والملاحظ أن امتيازات التنقيب عن البترول فى الساحل تكاد تتوازى مع اتفاقيات إنشاء الطريق الجوى الإمبراطورى التى بدأت فى أوائل الثلاثينيات<sup>(٥٣)</sup>.

ونستنتج مما سبق أن بريطانيا شرعت فى إبرام الاتفاقيات النفطية والجوية فى هذا الوقت لاستغلال الوضع الاقتصادى المتدهور لإمارات الساحل، على خلفية الأوضاع السابق ذكرها، بوصفها ورقة ضغط لإقناع حكام الإمارات بعقد مثل هذه الاتفاقيات، مقابل قدر من المال يسهم فى الخروج من تلك الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى أرخت بظلالها على المنطقة بأسرها. وينهض دليلا على ذلك رصد المسئولين البريطانيين للوضع المالى لإمارات الساحل، مع زيادة إيقاع المباحثات بالنسبة إلى تلك الامتيازات فى خلال فترة الأزمة، وقد استخدمت بريطانيا كثيرا من الآليات لصمد الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط فى إمارات الساحل، مستغلة نموذجا التاريخى فى المنطقة، وعلاقاتها الضاربة بجنورها فى القدم مع شيوخ الساحل، فضلا عن استخدام سياسات التهديد والوعيد<sup>(٥٤)</sup>.

## التنافس الأنجلو أمريكي على الامتيازات في الإمارات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية:

أسهم الوضع السياسي والاقتصادي في بريطانيا الذي ألم بها في أعقاب الحرب العالمية الثانية في تزايد مزاحمة الشركات الأمريكية للشركات البريطانية، بغية الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل. فلاحظ أنه بعد أن كبلت بريطانيا شيوخ الساحل بتعهدات لتضمن لنفسها امتيازات التنقيب في تلك المنطقة، كان الوضع العام لبريطانيا في حالة يرثى لها. فعقب الحرب العالمية الثانية، وهنت الهيمنة البريطانية في منطقة الخليج، ومن ثم ضعف الدعم الذي كان يقدمه المستولون البريطانيون للشركات البريطانية؛ وهو ما فتح المجال أمام الشركات الأمريكية للسعي للحصول على امتيازات التنقيب، وكان ذلك إيذاناً بهدء فترة عرفت بالوجود الأنجلو أمريكي في منطقة الخليج. مارست في خلالها واشتطن ضغوطاً قوية على بريطانيا لقبول سياسة الباب المفتوح، والسماح للشركات الأمريكية بالحصول على بعض امتيازات التنقيب عن النفط في المنطقة<sup>(١٥٢)</sup>. والأمر الذي لا مراء فيه أن البترول كان العامل الرئيسي للصراع بين الجانبين<sup>(١٥٣)</sup>؛ لذا صارت العلاقات بين الدولتين في خط أكثر تعرجاً، ولكنها لم تصل إلى مرحلة الصدام المباشر؛ لوجود مصالح حيوية في المنطقة لكلتا الدولتين<sup>(١٥٤)</sup>.

فقد تشابكت سياستهما تجاه عدد من القضايا والأحداث؛ نذكر منها: أزمة تأمين النفط الإيراني (١٩٥١-١٩٥٣)، وما تبعها من انتقاص هيبة النفوذ البريطاني في الخليج، ومعارضة الولايات المتحدة فكرة استخدام بريطانيا القوة العسكرية ضد إيران في خلال الأزمة، خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى تدخل سوفيتي في شال إيران، ومن ثم تصاعد وتيرة الحرب في المنطقة، واكتفت بتدبير انقلاب ضد الدكتور مصدق (رئيس الوزراء الإيراني) لإنهاء الأزمة<sup>(١٥٥)</sup>. وهناك أيضاً النزاع الحدودي بين السعودية وأبوظبي على واحة البورمي<sup>(١٥٦)</sup>، ورؤية الملك فيصل بأن الاعتراف بالدولة الجديدة لابد أن يساير تصوية المنازعات الحدودية القائمة بين السعودية وأبوظبي<sup>(١٥٧)</sup>.

وبرغم اختلاف الرؤى السياسية بين البلدين تجاه بعض قضايا المنطقة؛ فإنهما كانا أكثر ميلاً لتنسيق سياستهما لمواجهة الخطر الشيوعي، وتطبيق تيار القومية العربية. وجاء حلف بغداد عام ١٩٥٥ معبراً عن هذا الاتجاه<sup>(١٥٨)</sup>. وقد قام نوري السعيد - رئيس الحكومة العراقية - في فبراير عام ١٩٥٥ بنشاط مكثف في منطقة الخليج للترويج لحلف بغداد، وبحث إنشاء حلف الخليج،

لمقاومة الغزو المصري<sup>(١٩١)</sup>، والزحف السوفيتي في المنطقة الذي كان يسعى لنشر الفكر الشيوعي في كل جناب المنطقة، عبر إيران. وسط سيطرته على بترول إيران والعراق<sup>(١٩٢)</sup>. وقد شنت مصر والسعودية حرباً إعلامية ضد سياسة الأخلاق، خاصة بعد توقيع الميثاق العراقي التركي الذي عد إضعافاً للإرادة العربية<sup>(١٩٣)</sup>، وحددت مصر موقفها من مسألة الأخلاق أملاً في تنظيم عملية الدفاع مع الدول العربية، وتفعيل نظام الدفاع العربي المشترك<sup>(١٩٤)</sup>.

ونلاحظ أن انضمام إيران لحلف بغداد أحدث قدراً من الارتباك للسياسة البريطانية تجاهها؛ إذ فقدت القدرة على خلق توازن بين سياستها التقليدية تجاه إمارات الساحل؛ "أي التصدي للأطماع الإيرانية"، وكيفية التعامل مع إيران بعد أن أصبحت معها في بوتقة واحدة<sup>(١٩٥)</sup>. ولمس هذا الارتباك في الموقف البريطاني الذي لم يعد متشدداً إزاء الادعاءات الإيرانية في الجزر الإماراتية الثلاث (طنب الكبرى، وطب الصغرى، وأبو موسى) وجزر البحرين<sup>(١٩٦)</sup>.

ونستنتج مما سبق أن العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، لم تكن علاقة صراع على طول الخط، غير أنها شهدت فترات مد وحزر، حسبما تقتضيه مصلحة كل منهما. ونؤكد أن سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية سجلت نهاية عهد قدم، وبداية عهد جديد في تاريخ المنطقة؛ إذ لاح في أفقها جملة من المتغيرات كانت كفيلة بتقويض الغزو البريطاني في الخليج.

وحدثت تطورات محلية وإقليمية ودولية، أرغمت بريطانيا على تبني استراتيجية الانسحاب شرق السويس. وقد حملت تلك التطورات بين ثناياها أوضاعاً سياسية واقتصادية واستراتيجية، لم تستطع بريطانيا في ظلها الاضطلاع بمهامها في المنطقة؛ لذا كان قرار الانسحاب بغية الحفاظ على ما تبقى لها من نفوذ. ولاشك أن العوامل (الاقتصادية والسياسية والاجتماعية) الدافعة للانسحاب، وإن اختلف معدل تأثيرها؛ فإنها شكلت في مجملها مناخاً ضاغطاً على صانعي القرار البريطاني لإقرار سياسة الانسحاب. ومنذ ذلك الحين تنامي الاهتمام الأمريكي بمنطقة الخليج وأمنه ونفطه، مع العمل على استمرار تدفق النفط للغرب، ومواجهة أي مد سوفيتي في المنطقة<sup>(١٩٧)</sup>.

وقعت شركة امتيازات البترول المحدودة البريطانية Petroleum Concessions Ltd Coast اتفاقيات التنقيب عن البترول مع حكام إمارات الساحل عام ١٩٣٩<sup>(١٩٨)</sup> الذين قبلوا ذلك على مضض، تحت ضغط بريطاني، واتباع سياسة التهديد والوعيد؛ إذ هددت بريطانيا بعدم إصدار

وثائق السفر، وحجز السفن التابعة لإمارات الساحل، تحت ذريعة تفتيشها وحجزها، لمكافحة تجارة الرقيق، فضلا عن التلميح باستحقاقات اتفاقية عام ١٩٢٢<sup>(١٧١)</sup>. وقد حال اندلاع الحرب العالمية الثانية دون مواصلة الشركة أعمالها، حتى انتهت الحرب<sup>(١٧٢)</sup>، فاستأنفت أعمال الاستكشاف والتنقيب. ومع تعثر اكتشاف البترول بكميات تجارية<sup>(١٧٣)</sup>، تخلت الشركة عن امتيازها في كل الإمارات - ما عدا مناطق أبوظبي البرية، وأضحت تعرف باسم شركة بترول أبوظبي المحدودة<sup>(١٧٤)</sup> لذا منح حكام الإمارات امتيازات التنقيب عن البترول في إماراتهم لشركات جديدة، كان أهمها: شركة أبوظبي البحرية المحدودة للتنقيب عن البترول في المناطق البحرية بأبوظبي عام ١٩٥٣<sup>(١٧٥)</sup>، وشركة بترول دبي للتنقيب عن البترول في المناطق البحرية عام ١٩٦٣، فضلا عن الامتياز الذي منحه إمارة الشارقة عام ١٩٦٩ لشركة الهلال<sup>(١٧٦)</sup>.

وعقب توقيع امتيازات التنقيب عن النفط وجدت ضرورة ملحة لتخطيط الحدود، لكي تتمكن الشركات البترولية من القيام بمصليات المسح الجيولوجي والتنقيب، ومن ثم طفت على السطح مشاكل الحدود، وكان من أبرزها مشكلة البورمي<sup>(١٧٧)</sup> التي حسدت في جوهرها صراعا واضحا بين الشركات النفطية الأمريكية والبريطانية المتنافسة. أكثر من كونها خلافا بين السعودية وأبوظبي<sup>(١٧٨)</sup>؛ إذ أثار تنقيب شركة تطوير بترول الساحل المهادن (البريطانية) في واحة البورمي حفيظة ابن سعود. وقد تزامن ذلك مع وجود شركة أرامكو الأمريكية في واحة البورمي لعمل مسح جيولوجي هناك<sup>(١٧٩)</sup>. ولما كانت بريطانيا المستولة عن الشئون الخارجية لإمارات الساحل، بموجب الاتفاقية المانعة، طردت القوات السعودية التي دخلت قرية حماسا بواحة البورمي في أغسطس عام ١٩٥٥<sup>(١٨٠)</sup>.

وعلى هذا، قطعت السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا، وسعت لعرض القضية على مجلس الأمن. بيد أنها تراجعت، إثر قيام ثورة اليمن عام ١٩٦٢، وحدث التقارب البريطاني السعودي، لمواجهة الوجود المصري في اليمن<sup>(١٨١)</sup>. وقد أوكلت بريطانيا إلى الملك حسين في خلال زيارته إلى منطقة الخليل في فبراير عام ١٩٦٧ مهمة القيام بدور الوساطة لحل مشكلة البورمي، ومن ثم حل الاشتباك الذي حدث بين الشركات الأمريكية والبريطانية على أحقبة أى منهم في التنقيب عن النفط. فادعا - السعودية بأحقبتها في واحة البورمي بمنح شركة أرامكو الأمريكية حق التنقيب، في حين أن حق أبوظبي في البورمي بمنح شركة تطوير بترول الساحل المهادن (البريطانية) الحق في التنقيب. ولا شك أن الذي أشعل قنبيل الأزمة الحدودية بين المملكة العربية السعودية



وأبوظبي هي شركات النفط الأمريكية والبريطانية المتنافسة<sup>(١٧٨)</sup>. ومع تزايد النزاعات الحدودية بين بعض إمارات الساحل وبعضها؛ مثل النزاع الحدودي بين أبوظبي ودبي عام ١٩٤٥، أعاق عمل شركات التنقيب<sup>(١٧٩)</sup>؛ وسعت بريطانيا إلى إنشاء قوة كشافة ساحل عمان؛ لحماية المصالح النفطية البريطانية، ومنع النزاعات الحدودية بين الإمارات، والدفاع عن إمارات الساحل ضد الأطماع الإقليمية، كما حدث عند طرد القوات السعودية من البويعي<sup>(١٨٠)</sup>.

وما يسترعى الانتباه أن بعض الإرساليات الأمريكية في الخليج التي كانت تقدم نوعاً من الرعاية الصحية لسكان إمارات الساحل<sup>(١٨١)</sup>، أثارت مخاوف لدى البريطانيين؛ إذ خشيت بريطانيا أن يستغل أطباء تلك الإرساليات في تيسير حصول الشركات الأمريكية على امتيازات البترول بإمارات الساحل؛ لذا طالب الوكيل السياسي البريطاني في البحرين بضرورة وجود إشراف طبي في ساحل عمان، وفرض قيود صارمة على زيارات البعثات الإرسالية الأمريكية للساحل<sup>(١٨٢)</sup>، ومن متعلق تخوف البريطانيين من نشاط الإرساليات الأمريكية الطبية في المنطقة قدمت بريطانيا بعض الخدمات الطبية لسكان الساحل، وسعت لمكافحة انتشار وباء الجدري والملاريا في المنطقة. ويرجع ذلك في المقام الأول إلى رغبة بريطانيا في استمرار عزلة إمارات الساحل، وضمان عدم خروج امتيازات التنقيب عن النفط بعيداً عنها<sup>(١٨٣)</sup>.

وبما سبق نستنتج أن الإرساليات الأمريكية في إمارات الساحل كان لها دور في فتح باب للتفاوض مع شيوخ إمارات الساحل، للحصول على حق التنقيب عن النفط في أراضيهم؛ وهو الأمر الذي أرغم بريطانيا على تقديم قدر من الخدمات الطبية لإمارات الساحل، بعد تيقنها من دور أعضاء تلك الإرساليات في الدعاية لشركات النفط.

وانتهزت إيران حالة التخلف التي كانت تعيشها المنطقة، وبادرت بتقديم عدد من الخدمات التعليمية والصحية، وسعت لكسب ولاء سكان المنطقة، من خلال تقديم المساعدات الاقتصادية والاجتماعية<sup>(١٨٤)</sup>. ويُعتقد أن السعودية وإيران استخدمتا العامل الاقتصادي ورقة ضغط لتحقيق أغراض سياسية؛ إذ كانت تحركهما أطماع إقليمية تجاه إمارات الساحل، متعلقة في البويعي بالسبب إلى الرياض، والجزر الثلاث بالنسبة إلى طهران؛ لذا استفلا الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتخلف في المنطقة، لاستقطاب سكان إمارات الساحل، وكسب ولائهم.

ونلاحظ من خلال شركات النفط العاملة بإمارات الساحل (شركة نفط أبوظبي المحدودة، وشركة

مناطق أبوظبى البحرية المحدودة "أدما"<sup>(٨٥)</sup>، وشركة نفط فيليبس، وشركة زيت الشرق الأوسط، وشركة توتال أبو البخوش، وشركة نفط البندق المحدودة، وشركة نفط أميراداهيس، وشركة بترول دى، وشركة مناطق دى البحرية، وشركة بترول الهلال، فضلا عن شركة اتحاد نفط كاليفورنيا، وشركة الغاز الطبيعى الجنوبية) أن معظمها شركات أمريكية؛ إذ استطاعت الشركات الأمريكية أن تخرق الجدار الذى فرضته بريطانيا على المنطقة، وتستحوذ على أكبر قدر من الامتيازات فى إمارات الساحل السبع<sup>(٨٦)</sup>.

وقد أثر شيوع إمارات الساحل العمانى منح امتيازات التنقيب عن النفط للشركات الأمريكية، بدلا من الشركات البريطانية التى كان لها سبق الحصول على الامتيازات فى بادئ الأمر؛ ويرجع ذلك إلى تركيز المفاوضات الأمريكى، فى خلال تلك المفاوضات، على عدم جدية الشركات البريطانية فى عرضها، وأن غاية ما تبتغيه الشركات البريطانية هو التأكد من وجود البترول فى الأراضى الإماراتية، ثم بيع الامتياز للشركات الأمريكية. والحصول على مبالغ طائلة من المال، دافعا بهذا جهد كبير، كما فعل فرانك هولز الذى باع امتياز البحرين لشركة حلف أوويل الأمريكية، قبل أن تشتريه منها ستاندارد كاليفورنيا، وتؤكد أن الشركات الأمريكية تمتلك إصكانات مادية وفنية كبيرة، وهى لهذا السبب قادرة على الاستمرار فى التنقيب، بدون الإخلال بالتزاماتها المالية. واستدل الوفد الأمريكى على ذلك بالنتائج الباهرة التى توصلت إليها شركة ستاندارد كاليفورنيا فى ذلك العام ١٩٣١؛ إذ تدفق النفط فى البحرين<sup>(٨٧)</sup>، إضافة إلى كبر المقابل المادى الذى عرضته الشركات الأمريكية، مقارنة بعرض الشركات البريطانية التى كانت عاجزة عن تقديم عروض أكثر سخاء فى ظل الضائقة الاقتصادية التى كانت تمر بها بريطانيا، ولاسيما بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية، وخرجت منها بريطانيا منهكة اقتصاديا وسياسيا<sup>(٨٨)</sup>. وهكذا عجزت الشركات البريطانية عن مجاراة الشركات الأمريكية التى حازت معظم امتيازات التنقيب فى إمارات الساحل السبع<sup>(٨٩)</sup>.

وتعد أبوظبى أولى إمارات الساحل التى اكتشف بها البترول؛ إذ اكتشف بكميات تجارية فى حقل أم الشيف البحرى عام ١٩٥٨، وبدأ تصدير أول شحنة منه فى ٣ يونيو عام ١٩٦٢<sup>(٩٠)</sup>، وفى ديسمبر عام ١٩٦٣ صدر البترول من حقل الباب البرى<sup>(٩١)</sup>، وجاءت إمارة دى فى المكانة الثانية من حيث أهميتها المترولية، فقد اكتشفت شركة نفط دى فى يونيو عام ١٩٦٦ البترول فى حقل فاتح البحرى، وصدرت أول شحنة منه فى سبتمبر عام ١٩٦٩<sup>(٩٢)</sup>.

وهكذا يتضح أن الإمارات دخلت في ميدان الإنتاج النفطي عام ١٩٦٢، مع بداية تصدير النفط من حقل أم الشيف البحرية، ثم تبع ذلك تصدير النفط من الحقول البرية بأبوظبي والبحرية بدبي، وفي عام ١٩٧٠ اكتشف البترول في حقل مبارك بإمارة الشارقة<sup>(١٣)</sup>.

كما استأثرت الشركات الأمريكية بشراكة إماراتية على امتيازات الغاز الطبيعي؛ إذ تنتج إمارة أبوظبي الغاز من جميع الحقول المنتجة للبترول، سواء البحرية أو البرية، واضطلع بدور تصنيع الغاز في أبوظبي شركتا أبوظبي لتسييل الغاز المحدودة "أدجاز"، وشركة أبوظبي لصناعات الغاز المحدودة "جاسكو"<sup>(١٤)</sup>.

### خاتمة:

يتضح من خلال هذه الدراسة كيف أن الصراع بين الشركات الأمريكية والبريطانية انتقل من المجال الاقتصادي ليلقى بظلاله على العلاقات السياسية بين الدولتين؛ إذ وقفت كل دولة إلى جانب شركاتها النفطية، تدعمها بكل ما أوتيت من قوة، وتوفر لها كل السبل لتضمن لها التفرد بأكبر مساحة من امتيازات التنقيب عن النفط، وهذا يعد تطبيقاً واقعياً لنموذج أيزنهاور الرئيس الأمريكي في خمسينيات القرن العشرين الذي أكد أن الشركات سيكون لها تأثير فاعل في قرارات الحكومات في خلال الحقبة القادمة.

وقد أدت الصراعات بين الشركات الأمريكية والبريطانية، ومن ثم صراع الحكومات، إلى تفجر مشاكل الحدود في المنطقة، فمشكلة البرزخي والجزر الثلاث، ينهضان دليلاً على أن أساس تلك المشكلات كان صراعاً خفياً بين شركات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل، كما أن العلاقات السياسية بين بريطانيا وإيران، ولاسيما ارتباطهما معاً بحلف بغداد، جعل بريطانيا تغض الطرف عن الادعاءات الإيرانية في الجزر الثلاث، وما بهما من امتيازات للتنقيب عن النفط، ولاسيما جزيرة أبو موسى.

نضيف إلى ذلك أنه مع أقول القوة البريطانية السياسية، توارت معها الشركات البريطانية التي كانت تتمتع في خلال ثلاثينيات القرن العشرين بهيمنة واضحة من قبل شركاتها على معظم امتيازات التنقيب عن النفط، ليس في إمارات الساحل فحسب، بل في منطقة الخليج برمتها، لتفسح المجال للشركات الأمريكية التي كانت مدعومة من قبل قوى عظمى خرجت في أعقاب

الحرب العالمية الثانية، لتسيطر على مقدرات المنطقة، وتدفع شركاتها قدما للأمام نحو مزيد من امتيازات التنقيب عن النفط، وتنحى الشركات البريطانية جانبا، في ظل وهن بريطاني سياسي واضح.

وعلى هذا فإن العلاقة بين الوضع السياسي للدولتين كان عامل الفصل في سيطرة شركات كل جانب على الآخر.

وهنا نشير إلى مقولة هارولد لاسكى في كتابه "تأملات في ثورة العصر" أنه لا يمكن الفصل بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي؛ لأن الفصل بينهم بعد تعسفيا.

ويتضح من ذلك أن الوضع الاحتكاري، والعزلة التي سعت بريطانيا جاهدة لفرضها على إمارات الساحل، والقبضة الحديدية التي ظلت تحكم بها المنطقة، ما يربو على قرن ونصف، كل هذا أخذ يتهاوى، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية التي عصفت ببريطانيا بوصفها قوة عظمى لا تغيب عنها الشمس، وفتحت الباب على مصراعيه أمام قوة أمريكية طامحة تمتلك شركات بإمكانات مالية وإدارية وتقنية ضخمة، استطاعت أن تزيج بريطانيا عن عرشها لتؤرخ لحقبة جديدة من التناحس الأنجلو أمريكي، استطاعت في خلالها واشنطن أن تقر سياسة الباب المفتوح، وتفسح المجال أمام الشركات الأمريكية، لتحصل على قدر من امتيازات التنقيب عن النفط، ثم أعقب تلك الحقبة فترة ما زلنا نعاصرها حتى هذه اللحظة؛ هي فترة التفرد الأمريكي بمعظم امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل العماني (دولة الإمارات العربية المتحدة).

## الهوامش

(\*) الإمارات السبع هي: أبوظبي، ودبي، والشارقة، ورأس الخيمة، وأم القيوين، والعجيرة، وجعلان ولتتبع الأصل التاريخي لكل إمارة من إمارات الساحل السبع، ومساحة كل إمارة وموقعها، راجع:

Malakh R. EL., The Economic Development of the United Arab Emirates, London, 1981, pp. 5-9

(\*\*) ساحل القرصنة، ترجع تسمية المنطقة بساحل القرصنة إلى حقبة الوجود البرتغالي في الخليج، إذ أطلق هذا اللقب على أعمال أئمة دولة البعارة، إيمان جهادهم من أجل تحرير عمان وساحل أفريقيا الشرقي، من الاحتلال البرتغالي في القرن السابع عشر، كذلك بعث الإنجليز القواسم بالقرصنة، إثر مهاجمتهم السفن البريطانية التي كانت تبصر في الخليج، ويمكن إرجاع هجوم القواسم على السفن البريطانية إلى عوامل اقتصادية ودينية وسياسية، وبهذا لم يكن لتلك الأعمال أية علاقة بأعمال القرصنة. ولعل لصاق تهمة القرصنة بالقواسم حسب الزعم البرتغالي والبريطاني، شبه بما بلسق في وقتنا الراهن من يدافع عن أرضه ومقدساته بالإرهابي. لحزب من التفاصيل عن ساحل القرصنة. راجع

S. M. Al-Qasbi, The Myth of Arab Piracy in the Gulf, London, 1986, pp. 31-51. Sir R. Hays E. Rear, the Persian Gulf States, Washington D 1959, p 113

(\*\*\*) كانت عمان الكبرى حاضنة للواء دولة البعارة من (١٦٤٤ - ١٧٤٣). وقد نجحت تلك الدولة في تحرير عمان من احتلال البرتغاليين، ولكن سرعان ما تشرذمت تلك الدولة، إثر الصراع الداخلي، ودعم القوى الأجنبية الطامحة في المنطقة لهذا الصراع. لحزب من التفاصيل عن دولة البعارة، انظر: ج. ح. لوريمر، دليل الخليج، ترجمة: مكتب أمير دولة قطر، القسم التاريخي، الجزء الثاني، ص ٦٢٦-٦٢٧.

(٢) عادل رضا: عمان والخليج العربي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٠٠.

(٣) محمد عبد الله مرسى: دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، ط ١، دار القلم، الكويت ١٩٨١، ص ١٢٠.

Long, E. A. The Persian Gulf An Introduction to its Peoples, Politics, and Economics, the Middle East, Colorado, 1978, p. 16

Shaban, M. A. Arabia and the Gulf from Traditional Society to Modern States, London (5) 1986, p. 146

(٦) جمال زكريا قاسم دولة البوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ١٧٤١ - ١٨٦١، مكتبة القاهرة، القاهرة ١٩٦٨، ص ٨٠.

(٧) يوسف أبو الحجاج دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة تحليلية للملحمة العامة، في: "دولة الإمارات العربية المتحدة. دراسة مسح شاملة"، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٨، ص ٦٠.

(\*\*\*\*) كانت الحملة البريطانية الأولى ضد القواسم عام ١٨٠٥، والثانية عام ١٨٠٩، ولريد من التفاصيل عن الحملات البريطانية الثلاث ضد القواسم، انظر: ج. ج. لورير مرجع سابق، ص ٩٧٦-١٠٢٣.

Anthony, J. D. Arab States of Lower Gulf: People Politics Petroleum, Washington. D C, (٨) 1975, p 240

Mansfield. P The Middle East: A Political and Economic Survey, Fifth. (٩) Edition, London, 1989, p. 240

(\*\*\*\*\*) ما أشبه الليلة بالبارحة؛ إذ أطلق مصطلح السلام البريطاني Pax-Britannica في منطقة الخليج تعبيرا عن هيمنة بريطانيا على مقدرات المنطقة في خلال القرنين ١٩ و ٢٠، ومع فرض أمريكا مظلتها على المنطقة وتسلم إرث الإمبراطورية البريطانية، أصبحنا نسمع عن Pax-Americana

Country Profile, The Economist Intelligence Unit, London, 1987, p. 3 (١٠)

(١١) أحمد قاسم الجورني: الإمارات السبع على الساحل الأخضر، دار الحكمة، ب.ت، ص ١٧٧.

Common House, Record of the Arab World, 13 Marsh, 1892, p 44 (١٢)

Mansfield. P, op. cit, p. 184 (١٣)

(١٤) محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص ٣٣- مصطفى عبد القادر الجبار: الحركة العربية السياسية، ص ١٣٨.

(١٥) سيد فاروق حسن، ترجمة: محمد عبد العسي المسعودي، مسح تاريخي للمصالح الأوروبية في منطقة الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد ٢٥، ١٩٨٧، ص ٨٩؛ جمال زكريا قاسم: مخفارات من وثائق الكويت والخليج العربي، ص ٣٣.

(١٦) إبراهيم شرف: البترول أهم سلاح من أسلحة الحرب الحديثة - بحث مقدم إلى المؤتمر العربي الثاني، بيروت، أكتوبر ١٩٦٠، ص ٩، د. راشد البراوي: حرب البترول في الشرق الأوسط، ط ٥، ١٩٦٢، ص ٤٥.

(١٧) بيير فونتين: السياق الجديد نحو البترول، ترجمة- د. جلال صادق، ١٩٦٢، ص ٩.

- Hoskins Halford. Middle East Oil in United States Foreign Policy, Public Affairs, Bul letin, 1977, p. 2 (١٨)

Roosevelt Kermit, Arabs, Oil and History, New York, 1955, p 12 (١٩)

(٢٠) هارفي أكونور: الأزمة العالمية في البترول، ترجمة- عمر مكاوي، مراجعة- د. راشد البراوي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص ٨٧.

(٢١) محمد صبحي الإترى: مدخل إلى دراسة الشركات الاحتكارية متعددة الجنسية، منشورات العطف والتنمية، بغداد ١٩٧٧، ص ٨.

FCO, British Embassy, Washington, to FCO, September, 7, 1973, U.S Policy in the (٢٢) Middle East

(٢٣) مجموعة من الباحثين: السياسة الأمريكية والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١، ص ٢٧.

(٢٤) كان اتفاق (سان ريمو) محاولة لتنظيم تقاسم النفوذ والسيطرة بين فرنسا وبريطانيا، وقد حصص أهم البند الواردة فيه لتنظيم حصص البلدين في بترول العراق؛ إذ رعت حصص فرنسا إلى ٢٥٪ هي شركة البترول التركية، وفي المقابل سمحت فرنسا بتمديد خطوط الأنابيب التي تنقل بترول الموصل إلى شاطئ البحر المتوسط، مروراً بـ سوريا الخاضعة لسيطرة الفرنسيين، ويمكن عد اتفاق سان ريمو اتفاقاً بشأن النفط في الدرجة الأولى، أندره نوسشي، الصراعات البترولية في الشرق الأوسط، ص ٧١-١٢٣

(٢٥) المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٢٦) مجموعة من الباحثين: السياسة الأمريكية والعرب، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢٧) أندره نوسشي: مرجع سابق، ص ١٥٨.

Arabian Gulf Concessions 1911-1953, Documents from the India Office, Recording the (٢٨) Negotiations and Agreements for the first Land- Based Oil Concessions in Kuwait, Bahrain, Qatar, the Trucial States and Muscat and Oman, London, 1989, pp.77-79

(٢٩) أحمد عبد الرحيم مصطفى، الولايات المتحدة والشرق العربي، عام المعرفة العدد ٤، الكويت ١٩٦٥، ص ١٤ أنقوى سامبسون، الشقيقات السبع، شركات البترول الكبرى والعالم الذي صنعتها، ١٩٧٦، معهد الإنفا، العربي، ص ١٠٩.

(٣٠) أندره نوسشي: مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٣١) وقعت معاهدة (سيفر) بين الحلفاء في أغسطس ١٩٢٠، وقد قضت بملغ مجموعة من الأقاليم عن تركيا والحلفاء بدول مجاورة، أو جعلها مفصلة تحت الانتداب، كما تنظم المعاهدة امتيازات رعاية الحلفاء في تركيا والأراضي العثمانية السابقة، لكن الأتراك قاموا بثورة وداروا الجيش اليوناني الذي سلمت إليه بعض أقاليم البلقان، فدهروه في معركة سافاربه (سبتمبر ١٩٢١)؛ وهو ما أضعف من قيمة المعاهدة، وألغيت أخيراً في مؤتمر لوزان (صيف ١٩٢٣).

Niblock, T Social and Economic Development in the Arab Gulf London, 1980 , P (٣٢) 34-35

(٣٣) سيد نوفل. الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وحوض الجزيرة، الكتاب الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط ١٩٦٦-١٩٦٧.

(٣٤) أحمد مدحت إسلام: الطاقة ومصادرها المختلفة، ط ١. مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٨.

Witchell K S T: Saudi Arabia with an Account of the Development of its Natural Resources - third edition - Greenwood Press 1969- p.222

سيد فتحي الخولي: اقتصاديات البترول، ط١، مكتبة دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة ١٩٨٨، ص٣٤٧.  
(٣٦) روزماري سعيد زحلان: الوحدة والحكم البريطاني، حالة الإمارات العربية المتحدة، في: "تجربة دولة الإمارات العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، بيروت ١٩٩٩، ص١١٧.

R. EL Malakh, op cit, p.1

(٣٧) دكتور سيد نوفل: مرجع السابق، الكتاب الثاني، ص١٩٦-١٩٧.  
(٣٨) محمد حسن العبدروس: التطورات السياسية في دولة الإمارات العربية المتحدة، ذات السلاسل، الكويت، د. ت، ص١٧٤.

(٣٩) رياض نجيب الريس: صراع الواحات والنفط، هموم الخليج العربي ١٩٦٨-١٩٧١، ط١، بيروت، ١٩٧٣، ص٢٣٢.

(٤٠) وثيقا تعهد من حاكمي الشارقة ودبي في عام ١٩٢٢ حول امتيازات البترول، نقلًا عن سيد نوفل: الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وحسب الجزيرة العربية، ص١٩٤-١٩٥.

(٤١) أحمد زكريا الشلق وآخرين: ألتاريخ السياسي لإمارات الخليج العربي، ص١٨٠.

H. Hoskins, The Middle East Problem Area in World Politics, NewYork, 1955, p.208 (٤٢)

(٤٣) محمود علي الداود: عوامل الوحدة والتجزئة في الجزيرة العربية، في: "تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة"، ط٤، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٨؛ روزماري سعيد زحلان: مرجع سابق، ص١١٧.

R F Mikesell & Hollis. B Chenery, Arabian Oil: Americans Stake in the Middle East, (٤٤) the University of North Carolina, 1949, p.60

(٤٥) بيتر ر. اوديل: النفط والقرعة العالمية، خلفية أزمة النفط، ترجمة: راشد البراي، مكتبة الأملج المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص٢٠٨.

Sir R. Hay & E. Rear, op. cit, p.93-94

(٤٦) إبراهيم إبراهيم: أثر النفط على قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، في: "تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، بيروت، ١٩٩٩، ص١٨٣.

(٤٧) محمد ياسر شرف: مجتمع الإمارات، دار المتنبي، أبوظبي ١٩٩٢، ص٢.

(٤٨) محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص١٤٥، ١٤٨، ١٤٩.



- (٤٩) إبراهيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ١٤٨-١٤٩.
- (٥٠) روزماری سعيد زحلان: مرجع سابق، ص ١٢-١٢١.
- (٥١) وزارة التخطيط: الملامح الرئيسية للتطورات الاقتصادية والاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة في خلال المدة ١٩٧٥-١٩٨٥، ص ٢١-٢٥.
- (٥٢) محمود علي الداود: الخليج العربي في العلاقات الدولية، ص ١٨١.
- (٥٣) ف. تروخانوفسكى سياسة بريطانيا الخارجية خلال الحرب العالمية الثانية، ترجمة. عبد الحميد الجمال. مراجعة وتقديم: عبد الحافظ لاشين، مكتبة سعيد وأفت، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٤٨٨.
- (٥٤) ك.م. وهابوس: السياسة الخارجية البريطانية بعد الحرب الثانية، ترجمة: حسن القباني، المؤسسة الدولية للنشر، ب.ت، ص ٣١.
- (٥٥) وثائق وزارة الخارجية المصرية: محفظة ٤٨٩، الملف الأول، تقرير حول الحديث الذي دار بين سفير مصر وواشنطن في ١٨/١٢/١٩٥٢، أرشيف سري جديد.
- (٥٦) Fenelon, K.G: The Trucial States, p 89
- (٥٧) International Journal of Middle East Studies, vol. 12, no 4, Dec 1980, pp.541-542.; Melamid, A: op. cit, pp 542-45
- (٥٨) وثائق الخارجية المصرية. محفظة ٥، بغداد. ملف ٣٨/١٠٣٧/١، ج ١، ح ١. حلف بغداد، تقرير رقم ٢٥٨ من القائم بالأعمال المصري بطهران إلى وكيل الخارجية بشأن حلف بغداد والهيكل التنظيمي للحزب ولجانه، في ١٩/١١/١٩٥٧ سري للغاية.
- (٥٩) وثائق الخارجية المصرية. محفظة ١٤٠٦، ملف ٣٨/٢٧/١٧، ج ٤، حلف بغداد، مرفق بتقرير ١٨٤ من السفير المصري ببغداد إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم بشأن اجتماع المجلس الوزاري لحلف بغداد في طهران، في ٢٢/٥/١٩٥٦، سري للغاية.
- (٦٠) F.O 371/115514, Extract, From the Hearings before the Committee of Foreign Relation United States Senates, May, 6,1955
- (٦١) F O 371/113579, Tele, No118, from, British Embassy Cairo to F O, July, 18, 1955
- (٦٢) F.O 371/113578, Tele, no 72, from British Embassy Cairo to F.O, March, 29, 1955
- (٦٣) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانجلو، القاهرة، د.ت، ص ٣٢٩
- (٦٤) محمد حسن العبدروس. الجزر العربية والاحتلال الإيراني: نموذج للعلاقات العربية الإيرانية، دراسة وثائقية أرشفة، ج ٣، محمد رضا خان والجزر العربية ١٩٤١-١٩٧٩، دار الكتاب الحديث، القاهرة ٢٠٠٢.

- (٦٥) هادي طعيمة: الخليج العربي والاستراتيجية الاستعمارية البريطانية الخاصة، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥٦.
- (٦٦) دائرة التخطيط: مركز الإحصاء، أبوظبي، يوليو ١٩٨١، ص ٤٠.
- (٦٧) محمد مرسى عبد الله: مرجع سابق، ص ٩٠-٩١، روزماری سعيد زحلان، مرجع سابق، ص ١٢.
- (٦٨) H Hoskeins, Op Cit, PP 208, 209, EL- Malakh, op. cit, p. 89
- (٦٩) K G Fencelon, The United Arab Emirates, p. 32
- (٧٠) EL- Malakh R., op. cit, p. 89
- (٧١) R F Mikesell & H B Chenery, op. cit, pp. 116-117
- (٧٢) موسوعة زايد: مرجع سابق، ص ١٩٢.
- (٧٣) كانت مشكلة البورسي من أكثر النزاعات المحدودة تعقيدا في منطقة الخليج: إذ شمل النزاع ثلاثة أطراف: السعودية وأبوظبي ومستقط، وقد تم التوصل إلى تسوية لتلك المشكلة عام ١٩٧٤، على ضوء الاتفاق الذي أبرم بين الشيخ زايد حاكم دولة الإمارات والملك فيصل المعاهد السعودي. لمزيد من التفاصيل عن أزمة البورسي ومباحثات تسويتها ومؤتمر الدمام، ومقالة التحكيم في جبهه حتى اتفاق ١٩٧٤ بين فيصل وزايد، راجع. ابتسام حسون: مرجع سابق، ص ٢٦١-٢٩٣.
- R. S. Zahlan, The Origin's of the United Arab Emirates, pp 192-194
- (٧٤) إبراهيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ١٨٧.
- (٧٥) Arabian Gulf Concessions 1911-1953, Documents from the India Office, Recording the Negotiations and Agreements for the first Land- Based Oil Concessions in Kuwait, Bahrain, Qatar, the Trucial States and Muscat and Oman, London, 1989, p. 457
- (٧٦) Mikesell & H. B. Chenery, R. F., op. cit, pp 118-119
- (٧٧) ابتسام عبد الأمير حسون: مرجع سابق، ص ٢٨٩، ٢٩٣.
- (٧٨) عن زيارة الملك حسين إلى أقطار الخليج العربي (البحرين - قطر - أبوظبي - دبي - رأس الخيمة) في فبراير ١٩٦٧، وأهم المباحثات حول قضايا المنطقة، راجع:
- F O 17/299, Tele, no 98, from British Embassy, Amman to F O, King Hussein's Visit, 27, January, 1967 F O 17/299, Tele, from Political Agency, Bahrain to F.O, no. 38, 20, January, 1967
- (٧٩) R S Zahlan, The Origin's of the United Arab Emirates, p. 191
- (٨٠) إبراهيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ١٩٠.

- (٨١) عبد القوي فهمي: مرجع سابق، ص ٤١٩-٤٢٢.
- (٨٢) محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص ٧٩، ٨٦.
- (٨٣) عبد القوي فهمي: مرجع سابق، ص ٤٢٣.
- (٨٤) جمال زكريا قاسم: إمارات قديمة ودولة حديثة، ص ٦٩. محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص ٩٢.
- (٨٥) تقرير وزارة البترول والثروة المعدنية: البترول في دولة الإمارات، أبوظبي، ١٩٧٧، ص ٢-٧.
- (٨٦) محمد علي الفراء: جغرافية البترول في دولة الإمارات العربية المتحدة، في: "دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة مسحية شاملة"، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٨، ص ٤٤٠، ٤٤٣؛ خزعل الجاسم: دور قطاع النفط والغاز في البرنامج الإيماني لإمارة أبوظبي ١٩٨١-١٩٨٥، ودوره في تخطيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، دائرة التخطيط، أبوظبي، يوليو ١٩٨١، ص ٤٤-٤٥.
- (٨٧) سيد فتحى الحلوى: اقتصاديات البترول، ط ١، مكتبة دار حافظ للشر والتوزيع، جدة ١٩٨٨، ص ٣٤٧.
- (٨٨) أنتوني سامبسون: الشفقات المصح. شركات البترول الكبرى والعالم الذي صنعتته، معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦، ص ١٣٥.
- (٨٩) قصة النفط، مرجع سابق، ص ٧١.
- (٩٠) Feneion, K.G : The United Arab Emirates, pp 38-39
- (٩١) جمال زكريا قاسم: إمارات قديمة ودولة حديثة، ص ٥٣.
- (٩٢) موسوعة زايد: مرجع سابق، ص ١٦٩.
- (٩٣) عبد الرحمن غسيم، محمد إبراهيم الشاعر: الاستراتيجية القومية لدولة الإمارات العربية المتحدة، ط ١، دمشق، ١٩٧٨، ص ٣٣؛ وزارة التخطيط: التقرير الاقتصادي لعام ١٩٩٢، إدارة التخطيط، أبوظبي، ١٩٩٣.
- (٩٤) موسوعة زايد: مرجع سابق، ص ١٦٤.

## أضواء على الصحة العقلية في القاهرة العثمانية

٩٢٣ - ١٢١٦ هـ / ١٥١٧ - ١٨٠١ م

كثير الحديث في الآونة الأخيرة في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية عن الأمراض النفسية، كما تشجع الجامعات الباحثين على دراسة مثل هذه الموضوعات لما لها من تأثير على مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولربط العلم بالمجتمع من خلال بحوث تؤدي إلى حل مشكلاته، بغية الوصول إلى أفضل النتائج في مجال التنمية البشرية. وعلى الرغم من عدم تخصصي في الطب أو الاجتماع، غير أنني أردت تناول الصحة العقلية في المجتمع المصري خلال العصر العثماني ٩٢٣ - ١٢١٦ هـ / ١٥١٧ - ١٨٠١ م، نظراً لأن المتخصصين في الطب أو الاجتماع لا يستطيعون الرجوع إلى هذه الأزمنة البعيدة لتنوع أنواع وأعراض الأمراض التي كانت تحمل أحيانا مسميات مختلفة عن مسميات الوقت الحاضر، وبالتالي لا يستطيعون معرفة ما استخدم من الأعشاب والنباتات لعلاج مثل هذه الأمراض، والتي ربما تكون أفضل مما هو مستخدم حالياً. ومن هنا ليس أمام الباحث في الطب أو الاجتماع إلا أن يقوم باستكمال ما وصل إليه الباحثون السابقون عليه. أما دراسة الباحث في التاريخ لمثل هذه الموضوعات فإن الهدف منها هو معرفة العوامل التي أدت إلى

هذه الأمراض وطرق علاجها ، والعلاقة بين الصحة العقلية والصحة البدنية ، وأثر الصحة العقلية على السلوك الاجتماعي ، ونسبة المصابين بالأمراض العقلية في المجتمع خلال تلك الفترة ، وطرق العلاج ، والجهة التي قامت بعلاج مثل هذه الأمراض .

ونظرا للارتباط الوثيق بين الصحة العقلية والنفسية لابد أولا من معرفة معنى الصحة النفسية .

فالصحة النفسية Mental Health هي قدرة الفرد على التوافق والتكيف مع نفسه ومع مجتمعه . وعقد صلات اجتماعية تتميز بالأخذ والعطاء والتعاون والتسامح ، واختيار الآمال والأهداف التي تتناسب مع واقعه وإمكانياته والقدرة على مواجهة الأزمات النفسية التي تطرأ عليه وإحساسه بالسعادة والرضا .<sup>(١١)</sup>

والمرض النفسي ، والمرض العقلي ، مظهران لاضطراب الشخصية ، غير أن هناك اختلافاً بينهما ؛ فالأمراض النفسية هي اضطرابات تكون العوامل النفسية صاحب اليد الطولي فيها ، وتتخذ شكل صراعات داخلية ، وتصدع في العلاقات الشخصية تؤدي إلى مظاهر خارجية كالقلق Anxiety والتوتر Tension . وتعتبر الظروف البيئية السبئية التي يعيش فيها الفرد من أهم الأسباب التي تؤدي إلى مثل هذه الأمراض .<sup>(١٢)</sup>

أما المرض العقلي Psychosis (موضوع الدراسة) فهو اضطراب في الشخصية ، وهو أخطر من المرض النفسي ، حيث يبدو في صورة اختلال عنيف في القوى العقلية ، وعجز ظاهر عن ضبط النفس ، الأمر الذي يعوق قيام علاقات اجتماعية متوافقة بين الفرد وغيره ، بل وعدم قيام توافق بين الفرد وذاته .<sup>(١٣)</sup>

وترجع مصادر العصر العثماني وجود مثل هذه الأمراض - التي نظر إليها على أنها ضرب من الجنون<sup>(١٤)</sup> - إلى ارتفاع درجة الحرارة في مصر وطبيعة أرضها التي أدت إلى جعل بعض سكانها سوداويين<sup>(١٥)</sup> كما أضاف داود الأنطاكي إلى هذه الأسباب الهموم معرفاً أياها بأنها (أشغال النفس بما ستلقاه من مكروه ، فيغلي الدم) مما يؤدي إلى إفساد الحواس ، وقد أوضح بأن أقل الناس هما ذو الأمزجة الباردة Cold Temperament ، وأكثر الناس هما من (غزر عقله وصح حدسه) . لتوفر نظرة في العواقب ، كما أوضح أنه يترتب على الهموم بدون مخرج لها قتل أصحابها ، وأقل ما تحدثه في البدن سرعة الشيب والهزال والنسيان واحتلال العقل<sup>(١٦)</sup> ، مضاف إلى ذلك إقبال بعض المصريين أغنياً أو فقراً على تعاطي المخدرات بأشكالها المختلفة ،

والتي كان مسموحا ببيعها بمحلات خاصة بها ، ويطلق على باتمها ومحضرها المعجوني، والتي اعتقد المصريون أنها سبب السعادة والراحة<sup>(١٧)</sup> ، بالإضافة إلى إقبال البعض على شرب الخمر ، إلا أن الإفاقة من هذه المواد المخدرة والمسكرات ، مع عدم القدرة على شرائها عند العقراء ، ربما يؤدي إلى تلك النوبات العصبية التي نشاهدها في الوقت الحالي لحالات المدمنين المحاولين الإقلاع عن الإدمان والذين يكون مأواهم المصحات النفسية والعقلية. ويؤكد على ذلك عبد العزيز القوسي، حينما أشار إلى أن (إدمان الخمر أو المخدرات يؤدي إلى تعطيل العمليات العقلية، وإفساد التفكير، واختلال الأحكام التي يصدرها الفرد، واضطراب إدراكاته ، فهي تدفع بعض الناس للبيكا، وبعضهم للانتقاض، وبعضاً ثالثاً للمرح، وبعضهم للغضب والهياج ، كما أنها تؤدي إلى نتائج عقلية دائمة كضعف الذاكرة، وتأخر القدرة على التفكير المنطقي المنظم، وتسلب الأوهام والوساوس)<sup>(١٨)</sup> نضيف إلى ذلك سببا آخر وهو ما يشير أصحاب السلطة والنفوذ في مصر وبخاصة البكوات المالكيك من الرعب والفرع لدى العقراء ، والتي يؤدي أحيانا إلى دهاب العقل ، وخير مثال على ذلك اتهام علي بك الكبير (ت ١١٨٧ هـ - ١٧٧٣ م) لأحد الشباب بمدينة دمنهور بتهريب السلاح للعربان ، فأمر بقطع رأسه، إلا أنه اكتشف الحقيقة في اللحظة الأخيرة، وأطلق سراحه، ولكن ترتب على الرعب الذي عاش فيه هذه الشاب فقدانه لصوته.<sup>(١٩)</sup>

وأخيرا كثيرا ما كان يتم الزج بأحد الأشخاص بالبيمارستان<sup>١</sup> <sup>(٢٠)</sup> طمعا في ماله، أو انتقاما منه لسبب ما ، فقد شاهد ديجنت Desgenttes كبير الأطباء في الحملة الفرنسية على مصر عند زيارته للبيمارستان المنصوري-<sup>٢</sup> <sup>(٢١)</sup> وهو البيمارستان الوحيد الذي بأوى المرضى العقليين في مصر خلال فترة الدراسة - فتاة وصفها بقوله (شابة جميلة جالسة على أرض الحجر ترسف في أغلالها وهي تكاد تكون عارية في أسماها البالية الممزقة) ، وعند اقترابه منها فرحت برؤيته، وحاولت محادثته بعصبية شديدة، لم يفهم منها ديجنت شيئا لاختلاف لفته الفرنسية عن لغتها العربية، غير أنه أشفق عليها ، وتتبع حالتها قائلاً : (خطر لي أنها ليست مجنونة، وأن بعض الأشرار قد زجوا بها في المستان ظلما وكيدا) ، وتبين له بعد ذلك أنه كان محقا فيما اعتقد ، وأخرجها من البيمارستان.<sup>(٢٢)</sup>

و قد أطلقت المصادر الطبية في العصر العثماني على الأمراض التي تصيب الرأس و تؤدي إلى زوال العقل، مسمى المالبخوليا<sup>(٢٣)</sup>. ويندرج تحت هذا المسمى أنواع عديدة من الأمراض العقلية يوضحها الجدول التالي<sup>(٢٤)</sup>.

البيانات	أنواع المالمخوليا	القطرب	المائريا	الصبار	الهدبان والجنون
سبب المرض	المعدة	السوداء	السوداء : إذا كان المرض في حالة سكون ونعافة. الصفراء : مادون ذلك.		
وقت المرض	يشدد المرض وقت الجوع أو الهضم	—	—	—	—
أعراض المرض	العزلة، قلة الكلام، تخيلات	احتلال مشية، تقلب وجهه نوره من الباس والأماكن	احتلال عصبه باللعب وضحكه باليكا والعطش	اختلال الأفعال المضادة والرعونة والخوف والتكدر والصفا	كل ما سبق مع فساد الخلط من الداخل أو الخارج
معلومات إضافية			يسمى هذا المرض أيضا بماتوبا ودا الكلب أو الداء السبعي لشبه أفعاله بأفعال الكلاب أو السباع.		

و قد أورد مؤرخو مصر في العصر العثماني نماذج من هذه الأمراض. فهناك من يدعي أنه سي مرسل<sup>(١١)</sup> أو المهدي المنتظر<sup>(١٢)</sup> أو يكون في حالة هدوء تام لفترة طويلة من الزمن قد تصل إلى اثنين وثلاثين عاما (وأحيانا يتكلم، وأحيانا أخرى لا يكلم أحداً ، وإن أتاه الوزير) ثم فجأة صرخ وبكي مدعياً أنه قد سلب حقه ، وأنه يرغب في تخليص قريته (أوسيم) من المعتدين. ثم

يعود إلى هدوته مرة أخرى <sup>(١٧٧)</sup> وهناك من تكون حالته هياجاً مستمراً <sup>(١٧٨)</sup> (وكأنه يزأر كالأسد، ثم يعود إلى الهدوء، وتعلو شفتيه ابتسامة بلهاء <sup>(١٧٩)</sup>) وهناك من هو شارد <sup>(١٨٠)</sup> بصفة مستمرة <sup>(١٨١)</sup> وهناك من هو مصاب بالهوس <sup>(١٨٢)</sup> على الدوام <sup>(١٨٣)</sup>.

وإذا كانت هذه أمثلة لبعض الحالات التي أودعت في البيمارستان المنصوري، إلا أن هناك العديد من المرضى يجوبون الشوارع والأسواق، ويصيحون، ويصرخون، وتعتقد فيهم العامة الولاية <sup>(١٨٤)</sup>، ومنهم «علي البكري» الذي اعتقد فيه العوام الولاية وأطلقوا عليه «الشيخ علي البكري» وقد وصفه الجبرتي بقوله إنه (رجل طويل، حليق اللحية، يمشي عريانا، وأحيانا يلبس قميصا وطاقي، ويمشي حافيا) وقد تبعته امرأة، وصارت تمشي خلفه أينما توجه وتخلط في ألفاظها وتدخل معه البيوت واعتقدت بها النساء. وتبعهما الأطفال والصغار وهوام العوام، وصاروا يقولون أيديهما، ويتبركون بهما. وعندما دخل الشيخ والمرأة ومن تبعهما بين القصرين وبه أحد أجناد الدولة العثمانية ويدعى جعفر كاشف، قص على الشيخ والمرأة ومن تبعهم، ثم أطلق الشيخ لخال سبيله رجا لاعتقاده هو نفسه في هذا الشخص، أما المرأة فقد أرسلها إلى البيمارستان، وأطلق باقي من تبعهما بعد أن صرهم، وتابوا ولبسوا ثيابهم. ويعلق على ذلك الجبرتي بقوله: (بعد أن طارت الشرية <sup>(١٨٥)</sup> من رؤسهم). <sup>(١٨٦)</sup>

وقد أدى تواجد الكثيرين من أمثال علي البكري في الشوارع إلى استفسار ناهليون بونابرت عنهم من مشايخ الأزهر خصوصاً مع (اعتقاد العامة فيهم، وهم لا يصلون ولا يصومون، هل هذا حلال أم حرام في الشريعة؟) فأجابه المشايخ بأنه حرام. عندئذ أمر بونابرت بجمع من على هذه الشاكلة والكشف على عقولهم، وأدخل البيمارستان من ثبت عليه الجنون. <sup>(١٨٧)</sup>

وقد حاول المصريون آنذاك وقاية أنفسهم من الأمراض النفسية والعقلية، حيث حرصوا على الهدوء <sup>(١٨٨)</sup> واسترخاء الأعصاب <sup>(١٨٩)</sup> مع عدم شغل العقل بالتأمل والتفكير <sup>(١٩٠)</sup> وعدم الاستجابة للاتفاعلات العنيفة، وتقبل الواقع بما فيه من محاسن ومساوئ وهو ما يعرف عند علماء النفس بالمنهج الوقائي Preventive Method <sup>(١٩١)</sup>. كما سعوا إلى زيادة سعادتهم والاستمتاع بمباهج الحياة كالذهاب إلى الحدائق، وسماع الموسيقى، وقضاء وقت في الهواء الطلق <sup>(١٩٢)</sup> والمرح والضحك لإزالة التوتر وتخفيف آلامهم سواء كانت هذه الآلام، آلاماً بدنية أو نفسية <sup>(١٩٣)</sup>، وهو ما يعرف لدى علماء النفس حالياً بالمنهج الإنشائي Constructive Method <sup>(١٩٤)</sup>. أما إذا أحس



المصريون بإعتلال في الصحة، عللوا ذلك بانسداد مسام الجلد ، وقلة إفراز العرق ، لهذا يتوجهون إلى الحمامات البخارية في محاولة لتبديد ما ظهر من تلك الأعراض.<sup>(١٢١)</sup>

ولم يعتد أهل مصر استخدام الأدوية إلا في حدود ضيقة ، فالمرضى يستخدم ما يناسبه من الأعشاب والنباتات<sup>(١٢٢)</sup> ، ولا يستشر الطبيب إلا عند الأمراض الخطيرة وغير العادية<sup>(١٢٣)</sup>.

و قد كانت وسيلتهم الأساسية للعلاج ما يطلق عليه (الطب الروحاني) ، وهو الرقي بآيات من القرآن الكريم ، و ما ورد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذه الرقي بعضها للشفا من الأمراض بصفة عامة، وبعضها الآخر للشفا من الأمراض العقلية. غير أنهم أضافوا إلى آيات الله وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، بعض الأدعية والكلمات غير المفهومة والتي ترتبط بالسحر والأحجية والتمايم<sup>(١٢٤)</sup>، مثل كتابه تسعين صادا في ثلاثة أسطر في كاغد ويعلق على الرأس ، و يكتب بعدها أ ح أ ك ك خ ع ح أ م ح و قوله تبارك وتعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساك<sup>(١٢٥)</sup> ، وأيضاً (إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون . وما هو إلا ذكر للعالمين).<sup>(١٢٦)</sup>

كما حرص المصريون من أجل شفا المريض على معرفة مكان المرض، وما لذلك العضو من الحروف، والعضوين القريبين منه (فوقه وتحتة) ، ويقومون بجميع حروف الأعضاء الثلاثة، ثم ينظرون في القرآن في أي آية جمعت تلك الحروف، ثم تكتب هذه الآية ، وتسقى للمريض ، أو تعلق عليه<sup>(١٢٧)</sup> ، بالإضافة إلى حلقات الزار التي رأى فيها المصريون شفا من الأمراض العصبية<sup>(١٢٨)</sup>.

أم إذا فشلت تلك الطرق مع المريض ، فعندئذ يلجأ المريض أو أقاربه للطبيب. و يبدأ مع المريض ما يعرف بالمسحج العلاجي Remedial Method الذي يكون الهدف منه عودة المريض إلى التوازن والاعتدال والتوافق النفسي والاجتماعي.<sup>(١٢٩)</sup>

و تتم معالجة مريض المالبخوليا بعقاقير، بعضها بسيط مكون من نبات واحد، وبعضها الآخر مركب من عدة نباتات. ومن هذه العقاقير الأشربة والمعاجين والسقوف والحبروب والادهان والمفرحات.<sup>(١٣٠)</sup>

فمن الأشربة شراب أسطوخودس ويتكون من الأسطوخودس وعصير تفاح وسفرجل وحماض

ولسان ثور<sup>(٤٤١)</sup>. وشراب مركب من اللازورد والأفتيمون والسكنجبين بماه الجين، وشراب بسيط من نبات بزر قطفو ناعم السكر وماء الورد<sup>(٤٤٢)</sup>.

أما المعاجين وهي من أعظم المركبات قدرا وأجلها نفعا وأكثرها في التداوي، والقانون الجامع لسائر المعاجين أن تكون بالعسل. والجدول التالي يوضح المعاجين المستخدمة في علاج المالبخوليا:

اسم المعجون	مكونات المعجون	جرعة المريض اليومية	مدة صلاحية المعجون
معجون النجاح	أهليلج <sup>(٤٤٣)</sup> - بلبج - أفتيمون - اسطوخودس - بسفايج - غاريقون - حجر ارمني - مرجان - لؤلؤ - بادروح	مثقالان <sup>(٤٤٤)</sup>	سنة واحدة
معجون الفائق	تريد - لوز - سقموب - قرنفل - مصطكي - جوزبوا - دار صيني - زنجبيل - أنيسون	أربعة مثاقيل	سنة واحدة
معجون داود	أفتيمون - بسفايج - فستق - صندل - حب لسان - غاريقون - صندل أحمر - بزر خشخاش - قنطريون - أنيسون - رازمانج - مصطكي - صمغ - لازورد - حجر ارمني - فاوانيا - مرجان - لؤلؤ	مثقالان	عشر سنين
معجون الأفتيمون	أفتيمون - أهليلج - بلبج - ألمج - بسفايج - بزر شاهترج - حجر ارمني - لازورد - غاريقون - أنيسون - مصطكي	من خمسة إلى عشرة مثاقيل	—
—	سنا - حنظل - صبر - اسارون - أفتيمون - بسفايج - لؤلؤ - ازورد - مسك	—	—
—	زعفران - اسارون - دار صيني - صبر	—	— <sup>(٤٤٥)</sup>

ومن السعوف، سفوف اللؤلؤ وتتكون من درونج، وبزر ربحان، وبذر نبوة، ولازورد، ومصطكي، وحجر أرمني، وذهب، وفضة، ومرجان، وياقوت، ولؤلؤ. وسعوف أخرى مكونة من قرفة، وفرنجشمك، وقرنفل، وجوزبوا، ومصطكي، واسارون، وأهليلج، ونار مشك، ونار قبصر، ودار صيني، وزنجبيل<sup>(٤٤٦)</sup>.

ومن الحبوب حبوب اصطمحيقون وهي يونانية، ومعنى اصطمحيقون منقي الأخلاط الباردة. ويتكون من صبر وصفايح وافتيمون وسقمونيا وغاريقون وحنظل وزعفران وحب بلسان وأسارون ومصطكي وزراوند ودار صيني. وحبوب تتكون من مسحوق كل من اللؤلؤ وحماض الأترج وصبر وسقمونيا وافتيمون ودار صيني وقصب ذرية ولازورد وقرنفل<sup>(٤٠)</sup>.

أما الأدهان، فيقصد بها طبخ الدواء سوا. كان على شكل أوراق أو عصير في دهن حتى يذهب الماء ويبقى الدهن. ومن أهم الأدهان، دهن اللبوب السبعة المكون من بندق وفستق ولوز وجوز وصنوبر ومسسم وقرع لب، ودهن البنج وإن لم يذكر- المصدر مكوناته، غير أن تسميته تدل على أن تركيبة الأساسي من نبات البنج.<sup>(٤١)</sup>

والى جانب هذه العقاقير، التي يرى البعض إنها أنواع معتادة من العلاج، استخدم أطباء العصر العثماني نوعا من العلاج يدل على عبقرية الأطباء خلال فترة الدراسة، ويطلق على هذا النوع الأخير مسمى (المفرحات)، ويقصد به ما يسر القلب، ويبسط النفس، وينشط الحواس، ويصقل الذهن. فقد استخدم الأطباء حينئذ كل ما يؤدي إلى تهدئة وإرضاء المريض كالأغذية الجيدة، والعقار الذي يخدر العقل والأعضاء. كما حاول الأطباء الاستفادة من حواس الإنسان، وقدموا حاسة السمع على غيرها من الحواس.<sup>(٤٢)</sup> لذلك كان يتم علاج مريض المالبخوليا في البيمارستان أولا بالموسيقى ورواية القصص المسلية للترويح عنهم.<sup>(٤٣)</sup> وما إن ينتبه المريض إلى ما يدور حوله يتم الانتقال للاستفادة من الحاسة الثانية للمريض ألا وهي البصر، حيث يتم نقل المريض إلى غرفة أخرى للاستمتاع بمشاهدة الرقص واللوان من الكوميديا<sup>(٤٤)</sup>. مع لفت نظر المريض بالألوان والأصواء. وقد رأى الأطباء أن أكثر الألوان المفرحة هو اللون الأبيض. وأن أفضل الألوان المركبة هي الأبيض والأحمر متساويان مع أصفر بسيط. وفي نفس الوقت استفاد الأطباء من حاسة الشم عند المرضى، فأوصوا بإقامتهم وسط الورد والبنفسج والياسمين قرب المياه في الصيف للاستمتاع بالمنظر والروائح الجميلة. وتحبب تيارات الهواء في الشتاء مع تعليق الفانوانيا حول المريض.<sup>(٤٥)</sup> وقديما كان الأطباء يصعدون كل يوم أعلى البيمارستان لمعرفة اتجاه هبوب الهواء، ثم يتم وضع المريض في المكان المناسب له، ولكن أبطل ذلك من البيمارستان المنصوري خلال العصر العثماني مما كان له أثره في تأخر شفاء المرضى. وكان أطيب الروائح المستخدمة للمرضى هو المسك والعنبر. أما عند وصول الروائح الكريهة، فأن الأطباء كانوا ينصحون المرضى باستخدام السعوطات<sup>(٤٦)</sup>.

كما استغل الأطباء - حاسة اللمس عند الإنسان، حيث عالجوا بعض المرضى المجنين للعالِم بلمس الذهب والفضة طالما أن هذه المعادن تسر نفوسهم. <sup>(٥٧)</sup> في حين أقام المرضى عموماً، بالبيمارستان المنصوري- خلال فترة ازدهار تلك المؤسسة العلاجية- على أسرة حريرية، وأعطيتهم ألحفه حريرية <sup>(٥٨)</sup>

كما استغف الأطباء - من حاسة التذوق عند المريض، فأوصوا بإطعامه ألد الأطعمة، وبخاصة ما يناسب مبول المريض. كما صرح للمرضى بالدجاج واللبن والقرع. <sup>(٥٩)</sup> وقد ذكر البعض أن الدجاج يزيد من جوهر العقل، ويصلح الأعصاب، وشحمه يسكن المالبخوليا والجنون، وغالب الأمراض السوداوية. ومرقه خصوصاً مرق الديك الهرم بالسفيايج يستأصل السوداء، وطبخه مع اللوز يصلح الفكر. واللبن يلين الطبع ويخرج الأخلاط السوداوية. كما أن شرب ماء القرع مفيد في إزالة الوسواس والجنون. <sup>(٦٠)</sup> وقد أجمع الأطباء - على أن الحلويات تحظى بقبول ورضا كافة المرضى وأضاف الأطباء - أمراً مفرحاً آخر للمرضى، فإن كان المريض ممن يحبون مهنتهم، تترك له حرية مزاوله هذه المهنة، لأنها تؤدي إلى إسماعه <sup>(٦١)</sup>.

وبالإضافة إلى الاستفادة من حواس المريض، أعد الأطباء مركبات كانت تستخدم أيضاً للتفريح عن المرضى. والجدول التالي يوضح المفرحات المستخدمة لعلاج المالبخوليا.

اسم المفرح واصله	مكونات المفرح	جرعة المريض اليومية	مدة صلاحية المفرح
مفرح بطولا ماخص أصله رومي بمعنى جبار القلب	حليب بقر - بزر رجلة - صندل - رازيانج - دار صيني - كزبرة يابسة - بارنج - مرجان - لؤلؤ - حماض الاترج.	مثقال	سبع سنين
مفرح الياقوت	شاهترج - باذرنبوة - بهمن - لازورد - صندل - فستق - مرجان - لؤلؤ - حماض الاترج - ماء ورد وسفرجل وتفاع - زعفران - درونج - زرنب - ذهب - فضة - ياقوت أحمر.		لا يبطل مفعوله بمرور الوقت.

مفرح العمود	بزر خشخاش - أسارون - مصطكي - قرنفل - فرنجمشك - لؤلؤ - عنبر - باقوت - ذهب - فضة - مسك - ليون - ماء العناب والتفاح والرياح.	سنة واحدة
—	أشنة - أظفار طيب - نارمشك - فرنجمشك - قرقة - قرنفل - دار صيني - مصطكي - زعفران - سنبل طيب.	
—	افتيمون - اسطوخودس - قرنفل - حب بلسان - سليخة - أسارون - زرنباد - درونج - لؤلؤ - مرجان - بهمن - سنبل الطيب - زنجبيل - مسك.	درهمان <sup>(٧٢)</sup> ثلاث سنين <sup>(٧٣)</sup>

غير أن هناك حالات مستعصية تشكل خطورة على المجتمع استدعت الضرورة إبداءها بالبيمارستان للعلاج. لهذا كان لابد من الحصول على إذن من الباشا، وذلك لأن البيمارستان لا يقبل المريض إلا بأمر منه، لأن المريض يكلف الإدارة العثمانية قرشا<sup>(٧٤)</sup> كل يوم حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر<sup>(٧٥)</sup>، في حين أصبح المريض يكلف الإدارة في أواخر القرن الثامن عشر ديناراً<sup>(٧٦)</sup> كل يوم<sup>(٧٧)</sup>.

وكان البيمارستان ينقسم إلى قسمين، الأول ويشمل كافة الأمراض، والثاني ويشغله المرضى العقليون. وانقسم هذا الأخير بدوره إلى ساحتين، إحداها تضم ثمانى عشرة حجرة للرجال، وثانيتهما تضم ثمانى عشرة حجرة للنساء<sup>(٧٨)</sup>.

والمرضى العقليون من الرجال معزولون في حجرات ضيقة ذات قضبان، في أعناقهم السلاسل<sup>(٧٩)</sup> ويشرف على علاجهم عدد من الحكماء، يساعدهم أتباع من المرضى لهم طبع الجلادين ويصف أوليا جليي قسوتهم بقوله: (يطعمون بعض الأخوان الفاقيدي العقل خشافا من عصا الشرم فيعقلون).<sup>(٨٠)</sup>

أما المريضات من النساء فكان عاريات أو شبه عاريات<sup>(٨١)</sup> وحجراتهن ليست جميعها ذات قضبان ومع إنهن كلهن مقيدات فإنهن لسن مشدودات إلى الجدار كما هو الحال بالنسبة للرجال<sup>(٨٢)</sup>، وجميع خدمة هذا القسم من النساء وليس به رجال غير الحكماء<sup>(٨٣)</sup> ولم يرحمن لمرضهن، فبعضهن حملن في البيمارستان، فقد ولد غلام في عهد إبراهيم باشا (١٠٧٨ - ١٠٨٥ هـ / ١٦٦٧ - ١٦٧٤ م)<sup>(٨٤)</sup> وصي (شفائي).<sup>(٨٥)</sup>

وإلى جانب عدم رحمة بعض القائمين على العلاج. عانى المرضى أيضا - خاصة خلال القرن الثامن عشر - من سوء أحوال البيمارستان ذاته. <sup>(٧٦)</sup> ، فقد كان حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر على درجة كبيرة من الرقي. حيث وصفه أوليا جلبي، الذي زار مصر بين عامي (١٠٨٢ - ١٠٩١ هـ / ١٦٧٢ - ١٦٨٠ م) بقوله: (بناء عجيب لا نظير له في بلاد الترك والعرب والعجم، فقد بنى على أسلوب لو اختل عقل إمري عالجه الحكماء فارتد عاقلا) كما أوضح كيفية إقامة المرضى بالبيمارستان، و ما حظوا به من رعاية صحية متكاملة، فهناك اثنا عشر طبيبا مع تلاميذهم يحضرون لكل مريض، في مكان صرف الطعام، ما يوافق مرضه من الطعام والدواء. وإذا ما اقترب المريض من الشفاء سمح له بالاستحمام في المياه الجارية داخل البيمارستان. وحوله الممرضون يخدمونه كأنهم فراش حول الشمع. <sup>(٧٧)</sup>

لكن أوضاع البيمارستان ساءت خلال القرن الثامن عشر بعد أن انتقل الإشراف عليه إلى البكوات المحاليك ، فأصبح بعض المرضى يرقد على أسرة حشوة معروشة بالحصر أو مفروشة بمراتب ممزقة، والبعض ينام على مصاطب مبنية من الحجارة أو الطين ، وطعامهم الخبز والأرز وشربة العسل <sup>(٧٨)</sup> ، رغم كثرة الأوقاف المرسودة للإعانة على هذه المؤسسة العلاجية <sup>(٧٩)</sup> إلى جانب مصادر دخل أخرى للمؤسسة كالترهات <sup>(٨٠)</sup> الذي تخصص حصيلة بيعه للعناية بالبيمارستان ، لكن رغم ذلك لا يتفق على البيمارستان إلا القليل نتيجة لنهب البكوات المحاليك لمعظم هذه الأموال. <sup>(٨١)</sup>

وقد استغل رجال البيمارستان حالات المرضى؛ فعندما وضع أحد المرضى بالبيمارستان لإدعائه النبوة، استغل البيمارستاني المشرف عليه ذلك. وأدخل عليه من يرغب في رؤيته من الناس. واصفا المصدر المعاصر هؤلاء الناس بأنهم: (من لا عقل لهم، ويغلب عليهم الجهل)، وصار المارستاني يأخذ منهم مالا، كل على حسب حالته. ويعترف المارستاني بأنه خلال الثلاثة أيام التي أقام فيها المريض بالبيمارستان. استطاع كسوة نفسه وعباله، وعمل كعك العيد، واشترى النقل و دبر مصروفات رمضان، وصار يدعو لعثمان كتنخدا <sup>(٨٢)</sup> الذي أرسل هذا المريض للبيمارستان <sup>(٨٣)</sup>.

وقد أشفق ديجنت، المكلف من قبل ناهليون بونايرت بالإشراف على البيمارستان، على المرضى الموجودين به، وأوصى قائده بمنح هذه المؤسسة العلاجية إعانة مالية قدرها خمسون ديرا يرميا رحمة بالمرضى البؤساء. إلى أن يتم إنشاء المستشفى العسكري <sup>(٨٤)</sup> المزمع إنشاؤه <sup>(٨٥)</sup>.

وختاماً لابد من الإشارة إلى قلة نسبة المرضى العقلين في مصر العثمانية. فقد أشار كارستن

نيبور الذي زار مصر في الفترة من (١١٧٤ - ١١٧٦ هـ / ١٧٦١ - ١٧٦٢م) إلى قلة عددهم بالقياس إلى حجم مدينة القاهرة<sup>(٨٦)</sup>، في حين حدد ديجنت عددهم في أواخر القرن الثامن عشر أربعة عشر مريضاً عقلياً<sup>(٨٧)</sup> كما أوضح كلوت بك في أواخر الربع الأول من القرن التاسع عشر، أن عدد المرضى العقليين يبلغ ما بين ثلاثين إلى أربعين مجنوناً من الرجال والنساء في مدينة القاهرة التي يبلغ عدد سكانها ثلاثمائة ألف نسمة<sup>(٨٨)</sup>

وقلة نسبة المرضى العقليين في القاهرة العثمانية، يدفعنا إلى وضع عدد من الفروض، أولها أن هذه النسبة تؤخذ من البيمارستان المنصوري، وهذا البيمارستان لا يودع به إلا الحالات المستعصية التي تؤدي غيرها في المجتمع. وربما كان ميل المصريين للتدين والقبول بقضاء الله في كل أمور حياتهم المعيشة، مع عدم إجهاد العقل بكثرة التفكير قد أدى إلى قلة المرضى العقليين، أو ربما كان لرفض البعض إيداع أقاربهم بالبيمارستان وإيقانهم في المنازل دون أن يعلم عنهم أحد شيئاً.

غير أن تتبع طرق العلاج التي اتبعها أطباء مصر في العصر العثماني لعلاج الأمراض العقلية تدل على تقدم علم الطب بصفة عامة، والطب العقلي و النفسي بصفة خاصة، حيث يتضح عدم اكتفاء أطباء العصر بما وصل إليهم من الطب الإسلامي، إذ كانوا على دراية بتطور طرق العلاج في جهات العالم المختلفة، والمستخدمه عند الفرس والروم واليونان، وتسجية كل نبات طبي بمسماه في كل بلاد العالم.

لكن رغم تقدم الطب في مصر العثمانية، إلا أن المصريين أنفسهم رفضوا الخضوع لكشف وعلاج الأطباء، وقضوا العلاج بالطب الروحاني قبل الأقدام بعرض المريض على الطبيب. والذي كان يتم عند وصول المريض إلى حالة خطرة ربما تؤدي به إلى الموت في النهاية.

فمعظم الحالات التي أشارت إليها المصادر المعاصرة، وتم إيداعها بالبيمارستان المنصوري، هي حالات تم تقييدها بالسلاسل، سواء أكانت من الرجال أو النساء، مما يدل على إيذائها لنفسها، أو لمن حولها، كما أن معظمها كان في حالة هياج مستمر. مما أضرط الأطباء إلى علاجهم بالمهدئات المصنعة من النباتات المخدرة كبنجر الحشخاش والبنج. فالمصريون لا يودعون مريضهم بالبيمارستان إلا عندما يأسون منه، وكأنهم قد أودعوه في قبره.

أما من فقد عقله، ولم يؤذ أحد من المجتمع، فقد نظر إليه المصريون على أنه مجنون، قد جذبه الله، إذ هم يتركون به ويتفألون برؤيته مثل شخصية الشيخ على البكري، وهناك العديدين من أمثاله في شوارع القاهرة.

## ملحق عن

## المواد الخام المستخدمة في عقاقير الأمراض العقلية

أس :	باليونانية أموسير ، والفارسية مرزباح ، والصربانية سن ، والبربرية أحماض ، والعبرية أخمام ، والعربية ربحان ، وعصر مرسين ، وبالشام منه البستاني والبري ، ورقة دقيق ، مر الورق حلو الخشب ، زهره وثمره أسود ، غير أن ثمر البستاني كالعنب في الحجم ، ويسمى تكمام . و ينفع في علاج الصداع .
أسارون :	الناردين البري والأقريطي ، وهو نبات مبرز ، نحو ذراع ، منبسط على الأرض ، وغالبه تحت الأرض ، وجسيه أغبر إلى الصفرة ، وزهره دقيق الورق ، صلب وعريض وهش ، أجوده الأصفر الطيب الرائحة القليل المرارة المجتني في يوليو .
أسطوخودس :	يوناني بمعنى مرقف الأرواح ، ويسمى أيضا الكمون الهندي ، وهو كالشعير يميل إلى الحمرة ، وأوراقه كالصنوبر . أجوده الحديث الطيب الرائحة المر المأخوذ في يونيو ، وفائدته أنه يخرج السوداء ، ويفرح ويقوي القلب ، وينقي الدماغ لذلك يسمى المكسة . والسعوط منه بما . العسل ينقي الدماغ ، وشربه مع السكتنجين يشفي من الصداع والماليخوليا ، وتقدر جرعة المريض ما بين اثنين إلى خمسة مثاقيل ، وفي السعوط مرة واحدة .
أشنه :	يطلق عليها في العربية شبيه ، و في اليونانية برون ، وهي أجرا . شعرية تتخلق بأصول الأشجار ، وأجودها ما على الصنوبر والجوز . ، تذهب الأعباء والتعب ، وجرعتها إلى ثلاثة مثاقيل .
أظفار الطيب :	قشور صلبة على طرف من الصدف قد حشى تقعرها لحما رجا ، تخرج من الأرض أواخر مارس ، وأجودها الأبيض الضارب إلى الحمرة ، وجرعته من واحد إلى ثلاثة مثاقيل ، وبدله الفاوانيا .



<p>يوناني معناه دواء الجنون، وهو نبات شديد الحرارة، وفروعه كالحيط اللينة وأجوده المأخوذ في يونيو، يزيل أمراض الجنون السوداء لاسيما إذا أضيف إليه الخل وتقع منه رطل في ثلاثين رطلاً لمدة أربعين يوماً. ومتى استعمل منه خمسة أرطال في نصف رطل حليب وأوقيتين سكتجبن أسبوعاً أذهب المالمخوليا.</p>	<p>أفتيمون:</p>
<p>يسمى بمصر السنابير، وفي فارس إذا نقع باللبن سمي شير أملج؛ لأن الشير هو اللبن الحليب، وأجوده ما يشبه الكمثرى الصغيرة، وإذا طبخ مع ورقه الأس، ثم طبخ ماؤه بدهن كالسبرج والزيت، أفاد في تقوية الأعصاب. وجرعته من ثلاثة إلى خمسة مثاقيل.</p>	<p>أملج:</p>
<p>وهو أربعة أصناف: الهندي المعروف بمصر بالشهيري، والأسود المعروف بالصيني، والكابلي كالبلح، والأصفر كالتمر؛ وأكثرها نفعاً الكابلي فالأصفر فالصيني فالهندي وهو يقوى الحواس والدماغ، ويساعد على سرعة الحفظ.</p>	<p>أهلبلج:</p>
<p>باليونانية أفيمن، والعربية حول، وعندنا يسمى بالريحان الأحمر أو السليمانى، لأن الجس جاءت به لسليمان فكان يمالج به، وجرعته إلى ثلاثة.</p>	<p>بادروج:</p>
<p>ويطلق عليه باذر نبوة، وباليونانية ليوفلن، وهو بقلة تثبت وتستثبت خضراء، عطرية ريحية وصيفية، يستخدم في التفریح وتقوية الحواس والذكاء والحفظ، وجرعته إلى مثقالين.</p>	<p>باذر محبوبة:</p>
<p>باليونانية تسليون، وهو ثلاثة أنواع: الأبيض وهو الأجود، والأحمر ويعرف بالبرلسية نسبة إلى البرلس، والأسود وهو الأردأ ويسمى بالصعيدى؛ لأنه يجلب من الصعيد الأعلى.</p>	<p>بزر قطونا:</p>
<p>باليونانية بولوديون، والفارسية سكرمال، والهندية والسريانية تنكار علا، ومعنى هذه الأسماء الحيوان الكثير الأرجل، وسمي هذا النبات به لكونه كاللدور الكثير الأرجل، ويدعى بمصر اشتيوان، وهو نبات طوله نحو شبر، دقيق الورق أغبر مزغب، في أوراقه نكت صفيرين صفرة وحمرة وهو الأجود، وأرداه الأسود، ويعني يدرك في يونيو: يرى من الجنون ورداء الأخلاق والمالمخوليا.</p>	<p>بسفاج:</p>

بليلج:	ثمر شجرة هندية، تجنى بيوليو، وأجوده الأصفر الرخو يخرج السوداء، وجرعته إلى ثلاثة مثاقيل.
بنج:	بالعربية السبكران، وباليونانية أفيقوامس، والسريانية أرمانبيوس، والبربرية اقتقيط. ويقال اسقيراسن، وهو نبات ينسبط على الأرض دائرة، ويرتفع وسطه دون ذراع، شديد الخضرة، مزغب غليظ الورق مائي مشقق الأطراف، زهره يخلف حبا أسود وأصفر وأحمر وأبيض. يدرك في الصيف في يونيو، وأجوده الذي لم يجاوز سنة، يسكن الصداع المزمّن، وإذا دق بذره مع بذر حس وخشخاش، واستخرج دهن ذلك كان ترياقا للمالبخوليا والجنون والوساوس وحديث النفس شربا ودهنا وسعوطا.
بهمن:	نبات فارسي جبلي، ساقه شبر، يسط أوراقا كورق الأجاص، لكنها شائكة. أوراقه ملتفة بلا زهر، يدرك في يوليو.
تريد:	نبات فارسي، يخرج من جبال خراسان، يخلف ثمرًا كالسنة العصافير، ويدرك يوليو، وأجوده الأبيض الخفيف المنحوف المصغ الطرفين. مع الكاهلي يشفي غالب أنواع الجنون، وغالب المستعمل منه الآن بمصر عروق تجلب من أطراف الشام وديار بكر، وجرعته من ثلاثة إلى خمسة مثاقيل، وإذا طبخ تصل جرعته إلى عشرة مثاقيل.
جوزبوا:	يسمى جوز الطيب لعطريته، يخرج بجبال الهند وجزائر آشية، أجوده الحديث السالم من التآكل الهش الذي لم يبلغ ثلاث سنين من يوم قطعه.
حجر أرمني:	لا زوردي لكنه أغبر، وأجوده الهش الخالي من الملوحة، يقول بأرمينيا وجبال فارس ينفع في السوداء وأمراضها كالجنون والوساوس والمالبخوليا. وجرعته درهم.
حماض:	نبات كثير الأصناف منه نوع دقيق الورق محمر الأصول، له سنابل بيض، يخلف بذرا أسود براقا، ونوع يولد بذره من غبر زهر، وكلاهما حامض حد. والمولد بذرا بلا زهر إذا سحق وشرب فرح النفس وقارب الحمر.

حنظل:	باليونانية دوفوفينا، وقد يسمى أغريسومس ، وجهه يسمى الهبيد، وهو نبت يمد على الأرض كالبطيخ ، إلا أنه أصغر ورقا. وقائده إذا غلى بالماء والعسل والأقيمتون والقرفة يستأصل السوداء ، ويبرئ المالبخوليا والجنون.
خس الحمار:	الشتجار، خسرو دارو، الخولجان، الخشخاش:
	يقصد به النبات المعروف في مصر بأبي النوم، وأجوده الأبيض. أوراقه خشنة ، و طولُه نحو ذراع ، ويخلف زهرا ذا رؤوس مستديرة ، غليظ الوسط يجمع آخره قمعا، ويرزغ الخشخاش في أواخر طوبة إلى تمام أمشير. ويجمع بهرموده. ومنه يستخرج الأفيون بالشرط. وقشره إذا دق رطبا وقرص كان مفيدا لمرضى الأرق. ويصب طبخة على الرأس فيشفى الصداع وأنواع الجنون والمالبخوليا
دار صيني:	معرب عن دار شين الفارسي، وباليوناني أديمونا، والسريانية مرسلون ، و هو شجر هندي يتحوم الصين كالزمان، أوراقه كأوراق الجوز ألا أنها أدق، ولا زهر ولا بدر له ، والدار صيني هو قشر تلك الأغصان ، وأجوده الشحم المتخلخل بين حمرة وسواد وصعرة وحلاوة وملوحة ومراره الكائن بالصين، فالياقوتي الكائن بأشبة جزائر الزنج، فالأسود البراق، فالأصفر الدقيق، وأرداه الأبيض، يستمر مفعوله خمس عشرة سنة، يمنع الخفقان والوحشة والوساوس وضروب الجنون.
درونج:	نبت مشهور ببجبال الشام خصوصا ببيروت يدرك بسبتمبر، يستمر مفعوله عشر سنين، مفرح ويقوي الحواس، وجرعته مثقال
رازيانج:	هو الأنيسون، ويسمى الشمار بالشام ومصر، والشمرة بحلب، والبساس بالمغرب، وهو برى يستاني، عطري ذكي الرائحة، يجني بمصر في الربيع
راوند:	نبت مشهور يسمى باليونانية رستولوجيا معناه دواء يبرئ، وهو كثير الوجود بالشام، مر الطعم، يستمر مفعوله سنتين، يعيد في الوسواس والجنون، وجرعته إلى درهمين.

زرنب:	يسمى الملكي ورجل الجراد، وهو نبات لا يزيد طوله على ثلثي ذراع، له ورق أعرض من الصعتر، وزهر أصفر، يوجد بهجبال فارس، وهو الأجود، وقد يوجد بالشام، ولكنه لأحرافه فيه، يدرك بهشنس، و يستمر مفعوله أربع سنين، فيه شدة تفريح حتى أن عصارته تفعل فعل الحمر. يقضى على الصداع سعوطا، و جرعته إلى درهمين، ويدله النار الصيني.
زرنباد:	يسمى كافور الكمك، وأهل مصر يسمونه الزرنبة وهو عطري، ينبت بهجبال بنكالة والدكن وجزائرها، ويطول نحو شهرين، وله أوراق تقارب ورق الرمان، وزهر أصفر يخلف بلرا كبنر الورد، يدرك بمسرى وتوت، و يستمر مفعوله ثلاث سنين، والمر هو الأجود، والحلو ضعيف المفعول يذهب الوسواس لشدة تفريجه.
زعفران:	بالسريانية الكركم، والفارسية كركيماص، وسمى بالجساد و المجاتد والرغيل والدهقان. وهو نبات بأرض سوس، وينبت كثيرا بالمغرب زهرة كالبانجان فيه شعر، إذا فرك فاحت راحته وصبغ، وهذا الشعر هو الزعفران. يظهر في أكتوبر. وفائدته يفرح القلب ويشفي الأرق.
سقمونيا:	هي المحمود، وهي عبارة عن نبات ينبت بالأحجار والجبال، يطول نحو ثلاثة أذرع، وله ورق كالليلاب لكنه أدق وزهره أجوف مستدير أبيض. وطريقة أخذها بأن بشرط الأصل، ويصفى في إتنا، فيسيل كاللبن ويجمد. وأجودها الخفيف الأسفنجي المائل إلى الزرقة والصفرة. ويستمر مفعوله ثلاثين سنة، وغلظها باللازورد يساعد في علاج السوداء، وتزيل الوسواس والجنون وهبائى المالىخوليا.
سكنجبين:	صمغ شجرة بفارس، يخرج منها في يونيو، أجوده الأبيض، تظل قوته عشرين سنة.
سليخة:	باليونانية أسليوس، وهي قشر شجر هندي وعني، يظل مفعوله سبع سنين، وجرعته درهم، ويدلها النارصيني.

سنا:	نبات ربيعي له زهر أزرق، وثمره داخلها حب مفرطح محزوز الوسط، ومنه نوع عريض الأوراق أصفر الزهر يسمى بالحجازي، يظهر بالصيف، وفائدته أنه ينقي الدماغ من الصداع الشديد.
شاهترج:	فارسي بمعنى ملك البقول، ويسمى كزبرة الحمار، عريض الأوراق، وزهره إلى البياض، مر الطعم، يدرك في الربيع، وأهل مصر يسمونه شاتراج، والجرعة من مائة إلى خمسين مثقالا.
صبر:	يطلق عليه صباره، أضلاعه كالقرنبيط وأعرض، وعلى أطرافه شوك، والصبر عصاره، ينقي الدماغ، ويشفي الجنون والوساوس والصداع.
صندل:	شجر بالصين يشبه الجوز، وهو من الأدوية التي يستمر مفعولها ثلاثين سنة، وأجوده الأبيض المعروف بالمقاصيري، وهو مفرح، وجرعته مثقال.
غاريقون:	رطوبات تتعفن في باطن ما يأكل من الأشجار، يستمر مفعوله أربع سنين، له خاصية عظيمة في علاج الأعصاب خصوصا مع السكتجيين، وجرعته إلى مثقال.
فاوانيا:	يطلق عليه وقابوتا، والكهينا، وعود الصليب، وفي المغرب ورد الحمبر. نبت دون ذراع، ولا ينبغي أن يؤخذ إلا يوم نزول الشمس الميزان. ويقطع بحذر، فإن اختل الشرط بطلت خواصه. ويبقى مفعوله سبع سنين. وهو يشفى من الكاهوس، ويجلو الآثار السود، وهذه الشجرة بجملتها تشفى في الصرع والجنون والوساوس كيفما استعملت ولو تعليقا وبخورا.
فرنجمشك:	الفرنغل البستاني، طيب الرائحة، ينبت ببساتين مصر كثيرا، ودهنه مفيد للأعصاب، وجرعته ثلاثة مثاقيل.
قصب ذريه:	نبت كالقش عقد محشو بشي، أبيض، وأجوده المتقارب العقد الياقوتي الضارب إلى الصفرة القابض المر.
قنطريون:	يوناني، شديد الحمرة، ساقه مزغب خشن، له زهر كحلي، يخلف بذر كالقرطم، مر الطعم، يدرك بالخریف، يستمر مفعوله عشر سنين، يزيل علل الأعصاب، ويذهب الإعياء والتعب.

لازورد:	معدن مشهور بجبال أرمينيا وفارس، أجوده الصافي الشفاف الضاربة زرقته إلى خضرة ما وحمرة، ينفع في الجنون والوسواس والهمل وفساد العقل.
لسان الثور:	باليونانية فوغلص، والفارسية كاوزبان، ثبت ربيعي، غليظ الورق، خشن يخلف بذرا مستديرا، يستمر مفعوله سبع سنين، وموضعه جبال فارس والموصل، شديد التفريح، ويقوى الحواس، لهذا ينفع في علاج الجنون والوسواس والماليخوليا، فأوقيه ونصف منه تعادل رطلا من الخمر الخالص في شدة التفريح مع حضور الذهب، وجرعته عشر دراهم.
لؤلؤ:	معدن أجوده الكبير الأبيض الشفاف الكائن ببحر عمان، وأرداه الصغير الأسود القلزمي، وهو يمنع الوسواس والجنون وتسعيطه يذهب الصداع.
ماء الجبن:	من لبن الماعز، ينفع في أمراض السوداء كالوسواس والجنون والماليخوليا وخصوصا إذا أضيف له اللازورد.
مسك:	دم ينعقد في حواش دون الظبا، قصبر الرجل بالنسبة إلى اليد، له ناهان معرقان إلى الأرض، وقرنان في رأسه معوجان إلى ذنبه، شديد البياض، ويقيد في إزالة القم.
مصطكي:	معرب عن مصطبخا اليوناني، يسمى العلك الرومي والمراد به الصمغ، وهو نوعان: أبيض ناعم طيب الرائحة فيه لدونة، حلو يسحق ويسمى المعلق، والثاني يؤخذ من العود الغض والورق بالطبخ، ولا يوجد إلا في رودس وأشبيلية بالأندلس. يستمر مفعوله عشرين سنة، يذهب الصداع والسوداء والوسواس وحديث النفس ومبادئ الماليخوليا مع الأهليجات، وزيادة الفهم مع الكندر.
نارقيصر:	ثبت دقيق أحمر إلى صفره، يجلب من الروم، ويسمى بمصر سلق الحمام، وهو عطري طيب الرائحة، مفرح، جرعته مثقال.
نارمشك:	فارسي معناه رمان بري، يوجد بخراسان، يزيل الوسواس والماليخوليا، وجرعته درهمان. (٨٩)

من الملحق السابق يتضح :

براعة الأطباء في مصر العثمانية، فهم يعرفون كافة المواد الحام الموجودة في مختلف أنحاء العالم ، واستخداماتها المختلفة.

اقتصرت عند ذكر تلك المواد الحام على فائدتها للأمراض العقلية، وإن كانت لكل مادة منها استخدامات لعلاج أمراض أخرى لم يتم ذكرها تركيزاً على موضوع الدراسة.

تشمل المواد الحام الأساسية في علاج المالبخوليا كلا من أسطوخودس وأفتيمون وسفايج وبلبلج وبنج وتريد وحجر أرمني وحنظل وخشخاش ودار صيني وزراوندو زرنباد وسقمونيا وصبر وقاوانيا ولازورد ولسان الثور ولؤلؤ وماء الجبن ومصطكي ونار مشك: في حين أن باقي المواد استخدم لإستكمال تركيب المواد الأساسية أو للتفريح.

غير أن هناك قدراً لا يستهان به من تلك المواد الحام يستخدم كمخدر لمرضى المالبخوليا ، أو تفريح لهم كبديل عن الخمر مما يؤدي إلى عيش المريض في الخيال.

إلا أن كثرة استخدام الأطباء للمواد المحسنة والمفرحة تدل على تدهور حالات مرضى المالبخوليا مما يدفع أطباهم إلى استخدام تلك المواد لتهدئتهم، وربما لإجبارهم على الاستغراق في نوم عميق.

## الهوامش

- (١) محمد السيد الهابط : حول صحتك النفسية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٣٢ - ٣٣
- (٢) عباس محمود عوض : الموجز في الصحة النفسية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٩١
- (٣) نفس المرجع السابق، ص ٩١ - ٩٢
- (٤) الجنون : مصدر جن وهو زوال العقل وفساده، والجنون في اصطلاح الفقهاء عبارة عن التصرف في المال بخلاف مقتضى الشرع والعقل، وعد الأطباء اختلال القوة المميزة بين الأمور الحسنة والقيحة.. لمزيد من التفاصيل (أنظر بطرس البستاني محيط المحيط، بيروت، ص ١٣٠ - ١٣١)
- (٥) أوليا جلي : سياحاتهم مصر، ترجمة محمد علي عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام وآخرون، دار الكتب المصرية، القاهرة ٢٠٠٥، ص ٣٤٧؛ كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود، الجزء الثاني، القاهرة د.ت، ص ٥٦٧.
- والسوداء : فساد الفكر، من اليونانية عسى **المحط الأسود**. وتشير المراجع الحديثة إلى أن السود هو المالبخوليا Melancholia، وهو مصطلح يشمل جميع الاضطرابات العقلية المرصدة. لمزيد من التفاصيل أنظر بطرس البستاني : المرجع السابق، ص ٤٣٩. أحمد محمد عبد الحاتق : أصول الصحة النفسية، الإسكندرية ٢٠٠٣، ص ٣١٥ - ٣١٦.
- (٦) داوود بن عمر الأنطاكي (١٠٠٨ هـ) : تذكره أولى الألباب الجامع للعجب العجائب، الجزء الثاني، القاهرة ٢٠٠٨، ص ١٠٩.
- (٧) روية : التفاوت بالأعشاب عند المصريين المحدثين، ضمن وصف مصر (قاهرة الممالك)، الجزء (الحادي عشر، ترجمة منى زهير الشايب، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٥٦، ١٦٥.
- (٨) عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية، القاهرة د.ت، ص ٤٠
- (٩) Sonnini, C.S : Voyage dans la Haute et Basse Egypte, Tome Second, Paris, P. 228
- (١٠) البيمارستان : لفظ فارسي مركب من بيمار أي مريض، وستان أي محل، أي دار المرضى، ويقال أحيانا البيمرستان، والمارستان : وهو مستشفى لمعالجة كافة الأمراض، ولكن بمرور الزمن اقتصر الاسم على المكان الذي يعد لإقامة المجانين. لمزيد من التفاصيل أنظر سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢، ص ١٣ - ١٠٤. محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة ١٩٨٠، ص ٦٥٥.



(١١) البيمارستان المنصوري : نسبة إلى المنصور قلاوون، وقد شيده عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤م، ويقع هذا البيمارستان بالقاهرة بين القصرين يخط المدارس الكاملية والصالحية والظاهرية .. أنظر محمد محمد أمين : المرجع السابق، ص ص ١٥٥ - ١٧٧.

(١٢) ديجينيت : تقرير عن المورستان أو مستشفى القاهرة، مقدم إلى القائد العام بونابرت، لاديكاد إيجيبسين، العدد التاسع ضمن كتاب صلاح الدين البستاني، صحف بونابرت في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١، القاهرة د.ت، ص ١٣٢.

(١٣) أبو النبي بن نصر بن عفاط المعروف بالكهرق العطار الإسرائيلي . منهاج الدكان ودستور الأعبان في معرفة العقاقير وطب الأبدان، مخطوط بالهيئة العامة للكتاب، ل ٣٤٨٥، ميكروفيلم ٢٢٩٤٢. بدون صفحة

(١٤) أحد تلاميذ داوود بن عمر الأنطاكي : ذيل تذكرة أولى الألباب الجامع للعجب المعجاب، القاهرة ٢٠٠٨، ص ص ١٨٤ - ١٨٥

(١٥) أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري : أوضح الإشارات فبمس تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ الصيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤، ص ٥٩٩؛ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي . عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الأول، القاهرة ١٩٩٧، ص ٢٥٢.

(١٦) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الخامس من سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨ هـ (١٥١٦-١٥٢٢م)، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩١، ص ٤٧٢

(١٧) أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري : المصدر السابق، ص ص ٥٦٤ - ٥٦٥

(١٨) أوليا جلبي : المصدر السابق، ص ٣٤٧.

(١٩) بله- بلها - بلاهة - بلها : الغفلة، ضعف العقل، قلة التمييز.. لمزيد من التفاصيل أنظر الهيئة المصرية العامة للكتاب، المعجم الكبير، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨١، ص ٥٦٥؛ بطرس البستاني : المرجع السابق، ص ٥٥.

(٢٠) جومار : وصف مدينة القاهرة، ضمن وصف مصر، ترجمة رهير الشاب وآخرون، الجزء العاشر، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٢٠٣.

(٢١) يسمى علماء النفس حاليا هذه الحالة بالاكتئاب Depression ويكون المريض فيها في حالة حمول وبأس وحرز، و يشعر بالضعف ويوجه عدوانه إلى نفسه، وقد يحاول الانتحار.. لمزيد من التفاصيل أنظر عباس

محمود عوض : المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٢٢) جومار : المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٢٣) الهوس : Mania هو اضطراب حاد دون وجود حمى ، ويسمى هذا المرض العقلي الوظيفي بالدهان الدوري أو التواب Manic- depressive psychosis ذلك إن المريض قد تتأهب حالة من الهوس، ثم حالة من الإكتئاب تختلف من حيث الشدة والاستمرار. والهوس، قد يكون هوسا خفيفا Hypomania وهذا النوع يتسم بنشاط وتفاؤل زائدين، أو هوسا زائدا Hypermania وهنا يكون المريض في حالة هياج حاد، ويعرض نفسه وبغيره للخطر. فالمرضى في حالة الهوس يوجه عدوانه إلى العالم الخارجي . للمزيد من التفاصيل أنظر: عباس محمود عوض : المرجع السابق . ص ص ٩٩ - ١٠٠

(٢٤) جومار : المصدر السابق ، ص ٢٠٢

(٢٥) كلوت بك : المصدر السابق، ص ٥٩٧.

(٢٦) الشربة : يقصد بها هوى النفس، يقولون- وافق الأمر مشربه أي هواء . والشربة أيضا الطريقة يقال ما زال فلان على شربة واحدة أي طريقة واحدة .. لمزيد من التفاصيل أنظر بطرس البستاني : المرجع السابق، ص ٤٥٨.

(٢٧) عبد الرحمن بن حسن الجبريني . عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٥٥

(٢٨) نفس المؤلف : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢١٤؛ نفس المؤلف : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢٣١

(٢٩) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٥٦٨

(٣٠) Brown, Edward Voyage en Egypte 1673 - 1674 caire 1974, P 181

(٣١) Sonnini, C S : OP. cit, Tome premier, P. 273

(٣٢) عباس محمود عوض : المرجع السابق، ص ٦؛ محمد السيد الهابط : المرجع السابق، ص ٢٩.

(٣٣) Sonnini, C.S : Op Cit, Tome premier, P 273

(٣٤) Ibid P 273

(٣٥) عباس محمود عوض : المرجع السابق ، ص ٦؛ محمد السيد الهابط : المرجع السابق، ص ٣٠

(٣٦) كلوت بك : المصدر السابق، ص ص ٥٢٩ ، ٥٧٨ - ٥٧٩

(٣٧) روية : المصدر السابق ، ص ١٥١

(٣٨) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٥٧٨

(٣٩) سيريزول : مستخرج من ملاحظات للمواطن سيريزول الطبيب بالجيش عن رحلة له على الضفة الغربية للنيل من القاهرة إلى أسوط ، لاديكاك إيجيبتين ، العدد الرابع ، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني ، المرجع السابق، ص ٧٦

(٤٠) القرآن الكريم، سورة الفرقان، آية ٤٥ .

(٤١) القرآن الكريم، سورة القلم، آية ٥١ .

(٤٢) أحد تلاميذ داوود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، ص ١٦٥

(٤٣) نفس المصدر السابق، ص ١١٦

(٤٤) عصمت محمد حسن : جواب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتابات المهترتي ، القاهرة ٢٠٠٣ ، ص ١٨٤ - ١٨٥

(٤٥) محمد السيد الهابط : (المرجع السابق، ص ٣١)

(٤٦) أبو النبي بن نصر بن عفاط المعروف بالكرهق العطار الإسرائيلي المصدر السابق، بدون صفحة.

(٤٧) أحد تلاميذ داوود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، ص ١٩٣

(٤٨) داوود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٤٧

(٤٩) لمزيد من التفاصيل عن المواد الخام المستخدمة في العقاقير أنظر الملحق.

(٥٠) المثقال : واحد ونصف درهم، أي أربعة وعشرون قيراطاً أو اثنان وسبعون حبة شعير أو ست وتسعون حبة قمح. وكان المثقال يستخدم في تقييم الذهب والأحجار الكريمة والسلع والعقاقير الثمينة التي تباع بأوزان بالغة الصغر.. لمزيد من التفاصيل انظر، صامويل برنار : الحياة لاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، الجزء الثالث، المؤازرين والتقود، ترجمة زهير الشايب، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ص ٢٤ - ٢٦ : سحر علي حنفي : العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص ص ١٠٥ - ١٠٦

Alpin, prosper plantes d' Egypte 1581 - 1584, caire 1980, PP. 12 - 13 (51)

داوود بن عمر الانطاكي - المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ص ٣٤٥ - ٣٤٩ : أحد تلاميذ داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، ص ١٩٤

- (٥٢) أبو السبي بن نصر بن حفاظ المعروف بالكركقي العطار الإسرائيلي : المصدر السابق ، بدون صفحة ، داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ص ٢١٧ - ٢١٩
- (٥٣) داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ١٣٢
- (٥٤) نفس المصدر السابق ، ص ص ١٧٩ - ١٨٠
- (٥٥) نفس المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٣٦٠
- (٥٦) جومار : المصدر السابق ، ص ٢٠١
- (٥٧) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠١
- (٥٨) داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ١٨١
- (٥٩) السموط : اخترعه جالينوس للصداع ، ثم توسع فيه لأعراض الأنف والعين ، فإن جعل مائعا فهو السموط أو مشتدا فالنشوق أو بابسا بسحق ورمح أو طيح وكب المريض على بخاره فكوب ، وكلها محتصة بأوجاع الرأس .. لمزيد من التفاصيل أنظر داود بن عمر الأنطاكي . المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ٢١٤ .
- (٦٠) نفس المصدر السابق ، ص ص ٣٥٨ - ٣٥٩
- (٦١) أوليا جلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧
- (٦٢) أحمد تلاميذ داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، ص ١٨٥
- (٦٣) داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ص ١٧٢ ، ٢٩٢ ، ٣١٨
- (٦٤) نفس المصدر والجزء : ص ٣٦٠
- (٦٥) نفس المصدر والجزء : ص ص ٣٦٠ - ٣٦٥
- (٦٦) الدرهم : يساوي ستة عشر قيرطا أو أربع وستين حبة قمح . لمزيد من التفاصيل أنظر : صامويل برنار : المصدر السابق ، ص ص ٢٤ ، ٢٦ ، سحر علي حنفي : المرجع السابق ص ١٠٥
- (٦٧) داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ص ٣٦٦ - ٣٦٧
- (٦٨) القرش : هناك نوعان من القروش العشماوية ، القرش الأسدي الذي ساد منذ عهد السلطان سليمان القانوني وتبلغ قيمته أربعين نصف قضة ، والقرش العددي الذي صرب في عهد السلطان سليمان الثاني (١٠٩٩ - ١١٠٢ هـ / ١٦٨٧ - ١٦٩١م) وتبلغ قيمته ثلاثين نصف قضة . (أنظر ، صامويل برنار : المصدر السابق ، ص ص ٨٨ - ٨٩ . سحر علي حنفي . المرجع السابق ، ص ١١٤)

- (٦٩) أوليا جلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧
- (٧٠) الديار نقد من الذهب، ومن أهم أنواعه في العصر العثماني المصوب والمعدقلي والطرلي و الجنزير صامويل برنار - المصدر السابق، ص ص ٦٦ - ٦٧، محر علي حقي : المرجع السابق، ص ١١٣.
- (٧١) جومار : المصدر السابق، ص ٢٠١
- (٧٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٣
- (٧٣) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٢ : كلوت بك . المصدر السابق . ص ٦٣٦
- (٧٤) أوليا جلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧
- (٧٥) جومار : المصدر السابق ، ص ٢٠٢
- (٧٦) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٣
- (٧٧) ميكل ونتر : المجتمع المصري تحت حكم العثماني . ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، تعليق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة ٢٠٠١، ص ٣٤٩.
- (٧٨) محمد مختار . التوقيعات الإلهامية في مقدرة السوانح بهجته بالسبب الأفرنجية والقبطية، المجلد الثاني من سنة ٧٥١ إلى سنة ١٥٠ هجرية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠، ص ص ١١١٤ ، ١١٣١
- (٧٩) أوليا جلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٨.
- (٨٠) كريستوفر هيرولد : بونايرت في مصر، ترجمة فؤاد أندراوس، مراجعة محمد أحمد أنيس، القاهرة ١٩٦٢، ص ٢٤٠
- (٨١) أوليا جلبي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧.
- (٨٢) ديجينت . المصدر السابق ، ص ١٣٢.
- (٨٣) كارسن بيبور : رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ١٧٦١-١٧٦٧، الجزء الأول، رحلة إلى مصر ١٧٦١ - ١٧٦٢، ترجمة وتعليق مصطفى ماهر، د ت ، ص ٢٢٢؛ جومار . المصدر السابق، ص ٢٠٤
- (٨٤) روية - المصدر السابق ، ص ١٥٧، والتزيق : يصنع من لحم الثعابين والحماة، ويستخدم لعلاج العديد من الأمراض . أنظر أوليا جلبي . المصدر السابق، ص ص ٣٤٨ - ٣٦١
- (٨٥) جومار : المصدر السابق ، ص ص ٢٠٤ ، ٢٠٦.
- (٨٦) الكتخد - يمنع الكاف وسكون الناء وصم الحاء، في التركية كتخدنا، من الفارسية كخدنا . والكلمة

الفارسية من كلمتين (كد) بمعنى البيت، و (خدا) بمعنى الرب والصاحب فالكتخدا هو في الأصل رب البيت، ويطلقها الفرس على السيد الموقر وعلى الملك، ويطلقها الترك على الموظف المستول والوكيل المعتمد... أحمد السعيد سليمان : تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف د.ت، ص

١٧٦

(٨٧) أحمد شلبي بن عبد الغني : المصدر السابق، ص ٦٠٠.

(٨٨) مرنج وآخرون : تقرير مقدم إلى الجنرال بونايرت، القائد الأعلى بشأن مشروع إنشاء مستشفى مدني في القاهرة، لأديكاد إيجيسين، العدد الأول، المجلد الثاني، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني : المرجع السابق، ص ص ١٥٣ - ١٥٧.

(٨٩) ديجينت : المصدر السابق ، ص ١٣٣

(٩٠) كارستن تيبور : المصدر السابق ، ص ٢٢٢

(٩١) ديجينت : المصدر السابق ، ص ١٣١

(٩٢) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٥٦٧

(٩٣) داورد بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، الجزء الأول، ص ص 330,325,321,316,300,284,280,277

255,253,235,228,223,222,219,202/Archivebeta.Sakhrit.com

374,342,340, 201,200,188,172,169,159,151,146,136,125,104,98,96,94,85,84,76,75,71,65,58,53

## قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم.

ثانيا : المخطوطات

أبو النبي بن نصر بن حفاظ المعروف بالكهرق العطار الإسرائيلي : منهاج الدكان ودستور الأعيان في معرفة العقاقير وطب الأبدان، مخطوط بالهيئة العامة للكتاب، ل٣٤٨٥، ميكروفيلم ٢٢٩٤٢.

ثالثا : المصادر العربية المنشورة :

أحد تلاميذ داود بن عمر الأنطاكي : ذيل تذكرة أولى الألباب الجامع للعجب العجائب، القاهرة ٢٠٠٨.

أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري : أوضح الأشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشا، الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤ م.

داود بن عمر الأنطاكي (١٠٨٠ هـ) : تذكرة أولى الألباب الجامع للعجب العجائب، الجزآن الأول والثاني، القاهرة ٢٠٠٨ م.

عبد الرحمن بن حسن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الأجزاء الأولى والثاني والثالث، القاهرة ١٩٩٧ - ١٩٩٨ م. : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٩٨ م.

محمد بن أحمد بن إياس الحنفي : بذائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الخامس من سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨ هـ (١٥١٦ - ١٥٢٢)، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٦ م.

رابعا : المصادر الأجنبية المعربة :-

أوليا جلبي : سيا حتنامة في مصر، ترجمة محمد علي عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام وآخرون، القاهرة ٢٠٠٥ م.

جومار : وصف مدينة القاهرة، ضمن وصف مصر، ترجمة زهير الشايب وآخرون، الجزء العاشر، القاهرة ٢٠٠٢ م.

ديجينيت : تقرير عن المورستان أو مستشفى القاهرة مقدم إلى القائد العام بونايرت، لاديكا  
إيجيسين، العدد التاسع، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني، صحف بونايرت  
في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ م، القاهرة د.ت.

روبية : التداوي بالأعشاب عند المصريين المحدثين، ضمن وصف مصر (قاهرة المالك)، الجزء  
الحادي عشر، ترجمة منى زهير الشايب، القاهرة ٢٠٠٢ م.

سيريزول : مستخرج من ملاحظات للمواطن سيريزول Ceresole الطبيب بالجيش عن رحلة له  
على الضفة الغربية للنيل من القاهرة إلى أسيوط، لاديكا ياجيسين، العدد  
الرابع، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني، صحف بونايرت في مصر ١٧٩٨ -  
١٨٠١ م، القاهرة د.ت.

صامويل برنار : الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، الجزء الثالث، الموازين  
والنقود، ترجمة زهير الشايب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠ م.

كارستن نيبور : رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ١٧٦١ - ١٧٦٧ م، الجزء الأول، رحلة إلى مصر  
١٧٦١ - ١٧٦٢ م، ترجمة وتعليق مصطفى ماهر، د.ت.

كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود، الجزء الثاني، القاهرة د.ت.

مونج وآخرون : تقرير مقدم إلى الجنرال بونايرت، القائد الأعلى، بشأن مشروع إنشاء مستشفى  
مدني في القاهرة، لاديكا ياجيسين، العدد الأول، المجلد الثاني، ضمن كتاب  
صلاح الدين البستاني، صحف بونايرت في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ م، القاهرة  
د.ت.

خامسا : المراجع العربية :

أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة  
د.ت.

أحمد محمد عبد الحائق : أصول الصحة النفسية، الإسكندرية ٢٠٠٣ م.

الهيئة المصرية العامة للكتاب : المعجم الكبير، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨١ م.  
بطرس البستاني : محيط المحيط، بيروت د.ت.

سحر علي حنفي : العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر،  
القاهرة ٢٠٠٠ م.



سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢ م.

عباس محمود عوض : الموجز في الصحة النفسية، الإسكندرية ١٩٨٩ م.

عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية، القاهرة د.ت.

عصمت محمد حسن : جوانب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتابات الجبرتي، القاهرة ٢٠٠٣ م.

كريستوفر هيرولد : بوتنارت في مصر، ترجمة فؤاد أندراوس ، مراجعة محمد أحمد أنيس، القاهرة ١٩٦٢ م.

محمد السيد الهابط : حول صحتك النفسية، الإسكندرية ١٩٨٩ م.

محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧.  
دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة ١٩٨٠ م.

محمد مختار : التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنجية والقبضية  
المجلد الثاني من سنة ٧٥١ إلى سنة ١٥٠٠ هجرية، الطبعة الأولى، المؤسسة  
العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠ م.

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ميكل ونتر : المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة محمد إبراهيم، تعليق عبد الرحيم  
عبد الله الشيخ، القاهرة ٢٠٠١ م.

سادسا : المصادر الأجنبية :

lpin, prosper : plantes d' Egypte 1581-1584, Caire 1980.

rown, Edward : Voyage en Egypte 1673-1674, Caire 1974.

nnini, C.S : Voyage dans la Haute et Basse Egypte, Tome I, II, Paris.